الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة العلوم الإنسانية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 2/PG/LMD/HIS/21

العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د في العلوم الإنسانية –تاريخ–

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالب

سليم تريكي

إشراف الدكتورة

وافية نفطي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
رضا حوحو	أستاذ محاضر أ	بسكرة	رئيسا
وافية نفطي	أستاذ محاضر أ	بسكرة	مشرفا ومقررا
معاذ عمراني	أستاذ التعليم العالي	الوادي	عضوا مناقشا
عبد الرؤوف ثامر	أستاذ التعليم العالي	الوادي	عضوا مناقشا
الأمير بوغدادة	أستاذ محاضر أ	بسكرة	عضوا مناقشا
شهرزاد شلبي	أستاذ التعليم العالي	بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: (1445–1446هـ/ 2024–2025م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة–

كلية العلة الإنسانية والاجتماعية

شعبة العلوم الإنسانية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 2/PG/LMD/HIS/21

العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د في العلوم الإنسانية –تاريخ–

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالب

سليم تريكي

إشراف الدكتورة

وافية نفطي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
رضا حوحو	أستاذ محاضر أ	بسكرة	رئيسا
وافية نفطي	أستاذ محاضر أ	بسكرة	مشرفا ومقررا
معاذ عمراني	أستاذ التعليم العالي	الوادي	عضوا مناقشا
عبد الرؤوف ثامر	أستاذ التعليم العالي	الوادي	عضوا مناقشا
الأمير بوغدادة	أستاذ محاضر أ	بسكرة	عضوا مناقشا
شهرزاد شلبي	أستاذ التعليم العالي	بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: (1445–1446هـ/ 2024–2025م)


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ وإِلى ثَمُـــودَ أَخَـــاهُمْ صَـــالِحًا قَـــالَ يَا قَـــوْمِ اعْبـدُوا اللَّهَ مَـالَكُم،مِن إِلَـهٍ غَـيْرُهُۖ هُـوَ أَنْشَـأَكُمْ مِـنَ الْأَرْضِ وَاســـْتَعْمَرَكُمْ فِيهَـــا فَاســـْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُـــوا إِلَيْـــهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾

سورة هود الآية (61)

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله تعالى الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا العمل العلمي.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة، الدكتورة وافية نفطي، على صبرها وتوجيهها العلمي ودعمها المتواصل طيلة فترة إنجاز هذا البحث، مما أسهم في إخراجه في أحسن صورة.

كما أخص بالشكر والتقدير رئيسة مشروع التكوين، الدكتورة شهرزاد شلبي، على ما بذلته من جهود لتذليل الصعوبات وتيسير الإجراءات الإدارية، مما ساعدني على اجتياز مختلف مراحل البحث بسلاسة.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى كافة القائمين على جامعة بسكرة، التي احتضنتنا طوال سنوات الدراسة، وأتاحت لنا فرصة البحث العلمي، وعلى وجه الخصوص أساتذة وموظفي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

كما أعبّر عن امتناني العميق لكافة العاملين في الأرشيف الوطني الجزائري ببير خادم، لا سيما موظفي قسم الأرشيف العربي العثماني، وموظفي المكتبة الوطنية، خاصة قسم المخطوطات، على تعاونهم المثمر وتيسيرهم عملية الاطلاع على الوثائق المتوفرة لديهم.

والشكر موصول كذلك إلى موظفي وعمال الأرشيف الولائي بقسنطينة على حسن الاستقبال، وتوفيرهم كافة الإمكانيات التي ساعدتني في إنجاز هذا البحث.

❁❁❁❁❁❁❁

إهداء

إلى روح والدتي الغالية، أسأل الله تعالى أن يتغمّدها بواسع رحمته، ويسكنها فسيح جنّاته .

إلى والدي الكريم، أطال الله في عمره وأبقاه لنا ذخرًا، الذي أفنى حياته في غرس القيم والمبادئ، فله مني خالص التقدير والامتنان .

إلى زوجتي الفاضلة، التي كانت لي خير معين وداعم في مختلف مراحل هذا البحث، فجزاها الله عني خير الجزاء .

إلى ابني باسم، أسأل الله أن يجعله من الصالحين، ويوفّقه لما فيه خير الدنيا والآخرة .

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء: مراد، زبير، لزهر، صباح، وفطيمة، الذين كان لدعمهم المعنوي أثرٌ بالغ في مسيرتي العلمية .

إلى أصدقائي الكرام، ولا سيما يوسف بولعبايز وخلافي طارق وعبد المالك جلال، على ما قدّموه من تشجيع ومساندة متواصلة .

إلى كل طالب وباحث يطّلع على هذا العمل، راجيًا أن يجد فيه ما ينفعه ويثري مسيرته العلمية.

****

قائمة المختصرات:

- **1- باللغة العربية**
- ق: قرن.
- و: وثيقة.
- ع: علبة.
- س. ب .ب: سلسلة بيت البايلك.
- س. م. ش: سلسلة المحاكم الشرعية.
- (كذا) كلمة غير واضحة أو غير مفهومة.
- مج: مجلد.
- ج: جزء.
- ط: طبعة.
- ط.خ: طبعة خاصة.
- ع. خ: عدد خاص.
- (د.ن): دون ناشر.
- (د. ت.ن): دون تاريخ نشر.
- (د.م.ن): دون مكان نشر.
- (د. م .ج): الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.
- (ش. و. ن. ت): الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ع: عدد.
- تر: ترجمة.
- تح: تحقيق.
- تن: تنسيق.

- تق: تقديم.
- تع: تعريب.
- جم: جمع.
- مرا: مراجعة.
- إشر :إشراف
- دخ: دينار خمسيني عملة متداولة في الجزائر خلال العهد العثماني.
- ف.ف: فرنك فرنسي.
- ---: تكملة لماهو في الهامش السابق
- (....) في المتن للدلالة على وجود بقية للنص، وتدل كذلك على اختصار لعنوان المرجع.

2- المختصرات باللغة الأجنبية.

- R.A: Revue Africaine.
-T: tom.
-N: numéro.
-Vol: volume.
-tra: traduction.
-(s.d) : san dat.
- Pla: planche.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان.....
إهداء: .....
فهرس المحتويات .....
قائمة الصور.....
قائمة الجداول.....
مقدمة: .....**Erreur ! Signet non défini.**
1-دوافع اختيار الموضوع:..... 2
2-أهمية الدراسة..... 2
3- أهداف الدراسة:..... 3
4- حدود الدراسة..... 3
5-الإشكالية:..... 4
6-المنهج المتبع في الدراسة: 4
7-خطة الدراسة 5
8-الدراسات السابقة..... 7
9- المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة..... 9
10-الصّعوبات..... 12
الفصل الأول: مدخل حول العمارة الإسلامية وأحكامها الفقهية
تمهيد:..... 15
أولا: تطور العمارة عند العثمانيين..... 16
1-المرحلة الأولى: العهد المبكر (1350- 1450م)..... 16
2- المرحلة الثانية: بداية الارتقاء والتقدم (1450- 1550م)..... 18
2-1-العهد الكلاسيكي الأول(1550- 1650م) 22
2-2- العهد الكلاسيكي الثاني(1650- 1750م) 23
3-المرحلة الثالثة استخدام الأساليب الأوربية..... 23
3-1-بداية التجريب(1750- 1850م) 23
3-2-العهدالأخير (1850- 1923م) 24
4-العمارة العثمانية في البلاد العربية. 24

فهرس المحتويات

4-1- العمارة العثمانية في المشرق العربي. 24
4-2-العمارة العثمانية في بلاد المغرب..... 25
4-2-1-التأثير الأندلسي..... 26
4-2-2- التأثير المرابطي..... 26
4-2-3-التأثير الموحدي..... 27
ثانيا: فقه العمران الإسلامي وضوابطه. 29
1-مفهوم فقه العمران والعمارة 30
1-1-مفهوم العمران:..... 30
1-2-مفهوم العمارة:..... 31
1-3- مفهوم فقه العمران 32
2-أهمية فقه العمران والعمارة..... 32
3-المؤلفات الفقهية في فقه العمران والعمارة:..... 33
4-أهم القواعد والأحكام المتعلقة بفقه العمران والعمارة بالجزائر خلال العهد العثماني. 34
4-1- قاعدة الضرر: (حيازة الضّرر والضّر يزال) 34
4-2-قاعدة الحيازة أو اليد دليل الملك..... 35
4-3-قاعدة الغَنَمْ بالمَغْرَم 35
4-4-أحكام الاشتراك في مبنى بين شخصين(علوي وسفلي) 36
4-5-حكم إنشاء نشاط حرفي أو تجاري في سكن خاص..... 36
4-6-أحكام المياه: 37
4-7-أحكام إنشاء الحمّامات..... 38
ثالثا: مصادر دراسة العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني..... 39
1-الوثائق الأرشيفية 39
1-1-وثائق سجلات المحاكم الشرعية..... 39
1-2-وثائق سجلات بيت المال وبيت البايلك..... 42
1-3-سجل صالح باي 43
2- المخطوطات..... 44
2-1-دفتر التشريفات..... 44

فهرس المحتويات

2-2-مخطوط قانون الأسواق 45
3-المؤلفات الفقهية 46
3-1-تقييدات ابن المفتي 46
4-المذكرات 47
4-1-مذكرات أحمد الشريف الزَّهار 47
4-2-مذكرات وليام شالر 48
4-3-مذكرات كاثكارت 48
5-الرحلات..... 48
6-المصادر الأجنبية المطبوعة..... 52
6-1-كتاب طوبوغرافي ديغو دي هايدو(Topographie et histoire générale d'Alger) 52
6-2-كتاب الأب دان تاريخ قراصنة البربر(Histoire de Barbarie et de ses corsairs).....52
رابعا: الكتابات الفرنسية حول العمارة في الجزائر 53
خلاصة 57
الفصل الثاني: العمارة السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني
تمهيد..... 60
أولا: عمارة المباني السكنية: 61
1-عمارة القصور بالجزائر خلال العهد العثماني. 61
1-1-القصور ذات الوظيفة المزدوجة: السكن وإدارة الحكم. 63
1-1-1-دار الإمارة(قصر الجنينة) 64
1-2-2-قصر الداي في القصبة العليا..... 70
1-2-3-قصر أحمد باي بمدينة قسنطينة 74
1-2-4-قصر الباي محمد الكبير في مدينة وهران 79
1-2-5-قصر الباي بومزراق بمدينة المدية 80
1-2- القصور السكنية:..... 82
1-2-1- قصر(دار) خداوج العمياء 82
1-2-2-قصر (دار) عزيزة 83
1-2-3-قصر(دار) حسن باشا..... 85

فهرس المحتويات

1-2-4-قصر مصطفى باشا بحي رياس البحر..... 87
ثانيا: عمارة الدُّور بالجزائر خلال العهد العثماني. 93
1- تطور الدور لدى المسلمين. 93
2-الخصائص المعمارية للدُّور بالجزائر خلال العهد العثماني..... 94
2-1-مفهوم الدار 94
2-2-هندسة الدُّور السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني..... 98
3-أقسام وعناصر الدُّور السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني..... 101
3-1- أقسام الدُّور. 101
3-2-عناصر ومكوّنات الدَّار..... 103
4- المرافق الخدمية في الدور السكنية: 114
ثالثا: تنظيم المجال العمراني داخل المدينة بالجزائر خلال العهد العثماني..... 118
1-تخطيط الشوارع والأزقة والحارات: 118
2-أنظمة التّزويد بالمياه..... 121
2-1-تطور منشآت التزويد بالمياه بالجزائر خلال العهد العثماني..... 121
رابعا: المنشآت الخدمية والتعليمية..... 131
1-مرافق الرعاية الصحية(المارستان) 131
2-مراكز التعليم. 132
2-1-المسيد: 134
2-2-الكتاتيب: 136
خلاصة 136
الفصل الثالث: المنشآت الحضرية التجارية وفضاءات الترفيه
تمهيد..... 139
أولا: الأسواق والحوانيت 140
1-الأسواق 140
1-1-الأسواق الحضرية (الأسواق المغلقة): 140
1-2-معايير توزيع السوق الحضري بالمدن الجزائرية خلال العهد العثماني. 141
1-3-توزيع الأسواق الحضرية بالمدن الجزائرية خلال العهد العثماني 142

فهرس المحتويات

1-3-1-توزيع الأسواق الحضرية بمدينة الجزائر. 142
1-3-2-توزيع الأسواق الحضرية بمدينة قسنطينة 144
1-3-3- توزيع الأسواق الحضرية في بايلك الغرب..... 146
1-4-أنواع الأسواق الحضرية المنتشرة في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني..... 146
1-4-1-الرّحبة: 146
1-4-2- القيْساريّات..... 147
1-4-3-السّويقة 147
1-4-4- البادسْتان 148
1-5-الأسواق (المفتوحة) خارج الأسوار 149
2-الحوانيت والدّكاكين 150
2-1- هندسة وتخطيط الحوانيت والدكاكين..... 150
2-2- الكوش(الأفران)..... 152
2-2-1-أفران العسكر 153
2-2-2-الأفران العامة..... 153
2-3-الرَّحى (الطَّاحونات) 155
ثانيا: الفنادق في الجزائر خلال العهد العثماني. 156
1-الفندق لغة واصطلاحا 157
2-نشأة الفنادق وتطورها في المدينة الإسلامية 158
3-الفنادق بالجزائر خلال العهد العثماني..... 161
3-1- الفنادق في مدينة الجزائر 161
3-2-فنادق مدينة قسنطينة: 162
4-هندسة وتخطيط الفنادق بالجزائر خلال العهد العثماني. 163
5-نظام الفندقة وخدماتها بالجزائر خلال العهد العثماني : 165
ثالثا: فضاءات الترفيه..... 166
1-المقاهي 166
1-2-أهم المقاهي في مدينة الجزائر: 168
2-الخمارات 170

فهرس المحتويات

رابعا: الحمّامات العامة. 171
1-الحمام لغة: 171
2-نشأة الحمّامات عند المسلمين 171
3-أهمية الحمّامات 175
3-1-الأهمية البدنية (الطهارة) 176
3-2 الأهمية الاجتماعية 176
3-3-الأهمية الصّحيّة (التداوي) 176
4- التخطيط العام وهندسة الحمامات بالجزائر خلال العهد العثماني 177
خلاصة 181
الفصل الرابع: تقنيات وهندسة بناء العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني
تمهيد 184
أولا: أهمية جماعة البنّائين ودورهم في العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني. 185
1-أهمية جماعة البنّائيين في العمارة المدنية. 185
2-تنظيم جماعة البنّائيين 187
2-1- أمين جماعة البنّائيين: 188
2-2 الكَاهيّة 190
2-3 الشّاوش 191
2-4 الخُوجَة 191
2-5-الصّايجي 192
2-6-الرّفقاء 192
3-البنية التّنظيمية للحرفة في ورشة البناء 192
3-1 المعلّم أو الأسطى 192
3-2-الصّانع البنّاي 194
3-3 المتعلّم 194
ثانيا: عوامل تطور العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني. 195
1-مؤسسات الوقف ودورها في العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني 195
1-1-أهم المؤسسات الوقفية بالجزائر خلال العهد العثماني 195

فهرس المحتويات

1-1-1-المؤسسات الوقفية في مدينة الجزائر. 196
1-1-2-المؤسسات الوقفية في مدينة قسنطينة 198
1-2-دور مؤسسات الوقف في العمارة المدنية. 198
1-2-1- دور مؤسسات الوقف في صيانة وتشيّد المنشآت المعمارية. 198
1-2-2-دور الأوقاف في صيانة المرافق العامة. 199
1-1-3-دور الأوقاف في بناء وتجديد المباني. 200
1-2-4-دور الأوقاف في ترميم وإنشاء السّواقي والعيون. 201
2- دور أهل الأندلس في ازدهار حرفة البناء بالجزائر خلال العهد العثماني. 202
ثالثا: مواد وتقنيّات بناء العمارة المدنيَّة بالجزائر خلال العهد العثماني. 205
1-الحجارة. 207
3-الرُّخام. 209
4-الزّليج 211
5-الآجُر 213
6-القِرميْد 214
7-المَلاط 215
8-الجِير 216
9-الجِصّ 217
10-الخَشَبْ 219
11-المعادن. 220
رابعا: استعمال الزخرفة في تزيين العمائر المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني. 220
1-الزّخرفة الكتابية. 221
2-الزّخرفة النّباتية 224
3-الزّخرفة الهندسية. 226
4-الزّخرفة الرّمزية 226
خلاصة 228
الخاتمة. 229
قائمة المصادر والمراجع. 237

فهرس المحتويات

الملاحق 259
الملخص:..... 286

قائمة الصور

الصورة رقم(01): لوحة رسمت مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، تمثل ساحة دار الإمارة تحيط بها المباني الادارية القصر هو المبنى الذي في الواجهة به منارة..... 65
الصورة رقم(02): الزخارف المنفذة في سقف دار الإمارة (قصر الجنينة) 69
الصورة رقم(03): خريطة تبين موقع حصن القصبة في محيط مدينة الجزائر. 71
الصورة رقم(04): لوحة تمثل رواق قصر الداي بحصن القصبة..... 73
الصورة رقم(05) لوحة تمثل جانب من الرواق الداخلي لقصر أحمد باي بقسنطينة. 78
الصورة رقم(06): لوحة لأحد الرسامين الإيطاليين تمثل رواق قصر الباي بومزراق بمدينة المدية 82
الصورة رقم(07): لوحة تمثل واجهة قصر حسن باشا (القصر الشتوي) رسمت حوالي 1840-1845م.87
الصورة رقم(08) لوحة تمثل حفل أقيم في قصر مصطفى باشا إثر زيارة نابليون الثالث للجزائر1865م.89
الصورة رقم(09) و(10) تمثل جانب من داخل السقيفة الكبيرة بقصر مصطفى باشا بمدينة الجزائر. .. 90
الصورة رقم(10) تمثل الزخارف المنفذة على سقف قاعة الطعام الكبيرة بقصر مصطفى باشا..... 91
الصورة رقم(11): لوحة تمثل قاعة الضيافة بأحد الدور الجميلة في مدينة الجزائر 99
الصورة رقم(12): مدخل لسكن بأحد شوارع القصبة بالجزائر العاصمة الصورة رسمت مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر 104
الصورة رقم(13): تمثل لوحة رُسمت مع بداية الاحتلال الفرنسي جزء من الرّواق الداخلي لدار "مصطفى باشا بمدينة الجزائر. 107
الصورة رقم(14): لوحة تمثل مدرسة لتعليم القران في مدينة الجزائر بابها مفتوح على الشارع. 136
الصورة رقم(15): لوحة تمثل دكاكين في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني.....152
الصورة رقم(16): لوحة تمثل رحى حجرية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني.....156
لصورة رقم(17): لوحة تمثل فندق البحرية في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني.....164
الصورة رقم(18): لوحة تمثل مقهى في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 169
الصورة رقم(19): لوحة تمثل أحد حمّامات مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني.....180

قائمة الجداول

الجدول رقم(01): أسماء بعض السّباطات التي كانت منتشرة في أحياء مدينة الجزائر خلال العهد العثماني. 114
الجدول رقم(02): يمثل بعض المصاريف التي كانت تنفق على الطلبة والمدرسين 134
الجدول رقم(03): يمثل بعض أسماء المسيد المنتشرة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني. 135
الجدول رقم(04) يمثل الاسواق المنتشرة في محيط مدينة قسنطينة اواخر العهد العثماني. 145
الجدول رقم(05): يمثل أوجه الإنفاق لبعض المؤسسات الوقفية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 197
الجدول رقم(06) يمثل بعض المواد والمستلزمات التي كانت تستخدم في البناء.....207

قائمة الملاحق

الملحق رقم01: وثيقة تبين الوصف الدقيق الذي تقدمه وثائق المحاكم الشرعية للعقارات المحبسة.....260
الملحق رقم02: صورة تمثل واجهة قصر الجنينة مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر 261
الملحق رقم03: مخططات قصر الإمارة، الطابق السفلي الأول والثاني على التوالي.....262
الملحق رقم04: مخطط01 الطابق السفلي لقلعة القصبة بمدينة الجزائر. 263
الملحق رقم05: مخططات قصر أحمد باي في مدينة قسنطينة الطابق 01 و02. 264
الملحق رقم06: مخططات الطوابق التي يتشكل منها دار الحمراء قبل التعديلات التي أجريت عليها. .265
الملحق رقم07: مخطط إيمريت يمثل الحي التجاري ومركز مدينة الجزائر خلال العهد العثماني. 266
الملحق رقم08: خريطة توزيع الفنادق في شوارع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني. 267
الملحق رقم09: جدول يمثل بيان مصروف الجامع الجديد سنة 1146هـ الموافق لـ/1733- 1774م.268
الملحق رقم10 : خريطة تمثل التدخلات العمرانية لصالح باي في مدينة قسنطينة باللون الأسود الغامق 269
الملحق رقم11: وثيقة تضم أعباء ومستحقات عمال ومعلمي البناء لشركة الأندلس.....270
الملحق رقم12: يمثل القرميد الأخضر فوق أسطح المنازل وطريقة الرصف لتجنب سيلان المياه على الجدران.....271
الملحق رقم13: بلاطات خزفية من قصر حسن باشا في مدينة الجزائر تجمع بين زخارف متنوع. 272
الملحق رقم14: صورة توضح الزخرفة على الجص في أقواس الأروقة الداخلية لقصر حسن باشا بمدينة الجزائر 273

مقدمـــة

تمثل المعالم الأثرية والمظاهر المعمارية المدنية جزءًا لا يتجزأ من هوية الشعوب؛ فهي ليست مجرد مبانٍ وهياكل عمرانية، لأنها تعكس ثقافة المجتمع وتطلعاته وأسلوب حياته عبر العصور، كما تُعدّ جزءًا من الذاكرة التاريخية التي تترجم إنجازات الأمم دون تحريف، وتُخلّد أمجادها وتاريخها. وتُعدّ الجزائر من بين الدول التي تملك تاريخًا عريقًا تشكّل بفعل امتزاج الحضارات والثقافات المختلفة، ويشهد على ذلك ما تزخر به مدنها من بقايا التراث المعماري، ومنها الإرث الذي خلفه العهد العثماني، والذي يفتح أمامنا بابًا واسعًا لفهم كيفية امتزاج التأثيرات الثقافية المتعددة. حيث لعب العثمانيون دورًا مهمًا في تطوير البنية التحتية والمنشآت العمرانية، سواء في المدن الكبرى أو المناطق الريفية. ممّا قد يضفي على المباني الجزائرية طابعًا خاصا، يجعلها محل اهتمام الباحثين في حقل العمران والعمارة.

ركّزت معظم الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني، على الجانب العسكري والسياسي، حيث نالت المنشآت العسكرية، كالتّحصينات الدفاعية والأسوار، والمنشآت الدينية، كالمساجد والأضرحة، الحظ الأوفر من الاهتمام البحثي. ومن هذا المنطلق، فإنّ التركيز على العمارة المدنية يقدّم رؤية أكثر شمولًا، ويساهم في فهم كيفية تشكّل المدن الجزائرية وطبيعة الحياة فيها خلال تلك الفترة. فقد شكّلت المباني السكنية، والحمّامات، والفنادق، وغيرها من المنشآت المدنية، جزءًا لا يتجزأ من النسيج العمراني بالجزائر خلال العهد العثماني، خاصة وأن التخطيط العمراني لتلك الفترة كان لا بد أن يستجيب لحاجات السكان المتنوعة.بالدرجة الأولى كما يراعى فيه الجانب الفني والمعماري وقد برزت العديد من القصور والدور التي عكست مستوى متقدمًا من الفن المعماري.

كما أنّ الأسواق بأنواعها مثلت مركزًا رئيسيًا للحياة التجارية، حيث تعكس التخطيط العثماني الذّي يدمج الفضاءات التجارية والاجتماعية بشكل متجانس. من ناحية أخرى، اهتم العثمانيون ببناء الحمّامات العامة، التي كانت تؤدي عدة وظائف في المجتمع، تمّ تصميمها بعناية لتوفر تجربة استحمام تجمع بين الراحة والجمال، بالإضافة إلى نظام التدفئة بالمياه الجارية التي استُخدمت في الحمامات الكبرى. كما تمّ بناء الزوايا والمدارس التي كانت تمثل مركزًا ثقافيًا وتعليميًا أساسيًا في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، وأسهمت في نقل العلوم والمعرفة.

ومع بداية الاحتلال الفرنسي، تعرضت هذه العمارة لمحاولات طمس وتشويه، حيث قامت الإدارة الاستعمارية بإعادة تصميم المدن وفق النمط الأوروبي، مما أدى إلى إزالة الكثير من الهياكل العمرانية

العثمانية واستبدالها بالمباني الحديثة ومع ذلك بقيت بعض المنشآت المدنية على قلتها قائمة تشهد على هذه الحقبة المهمة، والتي لا تزال تحتفظ بمكوناتها التقليدية.

من خلال ما سبق ذكره فقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: **العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني.**

1-دوافع اختيار الموضوع:

يعود اختيارنا للموضوع إلى الدوافع التالية:

دافع ذاتي:

ينبع اختياري لهذا الموضوع من رغبتي، في اكتشاف تاريخ العمران والعمارة في الجزائر خلال العهد العثماني، وميولي إلى هذا النوع من الدراسات، شجعني على خوض غمار الموضوع؛ رغم إدراكي لصعوبته وصعوبة الفصل بين الدراسات التاريخية والدراسات الأثرية.

دوافع موضوعية:

- الرغبة في تسليط الضوء ولو بجزء يسير على جانب من تاريخ العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني، في ظل قلة الدراسات التاريخية حول الموضوع مقارنة بالدراسات الأثرية.
- المساهمة في التعريف بالعمارة المدنية في الجزائر التي لم تسلم من الهدم والتشويه الذي طالها من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية وتمّ وصفها بالعشوائية وهذا للتقليل من شأنها وبغرض تمجيد الاستعمار الفرنسي خدمة للمشروع الاستيطاني واستغلال الشعوب.
- القيام ببحث تاريخي أكاديمي لدراسة العمران والعمارة في الجزائر خلال العهد العثماني، لكونه في صميم تخصصنا. وتسليط الضوء على فترة من تاريخ الجزائر الحديث.

2-أهمية الدراسة

تتجلى أهمية الدراسة في:

- تسليط الضوء على جانب مهم من العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني للمساهمة في التوثيق لتاريخ الجزائر.
- دراسة العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني لأنها ماتزال بحاجة إلى دراسات معمقة.
- المساهمة في الحفاظ على الذاكرة الوطنية الغنية بإنجازاتها المعمارية المهمة.
- إحياء التراث الوطني الذي تعرض للتشويه من طرف الاستعمار الفرنسي في إطار مخطط طمس الهوية.
- التعريف ببعض المعالم الأثرية المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني وإمكانية استغلالها لدعم السياحة.

3- أهداف الدراسة:

- دراسة العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني، وتسليط الضوء على أبرز سماتها ووظائفها العمرانية.

- تحليل مدى تأثير الطراز العثماني على تطور النمط العمراني المحلي، واستكشاف عناصر التفاعل بين الأسلوبين.

- تحديد الخصائص المعمارية التي تميّزت بها الجزائر في تلك الفترة، نتيجة امتزاج الثقافات والتأثيرات الفنية المختلفة.

- إثبات غنى الإرث العمراني الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي، ودحض الادعاءات التي تقلل من قيمة المعالم المعمارية القائمة آنذاك.

4- حدود الدراسة

إنّ تحديد الإطار الزّماني والمكاني للمواضيع المتعلقة بالتُّراث المعماري أمر معقّد وصعب، يتطلب الأخذ بعين الاعتبار عدة متغيرات، فلقد امتد الحكم العثماني في الجزائر لأكثر من ثلاثة قرون، وخلال هذه الفترة شهدت المدن الجزائرية تغيرات في التنظيم الحضري والتصميم المعماري. كما أنّ هناك فترات انتقالية عرفتها الدولة العثمانية، مثل مرحلة الاستقرار ومرحلة التأثُّر بالنّمط المعماري الأوروبي، الأمر الذي ألقى بضلاله على مختلف الولايات العثمانية على غرار إيالة الجزائر، خاصة على صعيد الأنماط الزُّخرفية والمواد المستخدمة في البناء.

لم تترك العمارة العثمانية تأثيرًا موحدًا في كل المدن الجزائرية، فبعض المدن مثل الجزائر العاصمة، قسنطينة، احتفظت بطابع عثماني قوي مما جعلنا نركز عليها بشكل كبير في موضوع الدراسة، بينما تأثرت مدن أخرى أكثر بالعمارة المحلية مثل تلمسان ووهران.

كما أنّ بعض المباني تم بناؤها في العهد العثماني ولكن استمرت خلال الفترة الفرنسية، مما يجعل من الصعب فصل التأثيرات بين العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي وهذا الأمر يقتضي منّا تتبع الإشارة إلى التدخلات التي طالت المناطق الحضرية مع بدايات الاحتلال الفرنسي بعض المباني العثمانية لم تبقَ كما هي، فقد أعيد استخدامها أو تم تعديلها بعد الاحتلال الفرنسي، مما يجعل تحديد موقعها الأصلي أمرًا صعبًا وبالتالي فستجدنا نركز بشكل كبير على العمارة المدنية في مدينة الجزائر بشكل كبير باعتبارها مدينة مركز للحكم كما نتعرض في جوانب من الدراسة إلى مختلف المدن كقسنطينة وتلمسان ووهران والمدية وغيرها من المدن بما يتماشى مع طبيعة المنشآت ووفرة المعلومات.

5-الإشكالية:

اكتسبت الجزائر خلال العهد العثماني رصيدًا معماريًا غنيًا يجمع بين التأثيرات المحلية والأندلسية والمغربية والعثمانية، مما ساهم في تشكّل طراز معماري مدني متفرد تفنن في إنجازه المعماريون بمختلف فئاتهم وانتماءاتهم مستفيدين من امتزاج العناصر المحلية والعناصر الوافدة. ومع أهمية ذلك، فإنّ معظم الدراسات السابقة ركّزت على الجوانب العسكرية والدينية دون التعمُّق في تأثير العمارة المدنية على التخطيط الحضري والتنظيم الاجتماعي ومن هذا المنطلق يمكن أن نطرح الإشكالية التالية:

- ما هي خصائص العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني، وكيف ساهم التفاعل بين الطراز المحلي والعثماني في تشكيل النّمط المعماري والعمراني الجزائري؟

قمنا بتقسيم الإشكالية إلى عدة تساؤلات أهمها:

- ما هي الضوابط الشرعية التي تحكم العمارة المدنية وكيف أثرت على نمط البناء؟
- كيف تطورت فنون العمارة لدى العثمانيين وماهي أهم روافدها؟
- ماهي خصائص العمارة المدنية الجزائرية قبل مجيء العثمانيين؟
- هل اقتصر الوجود العثماني في الجزائر على ترميم العمائر القائمة، أم أنه شمل أيضًا تشييد مبانٍ جديدة كان لها أثر بالغ في تطور العمارة المحلية؟
- ما طبيعة الاهتمام الذي أولته السلطة العثمانية للعمران في الجزائر وهل كان محصورًا في الجانب العسكري لمواجهة التّحرشات الأوربية، أم تجاوزه إلى ميادين عمرانية ومدنية أوسع؟
- هل أثر امتزاج فنون العمارة العثمانية بالأنماط المحلية على التصميم العمراني في الجزائر، وما هي أبرز العناصر المعمارية الناتجة عن هذا التفاعل؟
- ما مدى مساهمة فئة الوافدين من أهل الأندلس إلى الجزائر خلال الحكم العثماني في العمارة؟
- كيف ساهمت مؤسسة الوقف في تطور العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني؟
- هل كانت تقنيات البناء والزخرفة المستخدمة في الجزائر متأثرة بالأسلوب العثماني المباشر أم أنها تأثرت أكثر بالطراز الأندلسي والمحلي؟

6-المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج التاريخي لتحليل المعلومات المستمدة من الوثائق الأرشيفية، ولا سيما سجلاّت المحاكم الشرعية وسجلاّت بيت البايلك، إضافةً إلى المصادر الأولية المتمثلة في مؤلفات المعاصرين لفترة العهد العثماني في الجزائر ذات الصلة بالموضوع. وقد أتاح هذا المنهج إمكانية فهم تطور

العمارة والتوسع العمراني، وربطهما بالسياقات الزمنية والسياسية المؤثرة فيهما، بما يساعد على الوصول إلى استنتاجات دقيقة. كما تم الاعتماد على المنهج الوصفي بشكل أساسي، لما يتيحه من وصف دقيق للعمارة ومكوّناتها، وهو المنهج الذي تبنته غالبية الدراسات السابقة في هذا المجال، وقد ساعد على تقديم صورة تفصيلية عن خصائص المباني ووظائفها الاجتماعية.

وإلى جانب ذلك، استفدنا من مناهج الدراسات الأثرية، مثل المنهج المسحي ودراسة الحالة، للكشف عن بعض الإشكالات التاريخية المرتبطة بالعمارة، مع إجراء بعض المعاينات الميدانية لما تبقى من المباني التراثية، وذلك بغرض رصد التغيرات أو التحويرات التي طرأت عليها بمرور الزّمن. إنّ توظيف هذه المناهج المتكاملة والمترابطة فيما بينها، أتاح لنا بناء رؤية شاملة للعديد من الجوانب المتعلقة بالعمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني في الجزائر.

7-خطة الدراسة

للإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة، قمت بتقسيم الدراسة إلى مقدمة تناولت فيها التعريف بالموضوع وأربعة فصول، كل فصل يضم عناوين رئيسية وضمنها تندرج عناوين فرعية، ثم خاتمة ضمنتها جملة من الاستنتاجات خلصت إليها من خلال دراسة الموضوع.

بداية بالفصل الأول الذي يحمل عنوان: مدخل حول العمارة الاسلامية وأحكامها الفقهية، جاء الفصل متنوعاً يضم عناصر مختلفة، ضرورية لتشكيل صورة واضحة عن الدراسة، والإحاطة بجوانب متعددة متعلقة بالموضوع، تناولت فيه تمهيدا حول العمارة الإسلامية، ثمّ تقديم نظرة حول فقه العمران والعمارة الإسلامية وضوابطه التي تحكمت في شكل المباني والمسائل المتعلقة بالخلافات بين أفراد المجتمع حول البناء، وأهم المؤلفات الفقهية في هذا المجال، ثمّ خصصت عنوانا حول تطور العمارة لدى العثمانيين، والمراحل التي مرت بها مبرزا التأثيرات المختلفة التي ساهمت في تشكل النمط المعماري العثماني، وامتداد تأثيره إلى مختلف الإيالات العربية، كما خصصت عنوانا آخر للبحث في تطور العمارة في بلاد المغرب قبل مجيء العثمانيين، مشيراً في ذلك إلى التأثير المرابطي، والأندلسي وكذا التّأثير الموحدي، وكيف اندمجت هذه التأثيرات وساهمت في تشكل نمط معماري مغاربي.

الفصل الثاني معنون بـ: العمارة السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني، تضمن تمهيدا حاولنا من خلاله تقديم آراء بعض الفلاسفة والمفكرين، في آليات تقسيم المنشآت المعمارية المختلفة، ثم خصصنا عنوانا رئيسيا تناولنا فيه عمارة القصور في الجزائر خلال العهد العثماني، من خلال دراسة نماذج مختلفة للقصور العثمانية التي تمّ تشيّدها في عدة مدن جزائرية، كما خصّصنا عنواناً لدراسة الدّور في الجزائر خلال العهد

العثماني وعناصرها، ومختلف المرافق التابعة لها، وبنيتها الهندسية ومحيط الدّور كالأزقة والشوارع وما تعلق بها من تخطيط وعناية، من حيث النظافة خاصة.

كما تضمّن الفصل عنواناً متعلق بمنشآت التّزويد بالمياه في المدن، والتي عرفت تطوراً ملحوظا خلال العهد العثماني، وساهمت بشكل كبير في ازدهار الأنشطة المختلفة في عدة مدن جزائرية، كما خصصنا عنوانا لدراسة بعض المرافق العامة، التي عرفتها المدن بشكل أساسي كالمعاهد والمدارس، والتي كان لها دور كبير في نشر العلوم والثقافة، كما سجلنا وجود مرفق صحي ساهم في الحفاظ على الصحة العامة خاصة في أيام الوباء.

الفصل الثالث تحت عنوان: المنشآت الحضرية التجارية وفضاءات الترفيه، تضمن الفصل تمهيد حول ازدهار مختلف الأنشطة التجارية في الجزائر خلال العهد العثماني، خصصنا فيه عنوان لدراسة الأسواق المختلفة التي عرفتها الفضاءات الحضرية، مع الإشارة إلى تنظيمها وكيف ساهم في ازدهار الأنشطة التجارية والحرفية، خاصة في مدينة الجزائر التي عرفت ازدهاراً كبيرا خلال فترة الحكم العثماني؛ باعتبارها مقر الحكم كما تناولنا في هذا الجزء من الدراسة الهياكل التجارية المختلفة، كالفنادق والحوانيت والكوش، مبرزين هندستها ووظائفها المختلفة، كما خصصنا في هذا الفصل عنوانا رئيسيا تناولنا فيه منشآت الترفيه كالحمامات والمقاهي والخمارات، وإبراز هندستها ووظائفها، حيث شكلت مكانا للراحة يقصده الجزائري وغير الجزائري من الوافدين إلى المدينة، والأسرى الذي ازداد عددهم بشكل كبير في الجزائر خلال العهد العثماني.

جاء الفصل الرابع بعنوان: تقنيات وهندسة بناء العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني، خصصنا فيه عنوان لدراسة القائمين على أشغال البناء، أو كما كانوا يسمونهم في هذه الفترة؛ بجماعة البنائيين درسنا هيكلتهم والبنية التنظيمية لحرفتهم والمهام المنوطة بهم، كما خصصنا عنوان يتضمن الدور الذي لعبته مؤسسات الوقف، في ازدهار العمارة وأعمال الصيانة والترميم التي كانت تقوم بها تلك المؤسسات، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته الطائفة الأندلسية، في ازدهار أشغال البناء والعمارة من خلال توظيف ما يمتلكونه من خبرة وتجربة في هذا المجال، كما خصصنا عنوانا لدراسة مواد البناء المختلفة، التي استخدمت في تشييد العمارة المدنية، ومصادرها وكذا المواضيع الزخرفية والفنية التي نفذت عليها.

ختمنا هذه الدراسة بجملة من النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال الإجابة عن التساؤلات المطروحة في الإشكالية. وقد عززنا البحث بعدد من الملاحق التي نراها ضرورية للموضوع، من بينها عقود الوقف التي تُعد مادة أرشيفية بالغة الأهمية، إذ تتضمن أوصافًا دقيقة لبعض المنشآت المعمارية وتسمياتها القديمة، ومواقع تمركزها في محيط المدينة، فضلًا عن بيان كيفية تعامل المجلس العلمي مع النزاعات

العقارية والخلافات التي كانت تنشأ بين ملاك العقار أو الشركاء من حين لآخر، وغيرها من القضايا ذات الصلة. كما دعمنا الدراسة بخرائط ومخططات وجداول متنوعة تُعد جزءًا أساسيًا من العمل، إضافةً إلى مجموعة من الصور التوضيحية التي تجسّد تفاصيل العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني.

8-الدراسات السّابقة

إن دراسة المواضيع المتعلقة بالعمارة وحركة العمران، مهمة جدا لفهم توسع نشاط المدن، وفهم حركية المجتمع وعلاقته بالسلطة الحاكمة في الجزائر خلال العهد العثماني، إلّا أنها قليلة في حقل التاريخ، فقد حصد الباحثون في مجال الآثار القسط الأوفر منها، نظرا لطبيعة المواضيع التي يدرسونها. كما كان للمستشرقين الفرنسيين نصيب من هذه الدراسات، شملت علماء الأثار والحقوقيين(القضاة والمحامين) وبعض الكتاب والضباط؛ الذين اشتغلوا في المكاتب العربية وانكبوا على دراسة الوثائق المختلفة، خاصة المتعلقة بالمحاكم الشرعية وسجلات البايلك وسجلات الأوقاف المختلفة، لأنّ عدد العقارات المحبسة على المؤسسات الدينية كبير، وهي لا تباع ولا تشترى في سوق العقارات، وتعيق مسار التوسع الاستعماري لهذا سارعت السلطات الاستعمارية، إلى إيجاد صيغ للتحايل على القانون وتسهيل عملية نقل هذه الممتلكات للإدارة الاستعمارية.

فبرزت الدارسة التي قام بها ألبير ديفولكس (Albert Devoulx) تحمل عنوان: "**الجزائر دراسة طوبوغرافية" Alger étude topographique**، والتي نشرت في أعداد مختلفة من المجلة الإفريقية(1875–1876م) وتناول فيها طوبوغرافية مدينة الجزائر، منذ نشأة المدينة في العهد الفينيقي؛ إيكوسيم(Icosium) إلى 1830م.

لكنَّ فترة الحكم العثماني للمدينة أخذت الحظ الأوفر من دراسته، وتعد هذه الدراسة من أهم ما كتب عن العمارة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، خاصة وأنه اعتمد بشكل كبير على الوثائق الأرشيفية التي لا نجدها اليوم سوى عنده، وساعده في ذلك شغله منصب محافظ أرشيف الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وكذا الاستعانة بنتائج الحفريات التي أجراها الباحثون الفرنسيون بعد الاحتلال 1830م والأشغال التي قامت بها مصلحة الهندسة المعمارية(1830–1832م) لتغيير وجه المدينة ومعالمها، في إطار السياسة الفرنسية التي تهدف إلى محو الهوية الوطنية، إلّا أن أعمال ديفولكس ركّزت بشكل كبير على العمارة الدينية والتحصينات الدفاعية للمدينة، ولم تقدم الشيء الكثير عن المنشآت المعمارية المدنية.

إضافة إلى أعمال عالم الآثار هنري كلاين (Henri Klein) الذي أسس جمعية الجزائر العتيقة، التي تهتم بالتراث وتدافع عن الموروث المحلي الجزائري، ليس حبا في الجزائر بل لخدمة فرنسا وتشجيع

المعماريين الفرنسيين على استلهام الأعمال الفنية منها، وهذا ما دفعه إلى تأسيس مجلة: **Feuillet d'El-Djazair**، التي كانت تصدر بشكل متقطع بداية من(1910-1962م) وجُمعت في جزأين. تناولت مواضيع مختلفة حول العمارة العثمانية في الجزائر، وهي تفيدنا بشكل جيد في معرفة الترميمات التي قامت بها السلطات الفرنسية، إلّا أنّها قاصرة عن فهم طبيعة العمارة المحلية خاصة وهي تعتمد بشكل أساسي على المصادر الفرنسية، وتهمل الوثائق المحلية.

كتاب لوسيان كولفن(Lucien Golvin) بعنوان: **قصور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (Palais et demeures d'Alger à la période ottoman)**، وهي دراسة مهمَّة حول القصور داخل وخارج مدينة الجزائر، وبعض الدُّور الجميلة داخل القصبة. نشر الكتاب سنة 1988م. والدراسة ركزت بشكل كبير على الجانب الفني، وأهملت الدَّور الاجتماعي لهذه القصور. وكذا أعمال أخرى لبعض الباحثين في مجال العمارة لا تقل أهمية عن سابقاتها، لكل من أندري ريمون(And Raymond) وكذا المهندس الفرنسي رنيه ليسبيس (René Lespés). وغيرهم أمثال: أودال وإمريت.

أما فيما يخص الدراسات المحلية، فقد برزت عدة أعمال تناولت موضوع العمارة، ومن الأعمال البارزة خاصة في مجال العمارة المدنية، ما كتبه الطيب عقاب حول قصور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، ركز فيها على الجانب الأثري، كما أنه اقتصر على دراسة قصور مدينة الجزائر، ولم يتناول نماذج من القصور الموجودة في باقي المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، ولم يقارنها مع الفترات السابقة كتابه يفتقر إلى خرائط توضيحية.

إضافة إلى مؤلفات المهندس والباحث في التاريخ العثماني مصطفى بن حموش، الذي له عدة مؤلفات منها: **كتاب فقه العمران الإسلامي، وكتاب المدينة والسلطة في الإسلام**، وما قدمه في ترجمته لأعمال البر ديفولكس، في دراسات رائدة تُقدم رؤية جيدة في الموضوع خاصة وهو المختصُّ في مجال العمارة.

وكذلك من الأعمال المهمة ما كتبه مولاي بلحميسي حول منشآت المياه في مدينة الجزائر، ورسالة الدكتوراه التي أنجزها علي خلاصي حول قلعة قصبة الجزائر وكذا أعمال عبد القادر دحدوح حول المعالم الأثرية في مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، برزت كذلك أعمال حديثة شملت رسائل دكتوراه وماجستير وعديد المقالات التي كتبت في مجال العمارة، ونشرت في مختلف المجلات العربية والأجنبية لعدد من الباحثين، لقد لقي موضوع المعالم الأثرية والمعمارية، اهتمام العديد من الباحثين إلا أننا لم نعثر على دراسة أكاديمية خصصت **للعمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني.**

لهذا حاولنا الاستعانة بالدراسات السابقة لتشكيل صورة واضحة عن الموضوع، وقد استفدنا كثيراً منها ومن المعلومات التي تضمنتها وفي طياتها، كانت هي المنطلق والمكمل لموضوع الدراسة؛ التي حاولنا من خلالها تسليط الضوء على بعض الجوانب التي لم تشر إليها تلك الدراسات، أو اكتفت فقط بالإشارة إليها ومن ذلك الجمع بين الدراسات التاريخية والأثرية والمعمارية، وتوظيف وثائق الأرشيف، لتشكيل صورة واضحة عن العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني، من جوانب متعددة مثل: تاريخ التشييد العمائر، وتطورها خلال العهد العثماني، وهندسة المباني وشكلها، المواد المستعملة في البناء، والقائمين على أشغال البناء، وغيرها من المواضيع التي تسمح بدارسة العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني بشكل جيد.

9- المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة

اعتمدتنا في هذه الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع، نظرًا لطبيعة الموضوع التي تقتضي تنوع مصادر المعلومات واتساع مجال البحث. شملت وثائق الأرشيف والمخطوطات، والكتب الفقهية، ومؤلفات الرحالة، إضافةً إلى مذكرات الأسرى التي، رغم ما تتضمنه أحيانًا من معلومات قليلة أو غير دقيقة، تبقى ذات فائدة في إضاءة بعض الجوانب. كما استعننا بعدد من الكتب والمقالات والرسائل الجامعية، سواء العربية منها أو الأجنبية. ونظرًا للأهمية البالغة للمصادر الأولية في هذه الدراسة، خصصنا في الفصل الأول عنوانًا مستقلًا بعنوان: مصادر دراسة العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني، وفيما يلي إشارة إلى أهم هذه المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

1-الوثائق المحفوظة بمركز الأرشيف الوطني الجزائري

أولا: وثائق المحاكم الشرعية: مثلت مصدرا مهما للدراسة، خاصة تلك التي تضم عقود التحبيس و تتناول مسائل المعاملات والقضايا المختلفة، التي كانت ترفع إلى المجلس العلمي، ومن خلال هذه العقود تمكننا من معرفة مواد البناء ومواقع العديد من المنشآت المدنية، وحالة المباني وقت التحبيس، وما طرأ عليها بعد التحبيس، والعديد من القضايا المتعلقة بالعقار في مدينة الجزائر وقسنطينة وغيرها من مدن الجزائر، التي عثرنا عليها في تلك الوثائق.

ثانيا: الدفاتر التي تضم سجلات بيت البايلك وسلسلة بيت المال، ساعدتنا بشكل جيد في التعرف على العقارات المحبسة، خاصة وأن هذه الوثائق تسجل بشكل دقيق مكان العقار المحبس، وحدوده كما قيد في تلك السجلات مسائل عديدة متعلقة بالإيجار والمداخيل والمستحقات، التي يتلقاها عمال البناء والترميم وكذا المصاريف المنفقة في تشييد المباني وترميمها.

2-الوثائق المحفوظة بأرشيف ولاية قسنطينة (المدينة الجديدة علي منجلي):

يحتوي أرشيف ولاية قسنطينة على العديد من الوثائق، التي تعود إلى الفترة العثمانية مقسمة إلى قسمين: مراسلات تخص البايات الذين تعاقبوا على مدينة قسنطينة إلى داي الجزائر، أو بايات تونس والعكس. ومجموعة كبيرة من الوثائق تخص عقود المحاكم الشرعية، مقيدة في عشر سجلات، تتناول مسائل الزواج والطلاق والتركات، وعقود البيع والشراء تغطي الفترة من(1202-1249هـ /1787- 1833م) إلا أن مسائل البيع والشراء المتعلقة بالعقار قليلة، واقتصرت على السجلات الأولى فقط، من (1- 3) ولا تحتوي على معلومات هامة.

3-**الوثائق والمخطوطات المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية:**

أولا: الوثائق

وهي وثائق متنوعة عددها(1642) وثيقة، منها الرصيد القديم(438) وثيقة والرصيد الجديد (1068) وثيقة موزعة على عدّة ملفات، اعتمدنا منها بشكل كبير على المجموعة رقم(3205) التي تضم ملفان الأول والثاني وأغلب وثائقها عبارة عن عقود قضائية تضمنت عدة مسائل متعلقة بنزاعات عقارية، استقينا منها عدة معلومات متعلقة بموضوع الدراسة.

ثانيا: المخطوطات

اعتمدنا في الدراسة بشكل كبير على مخطوط لـ عبد الله بن محمد الشويهد متولّي السوق في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في الفترة ما بين(1107-1117هـ/1695-1705م). المخطوط تحت رقم(1378) وكتب في صفحته الأولى قانون على الأسواق، يتضمن معلومات قيمة حول أهم أسواق مدينة الجزائر، والقواعد التي تحكمها وتنظمها، كيفية جباية الضّرائب وقيمتها وغيرها من المعلومات المهمة. المخطوط قام بتحقيقه ناصر الدين سعيدوني وعنونه بـ: **قانون أسواق مدينة الجزائر**. ساعدنا الكتاب المُحقَّق في فهم عدة جوانب مبهمة حول مضمون المخطوط ولغته.

4-**المصادر المطبوعة**

إنّ المعلومات التي تتوفر عليها المادة الأرشيفية تبقى قليلة، خاصة فيما تعلّق بالعمارة المدنية، مما جعلنا بحاجة إلى مصادر أخرى تدعم الدّراسة، فاعتمدنا على المعلومات التي تقدمها مذكرات الأسرى، مثل مذكرات أحمد الشريف الزهار ومذكرات وليام شالر(William Shaler) قنصل أمريكا في الجزائر وكذا مذكرات وليام كاثكارت(William Cathcart) . بالإضافة إلى كتب الرحالة التي تقدم وصفا جيدا للعمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني.

إلى جانب بعض المصادر الأجنبية على قلة معلوماتها والتي تناولت جوانب من طوبوغرافية المدن الجزائرية منها خاصة ما كتبه ديغو دي هايدو(Diego de Haedo) في كتابه: **طوبوغرافية تاريخ الجزائر العام(topographie et histoire générale d'Alger)**، وكذلك كتاب الأب دان (Pierre Dan) بعنوان: **تاريخ القراصنة في الجزائر وتونس وليبيا(Histoire de Barbarie et de ses Corsaires)** وفونتور دي باردي(Venture de Paradis) كتاب بعنوان: **الجزائر خلال القرن الثامن عشر Alger (au XVIIIe siècle**، وماكتبه لوجي دوتاسي(Laugier de Tassy) كتاب بعنوان: **تاريخ مملكة الجزائر (Histoire du Royaume, D' Alger)**، والدكتور شاو (le Docteur Shaw) كتاب بعنوان: "**رحلة في إيالة الجزائر" (Voyage dans la régence d'Alger)**، وكتاب فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي (Constantine aux jours d'Ahmed Bey1832-1837)** وغيرهم.

وهي مصادر في مجملها مهمة، وتقدم معلومات طوبوغرافية دقيقة وكثيرة، رغم ما اتسمت به هذه الكتابات من حقد على الجزائر وحكامها، كما أنها تركز أكثر على الجوانب السياسية والعسكرية، وتهمل بشكل كبير الجوانب الاجتماعية والثقافية، تعاملنا معها بموضوعية وحاولنا استغلال المعلومات الواردة فيها بما يخدم الدراسة.

5-المراجع العامة

أما فيما يخص المراجع العامة تراوحت بين أعمال الفرنسيين المحدثين خاصة ما كتبه، دوغرامون (H. De Grammont) وتال شوفال (Tal Shuval) لوسيان كولفن (Lucien Golvin) وغيرهم، وهي أعمال مميزة خاصة وأنّها اعتمدت بشكل جيد على وثائق الأرشيف الجزائري، والمراسلات والمخططات الفرنسية غلب على هذه الدراسات توجه عنصري، تغذيه النزعة الاستعمارية ذهب أصحابها إلى حد التقليل من شأن فنون العمارة في الجزائر، ووصفوها على أنها كانت بدائية وتتميز بالعشوائية، إلا أنهم أشادوا بالتسيير الجيد للمدن، وكذا تماشي العمارة مع متطلبات المجتمع الجزائري وخصوصياته. كما أنها تبقى دراسات لا غنى عنها، من خلال ما تقدمه من معلومات كثيرة وملاحظات جيدة خاصة، مع اختلاف تخصصاتهم، فمنهم المؤرخ وعالم الآثار والمهندس، وهذا التنوع يعطينا رؤية متعددة الجوانب.

بالإضافة إلى العديد من الكتابات المحلية لعدة أقلام جزائرية، مجسدة في كتب ومقالات ورسائل ماجستير ودكتوراه في التاريخ وعلم الآثار وفقه العمارة، تناولت المعالم الأثرية للجزائر خلال العهد العثماني أو أشارت إليها في جوانب الدراسة، وهي كثيرة منها: ما كتبه مصطفى بن حموش، وخليفة حماش، وعائشة

غطاس، والمنور مروش، والطيب عقاب، وعلي خلاصي، وعبد القادر دحدوح وغيرهم ويمكن العودة إلى القائمة البيبليوغرافية للاطلاع عليها والاستفادة منها .

10-الصّعوبات

إنّ التطرُّق في البحث التاريخي لمجال العمارة ليس بالأمر الهيّن، إذ يواجه الباحث جملة من التحديات التي قد تؤثر في دقَّة المعلومات أو في إمكانية تحليلها بعمْق، وذلك بسبب قلة المصادر الأولية، ولا سيما الوثائق التي تعرّض معظمها للتَّلف نتيجة الإهمال، خصوصًا خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

أمّاما تبقَّي منها فهو محفوظ بالأرشيف الوطني الجزائري في مصغرات الميكرو فيش والميكرو فيلم، وهي تشكل صعوبة كبيرة أمام الباحث لقراءة محتواها، لضعف الإنارة وتعرض البعض من المصغرات للتلف، حتى أن بعض الكلمات أصبحت غير واضحة. كما أنّ عدم خضوع الوثائق لتسلسل محدد يُصعّب الأمر على الباحث، بالإضافة إلى أن فهم محتوى الوثائق يتطلب معرفة دقيقة بالمصطلحات المستخدمة في تلك الفترة، والتي قد تختلف تمامًا عن المفاهيم الحديثة، مما يزيد الأمر تعقيداً.

أمّا المخططات المعمارية فغالبًا ما تكون غير متاحة أو مفقودة، نتيجة الإهمال أو التلف الذي لحق بها بمرور الزمن، وهو ما قد يدفع الباحث إلى الاعتماد على مصادر ثانوية قد لا تخلو من النقص أو الانحياز في بعض جوانبها. وإلى جانب ذلك، فإن الهدم الكلي أو الجزئي، وما لحق بالمباني التراثية من تحريفات وتعديلات معمارية في أجزاء متعددة، يزيد من صعوبة إعادة تصور شكلها الأصلي ووظيفتها الحقيقية في السياق الزمني الذي شُيّدت فيه.

كما سجلنا غياب صور واضحة للمنشآت المعمارية خلال العهد العثماني، فلم تكن هناك في تلك الفترة تقنيات تصوير أو رسم دقيقة كافية لتوثيق المعالم المعمارية، عدا ما خلفه بعض الرسّامين الذين قدموا إلى الجزائر مع الحملة الفرنسية، وهي رسوم قديمة رغم أهميتها إلا أنها لا تكفي، لاستخلاص كل المعلومات التي يحتاجها الباحث، مما يجعل الباحث يعتمد على الأوصاف المكتوبة التي قد تكون غير دقيقة أو مبالغ فيها.

وما سجلناه من اختلاف في الروايات التاريخية في ما تقدمه المصادر التاريخية، من معلومات متناقضة أو غير مكتملة مما يتطلب جهداً ووقتا كبيراً في المقارنة والتّحقق من دقّة المعلومات، واجهنا كذلك صعوبة في الربط بين التاريخ والعمارة، سواء من حيث اختيار المنهج الملائم للدراسة أو من خلال محاولة الجمع بين ما تقدّمه الدراسات الأثرية من معلومات وما توفّره الدّراسات المعمارية. لانّ العمارة لا تقتصر على كونها شكلًا هندسيًا للمباني أو تخطيطًا عمرانيًا فحسب، بل تكشف أيضًا عن أنماط الحياة اليومية،

وتمثل جزءًا من الثقافة والأنظمة الاقتصادية للمجتمع في ذلك الزمن. ومن ثَمّ، فإن معالجة هذا الموضوع تظل معقدة وتتطلب توظيف أدوات منهجية متعددة للربط بين مختلف المعطيات التاريخية والمعمارية.

وكما هو الحال في أي بحث أكاديمي يواجه الباحث تحديات وصعوبات يمر بها جميع الباحثين لإنجاز أعمالهم ، اتساع مجال الدراسة مما جعلنا نكتفي ببعض النماذج من مختلف المنشآت المعمارية المدنية، خاصة تلك التي تتوفر عليها مدينة الجزائر باعتبارها مدينة عثمانية بامتياز.

تتمثل إحدى الصعوبات في الحصول على صور لبعض المنشآت المعمارية، إذ إن معظمها يخضع اليوم لورشات ترميم في إطار الحفاظ على الموروث المعماري الجزائري. ولا يفوتنا في هذا السياق أن نثمّن مجهودات الدولة والجهات القائمة على هذه الأعمال.

واجهنا كذلك بعض الصّعوبات في التّوفيق بين العمل في الثانوية ومهام البحث العلمي، خاصة وأنه في كل سنة تسند إليّ أقسام النهائي، فأجد نفسي مضطراً لتأجيل البحث والالتزام بتسخير وقت كافي، للعمل مع التلاميذ للتحضير الجيد لشهادة البكالوريا، ومع مسخرات الحراسة والتصحيح التي تعد من مهامنا الأساسية، وبالتالي اللجوء لتخصيص وقت إضافي للعمل على استكمال جهود البحث.

كانت هذه جهود ومحاولات لباحث بدأ رحلته الأولى مع كتابة تاريخ العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني. ويُعد هذا الموضوع مجالًا ما يزال خصبًا، يحتاج إلى أقلام جادّة ومتخصّصة وملمّة بمختلف جوانبه، للكشف عن كنوز التراث المعماري الجزائري خلال العهد العثماني، والمساهمة في الحفاظ على هذا التراث المادي الذي يشكّل جزءًا مهمًا من الهوية الوطنية، خاصة في ظل ما نعيشه اليوم من محاولات للنيل من كل ما هو جزائري.

الفصل الأول:

العمارة الإسلامية وأحكامها الفقهية

تمهيد:

تعدّ العمارة الإسلامية من الفنون المعمارية الراقية التي عرفت تطوراً على مر العصور، معبرة عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته، بدأت العمارة الإسلامية في الظهور في القرن السابع الميلادي مع بناء المساجد الأولى، مثل المسجد النبوي في المدينة المنورة. ومع توسع الفتوحات الإسلامية، بدأت العمارة تأخذ طابعًا مميزًا يعكس الثقافات المحلية والاحتياجات الدينية خاصة في العصر الوسيط، ومع مرور الوقت وزيادة عدد المسلمين وتوسع البلاد الاسلامية شهدت العمارة الإسلامية طفرة في الابتكار، حيث بنيت مساجد ومدارس ومبانٍ عامة عظيمة مثل الجامع الكبير في قرطبة ومسجد السلطان أحمد في إسطنبول.

تضمّنت هذه المباني عناصر معمارية مميّزة مثل الأقواس الدائرية والقباب المزخرفة والنوافذ الزجاجية الملوّنة. ومع اتساع رقعة العالم الإسلامي في ظل الدول العثمانية والصفوية والمملوكية، واصل فن العمارة الإسلامية تطوّره، حيث أُدخلت تحسينات على التصميم والبناء، وظهرت أنماط جديدة تعكس الازدهار الثقافي والعلمي لتلك الفترة. وقد مزجت العمارة بين التراث المعماري المتوارث جيلاً بعد جيل والأنماط المستحدثة، محافظةً على الهوية الإسلامية مع التكيّف مع متطلبات العصر

إن تطور العمارة الإسلامية عبر العصور يعكس مرونة وتنوع الفن الإسلامي وقدرته، على التّكيف مع التّغيرات الزّمنية والجغرافية، ليظل رمزًا للحضارة الإسلامية العريقة، و يعكس تفاعلاً رائعًا بين الدين والثقافة والفن؛ بدءًا من البساطة والوظيفية في البدايات الأولى للإسلام، حيث كانت المساجد الأولى بسيطة وتركز على تقديم أماكن للصلاة والتعليم، مثل المسجد الأقصى في القدس، ومع توسع الخلافة الإسلامية ووصولها إلى مناطق جديدة، بدأت العمارة تتأثر بالثقافات المختلفة ففي العصر الأموي، شهدنا بداية استخدام الزخارف الهندسية والنباتية، كما في مسجد قبة الصخرة، ومع ظهور العباسيين، بدأ استخدام القباب الكبيرة والأقواس المتعددة، مثل المباني المشيدة في سامرّاء ومدن الأندلس، حيث تطورت العمارة بشكل ملحوظ بدمج التأثيرات الرومانية والإسلامية، مما أفرز تحفًا فنية مثل جامع قرطبة وقصر الحمراء.

عرفت كذلك فترة العصر المملوكي والفاطمي، تطويراً لبعض تقنيات البناء المهمة، مثل الأقواس المدببة والأعمدة المزخرفة. تميزت العمارة الإسلامية باستخدام الحجر المحفور والزخارف المعقدة، كما في مساجد القاهرة، ومع تولي العثمانيين للخلافة الإسلامية، ازداد استعمال القباب الكبيرة والأعمدة الرشيقة، مثل: مسجد السلطان أحمد في إسطنبول. كل هذا التطور الذي شهدته فنون العمارة لدى المسلمين، صاحبه تطور في الأحكام الفقهية التي كانت تنظم حركة العمران بشكل مستمر باختلاف الزمان والمكان.

أولا: تطور العمارة عند العثمانيين.

إنّ التّطور الحاصل في مركز الدولة العثمانية استوجب إيجاد حلول تتماشى مع الطبيعة الطبوغرافية والجيولوجية للمنطقة، وما يميزها من تضاريس صعبة خاصة المناطق الجبلية، والمناخ السائد فيها الذي يميزه غزارة الأمطار وبرودة الطقس. كما أنّ اتساع رقعة الدولة وما صاحبه من توسع على الأراضي المجاورة ينعكس دوما على مجال العمارة، فهي التي تقدم صورة واضحة عن الدولة ومراحل تكوينها، وتكشف عن قدراتها للنّاظرين من أهل البلاد والأجانب، ومن هنا اتجه الحكّام العثمانيّين للاهتمام بالعمارة وتطوير فنونها وأساليبها لإظهار مدى قوة الحكام، وتخليدا لأسمائهم، ومن هذا المنطلق فقد مرّ الطراز الفني المعماري العثماني بفترات تدريجية من التطور والازدهار، برز خلالها سلاطين أقوياء خلفوا مآثر معمارية ضخمة وسلاطين أقل قوة عرفت العمارة في عهدهم نشاطاً محدوداً.

1-المرحلة الأولى: العهد المبكر(1350- 1450م).

لقد تأثّرت العمارة العثمانية بأنماط معمارية مختلفة، كعمارة البيزنطيّين والعمارة الفارسيّة و العربيّة الإسلاميّة في بدايات عهدها، ثمّ تطور ليشكل خليطا من النماذج المعماريّة المختلفة، فاقتبس العثمانيون القبة من الفرس والسّاسانيين، وأدخلوا عليها بعض التّعديلات[1]. كما كان للموروث الحضاري والمعماري المملوكي في مصر أثر بالغ على الدول اللّاحقة ومنها الدولة العثمانية، من خلال ما تمّ تشييده في مصر ومركز الدولة العثمانية في الأناضول. وقد اختلفت تلك التأثيرات بحسب الفترات الزمنيّة والأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعية للبلاد[2].

تعدّ مدينة "إزنيك" التي تقع شمال غرب آسيا الصغرى؛ مهد العمارة العثمانية حيث عرفت بعد ضمها عام1331م من قبل السلطان أورخان وبعد حصار دام لمدة سنتين انتهى بسقوطها ونهاية نفوذ الرُّوم في آسيا،[3] شيدت في المدينة عدة منشآت "لآل عثمان" لعلّ أقدمها هو، مسجد بقبة واحدة يعود تاريخ بنائه حسب النّقيشة التي وجدت على جدرانه إلى سنة 1333م، متأثراً بالعمارة السَّلجوقية مع بعض الابتكارات والإضافات.[4] هذا وقد شهد عصر مراد الأول(1359-1389م) تطوراً كبيراً للعمارة العثمانية تجسّد في

---

[1]-سامي عبد الله الملغوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، 2014م، ص744.

[2]-سامح فكري البنا، «العناصر المعمارية والزَّخرفة المملوكية وأثرها على مثيلاتها بالعصر العثماني في ضوء نماذج من مصر وتركيا»، حوليات الاتحاد العام للآثاريين العرب، مج 15،ع 15، 2012، ص ص1015-1016.

[3]-محمد فريد بك، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، ط02، مطبعة محمد أفندي، القاهرة،(مصر)، 1896م، ص42.

[4]-يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني، «العمارة العثمانية(1326- 1520م) دراسة في نشأتها وتطورها التاريخي»، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 29، ع01 (خاص بالمؤتمر العام)، 2022م ، ص ص59-61.

تشيّيد عدة مساجد، في المدينة منها "مسجد الشهادة" الذي أُمر ببنائه سنة 1365م، ومسجد آخر من طابقين بني سنة 1385م، ومسجد ثالث شُيّد بتاريخ 1389م. أمّا فترة حكم السلطان بايزيد الأول بين(1389-1402م)، فقد أمر خلالها ببناء مسجد في المدينة سنة 1398م من أكبر المساجد التي بنيت وفق أسلوب القباب المتعددة عشرون(20) قبّة تحملها اثني عشر(12) دعامة.[1]

تميّزت عمارة العهد المبكر بالحفاظ على تقاليد البناء الأناضولية، بالإضافة إلى تأثّرها بالأنماط المعمارية السائدة في المشرق الإسلامي، مما أضفى عليها طابعًا يجمع بين الخصوصية المحلية والتأثيرات الإقليمية ، إذ وضعت التفاصيل بشكل متساو على كافة الجبهات، في العمائر العثمانية التي تم تشييدها في تلك الفترة، مع الاهتمام أكثر قليلا بجهة المدخل، تجسد ذلك خاصة في المسجد الجامع الذي يدعى "أولو جامع" الذي بناه بايزيد الأول الملقب؛ "بالصاعقة" في مدينة بورصة سنة 1400م[2]، كما عرفت المرحلة شهرة واسعة لنمط البناء المعروف بحرف(T) المقلوب(⊥) الذي شيدت وفقه عدة منشآت[3]. ومن أشهر المعماريين البارزين في هذه الفترة المهندس حاجي موسى، الذي اشتهر بعدة أعمال من أهمها: التّوسعة التي أجراها على الجامع الأخضر سنة 1378م[4].

لقد عرف تطور العمارة العثمانية مرحلة من التّوقُّف، إثر هزيمة السلطان بايزيد الأول أمام جيوش المغول بقيادة "تيمور لنك" في معركة أنقرة سنة 1402م، خاصة وأنّ السلطان وقع في الأسر وسجن في قفص حديدي حتى توفي سنة 1403م[5]، فاشتد الصراع بين أبنائه على الحكم إلى أن تمكن ابنه محمد الأول المدعو جلبى حكم بين(1412-1421م) من الاستيلاء على الحكم ثم أعاد الحياة المعمارية وأمر ببناء "الجامع الأخضر" في بورصة بين عامي(1419-1424م)، والذي تم بناؤه بتخطيط(⊥) المقلوب وفي شكل مجمع فيه عدة منشآت مجاور، لم يبقى منها اليوم سوى ضريح ومدرسة وحمام ودار لإطعام الفقراء.

بعدما استولى مراد الأول على "أدرنة" سنة 1361م واتخذها عاصمة للدولة العثمانية، حظيت المدينة لاحقاً في عهد مراد الثاني من بعده عام 1425م بعدة منشآت معمارية، فأصبحت المدينة تجسد بدقّة نموذج

---

[1]- يوسف عبد الكريم طه، المرجع السابق، ص63-64.

[2]-أكمل الدين إحسان أغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج02، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والثقافة والفنون، إستانبول(تركيا)، 1999م، ص 695.

[3]- يوسف عبد الكريم طه، المرجع السابق، ص62-63.

[4]- نفسه، ص60.

[5]-محمد فريد بيك، المرجع السابق، ص48.

العمارة العثمانية،[1] وبعد عبور العثمانيين "لمضيق الدردنيل" واستيلائهم على عدة مدن، اتسعت رقعة البلاد وتغير نمط البناء، ويتضح ذلك في مسجد (اوج شرفه لي) أي؛ (المسجد ذو الشرفات الثلاث) والذي بناه السلطان مراد الثاني سنة 1448م وفق مخطط الجامع ذي الفناء والرواق يُعد الأول من نوعه بهذا النمط.[2] لقد تميزت فترة حكم مراد الثاني(1421–1451م) من أزهى الفترات التي عرفت ازدهاراً معماريا لافتاً، ليس في "أدرنه" فقط؛ بل امتد إلى مدينة بورصة حيث أمر بتشييد جامع المرادية سنة 1424م والذي يحمل اسمه، ويُعد تُحفة معماريّة لما يتميز به من روعة في البناء ودقّة في الإنجاز.[3]

2- المرحلة الثانية: بداية الارتقاء والتقدم (1450–1550م).

عرفت فترة السلطان محمد الثاني "الملقب بالفاتح"(1451–1481م) بداية الارتقاء، فكانت عمارة السّلطان المدنيّة تضاهي إنجازاته العسكريّة والحربيّة، فقد قام بتنظيم الحكومة والوظائف، وبنى عدة جوامع في القسطنطينية، كما أنشأ عدّة مكاتب ابتدائية ومدارس عليا[4]، وأمر بتشييد جامع الفاتح وهو من أوائل المساجد التي شيّدت في استانبول بين سنوات(1462–1470م) من طرف المعمار سنان الدين يوسف، مستوحى من طراز المساجد التّركية، في مدن، بورصة، إزنيك، أدرنه، وألحقت به فيما بعد عدّة مباني منها: ستّة عشر مدرسة(16) ودار للشّفاء واستراحة(كرونسراي) وحمام وعدد من الدكاكين والمدافن، لكن الجامع تأثر بزلزال عام 1767م حيث تهدّمت بفعله قبّته الرئيسية وأعَاد ترميمه السلطان مصطفى الثالث في فترة لاحقة بين سنتي(1767–1771م)، كما أن عصر محمد الفاتح بدأ يشهد منذ سنواته الأولى، تطوراً في العمارة وإدخال أنماط جديدة في البناء، وبدأ اعتماد الجوامع بالقبة الرئيسية والمدعمة بأنصاف القباب، متأثراً في ذلك بعمارة كنيسة (آيا صوفيا البيزنطية)، وكنيسة (ثيوتوكس) التي حولت فيما بعد إلى "جامع الفتحية" والذي يحمل اسمه.[5]

إن تأثير هندسة كنيسة آيا صوفيا الضخمة واضح، على فنون العمارة العثمانية فلقد درسها المعمار سنان بعناية خاصة، كما أن هذه الكنيسة التي تعدّ رمزا للإمبراطوريّة البيزنطية، حيث تقدم نموذجاً جيداً للقبة التي انكب العثمانيون على دراستها، منذ أكثر من قرن وكانت مهمّة بناء آثار متفوقة عليها أو مساوية

[1]– يوسف عبد الكريم طه، المرجع السابق ، ص ص6465.

[2]– أكمل الدين إحسان أغلوا، المرجع السابق، ص699.

[3]–يوسف عبد الكريم طه، المرجع السابق، ص64.

[4]–محمد فريد بك، المرجع السابق، ص67.

[5]–أحمد مرسي الصفصافي، إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة (مصر)، 1999م، ص ص103–104.

لها هدفا معلنا أو غير معلن لدى المعماريين العثمانيين؛ خاصة وأنهم ورثوا من تقاليدهم المعمارية الفكرة التي تذهب إلى أن الشكل الأمثل هو الدائرة المرسومة في المربع، أي: القبّة التي تعلو المكعّب، وإنّ الكون قد بني بهذا الشكل، وكان لديهم معتقد(قبل الإسلام) كما لدى البيزنطيين وهو، الرغبة في بناء معابد تشهد على (عظمة الرّب) كما سعوا في مرحلة الدولة الإسلامية إلى بناء مساجد كبيرة وواسعة، خالية من الدعامات توفر فضاء رحب يجتمع فيها المسلمون.[1]

يعد فتح القسطنطينية 29 ماي 1453م حدثا مهما، صحبها إنشاء قصر(طوب كابي) المعروف (بسراي طوب كابي) الذي يعد من أرقى وأشهر ما شيده العثمانيون، في فترة حكم السلطان محمد الثاني سنة 1468م، وبعده استمرّت إضافة الساحات والحدائق حتى القرن التاسع عشر(ق19) إلى أن كبُر حجمه إلى ما وصل عليه الآن.[2] و" طوب كابي" كانت في الأصل بابا من أبواب مدينة استانبول يطل على بحر "مرمرة"، وعند ذلك الباب نصب العثمانيون الأوائل مدفعا فسمي طووب كابي أي؛ باب المدفع[3]، شجع محمد الثاني التبادل الثقافي مع إيطاليا فدعي إلى البلاد المصورين أمثال: "ماتيو دي باسيني" سنة 1465م و"كوستينزو دي فيرار" بين سنتي(1478-1481م)، كما أقام "جنتيل بيلليني" في عاصمته مدة تزيد عن سنة من(1479م إلى أواخر1480م) ورسم صورته المحفوظة في القاعة القومية بلندن، كما رسم الفنان العثماني الفذ سنان باشا بك "النقاش" صورة السلطان محمد الفاتح المشهورة وهو يشم الوردة والمعروضة في متحف "طوب كابي"[4].

الواقع أنّ المهندسين المعماريين العثمانيين خلال القرن السادس عشر بقدر تأثرهم بهندسة كنيسة "آيا صوفيا"، لم يصبحوا مع ذلك من النّاسخين المقلّدين؛ بل ظلّوا أوفياء للتقاليد المعمارية التي تعود لزمن السّلاجقة، مثلما حدث مع تخطيط الأقواس والعقود وزخرفة المُقَرْنَصَاتْ[5] والتّكوينات الهندسية والنّباتية،

---

[1]- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، 1989م، ص377.

[2]- أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق، ص701.

[3]- سامي عبد الله الملغوث ، المرجع السابق، ص788.

[4]- روبير مانتران، المرجع السابق، ص374.

[5]- **المُقَرْنَصَات:** تعدُّ من أجمل العناصر الزُّخرفية في العمارة الإسلامية، تتميز بشكلها الذي يشبه المحراب الصغير عند النظر إليها بشكل منفرد، أما عند ترتيبها في صفوف منتظمة، فهي تأخذ شكل خلايا النّحل، تتكون من مثلثات مقلوبة، ذات قاعدة مقوّسة في الأعلى ورأس موجهة للأسفل، أُستخدمت المُقرنصات في البداية لغرض تحويل الأشكال المربعة إلى دائرية، وهذا لتمكين المعماري من إقامة القباب فوقها ثم تطوّرت على مرّ العصور، و اكتسبت طابعاً زخرفياً، حتى أصبحت تزيّن المساجد، والقصور، والمآذن و تُستخدم كذلك في النّوافذ، والمحاريب، وعند التقاء السُّطوح الحادة والأعمدة، وأيضاً في المباني المدنية

والبوابات المهيبة التي كانت في مداخل خانات المسافرين في القرن الثالث عشر(ق13)، خاصّة وأنّ المهندسين والحرفيين العثمانيين، كانوا يورثون الحرفة الأبناء عن الآباء، في شكل تنظيمات حرفية منظمة وقوية، الأمر الذي ينفي فرضية تدخل يد عاملة غير تركية، فالمساعدين فقط من كانوا من أصل مسيحي. وقد تم على عهد محمد الفاتح الذي اشتهر بالفتوحات تشييد ثلاثة مئة وثمانية(380) جامع، وسبعة وخمسون(57) مدرسة دينية وتسعة وخمسون(59) حمّاماً عاماً وتسعة وعشرون(29) سوقاً مسقوفاً ومنزل كبير للمسافرين. ومنشآت أخرى في عدة مدن مثل: بورصة وإستانبول وأدرنة ومدن أخرى في السلطنة.[1]

كما عرفت الحضارة العثمانية منذ فتح إستانبول على يد محمد الثاني(الفاتح) 1453م وحتى عهد السلطان سليمان القانوني 1512م أسماء عدة معماريين، منهم المعمار خير الدين وكمال الدين ويعقوب شه وعجم علي وأشهرهم سنان باشا[2] الذي يعد؛ من أشهر و أعظم المعماريين في تاريخ الحضارة الإسلامية والعثمانية على الخصوص، فقد وصفه العالم الألماني أستاذ تاريخ العمارة في جامعة فيينا "هكلوك" بقوله: "**إن سنان يتفوق فنيا على مايكل أنجلو صاحب أكبر اسم فني في الحضارة الأوربية**".[3]

بعد تولّي السلطان بايزيد الثاني الذي حكم بين سنتي(1481-1512م) استمرّ في تشييد المباني على خطى والده، فلقد بنى مسجداً جميلاً في العاصمة إستانبول سنة 1505م يتّضح فيه تأثير كنيسة "آيا صوفيا" بوضوح؛ من خلال قبته[4]. كما أمر السّلطان بايزيد الثاني ببناء عدة منشآت في أوروبا وآسيا، فلقد بلغ عدد الجوامع والمساجد التي بنيت في عهده مئتين وثمانية وأربعون(248)، والمكتبات والمدارس خمسة

كالحمّامات والخانات وغيرها ...،. للمزيد راجع: عبد الله فهد اللبابدة، المقرنصات في العمارة الإسلامية في مصر في العصر المملوكي (دراسة معمارية فنية مقارنة)، رسالة ماجستير في الآثار، جامعة مؤته (الأردن)، 2006م، ص03.

[1]- يلماز أزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج2، تر: عدنان محمود سلمان، مرا: محمود الأنصاري، شركة الهلال المساهمة للطباعة والنشر والسياحة والصحافة والدعاية، إسطنبول(تركيا)، 1990م، ص ص 538-539.

[2]- **معمار سنان آغا خوجة**(1489-1588م) يعدُّ من أشهر معماري عثماني ولد في آغيرناص التابعة لولاية قيصر في الأناضول كان نصرانيا من صل أرمني أو يوناني ثم أسلم وعمره ثلاثة وعشرون سنة أصبح رئيس المعماريين وأشهرهم عاصر أربعة سلاطين، هم سليم الأول وسليمان الأول وسليم الثاني ومراد الثالث من أعظم أعماله ، جامع حلب ، جامع السّليمانية في إستانبول ، جامع السّليمية في أدرنة ، جامع التكية السّليمانية في دمشق، جامع الملكة صفية في القاهرة وعدة أعمال أخرى، تتلمذ على يده العديد من المعماريين منهم أحمد آغا داوود آغا والمعمار يوسف الذي استدعي للهند لتشييد أعمال في دلهي ....، للمزيد راجع: ناصر محي الدين ملوحي، **المبدعون في الأرض المعماري العثماني المبدع سنان باشا**، ط1، دار الغسق للنشر، سورية، 1443هـ/ 2022م، ص ص92-94.

[3]- محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة(مصر)، 1994م، ص157.

[4]- أحمد مرسي الصفصافي، المرجع السابق، ص105.

وأربعون(45) والكتاتيب ثلاثة وسبعون(73) ودور القرآن والحديث ثلاثة(03)، وعدد العمائر الحكومية أربعة وثلاثون(34) والمستشفيات واحد(01)، أمّا عدد الزوايا والتكايا فقد بلغ ستة وعشرون(26) وعدد الخانات أربعة وخمسون(54) وحمّامات الرجال والنّساء أربعة وثمانون(84)، وعدد الأسبلة ومنشآت المياه ستة عشر(16)، وعدد السرايا والقصور ستة(06)، وبلغ عدد الجسور ثمانية(08)، والقلاع سبعة(07)، بالإضافة لدار ضرب النقود وأخرى لصناعة البارود[1]. وبقيت إلى اليوم مئتين وتسعة وعشرون(229) معلما متنوعا تعود إلى فترة حكم السلطان بايزيد الثاني، منها مئة وأربعة وستون(164) صالحة للاستعمال وتمكن السلطات التركية من تثبيت أماكن ستة مئة وثمانية وأربعون(648) معلماً معماريا من أصل ستة مئة وواحد وخمسون(651) معلما تعود لفترة السلطان بايزيد الثاني[2].

وبلغت العمارة العثمانية ذروة قوتها وازدهارها بفضل عدة معماريين، أصحاب خبرة ودراية على غرار سنان باشا، الذي زار عدة مدن من إيران إلى المجر ومازالت آثاره شاهدة على إبداعاته.[3] استطاع أن يشيد خلال مدة حياته من(1530–1588م) عدة منشآت معمارية مختلفة ومتنوعة تفوق ثلاثة مئة (300) في كافة ربوع الإمبراطورية،[4] وفق هندسة عالية الدقة وفائقة الروعة والجمال، ويعد "جامع السليمانية" ومجمعه من أهمها وأشهرها بناهما للسلطان سليمان الأول(القانوني)، الذي يعدُّ أحد أقوى السلاطين العثمانيين وأشهرهم.

اهتم العثمانيون بعمارة الجسور وشق الطرق اهتماماً واضحاً وذلك من خلال شبكة الطرق والجسور المنتشرة في أقاليم الدولة، مستعينين في البداية بالمهرة والصُناع البيزنطيين والبُلغار، كما استغلت هذه الطرق والجسور في بادئ الأمر لتسهيل تحرك الجيوش العثمانية، إلا أنها ساهمت كذلك في ازدهار التجارة وتسهيل حركة العامة لقد أبدع العثمانيون ، بناء الجسور فقد بني جسر "أركنة" المعروف ب:(أوزون كوبري) في عهد مراد الثاني الذي حكم بين سنتي(1421–1451م). وشيد في عهد سليمان القانوني جسر بلغ طوله 8665 خطوة(ما يعادل 6602 متر، تقريبا 6.6 كلم) يعدُّ أطول جسر في أوروبا سُجّل في الآثار العثمانية باسم

---

[1]– محمود السيد الدغيم، «المعمار الإسلامي العثماني في الدور الثاني المسمى الدور الكلاسيكي التقليدي في عهد السلطان سليم الأول»، جريدة الحياة،ع 1624، الإثنين 12 سبتمبر 2007م، ص 21، أطلع عليه يوم 2024/08/09. تطالعونه الرابط :https://www.dr-mahmoud.com/index.php?option=com_content&view=article&id=827: .10&catid=124&Itemid=64

[2]–المرجع نفسه، ص22.

[3]– يلماز أزتونا، المرجع السابق، ص539.

[4]– أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق، ص ص703–704.

جسر"أوسيك" مرت خلاله جيوش عثمانية كبيرة إلى المجر؛ ذهابا وإيابا، بالإضافة إلى جسر"موستار" الذي أمر السلطان سليمان القانوني بإنشائه سنة 1566م، وهذا الجسر أثار دهشة الكاتب الفرنسي(A Poullet)، الذي شاهد الجسر عام 1658م، ووصفه بالجسر الذي لا يقبل المقارنة.[1] هذا وقد شيّد العثمانيون المدارس ومعاهد التعليم، وكذلك المستشفيات التي كانوا يسمونها(البيمارستان) ودور العجزة والمطاعم. إلى جانب الخانات لإيواء التّجار الغرباء والسّهر على تلبية حاجياتهم. وعنوا كذلك ببناء الحمّامات والقصور الجميلة والساحات العامة و المساجد[2].

كما عرفت المرحلة ازدهار لمختلف أنواع الفنون، فظهر أسلوب "الشَّهَمَانَاتْ" في سراي السلطان سليمان الأول القانوني، في شكل رسوم ونقوش تُخلّد أسماء الشخصيات والأماكن التي شهدت الأحداث، والتي كانت سابقا تخلد شعراً. وكان الدّور الكبير في ظهور أسلوب الشّهمانات لرجلين هما: "حيدر ريّس"، الذي رسم عدة شخصيات مثل: السلطان سليمان الأول وسليم الثاني وعدة رجال دولة أمثال خير الدين باشا وكذلك شخص آخر عرف باسم "نصوح" ولقب (بالمطرقجي)؛ لأنه ابتكر لعبة المِطْراق الرّياضية.[3]

2-1-العهد الكلاسيكي الأول (1550-1650م)

استمرت العمارة العثمانية في الازدهار والتقدم، خلال مرحلة العهد الكلاسيكي الأول بفضل توسعات السلطان سليمان الأول الذي حكم ما بين(1520-1566م)، أين بلغت الدولة أوج سلطتها السياسية وتنوعت مداخيلها وازدهر اقتصاد البلاد، مما شجع على إنشاء العمائر الضخمة مثل: "جامع السُّليمية" الذي بناه في المكان الذي دفن فيه والده "سليم الأول" في "أدرنة"[4]، "وجامع السليمانية" في إستانبول الذي يسمى كذلك "الجامع الأزرق"[5] الذي بني بين عامي(1609-1616م) من طرف السلطان أحمد الأول الذي حكم بين(1603-1618م) في عمر الرابعة عشر(14)[6]، واستمر ظهور الرّسومات ذات الموضوعات التاريخية، التي يحررها كتاب الشَّهمانات والتي تُصور بشكل مفصل احتفالات السّلاطين، وإنجازاتهم المختلفة حتى أواسط القرن السابع عشر[7].

---

[1]- يلماز أزتونا، المرجع السابق، ص542.

[2]- سامي عبد الله الملغوث، المرجع السابق، ص744.

[3]- أكمل الدين أغلو، المرجع السابق، ص707.

[4]- أحمد فريد بيك، المرجع السابق، ص79.

[5]- أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق، ص 712.

[6]- محمد فريد بك، المرجع السابق، ص 122.

[7]- أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق،ص 715.

2-2- العهد الكلاسيكي الثاني(1650-1750م)

عرفت هذه الفترة استمرار تأثيرات العمارة الكلاسيكية إلى غاية أواسط القرن السابع عشر، وخير نموذج على ذلك الجامع الجديد "يكي جامع" أو جامع "السلطانة الوالدة"، وهو مجمع من الأبنية التعليمية ساهم في بنائه كل من السلطانة "صفية" والدة محمد الثالث التي أعطت أمراً بالبناء سنة 1598م توفيت وتوقف البناء به وأمرت السلطانة "كوسم" والدة مراد الرابع بمواصلة البناء به سنة 175م وتوفيت، فواصلت زوجة ابنها "خديجة تورخان" أمر البناء حتى تم سنة 1773م، وهو يعد من أكبر جوامع أمّهات السّلاطين حجما، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة عرفت تدخل أمّهات السّلاطين في شؤون الحكم بشكل كبير[1]، كما يلاحظ تراجع جودة الأعمال التي أنتجت في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وهو ما يعزى إلى ضعف السلاطين، وتدهور الأوضاع الاقتصادية وتراجع مداخيل الدولة.[2]

3-المرحلة الثالثة استخدام الأساليب الأوربية.

3-1-بداية التجريب(1750- 1850م)

عرفت المرحلة بداية التجريب لأساليب التخطيط والعمارة الأوروبية ويتضح هذا جليا في جامع "نور عثمانية"، الذي بدأ تشييده في مدينة إستانبول سنة 1748م على يد السّلطان محمود الأول الذي حكم بين(1697-1754م)[3]، وأتّمه السلطان عثمان الثالث سنة 1755م. وهو النّموذج الوحيد ذو الفناء النصف دائري، والمشابه للعمائر الأوربية[4]. وعلى الرّغم من هذا فإن الجامع يتميز بالتّنوع الملحوظ في العناصر الزخرفية، مما يعكس قدرة المعماري العثماني على إظهار أسلوب جديد؛ يمزج بين التّخطيط الأوربي والعناصر الزّخرفية المتنوعة والمبتكرة من الأسلوب البَارُوكي والرُّكُوكِي[5] الفرنسي، المتأقلم مع الذوق الشرقي.[6]

---

[1]- أكمل الدين إحسان أغلوا، المرجع السابق، ص721-722.

[2]-نفسه، ص 723.

[3]- محمد فريد بيك، المرجع السابق، ص 151.

[4]- أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق، ص 727.

[5]-تُعرف حركة **الباروك والرُّكوكو** بأنها الفترة المعمارية الممتدة من أواخر القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن الثامن عشر من تاريخ أوربا وعرف هذا العصر بالبذخ والإسراف في استعمال المواد الثمينة فبي المباني وتميز باستخدام الأشكال البيضوية والمنحنية ويعود الفضل في هذا البذخ إلى دور الكنيسة والبرامج المعمارية والسكنية الضخمة التي وفرتها ... للمزيد راجع فيصل شهري، تركي القحطاني وأخرون، الباروك والرّكوكو عمل طلاب ، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك سعود، السعودية،1443هـ / 2021م، ص 05 https://www.scribd.com أطلع عليه في 2024/02/05، الساعة 22.00.

[6]- أحمد مرسي الصفصافي، المرجع السابق، ص113.

3-2-العهدالأخير (1850-1923م)

عرفت هذه المرحلة تراجعا كبيراً على مستوى القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية للبلاد؛ نتيجة الصّراعات الداخلية وكثرة الاعتداءات الخارجية، وتولى الحكم في المرحلة الأخيرة اثنان من رعاة الفنون حاولوا مضاهاة الفنون الأوربية هما السلطان عبد الحميد وعبد المجيد الثاني[1]. أما في ما يخص عمارة هذه المرحلة، فقد أصبحت مشابهة تماما لعمارة أوربا من حيث الشّكل والأسلوب، وخير مثال على ذلك سراي "طولمة باغجة" الذي بني في عهد السلطان عبد المجيد عام 1853م، تم إنشاؤها على ساحل البحر بعد ملئه بالأتربة؛ لتوفير مساحة أرض كافية للمباني وحدائقها الجميلة.[2]

4-العمارة العثمانية بالبلاد العربية.

4-1- العمارة العثمانية في المشرق العربي.

كما هو الشأن في كافة البلاد الإسلامية، فحيث يقيم السلطان تبنى الآثار الأكثر أهمية، حيث يمكن ملاحظة ورصد التطور الفني بشكل دقيق، وهذا لا يعني أن باقي الحواضر الإسلامية التابعة للدولة العثمانية تبقى بمعزل عن ما يحدث في العاصمة إستانبول،[3] غير أنّ الكمّ الكبير من الآثار المعمارية التي شيّد في الولايات العربية خلال الفترة العثمانية، كانت مزيج بين الطّراز المحلي وبعض التّأثيرات العثمانية. وعدد الآثار التي بنيت وفق الطّراز المعماري العثماني فيها جد محدودة فهي، بشكل إجمالي تشكل خمسة عشر(15) معلما أثريا فقط ، وفيما يخص مواقع هذه المعالم فإنّ في المرتبة الأولى سوريا بتسع مواقع(09)، حيث تظم مدينة دمشق خمس (05) منها، وحلب أربع (04) مواقع. ثم تليها مصر في المرتبة الثانية بثلاثة مواقع (03) في مدينة القاهرة، وتليها مدينة تونس بموقع واحد(01) ومدينة الجزائر بموقع واحد(01) كذلك. من الواضح أن عدد العمائر العثمانية ارتبط بالقرب من مركز السلطة وحيوية الوجود العثماني في المنطقة[4].

وما يفسر عدم سيطرة الأسلوب العثماني على هندسة المباني بشكل كامل، واقتصاره على بعض المباني فقط، ربما لأنه في الولايات العربية حدث خلط بين ما كان سابقا من الفنون وبين ما استحدثه العثمانيون، على غرار ما حدث في وسط وشرق الأناضول، فقد عرفت فنون حلب ودمشق والمغرب انعكاسا

---

[1]- أكمل الدين أحسان أوغلو، المرجع السابق، ص731.

[2]- المرجع نفسه، ص731.

[3]- يلماز أزتونا، المرجع السابق، مج2، ص 351-352.

[4]- أندري رمون، العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، ط1، مج1، تع: قاسم الطوير، دار المجد، دمشق (سوريا)، 1982م، ص110.

(للفن الإسطنبولي) مثل: "التكية السَليمية"[1]، وآثار أخرى مثل: الجامع الجديد في مدينة الجزائر 1660م و مسجد سيدي محرز في تونس1700م[2]. يرى أندري ريمون أن التّهوين الذي يُنضر به إلى النشاط المعماري العثماني في مختلف الولايات له أسبابه؛ فجانب كبير منه يعود إلى القصور الكبير في درايتنا بآثار الفترة العثمانية في البلاد العربية، فان الكثير منها قد تلاشى وما بقي منها درست دراسة جد طفيفة، كما أن المختصين في الفن المعماري التركي العثماني لا يهتمون إلا بشكل هامشي بهذه الشواهد، والمختصون في عمارة البلدان العربية يعتبرون هذه الفترة قليلة الأصالة.[3]

4-2-العمارة العثمانية في بلاد المغرب

لم يكن تأسيس المدن في بلاد المغرب العربي عفوياً؛ بل كان لابد من توفر الظروف التي تسمح بظهور مدينة جديدة، كما أن عملية إنشاء المدن لم تكن بالأمر السهل؛ لأن أغلب البلاد كانت خاضعة للنظام القبلي، الذي يعيق توسع المدن بسبب الملكية[4]، وهذا ما ينطبق على مدينة الجزائر، حيث لم تلعب دوراً كبيراً في بداية تشكلها، خلال فترة العصر الوسيط فكانت بمثابة مركز عبور بين حاضرة الحفصيين في تونس وبين حاضرة فاس في المغرب الأقصى، كما أنها لم تستطع منافسة الحواضر الكبرى، مثل: بجاية وتلمسان بفعل غياب السلطة السياسية القادرة على استقطاب نخب علمية، هذا ما دفع الرحالة العبدري القرن(07هـ/13م) إلى وصف الوضع الثقافي للمدينة بأنه لم يكن يرقى إلى مستوى المدن الأخرى التي زارها.[5] كما أن فنون العمارة في المغرب الإسلامي بشكل عام تأثرت بسلطة الحكم في المنطقة يتجلى ذلك من خلال خصائص الفن المعماري لكل مرحلة.

---

[1]-**التِكْيَة**: هي زاوية تنتمي إلى فصيلة المباني الدينية، لها وظيفة أساسية وهي التعبد وإقامة الشعائر الدينية مما جعلها مكانا للمتصوفة و التكية في المفهوم العثماني توازي مع ما أقيم قبلها من نظام الأربطة إلا أن العثمانيين أعطوا لهذه المباني دورا أخر لتصبح مكانا لإطعام الفقراء والمساكين وعابري السبيل وهو ما شهدته التكية السليمية التي بناها السلطان سليم الأول عام924هـ/ 1518م تكريما للشيخ محي الدين العربي وشيدت بعدها التكية السليمانية التي تعد اكبر حجما.راجع: نبيلة القوصي، التكية السليمانية،https://naseemalsham.com أطلع عليه يوم 2025/04/25 على الساعة 22.21.

[2]- يلماز أزتونا، المرجع السابق مج 02، ص352.

[3]- أندري ريمون، العواصم العربية...، المرجع السابق، ص128.

[4]- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (10/09)، (د. م. ج)، الجزائر، 1992م، ص ص341-342.

[5]- علاوة عمارة، «الجزائر وقبيلة الثّعالبة تأسيس وتطور مدينة وسيطة»، مجلة معابر، مج03، ع01، 2016م، ص37.

4-2-1-التأثير الأندلسي

لقد عرفت "الأندلس" أيام الحكم الإسلامي عناية بالغة بالعمارة، يتجلى ذلك من خلال ما عرفته مختلف المدن الأندلسية، من مباني وقصور راقية مزينة بالرّخام واللاّزورد والنّقوش المرصّعة بالذهب، مثلما هو الحال في مسجد "قرطبة"[1]. كما امتد الإشعاع الحضاري الأندلسي إلى دولة المرابطين خاصة بعد الوحدة السياسية التي حدثت على عهد يوسف ابن تاشفين(1009-1106م) الذي ضم الأندلس إلى حكم المرابطين في المغرب(496هـ/1102م)، كما لعب القرب الجغرافي بين(العدوتين)، دوراً هاما في الامتزاج الثقافي بين السكان وتبادل التأثير في مختلف المجالات.[2]

لقد بدأ الحكام المرابطون يستقدمون المهندسين والبنائين الأندلسيين للمغرب، بغرض الإشراف على عمليات البناء والتشييد، لما عرف عنهم من إبداع ودقّة في هذا المجال، وكانت أول الأعمال المسندة إليهم هي ترميم القلاع وبناء الأسوار، وهذا راجع للطابع العسكري الذي تميزت به دولة المرابطين، فقد بلغ عدد الحصون التي بناها المرابطون سبعون(70) حصناً[3]. وهكذا وعلى ضفتي المملكة ازدهرت الفنون بأنواعها، ما ساهم في ظهور أسلوب معماري؛ عرف باسم المعمار الإسباني البربري(Hispano-Mauresque) وقد قام المرابطون بتشييد عدة مدن مثل: فاس وتلمسان والجزائر، على غرار مدن في العدوة العليا مثل: إشبيلية وسراقسطة، وقد عُرف حكام المرابطين بشغفهم ببناء المساجد، فشيدوا عددًا من الجوامع الكبرى في حواضر المغرب والأندلس، في إطار حركة عمرانية متأثرة بالأساليب الأندلسية والمغاربية، مما أضفى على عمارتهم طابعًا يجمع بين البساطة والقوة والثراء الفني.[4]

4-2-2- التّأثير المرابطي

اختلفت آراء الباحثين حول الخصائص التي تُميّز الفن المعماري المرابطي عن غيره؛ فهو يمتاز في طابعه العام بالبساطة، والابتعاد عن التكلّف وتجنب الإكثار من الزخرفة، مع الاهتمام في الوقت نفسه بالصلابة والقوة والحصانة والاتساع، وهو ما ينسجم مع ميولهم الدينية. ومع ذلك فقد شيّد المرابطون عدة مباني بالمَرمَر تحفها الحدائق الجميلة، وبالرغم من ذلك يُعدُّ المعمار المرابطي من فنون العمارة الإسلامية

---

[1]- لخضر ناجي، «عوامل تأثر المرابطين بالحضارة الأندلسية- فن العمارة أنموذجا-»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج15،ع01، 2022م، ص525.

[2]- المرجع نفسه، ص526.

[3]- نفسه، ص ص530-531.

[4]- جورج مارسيه، الفن الإسلامي، تر: عبلة عبد الرزاق، مرا: عاطف عب السلام، المركز القومي للترجمة القاهرة (مصر)، 2016م، ص ص142-152.

التي اشتهرت بالغنى والثراء، خاصة المساجد ويظهر فيها التأثير المشرقي، الذي صاحبه مجيء الوافدين من القيروان ومدن المشرق نحو المغرب الأقصى، فقد حمل الوافدون معهم خبراتهم و طرق البناء الخاصة بهم، ومن هنا بدأت المؤثرات الشرقية.[1]

لقد ساهم المرابطون في تأسيس عدة مدن في الجزائر منها: تلمسان وندرومة وتندوف وهي شاهدة بعمرانها على تلك الحقبة. كما يعد المسجد الكبير في الجزائر العاصمة(1097م) أحد أهم المساجد الثلاث التي بنيت في العهد المرابطي، والذي يعتقد أن يوسف ابن تاشفين هو من أمر ببنائه. أمّا المسجد الكبير في قلب مدينة تلمسان "العتيقة" سنة(1135م)، فقد أمر ببنائه ابنه علي بن يوسف بن تاشفين، وأشرف على بنائه القاضي الفقيه أبو الحسن علي عبد الرحمن بن علي.[2] لقد نسب بناء الجامع الكبير بالعاصمة لابن تاشفين استناداً على الكتابة التي نقشت على المنبر الخشبي المحفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالعاصمة، كما عثر على لوحة من الرّخام مثبتة داخل جدار الشمالي للمسجد على يمين الباب المؤدي للصومعة، مكتوب عليها بخط النّسخ تتشابه في كتابتها مع جامع "ندرومة"(1081م)[3].

ما يلاحظ في عمارة المساجد المرابطية مثل: جامع ندرومة والجامع الكبير في مدينة الجزائر التشابه من حيث "الجَمَالونَات" التي تغطّي السّقف والصّحن العاري. لم يهتم المرابطون كثيرا بالعمارة المدنية، وما خلفوه من دور يعد على رؤوس الأصابع، حيث تميزت بالبساطة في البناء والبعد عن التكلف والزخرفة، فقد عثر على منزل في ندرومة (دار زرهوني) يعود تاريخ بناءها للعهد المرابطي وهي مسكن بسيط يتشكل من طابقين وفناء داخلي.[4]

4-2-3-التّأثير الموحدي

تميزت العمارة الموحديّة باستخدام العناصر، الطبيعية كالحدائق ونوافير المياه، ودمجها في العمائر خاصة القصور والمساجد، فتزينت بها الأفنية الداخلية والحدائق ذات الخضرة الدائمة والأزهار ذات الروائح الزكية، كالياسمين والبنفسج، واستمر هذا النمط لفترة طويلة. كما تعتبر حدائق قصر الحمراء من أجمل الأمثلة التي يمكننا الاستشهاد بها؛ في جمال الحدائق الإسلامية وانسجامها مع الفناء الداخلي.[5]

---

[1]- فطوم موقادي، ليليا شتوح، «الموروث العمراني المرابطي بالجزائر»، مجلة التعمير والبناء، مج03، ع02، 2019م، ص 06-07.

[2]-عبد القادر معازيز، «فن العمارة لدى المرابطين»، مجلة الكلمة ،ع 106، 2016م، ص 03.

[3]- فطوم موقادي، ليليا شتوح، المرجع السابق، ص ص12، 13.

[4]- المرجع نفسه، ص ص 18- 19.

[5]- يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة، (الكويت)، 2004م، ص222.

ازدهرت العمارة في عهد الموحدين بشكل واضح، و ذلك خاصة من خلال استحداث مدن جديدة، وكذا توسيع المدن القديمة ودعمها بالأسوار والحصون، وتشييد القصور والمساجد والحمامات والجسور، ما يجعل من جهود الموحدين في البناء استمرارا لما خلفه المرابطون. لقد عرف المرابطون والموحدون البناء بالطين والحجر معا، إلّا أنّ ما يميز مباني الموحدين أنها أكثر ضخامة من مباني الموحدين. عرف عهد الموحدين استخدام تقنية البناء بالطابية[1]، التي ساهمت في تطور صنعة البناء بشكل كبير. لقد مال الموحدون في بداية حكمهم إلى التقشف والزهد وانكروا على لموحدين الزخرفة في المساجد والقصور وهدموا العديد منها، غير أنّه لما استتب الأمر للخليفة عبد المؤمن، أمر بزخرفة القصور والمساجد، وتبعه في ذلك أبناؤه من بعده فاتسمت قصور الموحدين بالفخامة والاتساع، حيث كانت مستقلة بكل ما تحتاجه من لواحق كالدور والبساتين والإسطبلات وغير ذلك.[2]

خضعت المباني السكنية في بلاد المغرب بشكل عام لعاملين، يتم من خلالهما تحديد طراز البناء والأثاث اللاّزم وهما، ما خلفه التّراث المتوارث عبر الأجيال، والمستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في تلك الفترة، كما ساهمت الظروف الطبيعية، كالمناخ وشكل الأرض في وجود بعض الاختلاف والتفاوت من منطقة لأخرى، كانت الدّور عادة تُبنى بالطّوب أو بالحجارة المتراصّة، أمّا سقوفها فكانت من الخشب، وكان ينصح باستخدام خشب الأرز لأنه يعمر حسبهم ألف(100) سنة دون أن يطاله العفن أو يتسوس وفي وصف الدّور في بلاد المغرب يذكر ابن أبي زرع المتوفي(726هـ/1326م) في كتابه "**روض القرطاس**"، أن الدّور كانت متلاصقة مما يسمح بإمكانية إقامة السور، وتشقها أزقة وشوارع تؤدي إلى السوق أو الساحة العامة، وتشتمل الدور على حجرات خاصة بالعائلة وعلى مرحاض وإسطبل للحيوانات، وتزود ببئر يسيل فيه ماء المطر، ومطامير لخزن الغلال وكانت الدار تتألف من طابقين أو أكثر، وتستعمل الدروج للصعود للأعلى[3].

---

[1]– **الطّابية:** هي من واقدم تقنيات البناء التي استعملها الإنسان والأكثر حضورا في مباني شمال إفريقيا والأندلس، ويعتقد أن الأندلسيون هم المصدر الأساسي لقدوم التقنية الى بلاد المغرب، تقوم العملية على الركز والدك حيث يتم بخلط التراب والجير والماء ومواد أخرى في قالب خشبي مستطيل الشكل وتقدر ابعاده حسب الحاجة أو حسب البناء المراد تشييده فقد يصل طول الطابية في بعض المباني العسكرية إلى المترين طولا ومتر عرضا...، للمزيد راجع: إسماعيل بن نعمان، «حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط تقنية الطابية أنموذجا»، مجلة الناصرية، مج04، ع01، 2013م، ص ص466–467

[2]– عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين:عصر الطوائف الثاني(510–546هـ/ 1116–1151م)، ط1، دار الغرب الإسلامي 1408هـ/1988، بيروت(لبنان)، ص ص418–422.

[3]– جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 386–387.

ثانيا: فقه العمران الإسلامي وضوابطه.

علم العمران من العلوم الإنسانية التي ساهمت بشكل كبير في كتابة التاريخ، ويعد عبد الرحمن ابن خلدون من أبرز الذين كتبوا في هذا المجال، من خلال مؤلفه التاريخي المشهور " **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"، وإن كان قد سبقه إلى تناول مواضيع المجتمعات فلاسفة الإغريق مثل أفلاطون(Platon) وأرسطو(Aristote)، إلا أن كتاباتهم تفتقر إلى الواقعية وتتسم بالمثالية.[1] أمّا في العصر الحديث فقد عرف علم العمران تطوراً ملحوظا لدى الغرب وتطورت النظريات حوله، والتي أثمرت فهما إنسانيا لطبائع المجتمعات وإنجازاتهم، وأثرها في تاريخ الأمم والشعوب [2]. وكان من أشهر العلماء الغربيين عالمي الاجتماع الفرنسيين أوقست كونت (Auguste Comte) (1798–1857م)، وإميل دوركايم (Émile Durkheim) (1858–1917م).

ولقد شرح ابن خلدون العلاقة بين التأريخ وعلم العمران، وتشكل الممالك والدول بقوله: "**إعلم أنه لمّا كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحُش والتآنس والعصبيات وأصناف التغلُبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ من ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال**"[3]. يتّضح لنا من خلال نص ابن خلدون أن التاريخ ليس مجرد تسجيل لتراكم للأحداث؛ بل الهدف منه هو فهم طبيعة الاجْتماع الإنساني، وما ينتج عنه من تحولات من الحياة البدائية إلى التطور والتحضر، وتشكل الجماعات والدول وازدهار الصّنائع والعلوم. وهذا ما ينعكس إيجاباً على توسع العمران البشري وتطور العمارة، وبالتالي فالتاريخ مهم جداً في فهم القوانين التي تحكم تطور المجتمعات في شتّى المجالات ومنها العمارة.

من الميزات الهامة في الحضارة الإسلامية؛ أن الشرع يساهم بشكل كبير في توجيه وتنظيم حياة المجتمع في مختلف الأصعدة إن كان هذا سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو علميا، فما من مسألة أو قضية من قضايا الحياة إلا وتجد نصوص الشريعة الإسلامية قد تناولتها بالبيان والإيضاح على غرار أحكام

---

[1]– عواطف عطيل الموالدي، «ابن خلدون وعلم العمران البشري»، مجلة تاريخ المغرب العربي،ع09، 2018م، ص190.

[2]– مسفر بن علي القحطاني، مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي، ط1، الشبكة العربية، بيروت (لبنان)، 2012م، ص02.

[3]– ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، السعودية، (د. ت. ن)، ص23.

البناء في مجال العمران، التي تحكمت فيها ضوابط الشرع الإسلامي لتنظيمه، من منطلق أن المسلم ليس وحيدا في مجتمعه، فلا بد من أن يلتزم بأخلاق الإسلام وما نصت عليه أحكام القرآن والسنة النبوية، فلا يمكن له بأي حال من الأحوال أن يؤذي جاره أو من حوله، كما أن البناء ذو أهمية بالغة لا غنى عنها، فكان لابد من أن توضع له ضوابط وقواعد وفق أسس شرعية صحيحة ودقيقة، ومن هنا تتجلى أهمية فقه العمران والعمارة، الذي يعنى بهذا الشأن خاصة وأنه من أنواع الفقه الذي غاب عن الكثير، واندثرت كل محاولات التنظير لفقه يحمل المسلم إلى عمارة الأرض وبنائها، وتأسيس نهضة مدنية للمجتمعات؛ بل تجاوزه إلى إنكاره عند بعضهم، واعتباره من مشاغل الدنيا الفانية على حساب الآخرة الباقية[1].

1-مفهوم فقه العمران والعمارة

1-1-مفهوم العمران:

أ- لغة:

لقد ورد في لسان العرب لابن منظور قوله:" **العُمرى ما تجعله للرجل طول عمْركَ أو عمْرهُ والعُمْرى أن يدفع الرجل إلى أخيه داراً فيقول: هذه لك عمْركَ أو عمْرى أيُنا مات دُفعت الدار إلى أهْله وكان هذا فعْلُهم في الجاهلية...**" وذكر أيضا انه ويقال: " **أعْمَرتُه الدار عُمْرى أي أكسبته إيّاها طول عمره فاذا مات رجعت إليَّ**"[2]. نستخلص من قول ابن منظور أن العُمْران جاء من أَصْل تعمير الناس للدّور والمباني طوال مدة حياتهم. والعمران من كلمة عمّر أو استقرّ في مكان ما بالزراعة أو البناء وعكسه الخَراب والضّياع[3].

ب- العمران اصطلاحاً:

ورد في مقدمة ابن خلدون فيما ذكره عن طبيعة العُمْران، في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر، مفهوم شامل عن ما يشغله العمران وتجليّاته، من الاجتماع الإنساني الذي يعتبره عمران العالم وما يصاحبه من تقلبات الناس، بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك، من مُلُك ودول وما ينتجه البشر بأعمالهم؛ من أجل الكسب والمعاش والعلوم والصنائع[4]. ومن هذا المنطلق يمكننا القول أنّ العُمْران هو ما ينتج عن نشاطات البشر المختلفة، والتي يصاحبها توسع المدن وازدهارها.

---

[1]- مسفر علي القحطاني، المرجع السابق، ص02.

[2]- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت (لبنان)، 2003م، ص278.

[3]- سعيد محمد رعد، العمران في فقه ابن خلدون، ط1، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق (سوريا) 1985م، ص28.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص56.

كما أكّد ابن خلدون على ضرورة تقصي أخبار المدن وتحري الصدق فيما يروى عن تأسيسها وتجنب خرافات القصاص مما ينافي الأمور الطبيعية بقوله: حول ما روي عن تأسيس مدينة من النحاس في سجلماسة: "**ثمّ إنّ هذه الأحوال التي ذَكرو عنها كُلّها مستحيل، عادة مناف للأمور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها**(التخطيط لها) **وأنّ المعادن غاية، المَوجود منها أن يصْرفَ في الآنية**(الأواني) **والخُرثى**(أثاث البيت) **وأمّا تشيّيد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد وأمثال ذلك كثيرة وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبايع العُمْران**"[1]. يؤكد ابن خلدون من خلال النص على أهمية تقصي أخبار المدن مع مراعاة أحكام العقل والتمحيص في سرد الأحداث التاريخية لفهم طبيعة العمران.

1-2- مفهوم العمارة:

أ- لغة:

ورد في لسان العرب عند ابن منظور قوله: " **يُقصد بالعمارة؛ والعمارة هي أصغر من القبيلة، وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه وجمعها عمائر**[2]". ويضيف قائلا: يقال كذلك "**عمَّر الله بِكَ منزلك يَعْمُره عِمَارةً وأَعْمَرَهُ، جعله آهلاً وأُعْمِرَت الأرض وُجدت آهلة عامرة، وعَمَّر الرَّجل ماله وبيته يَعْمُره عِمارة وعَموراً وعُمراناً والعِمَارة ما يُعمَّر به المكان.**[3] من خلال العبارتين يمكننا أن نفهم أنّ العمارة يقصد بها هيكل البناء العامر بالسكان. وقال الله تعالى: في محكم بيانه" **وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**"[4]. يذكر الطبري في تفسير الآية: واستعمركم فيها أي؛ جعلكم عماراً فيها أسكنكم فيها طول حياتكم.[5]

ب-اصطلاحاً:

هي تَشكيل هندسي يؤدي عدة وظائف إنسانية، ويلبي متطلبات حياتية، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقا بالمجتمع وزمانه، وتخضع لتأثير العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية[6] أي؛ أن شكل العمارة يختلف حسب الحاجة وحسب تضاريس المكان، وكذا التطور الحاصل فيها على مرّ العصور.

---

[1]- ابن خلدون المصدر السابق، ص60.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج10، المصدر السابق، ص279.

[3]- المصدر نفسه، ص279.

[4]- القرآن الكريم، سورة هود، الآية 61.

[5]- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القران ج12، ط1، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والطباعة، القاهرة (مصر)،2001م، ص452.

[6]- صبيح لفتة فرحان، وحواء ناظم محمد، الفن والعمارة، مركز الدراسات والنشر، العراق، 2021م، ص03.

1-3- مفهوم فقه العمران

يقصد بفقه العمران والعمارة، عملية استنباط أحكام فقهية من خلال علم أصول الفقه، بغرض الإجابة عن تساؤلات أو حل قضايا متعلقة بمسائل العمران والعمارة، والخلافات الناتجة عن رغبة الأفراد في توسيع البناء أو تجديده، فتعرض القضايا على القضاة والمفتين، الذين بدورهم يجدون حلولا، مستمدة من الشريعة والأحكام العرفية، وتصبح قواعد منظمة للعمران والعمارة. [1]

2-أهمية فقه العمران والعمارة.

إن الغاية من الأحكام الفقهية التي أقرّها الدين الإسلامي هو تنظيم المجتمعات الإسلامية، وفق مبادئ شرعية تضمن لهم ما يحقق مصالحهم في الدنيا والآخرة فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز **"وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ".** [2] وقد ورد في شرح ابن كثير لهذه الآية أن الله أمر نبيه باستعمال ما آتاه من النّعم في الطّاعة والتقرب إليه، وأباح له المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح.[3]

يكتسي فقه العمران والعمارة أهمية بالغة في حياة الناس؛ لأنه يساهم في تنظيم العلاقات بين الساكنة ويضع قواعد تضبط الحياة خاصة في المدينة بكل تفاصيلها، كالمباني والأسواق والأحياء، وتحمي العقارات والموارد الطبيعة والبيئة وفق النصوص الشرعية فكلما كانت الأحكام الفقهية متينة ومحكمة، كلما ساهم ذلك في استقرار وراحة وأمن السكان، وكلما اختلت تلك الأحكام عمت الفوضى وساد الظلم والفساد[4]. ومن ناحية أخرى فإنّ دراسة الضّوابط والأحكام الشرعية المتعلقة بفقه العمران والعمارة، أمر بالغ الأهمية إذ يساهم بشكل كبير في مساعدة الباحثين والدارسين، في مجال التاريخ والآثار والهندسة المعمارية، على فهم كل ما يتعلق بتخطيط وتصميم المدن الإسلامية عبر مختلف المراحل، والفهم الدقيق للمفردات المتداولة في العمارة الإسلامية[5]. ويشكل لديهم رؤية واضحة لكيفية تشييد العمائر الإسلامية.

---

[1]-عبد الرحمان هزرشي، «فقه العمران الإسلامي من خلال كتاب رياض القاسمين للقاضي الحنفي كامي أفندي "أنموذجا"»، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، مج06، ع03 ، الجزائر،2021م، ص1193.

[2]- القران الكريم، سورة القصص، الآية 77.

[3]- ابن كثير أبوا الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القران العظيم، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،(لبنان)، 2000م، ص ص1424 1425.

[4]- عبد الرحمان هزرشي، المرجع السابق، ص1193.

[5]-محمد عبد الستار عثمان، «فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم»، المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية، الرياض (السعودية)، 2010، ص02.

3-المؤلفات الفقهية في فقه العمران والعمارة:

حظيّ فقه العمران والعمارة باهتمام العديد من الفقهاء، من خلال ما تم بثه في ثنايا كتب النوازل والفتاوى وكتب السياسة العامة، وسرعان ما انتقل التّأليف إلى كتابة مؤلفات فقهية متخصصة في فقه العمران والعمارة، نظرا لحاجة القضاة والحكّام والمهنيين إلى جمع الأحكام المتعلقة بعمارة الأرض والبناء، ليسْهُل عليهم الفصل في الخلافات التي زاد عددها مع نمو المدن واتساعها[1]. تزْخَر مصادر التراث الإسلامي بعدة مؤلفات، متخصصة في فقه العمران والعمارة، تناولت آراء الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، وتنوعت هذه المصادر بين من اهتم بالجوانب العمرانية والمعمارية بشكل شامل، مثل كتاب "**الإعلان بأحكام البنيان**" "لابن الرامي"[2]، الذي اعتمد في تأليفه على كتب الفقه والفتاوى من مختلف المذاهب، وكتب متخصصة في مجال البناء، مما يجعله كتاب مهم في فقه العمران والعمارة.

ومن المؤلفات من تعرض صاحبها بصورة شاملة إلى العمران المادي وما يتصل به من أنشطة البشر، من بيع وشراء ووقف واستبدال وتوريث وغيرها من الأنشطة ككتاب " **قسمة الأرض وأصول الأراضين**" لأبي العباس أحمد الفرسطائي النّفوسي، وكذا كتاب:"**رياض القاسمين**" المسمّى كذلك(فقه العمران الإسلامي) للقاضي الحنفي العثماني كامي محمد بن أحمد أفندي(1649-1722م). كما تخصصت مصادر أخرى في دراسة بعض العناصر المعمارية، مثل كتاب:"**الحيطان**" لأبي عبد الله الدّامغاني وكتاب: "**مراصد الحيطان في المسائل الفقهية**" كذلك لصنع الله بن علي الحنفي وغيرهم.[3]

4-أهم القواعد والأحكام المتعلقة بفقه العمران والعمارة بالجزائر خلال العهد العثماني.

لقد أسهمت العناصر البيئية المختلفة والتركيبة البشرية، في تشكل العمارة الجزائرية في العهد العثماني؛ وفق ما تنصُّ عليه أحكام الشريعة الإسلامية بمختلف مذاهبها، وما تفرضه احتياجات السكان

---

[1]-عبد الرحمان هزرشي، المرجع السابق، ص1194.

[2]- يذكر محقق الكتاب في ترجمة المؤلف أنه لم ترد أي ترجمة لابن الرامي في كتب التراجم والطبقات، عدى اسمه وكنيته وحرفته والفترة التي عاش فيها، في بعض ما تناقلته الدراسات حول شخصيته لقب بابن الرامي البناءالمتوفى734هـ/1334م عاصر بعض قضاة الجماعة في تونس أمثال الغوري الصفاقسي وابن القطان السوسي وابن عبد الرفيع. كلفه القضاة بمعاينة النوازل التي ترفع إليهم من المتخاصمين لما حازه من خبرة في مجال البناء، وقد تولّى كذلك الحِسْبَة وساهم في تنظيم الأسواق ورفع الضّرر على الناس كما إنّنا لا نعلم مكان إقامته طيلة حياته، بتونس أو أنّه سكن فترة من حياته بها خاصة مع طبيعة عمله التي تستوجب التنقل فيكتب ابن الرامي انه مرات موجود بالقيروان واحيانا في سوسة ولا ندري انه مكان اقامة مؤقت او دائم...، راجع: ابن الرامي أبي عبد الله بن محمد إبراهيم اللخمي، الإعلان بأحكام البنيان، تح: فريدة بن سليمان، تق: عبد العزيز الدولاتلي، مركز النشر الجامعي،(د. م. ن)، 1999م، ص ص03-04 .

[3]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ص03-04.

المختلفة، مما انعكس على شكل البناء وعناصره المعمارية، فقد تشابهت البنايات في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، من حيث الشكل، وتنوعت عناصرها المعمارية، وفق الحاجة، وساهم نمط البناء السائد الذي تشمله الأعراف وأحكام الشريعة في خلق نموذج بناء(عرف بنائي)، تضبطه عدة أحكام وقواعد منها:

4-1- قاعدة الضرر(حيازة الضّرر والضّر يزال)

يعود أصل القاعدة الفقهية إلى حديث عبادة ابن الصامت عن النبي ﷺ قوله: "**لا ضَرر ولا ضرار من ضَارّ ضَارّهُ الله ومن شاقّ شَاقّ الله عليه**" ومن الموطأ قال مالك -رحمه الله-عن عمر بن يحي المازني عن أبيه قال: قال: رسول الله ﷺ "**لا ضرر ولا ضرار**" فاختلف الفقهاء، حول تفسير الحديث منهم من قال: لا ضرر ولا ضرار؛ أي لا تَضُر نفسك ولا تَضُر غيرك، ومنهم من قال: إنّ الضّرَ والضّرار كلمتان بمعنى واحد لتأكيد المنع، فالضّرَرُ هو الاسم والضّرارُ هو الفعل[1] والضّرَرُ نوعان:

أ-حيازة الضرر: تنص القاعدة الفقهية أن من سبق في البناء، يحق له الاستفادة من عدة مزايا يحترمها الجار الذي يبني بعده، وبذلك يصبح للعقار الأول حق "حيازة الضرر"[2]؛ وهي قاعدة يسعى الفقهاء من خلالها إلى إزالة الضرر عن الجيران، سواء بسبب المياه أو البناء أو غيرها من ضرر الجوار، ومنه ضرر التكشف والاطلاع والتسبب في شقوق في جدار الجار، أو أنشطة تسبب الدخان والرائحة[3] وبالتالي يكون الحكم القضائي، في صالح صاحب البناء الأول في حالة لجوء المتخاصمين للقاضي،[4] ومنه ما يذكره ابن الرامي أنّه حدث في تونس أن :" **كانت لرجل كوشة فيها بيت نار واحدة فأراد صاحب الكوشة أن يُحْدثَ بيْت للنار أُخْرى في الكْوشَة، وأن يخْرجَ دخانها في المدخنة التي في بيت النار الأولى، فمنعه الجيران وقالوا أحْدَث علينا دخاناً غيْر الدّخان القديم، فارْتَفعوا إلى القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن القطّان، فسد عليهم بيت النار المحدثة**"[5].

ب-**ضرر يزال:** فيه وجوه عديدة منها التضييق على المارة بإخراج الأجنحة والزيادات أو بناء ما يشكل خطرا على المارة، أو أي نشاط يشكل خطرا عليهم، وكذلك الإزعاج الناجم عن الصوت المرتفع، وحجب الإضاءة

---

[1]- ابن الرامي، المصدر السابق، ص58.

[2]- خالد عزب، فقه العمارة الإسلامية، ط01، دار النشر للجامعات، القاهرة (مصر)، 1998م، ص25.

[3]- مصطفى بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني، (952هـ- 1242هـ، 1549- 1830م)، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي(الإمارات العربية)، 2000م، ص81.

[4]- سامية بن قويدر، «الفقه والعمارة في مدينة الجزائر في العهد العثماني»، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج 14، ع04، ص676.

[5]- ابن الرامي، المصدر السابق، ص60.

ومنع الهواء[1] ورمي الأوساخ، وانبعاث الرائحة الكريهة وغيره فقد ذكر ابن الرامي في الكلام عن من أحدث إسطبلا لربط الدواب أن الشيخ الفقيه أبو إسحاق ابن عبد الرفيع رحمه الله قال: يمنع من أحدث الإسطبل عند بيت جاره لما فيه من الضرر وبول الدواب وحركتها بالليل والنهار الحركة المانعة من النوم.[2]

ومن باب سدّ الذّرائع سواء أكان الضّرر قد حدث أوانه محتمل الحدوث، والمقصود بسد الذرائع هو منع الجائز لأنه قد يؤدي إلى المفسدة، أو مما يمكنه أن يشكل خطراً على الناس[3]. ومثال على ذلك أن يقوم شخص ببنائه للسّاباط[4]، مما قد يحتمل أن ينتج عنه ضرر في المستقبل على المارة، كأن يصبح الطريق ضيّقا أو ممّا يُعيق مرور الدواب بالأحمال بسب علو الأرض وتراكم الأتربة أو سقوط شيء منه على المارة[5].

4-2-قاعدة الحيازة أو اليد دليل الملك

تحدد القاعدة شروط حيازة الشيء أو امتلاك الشيء أو وضع اليد عليه، ما لم يكن إيجاراً أو قرابة أو إعارة، وهي إحدى طرق الملكية ولقد حدد الفقهاء زمن الحيازة أو الاستحقاق بعشر سنين، ذلك عملا بحديث الرسول الله ﷺ " **من حاز شيئا عشر سنين فهو له** " بشرط وجود تصرف ظاهر في العقار المَحوز، من طرف الحائز مالم يقم دليل على خلافه[6].

4-3-قاعدة الغَنْم بالمَغْرَم

تنص القاعدة أن من يستفيد من شيء معيّن، يكون مسؤولًا أيضًا عن تحمل ما يترتب عليه من أعباء أو أضرار. فإذا كان هناك سكن مشترك يحتاج إلى ترميم، فإن جميع الشركاء مطالبون بالمساهمة في إصلاحه كلٌّ بحسب حصته، وهذا المبدأ لا يقتصر على السكن فقط، بل يشمل كل ما يُنتفع به بشكل جماعي. فالمشاركة في المنفعة تستلزم المشاركة في التكاليف، وهو من قواعد العدل والقسط التي يقرّها الفقه الإسلامي في المعاملات[7].

---

[1]- مصطفى بن حموش، فقه العمران...، المرجع السابق، ص82.

[2]- ابن الرامي، المرجع السابق، ص64.

[3]- خالد عزب، المرجع السابق، ص31.

[4]- **السّاباط:** هو حق البناء فوق الأزقّة دون تسبب في الضّرر للمارة أو الجيران، وهذا لاستغلال مساحات إضافية...، للمزيد راجع: بن قويدر سامية، المرجع السابق، ص680.

[5]- أحمد زهران محمود، المرجع السابق، ص310.

[6]- مصطفى بن حموش، فقه العمران...، المرجع السابق، ص ص66-67.

[7]- عبد الرحمن هزرشي، المرجع السابق، ص1198.

4-4-أحكام الاشتراك في مبنى بين شخصين(عُلوي وسُفلي)

من الأحكام المهمة نظراً لانتشار هذا النوع من الملكية في الجزائر خلال العهد العثماني، تتصل به عدة أحكام، وتحكمه قاعدة أساسية:" لا ضرر ولا ضرار" وحسن الجوار باعتبار المالكين جيرانا وشريكين في سكن واحد، خاصة وأنهما يشتركان في عدة مرافق، ينتفع منها كالأسقف والجدران وقنوات الصرف وهذا الأمر أدى إلى حدوث عدة نزاعات، متعلقة بهذا النوع من الملكية المشتركة، حول السقوف والساحات والسلالم المشتركة[1].

وبعض الأشغال التي قد تتسبب في هدم البنيان أو تؤثر في صلابته وتماسكه، فكانت الأحكام الفقهية تدعو إلى إزالة الضّرر واحترام حق الجوار، وتحمل نفقة إصلاح المرافق المشتركة بين الشريكين، مع مراعاة العدل بينهما ومن ذلك ما ورد من أحكام عند" ابن الرامي" في كتابه أنه إذا كان السفلي لرجل والعلوي لآخر، والمرحاض مشتركة في بئر بينهما فإن كنْسَ البئر تكون على قدر جماجم[2] أهل العلوي والسفلي.[3]

4-5-حكم إنشاء نشاط حرفي أو تجاري في سكن خاص

تعد الأنشطة التجارية والخدماتية جزء من الفضاء السكني، وهذا ما لم يهمله فقه العمران والعمارة الإسلامي، فقد وضع ضوابط لتوجه البناء والتخطيط الحضري، بما يساعد الإنسان في القيام بهذه الأنشطة من دون إزعاج للجيران والحفاظ على الراحة النفسية لساكنة المدينة، فالحوانيت تعتبر من الوحدات المعمارية التي تتسبب في ضرر الكشف، لكثرة المترددين عليها والجالسين فيها، ما جعل الساكنة يفضلون أن تكون بعيدة على واجهات منازلهم ويتحسسون منها[4]، فقد ذكر ابن الرامي أنّه عندما سئل سحنون عمّن بنى على باب داره دُكّانة في السّكة وهي لا تضر بأحد في الزقاق غير أنها تقابل باب جاره، وهي تضر به لأنه يقعد عليها ويقعد معه الناس فقال: "**يمنع من بنيانها إذا كانت تضر بالآخر هكذا، كان جوابه لحبيب في كتاب ابنه محمد.**"[5].

كما تشكل الأنشطة الحرفية التي ينتج عنها الصوت المزعج باستمرار أو الرائحة الكريهة أو الدّخان أو يتسرب منها الماء المتسخ والملوث مصدر قلق للساكنة، وتتسبب أحيانا في خلافات بينهم، فقد ورد في

---

[1]- علي عشي، «فقه العمران في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب الإعلان بأحكام البنيان»، مجلة تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات، مج03، ع02 ، 2023، ص35.

[2]- يقصدُ بالجماجم عدد أفراد الأسرة في كل بيت.

[3]- ابن الرامي، المصدر السابق، ص126.

[4]- علي عشي، المرجع السابق، ص39.

[5]- ابن الرامي، المصدر السابق، ص150.

شرح الونشريسي عن حكم من له حوانيت لدق النوى قال: " **سئل أبو بكر بن عبد الرحمن عن قوم لهم حوانيت لدق النوى في سوق عليها دور يضر بها وقعه، ولهم نحو عشرة أعوام، وقد كانوا منعوا وأخرجوا من المدينة، ثم رجعوا إلى عاداتهم إلى الآن فأجاب: إذا أضروا بالناس وجب زوالهم إلى موضع آخر لا يضر بالناس.**" [1]

4-6-أحكام المياه:

- **حق المسيل:** يعدُّ الماء من العناصر المهمّة لحياة الإنسان والكائنات الحيّة، فهو يساهم في استقرار المدن وازدهارها منذ القديم، لهذا أولى الإسلام أهمية بالغة بالماء، وجعله من الحقوق التي يشترك فيها جل المسلمين ففي حديث أخرجه ابن داوود انه ذكر أحد الصحابة قائلا: **غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا أَسْمَعُهُ يَقُولُ: الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلَإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ.**"[2] من خلال نص الحديث الحديث يتبين أن المسلمين يجب عليهم أن يتشاركون في ثلاثة موارد طبيعية لا يجوز احتكارها: الكلأ (العشب)، والماء، والنار ولأنها ضرورية للحياة، يجب أن تكون متاحة للجميع دون تمييز. كما أن الانتفاع بالماء حق لكل مسلم، ولا يجوز لشخص احتكاره و التسلط على آخر، مادام الماء من مصدر طبيعي، كالعيون والأنهار والأمطار ومن هذا المنطلق وعملاً بحديث النبي ﷺ ، اهتم الفقهاء بمسائل الخلاف حول الماء واستنبطوا عدة أحكام تنظم حق الانتفاع به على أوجه عدة اصطلح عليه بحق المسيل.

ويُعّرفُ حق المسيل على انه هو حق الانتفاع بمياه الأمطار، وكذا حق تصريف المياه المستعملة أو غير الصالحة، التي تخصص لها أنابيب أو مجاري لتصريفها نحو مصرف عام[3]. أو خزّان تحت الأرض لكنها أحيانا تتسبب في خلافات بين الجيران، فقد ذكر ابن الرامي حكم تصريف المياه فقال: **إذا كان الماء ماء الأمطار فلا حرج من ذلك، خاصة إذا لم يكن لها مصرف غير الطريق أمّا إذا كان ماء الغَسيل فيمنع ذلك.**[4] وفيما يخص ما يصيب الجدران والسقوف من ضرر تصريف المياه، فيزال الضرر قدر الإمكان وللجار الذي بنى أولا حق حيازة الضرر، ذكر ابن الرامي ما ورد من نوازل ابن سحنون أنه قال محمد: **سأل**

---

[1]- الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، ج08، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)،1981م، ص457.

[2]-أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، ج3، المكتبة العصرية، (بيروت)، 1990م، ص3477.

[3]- خالد عزب، المرجع السابق، ص106.

[4]- ابن الرامي، المصدر السابق، ص133.

حبيب سحنونا عن قناة في حائط لرجل قديمة وهي مضرة بجاره فقام عليه جاره ليغيرها قال سحنون : لا يغير القديم وإن أضر بالجار.[1]

4-7-أحكام إنشاء الحمّامات

إنّ فكرة إنشاء الحمّامات قديمة تسبق العصر الإسلامي، إلا أنها عرفت تطوراً في تصميمها وفق ما تنصُّ عليه أحكام الشريعة الإسلامية، فيما يتصل بطهارة الماء وأماكن الاغْتسال، وتصريف المياه المستعملة، والدُّخَان المُنبعث من الأفْران، التي تُوقَد لتسخين الماء، وكذا توفير الخصوصية للمستحمين وسِتْر العورات ومسألة ارتياد النساء لها، مما ساهم في الانتشار الواسع للحمامات، في مختلف المدن الإسلامية حيث ازداد عددها بشكل كبير خاصة في فترة الحكم العثماني في البلاد الإسلامية التي جسدت التخطيط الإسلامي وفق عدة شروط حددها المناوي[2] في كتاب: **النُّزهة الزّكية في أحكام الحمّام الشّرعية والطبية**"[3]، والذي ذكر الغرض من تأليفه للكتاب بقوله: "**لما رأيت احتياج الخاص والعام، وكل مدني بالطبع إلى دخول الحمام، ولم أطَّلع في أحكامه على تأْليف يَشْفي الْأوام ولا على ما يُبْرد الخاطر عند تصادم الأفهام، لقلة كلام امتنا الشافعية في هذا المقام** "[4]. وقد تعرض المناوي في الباب الأول من الفصل الثاني من فقه عمارة الحمامات فيما يجب أن يكون عليه الحمّام، من حيث الشكل والمرافق التي يجب أن يتوفر عليها، والمواد المستخدمة في بنائه ما يجسد الفهم العميق لعمارة الحمامات لدى المعماري المسلم .

ثالثا: مصادر دراسة العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني.

1-وثائق الأرشيف

تُعدُّ وثائق الأرشيف الوطني الجزائري مصدراً مهما في دراسة العمارة، في ظل شُحِّ المادة الخبرية، واندثار المعالم الأثرية، حيث تشير ليليان مسلم أن معالم مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، قد اندثرت تقريبا لذا لابد من العودة إلى وثائق الأرشيف العربي التركي لإزالة الغموض عن جوانب عدة من معمار

---

[1]- المصدر نفسه، ص ص134-135.

[2]- هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين بن يحي بن محمد، زين الدين الحداد **بالمناوي** القاهرى الشافعي، ولد بالقاهرة سنة 952 هجري تتلمذ على يد الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، واخذ عنه التصوف وبرع في العلوم الدينية، تقلد نيابة الشافعية لبعض الوقت...،راجع: عبد الرؤف المناوي، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، ط01، تح، تق: عبد الحميد صالح حمدان الدار المصرية اللبنانية القاهرة(مصر)، 1987م، ص15.

[3]- محمد عبد الستار عثمان، «فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني» (دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر) منشورات: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان (تونس)، 2001م، ص280.

[4]- عبد الرؤوف المناوي، المصدر السابق، ص15.

المدينة والحياة فيها.[1] خاصة وثائق الأوقاف وسجلات ودفاتر بيت البايلك وبيت المال، التي تساعدنا بشكل جيد في معرفة دور المؤسسات الحضرية في تسيير المدينة، ودور مؤسسة الوقف في دعم هذه المؤسسات[2]. كما تتضمن سجلات المحاكم الشرعية، معلومات هامة حول كيفية تطبيق الأحكام التي يقرُّها القضاة خلال الفترة العثمانية، وتساعدنا الوثائق في تتبع انتقال الملكية العقارية بشكل جيد، وما تعرّضت له المباني من الهدم والتغيير، وهي تقدم لنا كذلك وصفا جيداً لموقع المبنى وحدوده ضمن المدينة.

1-1- وثائق سجلات المحاكم الشرعية

وثائق المحاكم الشرعية المالكية والحنفية، تخص في معظمها مدن منها: مدينة الجزائر، البليدة، شرشال، القليعة، إضافة إلى ضواحي المدن أو ما يسمى (الفحوص) منها فحص بوزريعة وبير خادم وبعض الأوطان مثل: وطن السبت(حجوط) ووطن الحشنة، وقد قامت السلطات الفرنسية بجمعها خلال ثلاثين سنة الأولى من الاحتلال(1830-1860م) من طرف موظفي الإدارة المحلية، وموظفي مصلحة الأملاك العقارية (الدومين) بهدف التعرف على الملكية العقارية وتسهل عملية الاستيلاء عليها[3]. وفق تنظيمات وتشريعات صادرة من طرف السلطات الفرنسية، بداية بالاستلاء على أملاك البايلك والأوقاف، ثم انتزاع الملكية العقارية للقبائل والمتغيبين والثائرين، وما صاحب ذلك من قوانين نزع الملكية التي طبقها الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري إبّان فترة الاحتلال.

تغطّي وثائق المحاكم الشرعية فترة هامة من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بداية من النصف الأول من القرن السادس عشر إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبعضها ينتهي في سنة 1856م[4]. تضم السّجلات رصيد هام به مئة وثلاث وخمسين علبة ويحوي معظمها على أزيد من مئة وثيقة والبعض منها يضم أكثر من مئتين ويفوق، تتضمن هذه الوثائق العقوبات الإدارية في حق المخالفين للقانون، والنظر

[1]- ليليان مسلم، القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1984م، ص74-75

[2]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة الدكتوراه ، قسم التاريخ والآثار، جامعة باتنة،2017 م، ص451.

[3]- كتور رابح، «أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث المحاكم الشرعية أنموذجا»، المجلة التاريخية الجزائرية، ع09، 2019م، ص ص94 -96.

[4]- صليحة جدي، «أهمية وثائق الأوقاف بسجلات المحاكم الشرعية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني»(مدينة الجزائر نموذجا)، مجلة الدراسات التاريخية، مج16، ع02، 2015م، ص227.

في الخلافات بين مختلف شرائح المجتمع، وتسجل فيها عقود البيع والشراء والهبات والوصايا والأمانات، وأملاك الأوقاف والأحباس[1].

كان القضاة يُدوّنُون المعلومات في وثائق إدارية متعلقة بعدة قضايا مختلفة، حيث كان مجلس القاضي بمثابة ديوان للمظالم، لهذا نجد الوثائق المدونة في السجلات متنوعة منها: معاملات عقارية، إيجارات، إقرار بالدين، دعاوي، أوقاف، تعيينات في وظائف رسمية، مهور، نفقات، مخلفات، محاسبات. كما كانت نسخ الوثائق محددة من حيث الشكل والمواصفات الخاصة بكل وثيقة.[2]

هذه العقود تساعدنا بشكل جيد في التّعرف على الأملاك العقارية، خاصة وأنّ الوثائق تصف العقار، الذي خضع للبيع أو الشراء أو العقار الذي تم تحبيسه وصفا دقيقا غير أنّ الباحث قد يواجه بعض الصعوبات في قراءة هذه العقود لعدم خضوعها لترتيب زمني محدد وهي لا تخضع لأي تصنيف قد يساعد الباحث في عملية القراءة، كما أن العديد من هذه الوثائق تعرّض للتلف بفعل إهمال السلطات الفرنسية لها إبّان فترة الاحتلال، خاصة وأنّ موظفي المحاكم الشرعية اعتمدوا على اللفافات الورقية المنفصلة، ولم تجمع في سجلات، ما جعلها عرضة لتلف. ومثال على هذه الصعوبات أن قضايا طرحت إما نفس القاضي وفي السنة نفسها نجدها متناثرة عبر عدة سجلات مختلفة.[3]إما فيما يخص اللغة التي دونت بها سجلات المحاكم الشرعية فهي العربية، والوثائق محفوظة في مصغرات فلمية تدعى الميكروفيش(Microfiche).[4]

عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني أسلوباً مبتكراً للمحافظة على أملاك الأشخاص، ففي غياب التسجيلات، يلجأ العديد من الأفراد إلى تسجيل تفاصيل دقيقة للمحافظة على ملكية العقّار، وذلك بذكر المعالم المحددة له كذكر الجيران، أو بعض المعالم المهمة في المدينة كان يذكر، قرب مسجد كذا زاوية كذا حي (كذا).[5] وكانت بعض الدور تسمى بأسماء شخصيات معروفة، تضاف إليها فقط بعض المعالم المحددة في بعض الأحيان، كان يقال دار فلان بحومة كذا، وهذا ما يدل على صغر حجم المدينة حيث الناس يعرفون بعضهم البعض، حتى إنّ هذه المنازل أصبحت معالما مكانية معروفة في مدينة

---

[1]– عائشة غطاس، «سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر– العهد العثماني–» مجلة إنسانيات ع03، 1997م، ص ص99، 86.

[2]– صليحة جدي، أهمية وثائق الأوقاف...، المرجع السابق، ص 228.

[3]– عائشة غطاس، سجلات المحاكم الشرعية...، المرجع السابق، ص71.

[4]– صليحة جدي، أهمية وثائق الاوقاف...، المرجع السابق، ص229.

[5]– حياة بوشريبة، التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م /1841م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الشلف، الجزائر، 2024/ 2025م، ص218.

قسنطينة، مثل: دار بن جلول، دار الشيخ الراشدي، دار التّباني بيك، دار المصري، ودار سي على حجوج، دار بن زيان، دار سي عمار بن زقُّوطة، ودار أبي الضيّاف.[1]

كما تحتوي وثائق الوقف الموجودة بالمحاكم الشرعية معلومات هامة، ومعطيات كثيرة عن طوبوغرافية المدينة وبدقة متناهية، تمكن الباحث المطلع في ميدان الهندسة المعمارية، من تشكيل صورة دقيقة للمدينة؛ فالوثائق تصف الأزقة والشوارع والبيوت والأسوار والقلاع والحصون والعيون وغيرها، وصفا دقيقا[2] وتقدم صورة جيدة حتى للبيوت والعقارات خارج أسوار المدينة، كما تنقل تلك الوثائق أسماء الشوارع و الأسواق والمقاهي والفنادق، وتحدد أماكنها بدقة، تساعدنا عقود الوقف كذلك، على معرفة شكل المدينة وتوزيع الأحياء بها، خاصة مع غياب خرائط مفصلة حول معالم المدينة المختلفة، ومن الجدير بالذكر أنّ الوثائق تمدنا بمعلومات عن الجهات الأربعة لموقع العقار، مما يمكننا من التعرف ولو بشكل تقريبي عن حدود الأحياء.[3]

يمكننا من خلال وثائق الأوقاف معرفة طبيعة العقار المحبّس، و ما طرأ عليه من تغيرات، ووضعه وقت التحبيس مثلما جاء في وثيقة مؤرخة بسنة 1155هـ/1742م: "**تحبيس دار الكاينة بالحلفاويين، قرب سويقت عمور بسكة غير نافذة، تعرف اليوم بسكة الحليب المجاورة لدار الكاتب عيسى**"[4]. استخدمت في هذه الوقفيات ألفاظ عامية لكنها دقيقة في وصفها لمكان العقار وموضعه، والعقارات المحيطة به كان يقال: المقابلة المسامية (بجنب) اللصيقة،(الملاصقة) القريبة، الهابط، من الصاعد إلى، على يمين، على يسار مثلما ورد في وثيقة مؤرخة بـ: أواسط محرم 1179هـ/1762م: "**جميع جلسة الحانوت المعدة لصنعة البجماقجية، القريبة من (كذا) اللصيقة بحانوت جراح باش وملاصقة أيضا لحانوت كوسى المسامية بانحراف مخزن بيت المال ومسامية أيضا مسجد جامع السيدة**".

هذا و تساعدنا وثائق الوقف في معرفة تسمية العقارات في السابق ويعبر عنها في عقد التّحبيس بلفظ:(المعروف في التاريخ) أو(المشهور بـ:) أو(كانت قديما تعرف بـ:) مثلما ورد في وثيقة: "**جلسة حانوت**

---

[1]– فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تونس، 1419هـ/1998م، ص250.

[2]– **ملحق01:** وثيقة من أرشيف المكتبة الوطنية تبين كيف يتم وصف العقار المحبس بدقة ومن كل الاتجاهات.

[3]– صليحة جدي، أهمية وثائق الأوقاف...، المرجع السابق، ص232.

[4]– الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع62، و01 .

الكاينة قرب القهوة الكبيرة الثالثة على درب هناك يعرف بدرب قاع السور داخل الجزائر[1]. كما يمكن أن نتعرف من خلال عقود الوقف كذلك على طريقة البناء أو شكل البناءات من خلال ما يسجل من وصف داخلي لأجزاء المبنى.[2]

1-2-وثائق سجلات بيت المال وبيت البايلك

إضافة إلى سجلات المحاكم الشرعية، هناك سجلات بيت المال ودفاتر البايلك، والتي تكشف عن معلومات هامة، حول الوقف والأملاك العقارية يتم تقييد هذه السجلات بغرض الحفاظ على ممتلكات المتغيبين الذين لا وارث لهم، وأسباب هذا الغياب عديدة منها الحج، وطلب العلم او الوقوع في الأسر كما أنّ السجلات أحيانا لا تفصح عن سبب الغياب، وترد ضمن هذه السجلات أسماء رجال ونساء من مختلف شرائح المجتمع، على اختلاف وظائفهم وانتماءاتهم، حتى لو كانوا من أهل الذمة[3]ونتيجة الفوضى التي عمت البلاد مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر أمرت السلطات الفرنسية بجمع الوثائق وتصنيفها وتحويلها إلى إدارة أملاك الدولة، وبعد انتهاء حاجة السلطات الفرنسية من تلك الوثائق تم تصنيفها تحت مسمى(**Z**) بعنوان الأرشيف العربي التركي، وبقيت منسية إلى أن تم ترحيلها إلى فرنسا عشية الاستقلال.

اختلف المؤرخون في تحديد عدد سجلا الرصيد العربي التركي بالضّبط، فحسب راوول بوسكي (Raoul Busquet) فعددها(137) صندوقاً، وتظم(508) سجلاً دُفع منها(33) سجلاً للمكتبة الوطنية بالجزائر. أمّا قابريال إسكاز(Gabriel Esquez) فيذكر أنّها بلغت(520) سجلاً و(136) صندوقا. يعد ديفولكس أول من اطلع بشكل جيد على الرصيد العثماني في الجزائر واحتك به ، وقام بتصنيفه، فقد وضع قائمتين لتلك الوثائق سنة 1850م تضم سلسلتين السلسلة الأولى بعنوان: الوثائق العربية التركية تضم أرشيف الإدارة المركزية للداي بدار السلطان وأرشيف بايلك التيطري وبايلك قسنطينة وبايلك الغرب وهران، بالإضافة إلى سجلات الانكشارية ووثائق التشريفات. أما القائمة الثانية تحت عنوان سجلات بيت المال فتظم الوثائق المتعلقة بإدارة أملاك الحبوس والأوقاف، أمّا حالياً فلا نجد سوى(440) سجلًا وهي وثائق

[1]– أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات 3205 و30.

[2]– وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص ص452-453.

[3]– سعدون بخاخ، سعاد يمينة شبوط، «أهمية سجلات بيت المال في دراسة واقع الجماعات الوافدة على مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني "جماعة البساكرة نموذجا"»، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية جامعة سيدي بلعباس، مج14، ع01، 2022، ص67.

متعلقة بمدينة الجزائر وقليل منها بباليك التيطري، اختفى منها حوالي (70) دفتراً ضائعاً، وهي المتعلقة بمقاطعة وهران وقسنطينة[1].

وتلك السّجلات مقسمة بين رصيد بيت المال الذي يشتمل على(64) سجل موزعة على(11) علبة كما، هو موضح الفهرس الذي يوجد على مستوى الأرشيف الوطني الجزائري. غير أنّه بتصفح الرصيد نسجل غياب عدد من السّجلات يتعلق الأمر بـ:(6. 60. 62.61. 63) وتكرار بعض السجلات يتعلق الأمر بـ:(8. 9. 10. 22. 59). وتجدر الإشارة إلى أنّ التّكرار يكون تكملة للسّجل الذي سبقه. الإطار الزّماني لهذه الدفاتر فإنّه يمتد من(1699-1862م) أما مكانيا فتشمل مدينة الجزائر وضواحيها ما يسمى بالفحوص. وكذا البليدة وضواحيها وما يلاحظ أنّ السّجلات غير مرتبة زمنيا،[2] أما دفاتر الباليك فتتكون من(386) سجلا موزعة، على(36)علبة، تغطي الفترة ما بين منتصف القرن السابع عشر ميلادي إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وتتعلق بقضايا إدارية وبعض القضايا الاقتصادية والاجتماعية.[3]

1-3-سجل صالح باي

يظم السجل سبعين(70) عقداً تخص فترة حكم صالح باي "الزّميرلي" دوّنت طيلة واحد وعشون عاماً من(1771-1792م) وتخص باليك الشرق بقسنطينة، وهو سجل مهم يكشف بعض المعالم العمرانية لمدينة قسنطينة داخل الأسوار وخارجها، فقد وضع صالح باي سجلا كبيرا لأملاك المساجد في المدينة، وخصص لكل مسجد أو زاوية أو جامع سجلا صغيرا، تدون في أربع نسخ تحفظ الأولى في بيت أمال والثانية عند شيخ البلد والثالثة عند قاضي الحنفية والرابعة عند قاضي المالكية، حرصا منه على الحفاظ عيها من الضياع، وقد تصفحها مترجم الجيش الفرنسي لوي فيرو قبل أن تتشتت، وقام بنقلها إلى اللغة الفرنسية واعد منها قائمة بالمساجد والزوايا الواردة في السجل، مع التعليق والتوضيح، ونشرها في المجلة الإفريقية سنة1868م[4].

وعليه فالنسخة المصورة عن النسخة الأصلية قامت بتحقيقها الباحثة فاطمة الزهراء قشي وهي موجودة على مستوى أرشيف ولاية قسنطينة، وأرفقت الباحثة بالكتاب المحقق نسخة مصورة عن النسخة

---

[1]- ياسمينة معروف، عاشور سلال، «استغلال الأرشيف العقاري العثماني قبل قانون وارني1873م»، مجلة إنسانيات، ع 99، 2003م، ص110- 118.

[2]- سعدون بخاخ، سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص68.

[3]- صليحة جدي، أهمية وثائق الأوقاف...، المرجع السابق، ص242.

[4]- فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف 1207/1185هـ 1771/ 1792م، ط 01، تق وتح: فاطمة الزهراء قشي دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة (الجزائر)، 2009م، ص ص 09 10.

الأصلية، التي توجد حسبها لدى أسرة بن جلول تتشكل النسخة من(70) عقدا موزعة على(75) صفحة، مع تسجيل نقص لستة صفحات هي رقم(07) ثم من الرقم(58) إلى(62). يكشف لنا السجل متابعة المعاملات التي قام بها صالح باي، من بيع وشراء ومعاوضة كذلك خطوات صالح باي العمرانية؛ لتوفير أماكن لبناء الجامع والدار والمدرسة والفندق ودور المرضى وغيرها من المنشآت في المدينة.

2- المخطوطات

تعدّ المخطوطات التي تعود للفترة العثمانية، من أهم المصادر، المكملة للوثائق الأرشيفية وهي قليلة تتناول مواضيع مختلفة، لا تقدم معلومات مباشرة عن حركية المدن، كما لا تقدم لنا وصفا مباشراً لحركة العمران، كما أن المعلومات الواردة فيها حول المعالم الأثرية، لاتعدوا تكون مجرد إشارات يمكن استغلالها في مجال البحث.

2-1-دفتر التشريفات

دفتر خطَّ بأيادي كثيرة قام ديفولكس بترجمة أجزاء منه، وسجل عليها بعض الملاحظات. يقع الدفتر في(99) صفحة مع العلم أن المخطوط الأصلي مكتوب بالعثمانية القديمة ويقع في(144) صفحة، منها (40) ورقة بيضاء، وتم تسجيله في فهرس فانيان(Edmond Fagnan) [1]. بعنوان: "**مجموعة من الملاحظات والرسائل المتعلقة بتاريخ حكومة الجزائر ابتداءً من الداي شعبان سنة 1103هـ/1691م حتى الاحتلال الفرنسي سنة 1830م**" نُسخ المخطوط من طرف محمد كاتب. والمخطوط الأصلي منسوخ بالخط الدّيواني. نشير أن ديفولكس استعان في ترجمته بأحد الكراغلة يدعى سي محمد بن مصطفى، وعنونه: **بتشريفات الجزائر**، مسجل تحت رقم(1649) والترقيم القديم كان(882).

والكتاب المترجم يحتوي على(99) صفحة موزعة على خمسة فصول، تتناول مواضيع مختلفة حقائق تاريخية، معلومات مهمة تخص الجيش البري والبحري، الهدايا والإتاوات الضرائب، أحداث مختلفة، إحصاء سنوي للأسرى المسيحيين. وما يلاحظ حسب الباحث حنقي هلايلي عند مقارنة نسخة ديفولكس بالنسخة

[1]- **إدموند فاينيان** ولد في بلجيكا سنة 1846م وتوفي في الجزائر سنة 1931م، كان مختصا في الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر، وهو عضو في الجمعية التاريخية من عام 1892م إلى عام 1904، تم تكليفه من قبل الإدارة الفرنسية بتنظيم المخطوطات الموجودة بالمكتبة الوطنية خاصة وهو يجيد عدة لغات العربية التركية الفارسية والعبرية قام بإعداد فهرسة طبعت في باريس سنة 1893 . 1987 ... راجع: حنيفي هلايلي، «مخطوطات الجزائر في العهد العثماني بين ازدواجية الترجمة والتحقيق أسواق مدينة الجزائر ودفتر التشريفات نموذجا»، الملتقى الدولي الأول الأواصر الثقافية والحضارية بين الجزائر وتركيا في الفترة الحديثة والمعاصرة – مقاربة في التراث المادي واللامادي–، جامعة المدية (الجزائر)، يومي 10/ 11 نوفمبر، 2015م، ص11.

الأصلية أن ديفولكس أهمل بعض الورقات، ليسهل على للقارئ فهم الأفكار الجزئية التي تضمنها الدفتر[1]. ان إهمال بعض الورقات من طرف ديفولكس، تُظهر أن الترجمة قد يكون فيها تأويل واختيار، وهو ما يستدعي مراجعة نقدية للنسخة المترجمة مقارنة بالأصل.

من المؤكد أن المخطوط مادة مهمة للباحثين في التاريخ الاقتصادي والعمراني، فقد ورد في دفتر التشريفات فقرات متعلقة بقصر الداي، حيث مقر الحكومة في الفصل المتعلق بالجيش البري والبحري، وبه معلومات متعلقة بمستحقات القائمين على أشغال الصيانة في المدينة معلومات حول منبع مياه الحامة وبداية الأشغال بها، معلومات حول إنشاء جسر أمر الحاج علي باشا ببنائه فوق وادي الشلف على يد(300) عامل مسلم وستين عبدا كافرا، وكذا ترميم رواق قصر الداي بالقصبة العليا 1812م عشر من شهر رجب بالرخام الرائع في عهد الجليل الحاج الباشا.[2]

2-2-مخطوط قانون الأسواق

ألّفه عبد الله بن محمد الشويهد الذي كان يشغل منصب مُتولّي السّوق. والنّسخة التي بحوزتنا واشتغلنا عليها، هي صورة طبق الأصل من النّسخة المحفوظة في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، كتب في واجهتها: " **كتاب فنون بالجزير على الأسواق تحت رقم:(670)**. يعدّ المخطوط مادة تاريخية هامة لا يمكن الاستغناء عنها للباحث خاصة في مجال التاريخ الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني، كما أنّه يحمل في طياته معلومات قيمة حول طبوغرافية المدينة ومعالمها، من أسواق ومرافق عامة، في ظل غياب الخرائط الدقيقة يعتبر المخطوط مصدرا مهما قد يساعدنا على تشكيل بعض معالم مدينة الجزائر، خاصة المرافق التجارية[3].

قام الباحث ناصر الدين سعيدوني بتحقيقه وأخرجه في كتاب: "**بعنوان قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)**"، يذكر المحقق أن المخطوط من الوثائق النّادرة والمهمّة التي تتناول المعاملات التجارية بأسواق مدينة الجزائر، كما أشاد به من قبل الكاتب الفرنسي جورج دالفان (J. Delphin) فيما نشره حول باشوات الجزائر في "**المجلة الآسيوية**"(journal Asiatique). ومن الملاحظ أنّ أغلب الكلمات الواردة في نص المخطوط كتبت بالسان الدارج الذي استعمله العامة في مدينة الجزائر، والذي يتشكل حسب سعيدوني من خليط من الكلمات الهجينة من لغات مختلفة الإسبانية والبروفانسية(الفرنسية

[1]- حنفي هلايلي، مخطوطات الجزائر...، المرجع السابق، ص20.

[2] -Tachrifat, recueil de notes sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Alger, Imp. Du gouvernement, 1852 , p p17, 18, 76, 79.

[3]-حنيفي هلايلي، مخطوطات الجزائر...، المرجع السابق، ص11.

الجنوبية) والإيطالية والعثمانية، دون أن ننسى العربية المحلية. وهذا ما جعل المخطوط حسب سعيدوني مستعصيّاً للتّرجمة، كما حدث مع المستشرق دالفان.[1]

3-المؤلفات الفقهية

3-1-تقييدات ابن المفتي

يُعدّ كتاب ابن المفتي مصدرًا مهمًّا، إلا أن مخطوطه لم يُنشر كاملًا، بل قام مالكوه بنشر أجزاء منه في عدد من الكتب والمجلات، باللغتين العربية والفرنسية. وقد حاول الباحث فارس كعوان جمع ما نُشر منه باللغتين، في انتظار صدور النسخة الأصلية الكاملة. وكان ألبير ديفولكس أول من استفاد من إحدى النسخ المخطوطة، حيث نشر مقتطفات منها تتعلق ببعض العلماء، باللغة الفرنسية، ضمن المجلة الإفريقية، في بحث بعنوان: **البنايات الدينية القديمة في مدينة الجزائر**، دون أن ينشر النص العربي للكتاب. وبعد نحو نصف قرن من عمل ديفولكس، حصل الباحث الفرنسي جورج دولفان(Georges Delphin) على نسخة من المخطوط كانت معروضة للبيع في إحدى مكتبات مدينة الجزائر، فقام بترجمة القسم الآخر من الكتاب، الذي يتناول تاريخ الباشوات في الجزائر، إلى جانب مقدمة الكتاب التي تعرضت للاختزال.

حصل الباحث الجزائري نور الدين عبد القادر على نسخة من المخطوط بعد استقلال الجزائر، لكنه اكتفى بنشر ما تعلق منها بالعلماء فقط مع الاختصار والتصرف فيه، وهكذا يبقى هذا المؤلَّف النفيس عبارة عن مقتبسات مبعثرة.[2] يضم **كتاب تقييدات ابن المفتي** النسخة التي حققها فارس كعوان مقدمة ثم قسم خصه للباشوات، وقسم خصه للعلماء، وفي الكتاب يذكر ابن المفتي بعضا من أهم معالم مدينة الجزائر منها: جامع كتْشاوَة السوق الكبير، زاوية سيدي رمضان، شارع باب عزون ميناء المدينة، يصف حي القصبة القديمة. ويشير كذلك إلى الزلازل التي ضربت المدينة وتسببت في تهديم المباني.

4-المذكّرات

تمثل المذكّرات مصادر هامة يرجع إليها الباحث في التاريخ، لمعرفة الأحداث والوقائع التي جرت في زمن ومكان معينين؛ وذلك لكون صاحب المذكرة شاهداً على هذه الأحداث، ومُعاينا لها في الغالب، أو على الأقل قد يقرب زمانه منها، فيكون نقله لها عن يقين، فتكون نسبة الخطأ في نقل الحقائق قليلة جداً إذا ما

[1]- سليم تريكي، وافية نفطي، طوبونيميا مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال مخطوط قانون الأسواق لعبد الله بن محمد الشويهد، أعمال الملتقى الوطني التاريخ والطوبونيميا، رؤية منهجية لخدمة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة البليدة02- علي لونيسي، 2024/04/17م، تن وتق: عبد القادر بوعقادة، بلال عمرون، دار أجيال الرقمي، الجزائر، 2024م، ص289.

[2]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص ص 09-10.

قورنت بغيرها. المذكرات وإن كان يغلب عليها طابع الترجمة، لأصحابها بذكر مناقبهم ونشر مآثرهم ليتعرف عليها الجيل بعد الجيل ومن ذلك ذكر الإنجازات المعمارية، لتصبح المذكرات مادة هامة لدراسة العمران والعمارة.

4-1-مذكرات أحمد الشريف الزَّهار

يعدُّ كتاب: **مذكرات أحمد الشريف الزَّهار** مصدراً مهما، كتبها "نَقيب أشراف الجزائر" أحمد بن علي الزّهار، الذي تولَّى منصب نقيب الأشراف وراعي شؤونهم هو أحد أعيان مدينة الجزائر، وواحد من وجهائه (1196هـ/1289هـ الموافق لـ .1872/1781م)، ولد في الجزائر أيام الداي محمد بن عثمان باشا، عاصر فترة نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وشهد فترة الغزو الفرنسي للجزائر. المذكرات حققها الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله تعالى، بعد أن أراد لها بعض المسؤولين الفرنسيين أن تغيب ولا تظهر للعلن حسب قول المدني، حيث يذكر في مقدمة تحقيقه، أنه أخذ المخطوطة من أحد أحفاد المؤلف المدعو "محمود الشريف الزهار" وقد ورثها عن أبيه عن جده لكنه كان ينوي تقديمها بسهولة لمدير الشُّؤون الأهلية في الجزائر المسيو ميرانت والذي أوهمه مُلحًّا في تَسلُّمها منه بأنه يريد الاطلاع عليها لا غير أو الاحتفاظ بها وفي الحقيقة هو ينوي إعدامها، كما فعلوا مع الكثير من الوثائق والكتب التي عثروا عليها[1].

وعلى ما يبدو فالنسخة غير كاملة وتنقصها بعض التفاصيل، فهناك عدة صفحات بيضاء كما أن المؤلف بدا بالتأريخ من فترة دخول الإخوة بربروس للجزائر، ثم بعدها نجد ثلاثة عشرة ورقة بيضاء ثم انتقل إلى ذكر ثلاثة عشر(13) داياً مروا على الجزائر، بداية بالداي علي "بوصبع" وصولاً إلى آخر دايات الجزائر حسين داي، كما يذكر أحمد الشريف الزّهار أهم المعالم المعمارية التي بناها الدايات وإنجازاتهم، وفي القسم الثاني من الكتاب، ذكر ما حصل من غزو الفرنسيين لبلاد الجزائر، والمجازر التي ارتكبت في حق السكان، وما جاء بعده من مقاومات للأهالي.[2]

4-2-مذكرات وليام شالر

ألفها وليام شالر الذي شغل منصب القنصل الأمريكي العام في الجزائر، وعاش مدة عشر سنوات فيها من(1816-1824م)، يتناول في مؤلفه مختلف الأعمال التي قام عليها الداي عمر باشا(1815-1817م)، حيث يظم الكتاب معلومات هامة حول العمارة، خاصة تلك المتعلقة بالتّرميمات والتحصينات

[1]- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1168-1246هـ/1754-1830م، تح: أحمد توفيق المدني،(ش. و. ن. ت)، الجزائر، 1974م، ص 03 12.

[2]- المصدر نفسه، ص05.

التي قام بها عمر باشا حيث قام بجلب مواد البناء من مناطق مختلفة، وتمكن من إعادة بناء المدينة وتحصينها، وإعادة تنظيف الميناء أواخر سنة 1816م بعد حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر[1].

4-3-مذكّرات كاثكارت

جيمس ليند كاثكارت(1767-1843) من أصول إيرلندية، انتقل مع والده إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم وقع في الأسر سنة 1785م. وبعد مدة قصيرة، أثبت مهارته وأصبح كاتبًا لدى الداي حسين باشا بالجزائر خلال الفترة الممتدة من(1785-1796م). وقد عمل وسيطًا بين الداي والسفراء الأجانب. نُشرت مذكراته من طرف ابنته بعد وفاته بنحو نصف قرن. يقدم كاثكارت وصفًا دقيقًا لبعض معالم مدينة الجزائر، خاصة قصر الداي المعروف بـ(دار الجنينة) ومرافقه المختلفة، إلى جانب وصفه لعدد من المباني، والشوارع، والأسواق، والحمامات، والحانات، وغيرها من المرافق العمرانية المدنية[2].

5-الرحلات

تُعد الرحلات سواء كانت محلية أو أجنبية، من أبرز المصادر التي ساهمت في توثيق وتحليل العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني، إذ تجاوزت كونها مجرد سرد لمشاهدات ووصف للأحداث الشخصية بل تحولت إلى أدوات وصف دقيقة نقلت لنا تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ومعالم العمارة من منظور ثقافي وفكري متنوع.

وقد بدأت هذه الرحلات مبكرًا مع الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف (بليون الإفريقي)، الذي ألّف كتابه "**وصف إفريقيا**" سنة 1526م، بعد أن أُسر ونُقل إلى روما، حيث قدّم وصفًا جغرافيًا وتجاريًا مهمًا للمغرب الإسلامي، بما في ذلك الجزائر. وفي أوائل القرن السابع عشر، قدّم أحمد المقري التلمساني(ت 1041هـ/1631م) رحلته الحجية في كتاب "**رحلة إلى المشرق والمغرب**"، متناولًا الجوانب الثقافية والدينية للمناطق التي مر بها في طريق الحج ، نذكر كذلك عبد الرزاق بن حمادوش(1107هـ/1695م)، الذي كتب رحلته التي طغى عليها الطابع التجاري، واهتم بوصف الأسواق والعلاقات الاقتصادية، وقد حقق أبو القاسم سعد الله الجزء الثاني منها، بينما يُعتقد أن الجزء الأول المفقود يحتوي على تفاصيل رحلته الحجية، وفي منتصف القرن الثامن عشر(1732م)، كتب الحسين بن محمد الورتيلاني رحلته "**نزهة الأنظار في فضل علم**

[1]-وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتع وتق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1982، ص 162

[2]-جيمس ليندر كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب وليام كثكارت، تر و تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص ص 09 10 90 95.

التاريخ والاخبار" والتي نسخها سعيد بن احمد يدير بن عباس القلعي سنة (1183هـ/1768م)، وثّق فيها الورتيلاني مشاهداته وتفاصيل زيارته للمدن الجزائرية والمعالم العمرانية، مرورًا بعدة مدن في طريقه إلى الحجاز. وأبو راس الناصري(ت.1239هـ/1823م) رحلته: "**فتح الإله ومنّته**"، التي تناولت الحياة العلمية والدينية.

أمّا الرحالة الأوروبيون الذين كتبوا عن الجزائر فهم كثيرون ومن أبرزهم المؤرخ الإسباني مارمول كاربخال في كتابه: **الوصف العام لإفريقيا** في القرن السادس عشر، الذي قدّم فيه وصفًا دقيقًا لمدينة الجزائر، والفرنسي فونتير دو بارادي في القرن الثامن عشر، الذي كتب عن الحياة الاجتماعية والعسكرية والتحصينات الدفاعية كما زار العالم الألماني جوهان هابنسترايت الجزائر عام(1145هـ/ 1732م)، ودوّن مشاهداته العلمية والثقافية، واهتم بوصف المعالم العمرانية والأنشطة الاقتصادية يتضح من خلال قراءة الرحلات المختلفة التباين بين الرحلات المحلية والأوروبية اختلاف كبير من حيث الغايات والمنهجيات؛ إذ كانت الرحلات الحجازية ذات طابع وجداني وتأملي، تهدف إلى التعبير عن التجربة الروحية والعلمية، بينما اتسمت الرحلات الأوروبية بنظرة نقدية وتقييمية تهدف إلى الرصد والتحليل، والوصف الدقيق وغالبًا ما ارتبطت بتوجهات إستشراقية واستعمارية وهذا ما يجعلها تهتم بشكل اكبر بمعالم العمارة مقارنة بالرحلات المحلية يتجلى ذلك في ما تضمنته من وصف لمعالم العمارة الشوارع والأزقة والموانئ والاسواق والحمّامات والفنادق والتّحصينات الدفاعية المختلفة، وكذلك طوبوغرافية المدن الجزائرية وتضاريسها المختلفة وهي تزودنا كذلك بصور وخرائط متنوعة ومن هذه الرحلات نذكر:

5-1- كتاب:"رحلة تصويرية في إيالة الجزائر"(Voyage picturesque dans la régence d'Alger)

يُعدّ الكتاب أحد أبرز الأعمال الفنية التي وثقت جوانب من الحياة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، حيث قام الفنانان الفرنسي (Émile-Aubert. Lessore) والانجليزي(William. Wyld) برسم عدة لوحات بتقنية الرسم المائي تمثل مشاهد متنوعة من الحياة اليومية والمباني والمناظر الطبيعة في مدينة الجزائر وضواحيها ومدن اخرى مثل هران ومعسكر وعنابة وبجاية وتلمسان خلال رحلتهما إلى الجزائر سنة 1833م، طبع العمل بتقنية الصور الحجرية **(**lithographies**)** ونُشر لاحقًا في باريس سنة 1835م على يد الناشر(Charles Motte)[1].

[1] - E.lessore, W.wyld, voyage pittoresque dans la regence D'Alger, publié et imprimé par: charles motte, paris, 1835.

تكمن أهمية العمل في، ثراء الصور التي بلغ عددها خمسين(50)، وقد نُفّذت بدقة فنية كبيرة، مما يجعل الكتاب مصدرا بصريًا هامًا يجسد الحياة في الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي، يظم مواضيع متنوعة، رسمت بتلك اللوحات مواضيع متنوعة ومتعددة من الحياة الأسواق، المساجد، الموانئ، العيون، الدور، الحمامات، الفنادق، الشوارع والأزقّة وحتى اللّباس والعادات المحلية، مما يعطي للقارئ رؤية شاملة. ارفقت بتلك اللّوحات، بعض النصوص المصاحبة تمثل شرح للمشاهد بلغة رومانسية والفاظ دقيقة ، لكنها لا تقدم لنا معطيات تاريخية كثيرة والتوثيق على الارجح كان من منظور الوافد، وليس من داخل المجتمع المُصوَّر.

صدرت نسخة مترجمة من الكتاب إلى اللغة العربية، أنجزها الأستاذ محمد جيجلي، ونشرتها دار الأمة بالجزائر سنة 2002م، ثم أعادت إصدارها في طبعة ثانية سنة 2010م. وقد جمع جيجلي في هذه النسخة الصور والنصوص معًا، بحيث تمثل الصور شرحًا مباشرًا للنص، على خلاف النسخة الأصلية بالفرنسية التي بدأت بالتعاليق مرتبة، ثم أُلحقت الصور في النهاية مرقّمة. كما أرفق جيجلي النصوص بتعاليق وشروحات مهمة، اثرت المحتوى وسهّلت فهمه[1].

5-2-كتاب: "رحلة في إيالة الجزائر" (Voyage dans la régence d'Alger)

تعد رحلة الإنجليزي توماس شو من أبرز الأعمال التي كتبها المستشرقون و التي وثّقت الحياة في الجزائر خلال القرن الثامن عشر، ويكتسي الكتاب أهميته من كون المؤلف عاش في البلاد لمدة اثني عشرة سنة(12) من(1720-1732م)، يتنقل فيها بين الجزائر وعدة مناطق من البلاد الاسلامية، مثل: الشام، ومصر، وهو كذلك يحسن عدة لغات منها: اليونانية والعربية والعبرية، وقد أقام في الجزائر وسجل خلال إقامته عدة ملاحظات، مكّنته اقامته الطويلة في الجزائر من فرصة الملاحظة المباشرة والتفاعل مع السكان المحليين. يتميز الكتاب بوصفه الجغرافي الدقيق، حيث يستعرض التّضاريس والمناخ والموارد الطبيعية، كما يتناول الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد، ويعرض صورًا متنوعة عن اللباس، الطعام، والممارسات اليومية.

تناول توماس شو في كتابه جانب من العمارة الجزائرية، بوصف دقيق يعكس ملاحظاته، وقد ركّز على دراسة الطّابع الإسلامي الشرقي للمدن؛ حيث قدّم وصفاً دقيقا للأزقّة والدّور والمواد المستخدمة في البناء

[1]- أ. ليسور، و. ويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تح و تق وتع وتر: محمد جيجلي، دار الأمة، الجزائر، 2010م.

وحاول أن يبرز أهمية الفناء الداخلي في الدّور، وصف كذلك المساجد والحمامات العامة والأسواق وغيرها من المنشآت[1].

نُشرت الطّبعة الأولى من الكتاب باللغة الانجليزية، بأكسفورد سنة 1738م تحت عنوان:(**Travels or Observations Relating to Several Parts of Barbary and the Levant)**. ثم أثري الكتاب بإضافات مهمة، وأعيد نشره سنة 1746م تحت عنوان: "**ملحق لكتاب بعنوان: رحلات أو ملاحظات، وما إلى ذلك، حيث يتم النظر والرد الكامل على بعض الاعتراضات التي أُثيرت مؤخرًا ضده، مع عدة ملاحظات إضافية وأطروحات**" **(A. Supplement to a Book Entitled Travels, or Observations, &c. Wherein Some Objections, Lately Made Against It, Are Fully Considered and Answered: With Several Additional Remarks and Dissertations)**.

ثم صدر الكتاب بطبعة ثانية، في لندن سنة 1757م. يظمّ الإضافات السابقة والردود على بعض الانتقادات التي وجهت له. ثم صدر بطبعة ثالثة في أدنبرة سنة 1808م. كما ترجم الكتاب إلى عدة لغات، صدر بالفرنسية سنة 1743م في لاهاي والطبعة الثانية منه سنة 1753م، تظم بطاقات للحيوانات والنباتات[2]. والطبعة الثالثة صدرت في باريس سنة 1830م، أنجزها جان ماكارثي (J. Mac Carthy) عضو الجمعية الجغرافية. وهي التي اعتمدناها في الدراسة لأنها تتميز بدقة التوثيق الجغرافي بحكم انتماء ماكارثي للجمعية الجغرافية، كما أرفق النصوص بملاحظات دقيقة حول المواقع، التضاريس، والمعالم العمرانية، مما منح الكتاب طابعًا شبه ميداني. قام كذلك بإعادة ترتيب المادة الأصلية بطريقة منهجية، حيث دمج الصّور والخرائط التّوضيحية في سياق النص، بدلًا من فصلها كما في الطبعات السابقة. ترجم الكتاب كذلك إلى الألمانية سنة 1756م والهولندية سنة 1773م. ترجم كذلك إلى اللغة العربية، من طرف الباحث لخضر بوطبة، وصدر بعنوان رحلة الى إيالة الجزائر عن دار الباحث للطباعة والنشر، الجزائر، سنة 2022م.

6-المصادر الأجنبية المطبوعة

[1]-Thomas Shaw (Docteur), Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc. de cetétat Tr: de l'anglais par: J. Mac Carthy, Paris, 1830.

[2]- مراد تجنانت، محمد زرقوق، «آراء ملاحظات الرحالة البريطاني توماس شو حول حياة سكان حواضر الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي(1720-1732م) »، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مج06،ع2023،01 م، ص ص 229 230.

6-1-كتاب: طوبوغرافي ديغو دي هايدو(Topographie et histoire générale d'Alger)

مؤلفه دان ديغو دي هايدو الذي كان أسيرا في الجزائر من1578- 1581م ولد في وادي كرانسا في جبال البرانس، على الحدود بين فرنسا وإسبانيا، ينتمي إلى عائلة عريقة من عائلة "توسكاي" في اقليم الباسك، تذكر المصادر الأوربية أنّ ديغو كان هو نفسه من كان يؤلف في بعض الأحيان، اعتماداً على ما شاهده في الفترة التي قضاها في الأسر، عنوان **الكتاب طوبوغرافيا والتاريخ العام وتضاريس الجزائر العاصمة** وهو مصدر فريد من نوعه من ناحية الثراء وكثافة المعلومات، ومن حيث دقة بعض المعلومات وحدة نظر المؤلف، يقدم صورة للمجتمع الجزائري في أواخر(ق16م) ويقدم وصفا دقيقا لطبوغرافيا الجزائر العاصمة، وبعض التفاصيل الغريبة عن عادات الشعب الجزائري ويظم تاريخ الباشوات الإحدى والثلاثين الأوائل الذين حكموا إيالة الجزائر طبع الكتاب في بلد الوليد بإسبانيا سنة 1612م.

الكتاب مصدر مهم يتناول بشكل أساسي تحصينات مدينة الجزائر، لكنه يقدم معلومات جيدة ومفصلة عن باقي المباني الدينية منها والمدنية ومن الجيد أنّ المعلومات الطبوغرافية التي يحتويها الكتاب أقل تعقيد من باقي المعلومات التي قدمها حول نمط المعيشة ونظام الحكم فيما يتعلق بالنسخة الأصلية للكتاب فهي محفوظة بالمكتبة الملكية الإسبانية، ويتضمن الكتاب الكثير من التفاصيل حول عمران المدينة كالقلاع والبيوت والطرقات المحلات حجم الميناء، والواجهة البحرية والزوايا العيون والنوافير والأسواق داخل وخارج المدينة، وهو دقيق خاصة في وصف التحصينات الدفاعية، كارتفاع الأسوار والمسافة بين القلاع والحصون وهذا ما يثير الريبة فربما كان الكتاب رسالة غير مباشرة لكل من يريد غزو الجزائر خاصة وانه قسيس مسيحي ويكره الجزائر لأنه يبالغ أحيانا في التقليل من قيمة سكان المدينة ويعتبر الجزائر شوكة في المسيحيين فهي المدينة التي أذلتهم خاصة بعد الهزيمة التي مني بها الإمبراطور شارلكان سنة 1541م[1]

6-2-كتاب: الأب دان" تاريخ قراصنة البربر" Histoire de Barbarie et de ses corsairs

الكتاب يتناول تاريخ منطقة بربارياشمال أفريقيا الحالية) خلال فترة القرصنة البحرية، يقدم الأب دان رؤيته عن الظروف الاجتماعية والسياسية التي سادت المنطقة، ويشرح كيفية تأثير القرصنة على الحياة اليومية للسكان، وصف البيوت التقليدية، بما في ذلك تصاميمها الداخلية والخارجية، المواد المستخدمة مثل الطين والخشب، وغيرها من المواد يصف الأب دان العديد من المعالم الأثرية وتصميماتها مثل: المساجد وكيفية بنائها وزخرفتها، وكذلك القصور التي كانت تظم مراكز للسلطة والقيادة، أشار إلى القلاع والحصون

[1]-Haödo Diego De, Topographie et histoire générale d'Alger, la vie à Alger au seizième siècle, traduit de l'espagnol et notes de A. Berbrugger et de Dr. Monnereau, présentation de Abderrahmane Rebahi, Grand-Alger Livres, 3eme Edition, 2007 .

التي بُنيت للدفاع ضد الغزوات والهجمات البحرية يذكر أهم الأسواق، الحمامات العامة، والورش، وكيف تساهم هذه المباني النشاط اليومي في المجتمعات الحضرية،يشرح المؤلف كيف كان تصميم الشوارع والأزقة والحومات، وكيفية تنظيم المدن بما يتماشى مع نمط الحياة والتجارة في تلك الفترة، لم يهمل المؤلف الفنون الزخرفية التي نفذت على المباني المدنية مثل النقوش والزخارف الجصية التي تزين الواجهات والأبواب.[1]

رابعا: الكتابات الفرنسية حول العمارة بالجزائر خلال العهد العثماني

تعد الدراسات والأعمال التي كتبها الفرنسيون رائدة في مجال العمارة بالجزائر خلال العهد العثماني خاصة التي كتبها البير ديفولكس وهي من أولى وأهم الدراسات التي كتبت حول مدينة الجزائر ومحيطها، خاصة وأنّه اعتمد بشكل كبير على الوثائق الأصلية، التي كان حريصا على التدوين من خلالها[2] فقد سخر المؤلف جميع ما لديه من طاقات وصلاحيات إدارية ليقدم عملا متكاملا وموثوق، استعان في كتابته على كم كبير من الوثائق الأرشيفية، وكلف لذلك من يقوم عل ترجمة محتواها، مع الاستعانة بشهادات شفهية متداولة على لسان السكان، ومشاهداته الشخصية مما يجعل عمله مهما لكنه يتخلله بعض التعصب في إصدار الأحكام، من حين لآخر حول ما يتعلق بالدين الإسلامي وحضارته التي على ما يبدو يكن لها حقدا كبيرا.

الكتاب في أصله مخطوط تقدم به البير ديفولكس لنيل جائزة الأكاديمية الجزائرية(الفرنسية)، التي تهدف إلى دعم البحوث التاريخية والأثرية بتاريخ:(03/31 /1870م)[3]. وتتجلى القيمة العلمية لهذا الكتاب أن الكثير من الوثائق التي اعتمد عليها المؤلف قد اندثرت، ومن جهة أخرى فإنّ أغلب معالم المدينة القديمة تغيّرت، بفعل الهدم في فترة الاحتلال، أو أثناء حرب التحرير أو في فترة الاستقلال. وللمؤلف عدة أعمال منها كتاب تاريخ الجزائر وقد حققه بن حموش وترجمه فيما بعد بمعيّة بدر الدين بلقاضي، كما قام ديفولكس أيضا بترجمة كتاب التشريفات أو مذكرة الإدارة العثمانية بالجزائر، والذي كتب باللغة العثمانية إلى الفرنسية وكذا " **تحليل وثائق الأرشيف الفرنسي بالجزائر**" والموافقة بين التاريخين الهجري والميلادي يوماً بيوم لفترة

[1]-Lepère Dan, Histoire de Barbarie, et de ses Corsaire des Royaumes, et des villes d'Alger, de Tunis ,de salé,et de Tripoly, Seconde Edition Chez Pierre Récollet,Imprimeur & Libraire, Paris, 1649.

[2]– وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر ...،المرجع السابق، ص451.

[3]– بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش،تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط البير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر 2007م، ص 10–14.

بلغت(1300) سنة، وقد سرد زميله ماك كارتي فيما بعد قائمة مفصّلة لأعماله بلغت تسعة وعشرون(29) عملاً، ما بين كتاب ومقال نشرت في مختلف المجلاّت الفرنسية الموجودة آنذاك[1].

يتألف المخطوط الذي حققه مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي من(570) صفحة موزعة على ثلاثة أجزاء، سمي الجزء الأول منها "إيكوزيوم"، يتناول نشأة المدينة في الفترة الرومانية، والجزء الثاني جزائر بني مزغناي، يتعلق بالفترة الإسلامية تحت سلطة ملوك البربر، ثم الجزء الثالث وهو الأكبر يتناول الجزائر خلال الفترة العثمانية، يتوفر الكتاب كذلك على صور ومخطّطات عديدة، فيها ما هو تخطيطي وما هو فوتوغرافي(صور مباشرة التقتها فرنسيون وغير الفرنسيّين) وكذا لوحات زيتية ومائية رسمها فنانون محترفون، تمثل موروثا مهما حول جمالية العمارة وتطورها وقد قام مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي اللذان ترجما الكتاب وحققاه بتغير التسمية من تاريخ الجزائر إلى خطط مدينة الجزائر اقتداء بما درجت عليه التسمية لمثل هذه الأعمال مثل كتاب المقريزي بعنوان: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** وكتاب علي المبارك **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر** وغيرهم.

رغم أهمية دراسات المستشرقين وما تقدمها من معلومات حول الفترة العثمانية ، إلا أنه وجب التعامل معها بحذر منها ما كتبه هنري كلاين رئيس جمعية الجزائر العتيقة الذي له عدة مقالات منشورة في "**مجلة دفاتر الجزائر" (les Feuillets d'El–Djazir)** ما بين عامي(1910–1960م)، تناولت مواضيع متعلقة بتطور مدينة الجزائر، إلا أنه يغفل أحيانا عن ذكر مصادره سواء منها الشفوية أو المكتوبة لكن تحليله دقيق للشوارع القديمة والحديثة والتغيرات التي أحدثتها السلطات الفرنسية، جمعت تلك المقالات في كتاب من جزئيين.[2]

إضافة إلى ما كتبه كلاين، تَبرز أعمال المهندس الفرنسي رينيه ليسبيس(René Lespes) من خلال كتابه: "**مدينة الجزائر لمحة جغرافية لعمرانها**"، وهو عبارة عن رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه حول مخطط لتوسيع مدينة الجزائر في الفترة الاستعمارية، طبع الكتاب مرتين الأولى سنة 1925م والثانية سنة 1930م في نسخة منقّحة ومعدّلة، أضيفت إليها معلومات جديدة ومعطيات تاريخية وجغرافية، لكنه ركز بشكل كبير في دراسته على التدخلات التي قام بها المهندسون الفرنسيون فقط.[3]

[1]– بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، تاريخ وعمران...، المرجع السابق ، ص11.

[2]-Henri Klein, Feuillet d'El-Djezaïr, tomes 1 et 2, Comite du vieil Alger(1910), Editions du Tell, Blida, (Algérie), 2003.

[3]-René Lespes., Alger, esquisse de géographie urbain, introduction au plan d'agrandissement et d'embellissent de la ville d'Alger, maison Bastide-Jourdan, 1925.

نجد كذلك دراسة مهمة لـ باسكوالي (E. Pasquali) بعنوان: **تحولات الشارع الإسلامي في مدينة الجزائر(L'évolution de la rue musulmane d'El–Djezaïr)**، يعدُّ المؤلف أحد أشهر المهندسين الفرنسيين ورئيس مصلحة العمران بمدينة الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، قدّم دراسة مهمة تتبع فيها تكوين مدينة الجزائر، من الفترة الرومانية ثم المدينة في الفترة الإسلامية، ثم تطور المدينة في الفترة العثمانية، وكيف توسعت من الساحل اتجاه الجبل بالمنطقة العليا من المدينة، وربط العلاقة بين توسع المدينة وازدهار النشاط الاقتصادي، وارتفاع عدد السكان بالاعتماد على المصادر المحلية والوثائق والاستعانة بالدراسات الاستعمارية[1].

دراسة مهمّة لعالم الآثار والمؤرخ الفرنسي المتخصص في فنون العمارة الاسلامية لوسيان كولفان(Lucien Golvin) حيث يُعد كتاب: **"قصور وبيوت مدينة الجزائر في العهد العثمانيّ" Palais et demeures d'Alger à la période ottomane)** ، من أهم الأعمال التي وثّقت لعمارة مدينة الجزائر خلال الحقبة العثمانية، خاصة القصور والدّور المنتشرة داخل أسوار المدينة وفي مناطق الفحص خارج أسوار المدينة، حيث يجمع المؤلف بين الرؤية الفنية والتحليل التاريخي. وهو يقدم دراسة دقيقة وثرية من حيث المادة العلمية للقصور والدّور في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مدعّمة بالصّور والمخططات التي تُبرز جماليات التّصميم الداخلي والخارجي، خاصة في حي القصبة. كما يبين المؤلف في كتابه تأثُّر العمارة في الجزائر بالعناصر الفنّية الأندلسية والمغاربية والعثمانية. كما يتناول في دراسته جانبا من الحياة اليومية لسكان مدينة الجزائر، ويصف المباني ويوضح توزيع الغرف ويبرز وظائف الفناء في الدورّ[2].

اعتمد المؤلف بشكل كبير على أعمال سابقيه مثل: هنري كلاين وأدريان بربروجر، وغيرهم. كما يُلاحظ أن اللغة المستخدمة متخصصة وأحيانًا يصعب على القارئ غير المتخصص فهمها بسهولة، و تركيزه الكبير على الجانب الفني والمعماري قد يجعله يهمل جانب كبير من المؤثرات الاجتماعية والسياسية على عمارة تلك الحقبة.

كذلك دراسة لمارسيل إمري(Marcel Emerit) بعنوان: **الأحياء التجارية بمدينة الجزائر خلال الحقبة العثماني(Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque)** صدرت سنة 1952م اهتم فيها بشكل كبير بدراسة الأسواق وتوزيعها، وأعدّ مخطط لها وسلّط الضوء كذلك على التجار والحياة

[1]- E. Pasquali, «L'évolution de la rue musulmane d'El-Djezaïr», documents Algériennes, synthèse de l'activité Algérienne ; 1er janvier 1955 -31 décembre 1955, p p 175 190

[2]- Lucien Golvin, Palais et demeures d'Alger à la période ottomane, Éditions Edisud, France, 1988.

اليومية، ويحتوي الكتاب على مادة مهمة تساعدا على فهم تطور الأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وتأثيراتها على المجتمع، تناول فيها المؤلف عدة نقاط منها الأحياء التجارية، والأسواق القديمة في المدينة، وتناول الحياة التجارية في المدينة خلال العهد العثماني بما في ذلك السلع المتداولة والعلاقات التجارية مع المناطق المختلفة، وقدم لنا صورة عن حياة التجار وكيف كانت تدار العمليات التجارية[1].

دراسة تال شوفال(Tal Shuval) بعنوان: "**مدينة الجزائر في نهاية القرن الثامن عشر المجتمع والعمران**" (La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle: société et urbanisme) تعتبر من أبرز الأعمال الأكاديمية التي تناولت الجزائر خلال العهد العثمانية من الداخل، بعيدًا نوعا ما عن الروايات الاستعمارية. اعتمد فيها شوفال على مصادر أرشيفية عثمانية ومحلية، مثل: دفاتر الأوقاف وسجلات الضرائب، لتقديم صورة دقيقة عن النّسيج الاجتماعي والعمراني للمدينة، وقدم تحليلات حول علاقة الأحياء والوظائف داخل المدينة بالتركيبة السكانية. كما تناول دور المؤسسات الدينية، مثل: الزوايا والمساجد في تنظيم الحياة اليومية، إلى جانب ذلك تناول بالدراسة التخطيط الهندسي للعديد من المنشآت والمباني المختلفة وقدم معلومات هامة عن طبيعة البنية الحضرية للمدينة[2].

[1]-Marcel Emerit, «Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque», Algeria, février 1952, XX année, nouvelle série N° 25, p p 6-13.

[2]- Tal Shuval, La Ville d'Alger vers la fin du XVIII °siècle; population et cadre urbain, CNR S ,Paris ,1998.

خلاصة

عرفت العمارة الاسلامية في فترة الدولة العثمانية تطوراً واضحاً، حيث أولت الدولة اهتمامًا بالغًا بهذا المجال، فطوّرت معارف وتقنيات معمارية متقدمة، واتبعت تنظيمًا دقيقًا في تخطيط وإنشاء المباني، مع مراعاة الجانب الديني والفقهي الذي يعد عنصراً اساسيا في التنظيم الحضري في عمارة المسلمين.

وعلى خلاف بعض الآراء التي تنتقص من قيمة الفن المعماري العثماني، والتي تعتبره قائمًا على الزّخرفة والتّنميق دون الاهتمام بالتّخطيط المحكم أو المتانة الإنشائية، فإن الواقع يثبت العكس فلقد جمعت المباني بين الجمال الزُّخرفي والدّقة الهندسية، كما أنّ الواقع التاريخي والمعماري يثبت أن العثمانيين خلّفوا تراثًا غنيًا ومتفردًا امتد على مدار ثلاثة قرون، من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي . شمل أجزاء واسعة من شرق أوروبا، وغرب آسيا، وشمال إفريقيا، تجسّد في منشآت دينية كالمساجد والزوايا، وعسكرية كالقلاع والحصون، ومدنية كالدّور والأسواق والحمّامات وغيرها.

إن دراسة هذه المعالم يتيح فهمًا أعمق لطبيعة العلاقة بين مركز السلطة العثمانية والأقاليم التابعة لها، ويكشف عن ديناميكية التفاعل بين المحليّ والعالمي في إنتاج المعرفة المعمارية . كما تُسهم في إعادة تقييم النظرة السائدة تجاه الفن المعماري العثماني، وتؤكد على دوره الحضاري في إثراء العمارة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق، فإن تحليل المنشآت المعمارية في الجزائر خلال العهد العثماني لابد أن يعتمد على المعلومات المنتقاة من مصادر أصلية ومتنوعة و لا يجب أن يقتصر على الجانب الفني فقط، بل لا بد أن يمتد ليشمل الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية التي رافقت عملية البناء والتخطيط الحضري.

الفصل الثاني: العمارة السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد

عرفت المنشآت المعمارية منذ القديم عدة أصناف، اختلفت من حيث الوظيفة، فتمّ تقسيمها إلى عمارة مدنية، تشمل المباني التي تستخدم لغرض السّكن وممارسة نشاطات الحياة اليومية مثل المنازل والقصور السّكنية والأسواق والحوانيت والخانات والمباني التّرفيهية، عمارة عسكرية تشمل التّحصينات الدفاعة التي تقام لصدّ الاعتداءات كالحصون والقلاع والجدران والخنادق، عمارة دينية لغرض التّعبد كالمساجد والكنائس والمعابد والأضرحة. أُسّس هذا التصنيف بشكل أساسي لتحديد الوظائف المختلفة التي تؤديها تلك المباني، ونتيجة لتنوع وجهات النّظر الثقافية والفكرية عبر العصور، والتطورات الفكرية والنّقدية أثيرت عدة نقاشات حول مرونة هذا التّقسيم وجدواه.

فقد ذهب أنصار النّظرية التّقليدية إلى أنّ تقسيم العمارة بناءً على وظيفتها(مدنية، عسكرية، دينية) هو الأسلوب الأكثر منطقية لأنه يحدّد طبيعة استخدام المباني بناءً على احتياجات المجتمعات، مما يجعل هذا التّصنيف أداة عملية لتنظيم الأنماط المعمارية، وعلى رأسهم المعماري الروماني فيتروفيوس الذي يعدّ من أوائل المنظّرين في فن العمارة في كتابه بعنوان: **الكتب العشرة لفن العمارة** حيث يقول: فيه "**هناك ثلاثة مستويات من المباني العامة: الأول للدفاعية منها والثاني للدينية والثالثة للأغراض النّفعية.وتحت الدفاعية يأتي تخطيط الجدران والأبراج والبوابات و الأماكن الثابتة للمقاومة ضد الهجمات المعادية، وتحت الدينية، يأتي تشييد الكنائس والمعابد ودور العبادة للآلهة الخالدة، ونحت النفعية، يأتي تجهيز أماكن الاجتماعات للاستخدام العام مثل الموانئ والأسواق والقاعات المقامة على أعمدة والحمامات والمسارح والمنتزهات وكل الترتيبات المشابهة الأخرى في الأماكن العامة**"[1].

أمّا أنصار النظرة الحديثة يشيرون إلى أن التصنيف التقليدي قد يكون مبسطًا بشكل مفرط، فهم يرون أنّ العمارة لا يمكن حصرها في حدود صارمة، حيث أنّ المباني قد تجمع بين وظائف متعدّدة؛ على سبيل المثال، يمكن أن نجد في المباني العسكرية عناصر دينية، مثل وجود مساجد داخل الحصون، أو أن العمارة المدنية قد تتضمن رموزًا دينية أو دفاعية كجزء من المباني، وغالبًا ما تدمج بعض المباني بين استخدامات متعددة في تصميم واحد، مما يجعل التصنيف يعتمد بشكل أكبر على محتوى المبنى بدلًا من وظيفته الظاهرة ومن أشهر الذين دافعوا عن هذا الطّرح المعماري والمفكر المصر حسن فتحي(1900-1989م) الذي اهتم بإحياء العمارة المحلية الإسلامية، التي تستند إلى مساهمة السكان في بناء مساكنهم وفق

[1]- فيتروفيوس، الكتب العشرة في فن العمارة، ط1، تر: هاشم عبود الموساوي، اعداد، محمد عمر بن طالب، المكتب العربي للمعارف، القاهرة (مصر)، 2016م، ص25.

احتياجاتهم، وقد رفض التصنيفات التقليدية، داعياً إلى تصميم يعكس الثقافة والاحتياجات المختلفة للإنسان،[1] وهذا ما ذهب إليه أيضا الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر(Martin Heidegger) (1889-1976م) على الرغم من أنه ليس مهندسًا، إلا أن فلسفته حول "المكان" "والتواجد" ألهمت العديد من المعماريين للتفكير بطرق جديدة، حول تصنيف العمارة ووظائفها فهو يرى أنّ الهندسة المعمارية تتجاوز وظيفتها النفعية البسيطة لتصبح المكان المميز الذي يتم فيه الكشف عن الوجود من خلال وساطة خاصة بين الإنسان وبيئته.[2]

مما سبق نلاحظ أن تصنيف العمارة عرف تطوراً عبر الزمن، ومع تطور فنون العمارة والغرض منها، كما أنّ الآراء اختلفت حول تقسيمها، إلا أنّ التقسيم التقليدي للعمارة يخدم بشكل جيد الدراسة التي بين أيدينا، رغم ما سجلناه من تداخل في وظائف بعض المباني المعمارية خلال العهد العثماني، فرضتها الحاجة فقد تم استغلال الحمامات كأماكن للإيواء، وتم استغلال الفنادق كمراكز تجارية، ولعبت بعض المساجد والزّوايا دور المأوى لطلاب العلم والغرباء أحيانا وهذا ما يؤكد فعلا أنّ تصنيف العمارة يتطور وفق الحاجة، فلا نجد اليوم فنادقا تلعب دور المراكز التجارية، كما أن المساجد الآن أصبحت لا تأوي طلاب العلم باستثناء القليل منها، وأصبحت الحمامات مكان للاغتسال والترفيه وتخلّت عن وظيفة الإيواء عدا بعض الحالات الاستثنائية.

أولا: عمارة المباني السّكنية:

1-عمارة القصور بالجزائر خلال العهد العثماني.

لعبت العمارة والفنون الإسلامية خاصة المشرقية دوراً هاماً في إرساء قواعد فن العمارة في المغرب الأوسط، ولقد ساهم التّقارب الذي حصل بين العُدوتيْن(المغرب والأندلس)، في حدوث تمازج بين مختلف الفنون المعمارية.[3] كما أنّ الأحداث التاريخية التي مرّت بها حواضر بلاد المغرب ساهمت في تشكيل

---

[1]- وليد موسى محمد متولي، «دراسة اتجاهات العمارة البيئية لتطوير المنشأ البيئي»، مجلة التصميم والتراث ، مج04، ع24، ديسمبر2024م، جامعة حلوان (مصر)، ص45.

[2]- زهير الخويلدي، «التفاعل بين الهندسة المعمارية وأنطولوجيا الفضاء حسب مارتن هايديجر»، الحوار المتمدن ، المحور (الفلسفة، علم الاجتماع، علم النفس)، ع 8108، الصادر في 22/ 09 / 2024 ص 02. متوفر على الرابط https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=842947أطلع عليه يوم 21/ 03/ 2025 الساعة 20.00

[3]- رمزي فرشيشي، الطراز المعماري والفني لعمارة القصور بالمغرب الأوسط من العصر الزيري إلى نهاية العصر الزياني(04-10هـ/10-16م)- دراسة أثرية معمارية فنية-، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 02، 2002م، ص20.

شخصية معمارية وفنية للعمارة المغاربية خاصة عمارة القصور[1]. علاوة على ذلك فإن العثمانيين لم يدّخروا جهداً في جعل قصورهم بالجزائر لا تقل شأناً عن مثيلاتها في إسطنبول، وإن كانت زخرفتها تتميز بطابعها المحلي التقليدي، لذلك نجد أن عمارة القصور العثمانية في الجزائر مشابهة بشكل كبير لعمارة المساكن لدى العامة، مما يشكل نمط سكني موحد ساد الجزائر كافة، ويجسد مدى التماسك بين السكان والسلطة الحاكمة[2].

إنّ القصور التي شُيّدت في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني شملت المحيط العمراني للمدينة، وبالتحديد في مركز المدينة، وهذا ما شهدته مدينة الجزائر خاصة، كما أنّ باقي المدن الجزائرية؛ لم تعرف سوى نماذج معدودة من القصور ذات الطابع العثماني، على غرار قصر أحمد باي في قسنطينة الذي يُعدّ من النماذج الفريدة والغنية بالتّنوع، لكنه بني في مرحلة متأخرة، أما باقي القصور كقصر الباي بمليانة وقصر الباي في معسكر وقصر الباي في وهران فكانت أقل فخامة وحجما، كما أن معالمها اندثرت، ولم تذكر المصادر التاريخية المحليّة والأجنبيّة الكثير عنها، فكانت الدّراسات الأثرية هي السّبيل الوحيد للكشف عن حقيقة تلك القصور وإعادة إحياء مكوناتها وشكلها.

تنوعت القصور العثمانية في الجزائر من حيث الشكل والوظيفة حيث انقسمت إلى نوعين رئيسيين: الأول يقع داخل أسوار المدن والثاني خارجها؛ في مناطق الفحص.

النوع الأول: قصور الحكم الرّسمية، مثل قصر الداي بمدينة الجزائر وقصور البايات في عواصم البايلكات، وقد كانت تؤدي وظيفة مزدوجة؛ إذ خُصص جزء منها لإقامة الداي أو الباي وأسرته وخدمه، بينما استُخدم الجزء الآخر لمزاولة مختلف أنشطة الحكم والإدارة. كما شملت هذه الفئة قصورًا مملوكة لكبار موظفي الدولة وبعض التجار الأثرياء، والتي تشترك عمومًا في خصائصها المعمارية ووظيفتها الاجتماعية.

النوع الثاني: يتمثل في القصور السكنية الواقعة خارج أسوار المدن، والتي اتخذها الحكام كمقرات للراحة أو لقضاء العطل. وتمتاز هذه القصور باتساعها، وإحاطتها بحدائق غنّاء تضم أنواعًا متعددة من الأشجار، فضلاً عن تصميمها المعماري الذي يتيح فتح النوافذ على مختلف الجهات، مما يعكس الطابع الترفيهي والوظيفي لهذه المنشآت.

لم تذكر وثائق وعقود الأرشيف شيئا حول شكل القصور أو الأجزاء المشكلة لها في مدينة الجزائر وغيرها من المدن، باستثناء ما ورد حول قصر الداي أو بيت الداي في دفتر التشريفات[3]. ما جعلنا نعتمد

---

[1]– رمزي فرشيشي، المرجع السابق، ص66.

[2]– محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص12.

[3]- Tachrifat, op.cit, p18.

أكثر على ما توفر لدينا من مصادر تاريخية، وما توصلت إليه الدراسات السابقة خاصة الأثرية لأنّ الدراسات التاريخية حول الموضوع قليلة كما أننا خلال مدة البحث لم نعثر على المخططات التي اعتمدت في الإنجاز والتي قد تساعدنا بشكل جيد في معرفة أسلوب التخطيط والشكل الأصلي للمبانى، خاصة أنّ أغلب القصور التي خلّفها العثمانيون في مدينة الجزائر طالها التّخريب أو التّحريف من طرف المستعمر الفرنسي. لهذا سنحاول جاهدين استغلال المصادر التّاريخية لتشكيل صورة لما كانت عليه تلك القصور، قبل أن تطالها يد التحريف والهدم كما حصل مع دار الإمارة(قصر الجنينة)، والذي لم يعد موجودا اليوم. معتمدين في ذلك على أهم النماذج لأنّ القصور كثيرة خاصة بمدينة الجزائر.

1-1- القصور ذات الوظيفة المزدوجة: السّكن وإدارة الحكم.

توزّعت القصور في الجزائر خلال العهد العثماني عبر عدة مدن، حيث شكّلت مدينة الجزائر المعروفة آنذاك بـ"دار السلطان"، مركزًا هامًا لاحتضان عدد من القصور البارزة مثل: قصر عزيزة، قصر حسن باشا، قصر خداوج العمياء، قصر مصطفى باشا، دار الحمراء، دار عبد اللطيف، دار الإمارة وقصر الداي بالقصبة العليا، إلى جانب قصور أخرى داخل وخارج المدينة. كما شيَّد الباي محمد الكبير قصرًا في مدينة معسكر سمي دار الباي، وبنى الباي بوشلاغم قصرًا في مستغانم، فيما أنشأ البايات في كل من المدية وملیانة دوراً فاخرة. أمّا في قسنطينة فقد شيد الحاج أحمد باي قصرًا يُعد من أبرز المعالم المعمارية في المنطقة.

ورغم تنوع هذه القصور واختلاف مواقعها ومستويات بنائها، فإنها تتقاطع وتتشابه في تخطيطها العام ومظهرها المعماري، مع تباين واضح في التفاصيل الفنية والزخرفية، مما يمنحها طابعًا غنيًا ومتنوعًا يصعب الإحاطة به في دراسة محدودة مما جعلنا نقتصر على نماذج منها. ومن الملاحظ أن هذه القصور لم تكن متشابهة في الوظيفة؛ فبعضها اتخذ مقرًا للحكم، وبعضها الآخر خُصص لتسيير شؤون الدولة والعامة، بينما كانت بعض القصور ملكًا لكبار موظفي الدولة أو لتجار مرموقين، ما يعكس تعدد الأغراض التي خدمت بها هذه المنشآت المعمارية في سياقها التاريخي.

كان سكان مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية يطلقون على المباني الفخمة المصممّة على الطّراز المعماري الراقي اسم(دار) مثل: دار السلطان، دار مصطفى باشا، دار عزيزة، في حين لم يكن مصطلح (قصر) متداولًا بشكل واسع في الخطاب المحلي أو في الوثائق الأرشيفية الخاصة بمدينة الجزائر. ومع ذلك، تشير بعض المصادر الأوروبية المهمّة إلى هذه المباني باستخدام لفظ(قصر)، كما هو الحال في وصف نيكولاي لدار الإمارة(قصر الجنينة)، حيث أطلق عليها اسم "**القصر الملكي**"، وكذلك ديغو دي هايدو الذي

وصفها بـ"**الدار الملكية لباشوات الجزائر**"، ممّا يدل على مكانتها المعمارية والسياسية كانت ترقى إلى مستوى القصور الفخمة. وقد تبنّى عدد من الباحثين المعاصرين مصطلح القصر في دراساتهم لهذا النوع من المباني، ومن بينهم الطيب عقاب، الذي اعتمد لفظة "قصر" في توصيف تلك المنشآت.

تعد القصور الجميلة من أهم المظاهر المعمارية البارزة في مدينة الجزائر، والتي بنيت على فترات زمنية متفاوتة تقع أغلبها قرب دار الإمارة التي يطلق عليها اسم(**قصر الجنينة**)، بالقرب من ساحة الشهداء وما جاورها(حالياً)، قبل أن ينقل الداي علي خوجة(1817-1818م) مقر الحكم إلى القصبة العليا سنة1817م، باستثناء قصر "الدّار الحمراء" الذي يتواجد بالقرب من "قصور رياس البحر" في حصن الثالث والعشرون اليوم ومن بين أهم هذه القصور وأجملها: قصر حسن باشا وقصر مصطفى باشا وقصر الجنينة(دار الإمارة) ودار خديوج العمياء ودار السلطان بالقصبة العليا، إضافة إلى قصر أحمد باشا وقصر دار الصوف[1].

لقد قدم لنا محمد الطيب عقاب في كتابه قصور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة وافية حول عدة نماذج حدد مكانها استنادا إلى دار الإمارة (قصر الجنينة) في المركز السفلي لمدينة الجزائر كما يلي: نجد في ساحة بن باديس اليوم قصر عزيزة مجاوراً لقصر الجنينة وقصر حسن باشا قرب مسجد "كتشاوة" وغير بعيد عن قصر حسن باشا يقع قصر مصطفى باشا وباتجاه هذا القصر نجد قصر خديوج العمياء وهو اليوم متحف للفنون الشعبية.[2]

1-1-1- دار الإمارة (قصر الجنينة)

يذكر ألبير ديفولكس أن السلطات الفرنسية هي من أطلقت عليه اسم(قصر الجنينة)، أما السكان المحليون فكانوا يسمونه دار السلطان، وفي وثائق الأرشيف والمخطوطات استخدم اسم دار الإمارة[3]، فقد ورد ذكره في مخطوط قانون الأسواق لعبد الله الشويهد باسم "دار الإمارة".[4] بنيت دار الإمارة على مراحل مختلفة، كان بدايتها قبل فترة التواجد العثماني في الجزائر، حيث يذكر هنري كلاين(H. Klein) أنّه كان مقراً لإقامة "سالم التُّومي" وتمت توسعته في فترة حكم صالح رايس(1552-1556م)، ودار الجنينة حسبه من أقدم المباني في مدينة الجزائر بعد الجامع الكبير الذي بني في عهد المرابطين أما عن موقعه في الفترة العثمانية،

---

[1]- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص32.

[2]- المرجع نفسه، ص32.

[3] -Albert Devoulx, El Dja air Histoire d'une Cité d' Icosium a' Alger Edition critique présentée par: Badr edine Belkadi , Moustapha Ben Hamouche, ENAG. Alger, 2003 p 243.

[4]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق...، المصدر السابق، ص05.

فكان في مركز المدينة، وتحيط بها معظم المرافق الإدارية، مثل: بيت المال ودار السّكة وبيت البلوكباشي؛ مقر إقامة كبار ضباط الانكشارية، والمحكمة الشرعية، كما هو موضّح في **الصورة رقم(01)**، وبقيت الدّار مقراً للحكام العثمانيين حتى سنة 1818م.[1]

الصورة رقم (01): لوحة رُسمت مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، تمثل ساحة دار الإمارة التي تحيط بها المباني الادارية والقصر هو المبنى الذي في الواجهة به منارة



المصدر:Henri Klin, Feuilles d El –Djezair Tom 02, p131

كانت قصور الحكام المسلمين في الغالب تُبْنى بعيدة عن مركز المدينة، لتفادي القلاقل والاضطرابات، وهذا تقليد درج عليه الخلفاء والأمراء والسلاطين منذ العصور الإسلامية الأولى، واستمرّ الحال عليه حتى في عهد الدولة العثمانية لكن، دار الإمارة في مدينة الجزائر تشكل استثناء، ما جعلها تشهد بعض الاضطرابات،[2] الأمر الذي جعل الداي علي خوجة، يأمر بنقل مقر الحكم إلى حصن القصبة، في أعالي مدينة الجزائر سنة 1817م. لم يعدد لقصر دار الإمارة المعرف بـ(الجنينة) وجود مادي اليوم إذْ أُزيل خلال الفترة الاستعمارية

[1]– لطيفة بوراية، «تهديم الفرنسيين دار الإمارة (دار الجنينة) بمدينة الجزائر»–دراسة تاريخية أثرية–، مجلة آثار، مج11، ع02، ص193.

[2]– علي بوتشيشة، «المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني(دراسة في عناصره المعمارية)»، مجلة الدراسات الأثرية، مج،19 ع01، 2021م، ص90.

غير ان هندسته المعمارية يمكن استجلاؤها من المصادر التاريخية التي وثّقَتْ ملامحه[1]؛ يُعدُّ وصف نيكولاي دي نيكولاي(Nicolas de Nicolay) مبعوث الملك الفرنسي هنري الثاني أقدم الأوصاف التي وصلتنا عن القصر، وذلك وإثر زيارته لمدينة الجزائر سنة 1550م. والتي سمّاها القصر الملكي[2].

يصف دي نيكولاي القصر قائلا: "**واتجهنا إلى القصر الملكي، الذي يقع بوسط المدينة، فدخلنا إلى حديقة القصر ثم انتقلنا إلى حديقة أخرى أصغر من الأولى يتوسطها حوض صغير مربع الشكل، حوله دكّات مبلّطة بالبلاطات الخزفية، وفي نهاية الجدار عين مبلطة ببلاطات من الخزف، وفي نهاية هذه الحديقة من ناحية الجنوب عين جدارية مشتركة للمنزل، وفي احد أركان القصر درج خشبي، يفضي إلى رواق طويل مدعوم بأعمدة من مختلف أنواع الرخام وأخرى من الحجر الأبيض،... وفي منتصف الرواق يجلس الباشا على مقعد منخفض منقوش، مرتديا رداء طويلا مصنوعا من القماش الدمشقي، مع تولبان كبير فوق راسه ويمسك عصى فضية طويلة بيده.**"[3] رغم دقّة الوصف الذي قدّمه نيكولاي إلّا أنّنا نعتقد أنّه غير كافي، حيث أنّه لم يذكر كل تفاصيل القصر وبالتالي من الممكن أنه لم يرى سوى الممر الذي يؤدي إلى مجلس الديوان أين كان يجلس الداي، لكنّه من حيث القيمة التاريخية يعد أقدم وصف وصلنا عن القصر.

كما أضاف لنا الأسير الإسباني ديغو دي هايدو بعض المعلومات التاريخية، في وصف دار الإمارة في حدود سنة 1578م وسماها " الدار الملكية لباشوات الجزائر" يذكر قائلا: "**كان هناك أيضا دور رائعة مثل الدارّ الملكية، وهي مكان إقامة الباشوات يفتح على ساحتين كبيرتين، قطر كل واحدة ستة وثلاثين قدما وكلاهما مرصوف بالأجر، وتحيط بهما أروقة ذات أعمدة من الأجر حسنة التنفيذ، وشديدة البياض نرى الكثير من الغرف، في الطابق العلوي كبيرة وصغيرة، كلها مبنية بشكل جيد بعضها، مكسو بألواح الخشب من البلوط الجيد، ومزينة بلوحات مغربية وتركية، لا نرى أي شكل بشري بل فقط رسومات جميلة للزهور**

---

[1]– **ملحق(02)**: صورة تمثل واجهة مبنى دار الإمارة(قصر الجنينة)، ألتقطت الصورة مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهي توضّح تفاصيل المبنى من الخارج بشكل جيد .

[2]– إلى جانب ما ورد ذكره في المصادر المختلفة، عن الدّار هناك صورة رسمها الكسندر جيني (Alexandre Genét)، وهو من أبرز العسكريين المهتمين بالرّسم، وينتمي إلى فرقة الرّسامين العسكريين التي قَدِمت مع الحملة الفرنسية 1830م، قامت الفرقة برسم عدة لوحات، تم إرسالها إلى وزارة الحربية الفرنسية، وتم عرض هذه الرسومات ذات الأهمية التاريخية في عدة معارض بفرنسا، سنتي(1838–1839م) وفي معرض(1844م). عُرضت عدّة رسومات تمثل جزء هام من مدينة الجزائر، منها قصر الجنينة وجامع السيدة،...راجع: لطيفة بوراية، تهديم الفرنسيين دار الإمارة...، المرجع السابق، ص196–197.

[3] - Nicolas de Nicolay, Dauphinois, Les quatre premiers livres des navigations et pérégrinations orientales, première édition, Guillaume Roville, Lyon - France, 1568, p13- 14.

والنباتات، كل هذا قام به المسيحيون، لأنني لم أر قطّ أو أسمع أن تركي أو موري، من العاصمة الجزائر قام بالرسم. فيه حديقة جميلة بالرغم من صغرها...[1].

قدم لنا ديغو دي هايدو وصفاً دقيقاً لبعض التفاصيل في دار الإمارة، لا سيما فيما يتعلق بشكل الغرف والزّخارف المنفذة في الأسقف. غير أن نسبه لهذه الزّخارف إلى الرسامين المسيحيين يثير بعض التساؤلات، رغم تأييد عالم الآثار الفرنسي أدريان بربروجر(A. Berbrugger) لقوله. مؤكداً أن سجون الجزائر كانت تَكتظُّ بالمسيحيين الذين برعوا في مختلف الفنون، ومن بينهم الرسام الايطالي فيليبي ليبي (Philipi Lipi) ومع ذلك، فإن قوله يظل محل نظر، خاصة وأن هايدو نفسه يصف الزّخارف بأنها نباتية، منفذة بأسلوب مغاربي وعثماني، وهو ما يتناقض مع الطابع الفني الذي اشتهر به الرسامون والنحاتون المسيحيون، والذين غالبًا ما تميزت أعمالهم بتمثيل الأشخاص والتماثيل المجسّدة. وحتى وإن افترضنا أن بعض المسيحيين قد ساهموا في تنفيذ الزخارف النباتية، فإن مستوى الدقة والجمال الذي يصفه هايدو يثير الاستغراب، وعليه، فإن نسب هذه الزخارف إليهم وحدهم يحتاج إلى تدقيق، في ظل غياب أدلة مادية مباشرة تثبت قوله.

يقع قصر دار الإمارة يقع في مركز الواجهة بالنسبة للمدينة، مقابل المدخل الرئيسي وهو قصر واسع محيطه حوالي مائتي قدم طولا وأربعين قدم عرضا(60.96 م طولاً و12.19م عرضاً) أي أنّ مساحة حوالي سبعة مئة وثلاثة وأربعون 743.58 متر مربع، أمّا مدخل القصر فيتخلله رواقان بالأقواس تدعمها الأعمدة الرّخامية، التي تمتدّ على طول عرض البناية بكاملها، وفي الخلف توجد قاعدتان واسعتان حيث يجتمع الديوان ثلاث مرات في الأسبوع، كما أشار أن البناية تخلوا من الطّراز الأوربي، وكان بها مجموعة كبيرة من المرايا والسّاعات الحائطية والأسلحة ومختلف الأنواع من الزّاربي على الأرض والحيطان، كان يتقاسم الضخامة الشرقية مع أمهات الأقاليم في إمبراطورية العثمانيين الإسلامية[2].

أمّا عن الوصف الذي قدمه البير ديفولكس فقد كان الوصف الأكثر دقة حيث كان محافظ الأرشيف العربي لإدارة أملاك الدولة بمدينة الجزائر في فترة الاحتلال بداية من 17 نوفمبر1876م، اعتمد في وصفه على المخططات المعمارية،[3] التي وضعتها السلطات الفرنسية قبل أن يتم تهديم القصر سنة 1856م. اعتمد

---

[1]-Fray Diego De Haödo, Topographie …, Op.cit., p111-115.

[2]– وليام سبنسر، المرجع السابق، ص57–58.

[3]– **ملحق(03):** اعتمد البير ديفولكس في وصف القصر على مخططين وضعتهما السلطات الفرنسية مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر. مخطط(01) يمثل الطابق الأرضي للمبنى والمخطط(02) يمثل الطابق الأول أما المخطط (03) فهو يمثل الطابق الثاني، للاطلاع على المخطّطات راجع: قائمة الملاحق الصور مأخوذة عن:

– Albert Devoulx, El Djazair Histoire…, op. cit, p p.249–251.

ديفولكس كذلك على ما سجله من ذكرياته الشخصية، خلال مشاهداته المتكررة للقصر بدوره ديفولكس قلّل من شأن القصر، ومن الهندسة التي بني بها بقوله:" **لم يكن لدى البلدة الفقيرة أي فكرة عن القصور، وهذا المبنى لم يكن شيئا، سوى سكن عادي يتداول فيه الدايات السلطة، هذا النصب سماه الفرنسيون قصر الجنينة، ويسميه السكان المحليون دار السلطان، وتسميه الوثائق الأرشيفية دار الإمارة، ضعف هذا المبنى الذي زرناه عدة مرات، وسأقوم بوصفه وفق المخططات التي لدينا وما شاهدناه**" ، ويذكر أن المبنى عبارة عن خليط من الزوايا والأركان والسلالم والقباب والغرف الصغيرة والممرات والمنافذ، التي يصعب تحليلها لكن يمكن تلخيص القول فيما يلي: يتشكل القصر من عدة أجزاء

–**بيت مغربي:** واجهته الرئيسية شرقية إضافة إلى رواق ثلاثي ملحق لهذا المبنى اتجاه الشمال يشكل واجهتين وحديقة صغيرة ويتشكل من طابق أرضي وطابق أول وثاني مزود بشرفة مثل كل البيوت الجزائرية ارتفاع المبنى(20م) وواجهة المبنى خالية من أي زخرفة. أما الواجهة الجنوبية من المبنى تتكون من ثلاثة أروقة متراكبة(17م) ومزينة بالخزف وستة أروقة بيضاوية بفتحة(1.90م) مدعمة بأعمدة حجرية بسيطة وكبيرة في الطابق الأرضي يمثل الرواق المطل على الحديقة ناحية الشمال الواجهة الرئيسية للقصر. الجزء المخصص للسكن به مجموعة من الغرف المُقبَّبة. كما هو الحال في العديد من البيوت الجزائرية هناك ملحق للمبنى يمثل:

– **مسكن الباشا:**(الدَّويرة) وهو دار صغيرة بها صحن مربع تقريبا أبعاده ستة أمتار(06م) من كل جانب به ثلاثة أروقة عرضها(1.60م)، تحملها أربعة وعشرون(24)عموداً، الغرف في المبنى مفتوحة على الأروقة وهي طويلة وضيقة، وفي الأعلى يتكرر نفس التقسيم وهي تطل على طريق باب عزون، أماعن زخارف سقف الغرف كلها منفذة على خشب الصنوبر، ومزخرفة بنقوش فنية تركية ومغاربية لا تحمل أية رسوم سوى الزخارف النباتية[1]. كما هو موضّح في **الصورة رقم(02).** القصر به نقشان يشران الى تعديلات أُجريت عليه. **النقيشة الأولى:** على مدخل الباب الداخلي للقصر يشير الى تعديلات تمت سنة 1042هـ/ حوالي(1632–1633م) بأمر من حسن باشا الذي حكم للمرة الثانية(1630–1634م) نصها: "**حسين باشا المفتدا. وزير خنكار العمد// بوفف عسكر هذا. امر موسى المفتد// تجديد فمع للعدا. في باب سلطان البلد//وحياته مجددا.بي طالع ينبي الحسد// تاريخه خير هدا. بقل هو الله احد//. وهو ١٠٤٢.**[2]

[1]- Albert Devoulx, El Djaz air Histoire…, Op.Cit, p 198.

[2] - Gabriel Colin, Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie, Ernest Leroux Edition, Paris, 1901, p40.

النقيشة الثانية: مكتوبة بالعثمانية تشير إلى أن علي باشا الذي حكم(1811- 1815م) أمر بتجديد باب القصر على يد المعلم أحمد محمود نصها: **"صاحب صدرات على باشا ممجّد . ايده عون خدا دائم مؤايّد // ايدوب همّت عالي بذل قدرت. بو باب دولتى قلدى مجدد // اچلدقچه قبانسين عين اعدا . بحقّ حامد مولاه محمود احمد // ديسون ناظرنة اولنلر ما شا الله . زهى درگاه عالى مشّيد //١٢٢٦"**[1].

يذكر ديفولكس كذلك أن قصر الجنينة هو الدار الوحيدة في المدينة التي كانت تحتوي على حديقة جميلة هُدم القصر سنة 1856م من طرف السلطات الفرنسية كما كان يمكنها الاحتفاظ به.[2]، يجب أن نشير هنا إلى أنّ ضيق مساحة الدور داخل أسوار المدينة منعت من إنشاء حدائق كبيرة، على عكس الدّور خارج الأسوار والتي كانت بها حدائق وجنان كبيرة، وبها نباتات وأشجار متنوعة.

الصورة رقم(02): الزّخارف المنفّذة في سقف دار الإمارة(قصر الجنينة) بمدينة الجزائر.



المصدر: بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر...، ص 241.

لقد قام الفرنسيون مع بداية الاحتلال بنهب القصر، وسرقة حجارة الرخام وبلاطات الزّليج التي كانت تزينه، ربما يكون الجشع والطّمع دفع بهم إلى الاعتقاد أنّ القصر قد يحتوي على كنوز مدفونة وبالتالي دعم فكرة هدم القصر بحجة أنّه عديم النفع، حيث يصف حمدان خوجة كيف تعرضت دار لأحد أقربائه إلى

[1] - Gabriel Colin, Op. cit, p192.
[2] -Albert Dévoulx, El Djazair Histoire…, op.cit. p 252-253.

التّخريب وكانت داراً أنيقة البناء ولما أصبحت ضمن الاملاك المحتلّة عسكرياً ولما رأى بعضهم تلك الزّينة ظنوا أنّ الدّار تحتوي على كنز دفين، وهكذا سارعوا الى الحفر والنّبش في الأرضيات وتهديم بعض الحيطان ولمّا لم يجدوا شيئا باعوا كل المواد التي لها ثمن[1].

يصف لنا عالم الآثار الفرنسي بربروجر ما حدث من إهمال وتخريب للقصر على يد الفرنسيين؛ فقد خصص مقالاً كاملاً عن وضعية دار الإمارة نشره في "**جريدة الخبر الجزائرية**" **(journal Alkhbar l'Algérie)** والتي كانت تصدر خلال فترة الاحتلال الفرنسي في عددها لسنة 1854م[2]، كما أشار في مقاله أنّه يجهل حقيقة تاريخ بناء القصر، واعتمد في وصفه على ما ذكره نيكولاي دي نيكولاي وديغو دي هايدو، لكنه على عكس البير ديفولكس لا يقلّل من الجماليات الفنية للقصر فيقول:" **يوجد في مدينة الجزائر معلم، يأتي بعد الجامع الأعظم في تاريخ بنائه، الذي كان خلال فترة ثلاث قرون مقرا لحكام هذه البلاد، ومسرحا رئيسيا للأحداث السياسية طيلة الحكم العثماني، وأنه لا يخلو من بعض الجماليات الفنية،.... حتى اندلعت حريق وأتت ألسنته على هذا المعلم القديم، الذي ترك جروحا عميقة لم تنشف بعد، والأكيد أن بعض جامعي التحف الفنية، كالبلاطات الخزفية والرخام ودرجات السلم، لما استعصى عليهم نزع تلك التحف قالوا: أن الجنينة ماهي إلا خراب لابد من هدمها.**[3]

1-2-2-قصر الداي في القصبة العليا

هو القصر الذي شهد حادثة المروحة بين الجزائر وفرنسا 29 أفريل1827م، والتي اتَّخذت منها فرنسا ذريعة لإعلان الغزو على الجزائر. يقع القصر في أعالي مدينة الجزائر من ناحية الجنوب، داخل حصن القصبة[4]. يظهر موقع حصن القصبة في أعالي مدينة الجزائر بشكل جيد في **الصورة رقم(03)**. القصر يقع داخل الحصن و يتربع على مساحة(2118م²)، وهو يتمركز في الجهة الشمالية الغربية من القلعة[1].

---

[1]- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (ANEB)، الجزائر، 2006م، ص264.

[2]- من خلال مضمون المقال يتّضح أنّه جاء احتجاجا على قرار هدم السلطات الفرنسية لقصر الجنينة، والمقال باسم جمعية أصدقاء الفن المعماري الجزائري، كما أنّ المقال أُعيد نشره في المجلة الإفريقية سنة 1871 نظراً لأهميته...، للاطلاع على محتوى المقال راجع: لطيفة بوراية، تهديم الفرنسيين قصر الجنينة...، المرجع السابق، ص199.

[3]- Adolphe Adrien Berbrugge, «La Jenina». Journal Akhbar de l'Algérie, n°16, jeudi 7 septembre 1854: نقلا عن

--لطيفة بوراية، تهديم الفرنسيين قصر الجنينة... المرجع السابق، ص199.

[4]- قلعة القصبة هي أول حصن بناه العثمانيون بمدينة الجزائر في أعالي القصبة، أمر ببنائها عرّوج بربروس في سنة 1516م، وأتم بناءها خضر باشا سنة 1591م، وهذا ما تشير إليه الكتابة الأثرية المنقوشة على الباب الخارجي للقلعة...، --

يعود تاريخ تشييد القصر وفقاً لبعض المصادر التاريخية، إلى فترة حكم مصطفى باشا(1596–1599م)، وقد خضع لاحقًا لعمليات توسعة وتجديد، خاصة خلال عهد الداي حسين، آخر دايات الجزائر. إلا أن تاريخ البناء يظل محل خلاف بين الباحثين، حيث يشير غابرييل كولان(Gabrie colin) إلى وجود نقيشة حجرية عند مدخل القصر مكتوبة بخط النسخ غير مؤرخة، لكنها تتيح إمكانية تحديد الفترة الزمنية التقريبية اذا أخذنا بعين الاعتبار عمر الحجر. واستنادًا إلى التسلسل الزمني للحكام الذين حملوا اسم مصطفى باشا، يُستبعد الحاكم الثالث (1621م) نظرًا لخصائص الحجر، كما يُستبعد الثاني المعروف بلقب "كوسة" لعدم ورود هذا اللقب في النقيشة، مما يُرجّح أن يكون القصر قد شُيّد في عهد مصطفى باشا الأول(1596–1599م)، رغم غياب دليل قطعي يؤكد ذلك. [2] غير أن محمد الطيب عقاب يرى أنّ القصر على ما يبدو قد بناه الداي حسين قبل أن يصبح حاكما للجزائر عندما كان خزناجياً(1817–1818م).[3]

الصورة رقم(03): خريطة تبين موقع حصن القصبة في محيط مدينة الجزائر.



المصدر: لطيفة بوراية، قصر الداي بالقصبة العليا...، ص 166.

--- للمزيد راجع:.H. Keline, Op. cit, P19 ، غير أن علي خلاصي يرى أن تاريخ 1516م ليس له أي سند تاريخي، لأن الدّلائل الأثرية التي تشير أن مواد البناء المستعملة، ونمط البناء وغيرها، تثبت أن القلعة بنيت في النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي والقلعة حسبه مرت بأربع مراحل ترميم كبرى، بداية من(1516 إلى 1962م) استناداً إلى المواد المستخدمة وأنماط البناء والأدلة التاريخية، .... وتظم قلعة القصبة قصر الداي ومرافقه، وقصر البايات وقصر الآغا وأجنحة خاصة وحمّامات، ... للمزيد راجع: علي خلاصي، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ والأثار، جامعة الجزائر 1989م، ص27–29.

[1]– لطيفة بوراية، مباني قلعة الجزائر...، المرجع السابق، ص175.

[2] - Gabriel Colin, Corpus.., p30- 31.

[3]– محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر... المرجع السابق، ص36.

لقد تسبّبت الاضطرابات التي عرفتها الفترة المتأخرة للحكم العثماني في الجزائر، في اغتيال العديد من الحكّام؛ فقرّر الداي علي خوجة[1](1817–1818م)، نقل مقَر الحكم من قصر الجنينة إلى قلعة القصبة،[2] في ضرف وجيز، يصف أحمد الشريف الزّهار تفاصيل عملية الانتقال وصفاً دقيقاً، وممّا يذكر أنّ الباي علي باشا أصدر أمرًا إلى قائد المدفعية (الطبجي) بتحصين القصبة وحمل المدافع إليها، ثم وجّه تعليماته إلى كبار "القشلات" بإغلاق أبواب المدينة عقب صلاة المغرب. ثم أمرٌ بإحضار أربعمائة(400) بغل، أُدخلَتْ إلى دار الإمارة، ثم أمر العبيد والعسكر والخدم بتحميل سلال الذّهب، والأثاث الفاخر، وأواني الذّهب والفضة، التي نُقلت جميعها على ظهور البغال. بعد ذلك، أمر الباشا بفتح أبواب دار المُلك، وخرج مخاطبًا سكان المدينة، معلناً عزمه على الانتقال إلى القصبة، طالبًا منهم المساعدة في تنفيذ ذلك، بهدف إنهاء الفتنة القائمة. وقد استجاب له الأهالي وشاركوا في عملية النقل، في مشهد يعكس التوتر السياسي والتحولات التي كانت تشهدها المدينة في تلك الفترة."[3] ويذكر القنصل الفرنسي بيار دوفال(Pierre Deval) في الرسالة التي بعث بها كتقرير إلى وزير العلاقات الخارجية الفرنسية في 28 ديسمبر 1819م أن الداي علي خوجة استخدم لنقل كنوز الخزينة الجزائرية ثلاثة مئة وخمسين(350) بغلاً.[4]

والقصر لم يعرف تردد الزّوار عليه بشكل كبير خلال الحقبة الاستعمارية؛ لأنه كان من أملاك مصلحة الهندسة العسكرية الفرنسية، كما كان السفير الإنجليزي الذي كان في مدينة الجزائر أيام الداي حسين قد دفع إيرادات تخص هذه الدار لفرنسا سنة 1830م، فهل معنى هذ أنّ القصر كان يقطنه السفير الإنجليزي.[5]

---

[1]– هو الداي **علي خوجة** بورصالي عين دايا سنة 1817م، حاول خلال فترة حكمه أن يقدم عدة اصلاحات إلا أنه أُصيب بالطّاعون وتوفي بعد عام من توليه الحكم سنة 1818م. خلفه للداي حسين. راجع: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص265.

[2]– **ملحق(04)**: وضع أحد الجنرالات الفرنسيين أول مخطط لقلعة القصبة والمرافق التابعة لها، وقد نُشر لاحقًا على يد المؤرخ الفرنسي (J. T. Merle) سنة 1830م. ورغم بساطة هذا التخطيط، فإنه يقدم صورة واضحة عن المباني والمرافق المختلفة التي كانت تضمها القلعة قبل أن تُجري السلطات الاستعمارية الفرنسية أي تعديلات عليها. راجع نسخة هذا المخطط في قائمة الملاحق تحت عنوان: مخطط القصبة لسنة 1830. نقلا عن:

-J.T. Merle, Anecdotes: Historiques et politiques pour servir à l'historique de la conquête d'Alger en 1830, G.A. Denty. Paris, 1831.

[3]– أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص132–169.

[4]– فريد بنور، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر(1782– 1830م)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص538.

[5]– محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص36.

يتشكل القصر من طابقين يمثل الطابق السفلي القسم الإداري من القصر، به صحن تلتف حوله الأروقة بمعدل رواق من كل جهة عدا الجهة الغربية التي بها رواقا ثانيا، وخلف الأروقة تتوزع الغرف منها قاعات خاصة بالحرس. كما هو موضّح في **الصورة رقم(04)**.

أمّا قاعة الاستقبال والاجتماعات فتقع في الجهة الغربية، كما نجد قربها غرف الخزينة ويبلغ عددها خمسة. يوجد في الطابق العلوي قاعات تلتف حول صحن استعملت لأغراض مختلفة، أمّا جناح الدّاي فهو ملحق بالقصر يشبه الدّويرة، يتكوّن من ثلاث طوابق مدخله من الجهة الجنوبية الشرقية، تحدُّه الحدائق وحمام الدّاي مخصص كذلك لإيواء الداي و للحريم والخدم . كما أنّ الجزء الذي كان يسكنه الداي من قبل يعلوه رواق خشبي مغطى بالقرميد، وهذا الرواق يشرف على القصر والمدينة بأكملها، وهو جميل جداً و مزين برسوم ونقوش تنم عن ذوق رفيع وهو المكان المُعدّ لنزهة الداي، أما الصّيوان الموجود على اليمين هو المكان الذي استقبل فيه الداي حسين القنصل الفرنسي بيار دوفال في حادثة المروحة الشهيرة[1].

الصورة رقم(04): لوحة تمثل رواق قصر الدايات بحصن القصبة.

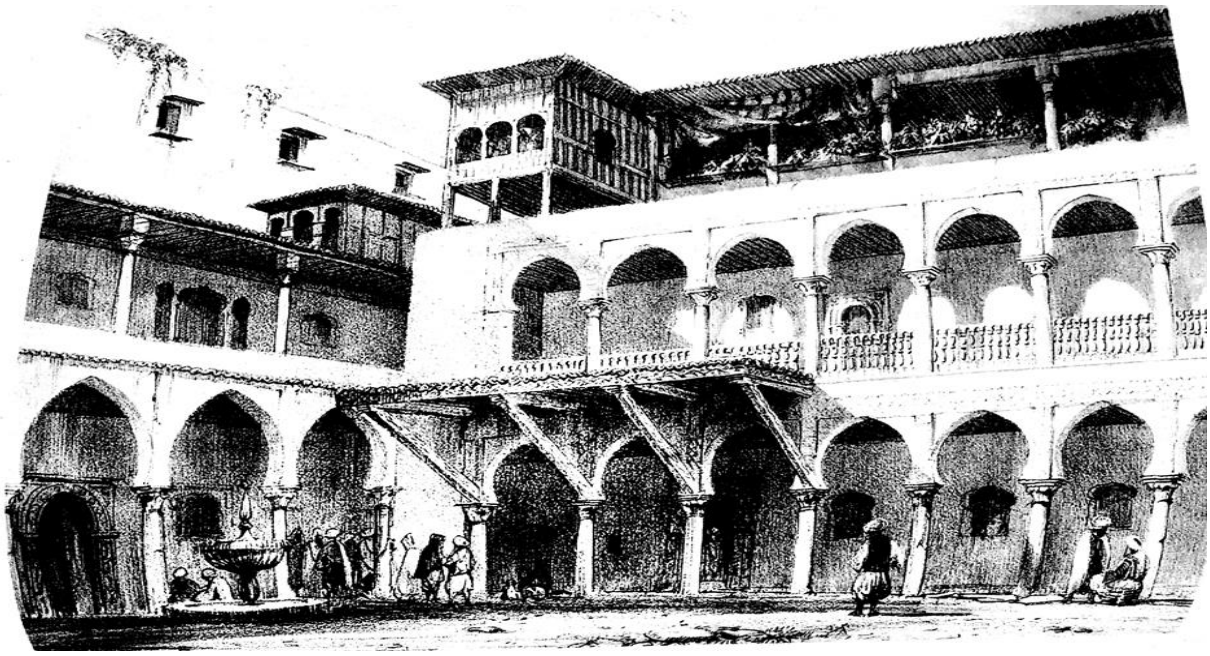

المصدر: E. Lessore, W. Wyld, Voyage pittoresque dans la régence d'Alger, pla 41.

في كتابه: **اثنا عشرة سنة في الجزائر**(Douze ans en Algérie)، عبّر الطبيب والمؤرخ الفرنسي بافو (Bavoux) عن إعجابه الكبير بالقصر الذي كان يقيم فيه الداي في مدينة الجزائر، وخصّ بالذكر

[1]- E. Lessore, W. Wyld, voyage pittoreque regence D'Alger, publié et imprimé par: charles motte, paris, 1835, pla47.

جمال الإقامة الخاصة به وتنظيمها الداخلي .هذا الكتاب يُعد من المصادر المهمة التي توثق الحياة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الأولى، ويقدم مشاهدات شخصية من بافو الذي عاش هناك بين عامي (1830 و1842)، يصف فيه كذلك الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م بشكل مفصل، لا يخفي بافو دهشته من جمال القصر قائلا: " **ولما دخلنا القصر لأول مرة وجدنا انفسنا في مبنى يتميز بالأصالة وبألوانه المبهرة والمتنوعة كان يتألف من غرف متعددة أصغر أركانها مفروشة بأثاث فاخر يدل على الثراء** ..."[1]. كما يصف الهندسة المعمارية للقصر، وبعض ملحقاته في قلعة القصبة قائلا: " **يمكن لبعض أجزاء القصبة مثل المسجد وفناء الديوان وشقق زوجات الداي أن تعطي فكرة دقيقة عن العمارة المغاربية فقد كان هناك في كمكان وفرة من الزخارف والقوالب المتنوعة والأروقة الجميلة والأعمدة المتنوعة الملتوية والأسطوانية**"[2].

1-2-3-قصر أحمد باي بمدينة قسنطينة

لا توجد معلومات كثيرة عن مقر حكم بايات قسنطينة؛ إلاّ أن بعض الدراسات تشير أنه كان مبنى يقع بوسط المدينة، على حافة ساحة أول نوفمبر حاليّاً أو ما يسمى "بساحة لابريش" قبل أن يتم تحويله إلى مخزن للشَّعير، ثم تَمَّ هدمه من طرف السلطات الفرنسية[3]. كانت هذه الدّار بمثابة المقر الذي يزاول منه بايات قسنطينة مهامهم. الاّ أنه يجهل تاريخ بنائها. فقد ورد في بعض النصوص التاريخية أنها كانت قائمة على عهد صالح باي، وتعرّضت للتوسعة والتجديد في سنة(1208هـ/1794م) على عهد الباي حسين "بوحنك"(1792-1775م) الذي ورد ذكر اسمه في نقوش على اللوحة التَّأْسيسية التي عُلقت في الدار[4].

أمّا آخر بايات قسنطينة أحمد باي فقد بنى قصراً له اتخذ منه سكناً ومقراً للحكم، ويُعد أكبر وأجمل وأفخم القصور التي بنيت في قسنطينة خلال العهد العثماني، التي كانت تمثل عاصمة لبايلك الشرق، الذي يمتد من الحدود التونسية شرقا إلى بلاد القبائل غربا ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا، كما يعد قصر أحمد باي[5] من أهم المعالم الأثرية في مدينة قسنطينة، يقع في الشمال من جامع سوق الغزل، وله

---

[1]- Dr. Bonnafont, Douze ans en Algérie 1830-1842, Librairie de la société des gens de lettres, Paris, 1880, p77 .

[2]- Ibid, p 81.

[3]- بدر الدين شعباني، « مدينة قسنطينة في العهد العثماني-الأصالة والتراث-»، مجلة دراسات، مج11، ع01، 2020م، ص103.

[4]- عبد القادر دحدوح، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة...، المرجع السابق، ص234.

[5]- **الحاج أحمد باي:** هو أحمد بن محمد الشريف، تولى منصب باي قسنطينة من(1826-1837م)، عينه حسين باشا بعد الفساد الذي طال قسنطينة في عهد منماني باي (1824- 1826م) للمزيد راجع: محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في -

إطلالة على عدة شوارع وساحات عمومية، بناه أحمد باي آخر بايات قسنطينة بدأت الأشغال به في سنة(1241هـ/1826م) وانتهت في حدود سنة(1254هـ/1835م)[1]. شيد القصر فوق مساحة(5609 م²) في مكان منحدر[2]. أشرف على بناء القصر قايد الدّار[3] "الشيخ البجاوي" الذي وظف البنائيين المحلين المهرة بقيادة المعلم الحاج الجابري ويساعده بناء يدعى الخطابي يمتلك مهارة كبيرة اكتسبها من تجربته في تونس والإسكندرية[4].

حاول فندلين شلوصر (Wendelin Schlösse) أن ينقل صورة تفصيلية عن القصر والحياة الاجتماعية داخله خلال الفترة الممتدة بين سنتي(1825-1835م)، إلا أن بعض الأوصاف والوقائع التي أوردها على ما يبدو مبالغٌ فيها، مما يستوجب مقارنتها بالمصادر المعاصرة لتلك الحقبة من أجل التحقق من دقتها، خاصة فيما يتعلق بشخصية أحمد باي وعلاقته بالسكان ومحيط قصره.

وفقًا لوصف شلوصر، يتكوّن القصر من أربعة أجنحة مرتبة ضمن مربع مائل، خُصّص الجناحان الخارجيان منها كإسطبلات للخيول، بينما يشكّل الجناح الغربي المدخل الرئيسي المؤدي إلى غرفة الباي، التي تُستخدم كمجلس للقضاء واستقبال الزوار الأجانب. وتُغطى أرضيات الغرف السفلية بالأجر الأحمر، في حين تُطلى جدرانها بمادة حجرية لامعة. أما الغرف العلوية، فهي مزوّدة بألواح خشبية وتُفرش أرضياتها بزرابي عثمانية ملونة. في وسط القصر، توجد ثلاث حدائق مربعة الشكل، مفصولة عن بعضها البعض، ويُربط بينها بممرات داخلية. وتحيط بهذه الحدائق أرصفة من المرمر يتراوح عرضها بين (8 و12) قدمًا أي؛ ما يعادل تقريبًا(2.44 إلى3.66 مترًا)، وتُدعّم هذه الأرصفة بأعمدة جميلة مصنوعة من المرمر. كما يحتوي

--- حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، مرا وتح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص90.

[1]- عبد القادر دحدوح، «المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية»، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع13، 2013م، ص97.

[2]- عبد القادر دحدوح، التخطيط المعماري للقصور ...، المرجع السابق، ص152.

[3]- كانت وضيفة قايد الدّار من أهم الوظائف بالبايلك، حيث كان يتولى ادارة مدينة قسنطينة في غياب الباي، ويفصل في الخصومات والنزاعات التي تحدث بين الناس، وتخضع له شرطة المدينة ...، للمزيد راجع: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة(1826-1850م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص27.

[4]- بوعزة بوضرساية، الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848م، دار الحكمة، الجزائر، 2010م، ص119.

القصر على أبواب متعددة تُفتح على مختلف الجهات، إلا أن فتحها كان مقتصرًا على الباي نفسه، ما يعكس الطابع الرسمي والخصوصي للمكان[1] .

أمّا شارل فيرو(Charles Féraud) الذي كان يعمل مترجماً للجيش الفرنسي في قسنطينة 1855م، فقد وصف القصر وحدد تاريخ تشييده، معتمداً على شهادات السكان الذين عملوا فيه، وكذا شهادات بعض من كانوا في مناصب عليا في الدولة من حاشية أحمد باي، والنساء اللاتي عايشن حريم الداي وسكنوا القصر ذات يوم. وكذا استناداً إلى وصف هوراس فيرنيه(Horace. Vernet) أحد أشهر الرسامين الفرنسيين الذين زاروا قسنطينة في أوقات الاحتفالات[2].

يذكر فيرو أن الموقع الذي بني فيه القصر كان، به مجموعة من الدور الخاصة المرتبطة ببعضها البعض، وكانت عائلة الحاج أحمد باي تمتلك منزلين متجاورين في هذا الحي، ومقابل منزل أحمد باي كان هناك مبنى تعرض للإهمال؛ هو دار البَشْمَاتْ أو(دار المؤونة) كانت تُخزّن بها مؤن الانكشارية، فطلب الباي أحمد الذي كان يشغل منصب قائد العواسي تطهير محيط منزله، بنقل ملكية دار المؤونة و حصل عليها بسهولة، وقايضها بمنزل بسيط كان يملكه في مكان آخر. وقرب الرُّكام الذي في داره قام بزراعة أشجار البرتقال التي جلبها من ميلة، وأنشأ بها الحديقة التي نراها اليوم على يسار القصر، وبعد تعيينه باي سنة(1826م) وخلال رحلة الحج وإقامته في مصر، تأثّر الباي بنمط القصور في المشرق، ما جعله يفكر في إنشاء قصر يضاهي مكانته، ثم بدأ بنقل ملكية الدّور المجاورة لداره من خلال البيع والتّبادل ليوفر مساحة أكبر لقصره.[3]

---

[1]– فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي(1832–1837م)، تر وتق: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص76–75.

[2]– **هوريس فارنيه: هو** أحد أشهر الرّسامين الذين رافقوا الحملة الفرنسية على الجزائر، تخصص في رسم المعارك والمواضيع التاريخية، زار عدة مدن جزائرية ورسم عدة للوحات فنية توثق للحياة الاجتماعية في الجزائر، وصور للمعارك التي خاضها الفرنسيون أيام الغزو يصف قصر أحمد باي في أيام العيد حسب ما يتضح من الوصف....، حول شخصية هوراس فارنيه راجع:

- Joseph Carle, Horace Vernet, correspondance, biographies, par, Amédée Durande, paris,1863, p 96.

[3]- Charles Féraud, «visite au palais de Constantine», nouvau journal des voyages, Paris, 1877, p03-04.

أما عن تفاصيل بناء القصر، فهي كثيرة خاصة وقصر أحمد باي استغرق مدة في بنائه وتوقف[1] البناء به عدة مرات. إلا أنه بعد الانتهاء من البناء سعى إلى تزيين القصر بجلب أجود أنواع الرُّخام وفي هذا الصّدد يذكر شارل فيرو أن ل الباي ارسل إلى إيطاليا تاجراً للحبوب يُدعى(شيافينو) وكلفه بشراء الرُّخام وكل شيء يمكنه أن يزين به القصر. وكانت عملية نقل الأعمدة الرخامية من ميناء عنابة الى قسنطينة تتطلب الحذر لذلك خُصّص لها عدد كبير من الرجال، ليقودوا البغال التي تحمل تلك الأعمدة. وبعد عناء كبير وصلت الحمولة سالمة الى قسنطينة. أما عن التفاوت الموجود بين الزخارف المنفذة في القصر، يوعز شارل فيرو ذلك إلى العجلة في التنفيذ، ونفاذ مواد البناء حتى أنه يزعم أن أحمد باي دمر عدة دور جميلة في ضواحي المدينة، ونهب منها الطوب والرخام لتزيين قصره.[2]

لقد استعرض شارل فيرو في هذا النص الذي حاولنا أن نوجز فيه، تفاصيل وحقائق تاريخية كثيرة، حول كل ما تعلق ببناء قصر أحمد باي في مدينة قسنطينة، والطريقة التي وفر بها مساحة لمحيط قصره التي تحتاج إلى تدقيق وتثبت، خاصة حول ما قيل عن عملية نقل الأملاك والاستيلاء على الدّور، لكنه يكشف فعلاً عن بعض التفاصيل المهمة، حول مراحل تشييد القصر، والمواد المستعملة في البناء ومصدرها، وكذا مشاركة العديد من المهندسين وعمال البناء في تشييد القصر الذي يعد تُحفة معمارية.

تظهر تفاصيل القصر بوضوح في **الصورة رقم(05)** والتي تمثل جانب من الرّواق الداخلي للقصر واللّوحة تحمل توقيع الرّسام الفرنسي المشهور من أصل إيطالي(Hercule Louis Catenacci). الذي رسم عدة لوحات للقصر بالاعتماد على الصور الفوتوغرافية التي التقطها الفرنسيون. ونشرت اللّوحات في المجلة الفرنسية التي تصدر دوريا تحت عنوان: **"جولة حول العالم" .Le Tour du Monde** ضمن مقال لشارل فيرو يحمل عنوان: **"زيارة لقصر قسنطينة" (Visite au Palais de Constantine)**[3].

---

[1]– يذكر شارل فيرو أن القصر تم تعطيل البناء به لفترة، وبعد دخول القوات الفرنسية مدينة الجزائر سنة 1830م قال أحمد باي لجيرانه ".. **لم تقبلوا العروض التي قدمتها لكم لتعويضكم حتى أنكم كانت لديكم الجرأة لتشتكوا للداي اليوم ليس هناك باشا غيري وانا سآخذ بيوتك رغما عنكم.**" وعلى الفور قام الداي بهدم الدّور المجاورة للقصر وممتلكات المساجد (الأحباس) ثم ...أستدعى العمال لمواصلة عملية البناء، وبهذا استولى على ثمانية وعشرون 28 داراً وأربع04 متاجر وورشة نساجين، وعندما مهد الطريق استمر العمل بالقصر الذي ارتفع من جميع الجوانب، كما لو كان سحرا وهذا القصر الذي كان بنائه في الظروف العادي سيستمر إلى أجيال...، للمزيد راجع :

- Charles Féraud, visite au palais de Constantine…, 1877, p 04.

[2]- ibid, p 03-10.

[3] - Charles Ferro**,** «Visite au Palais de Constantine». Le Tour du Monde, vol. 34, no. 874, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1877, pp 225–256.

الصورة رقم(05) لوحة تمثل جانب من الرواق الداخلي لقصر أحمد باي بقسنطينة.

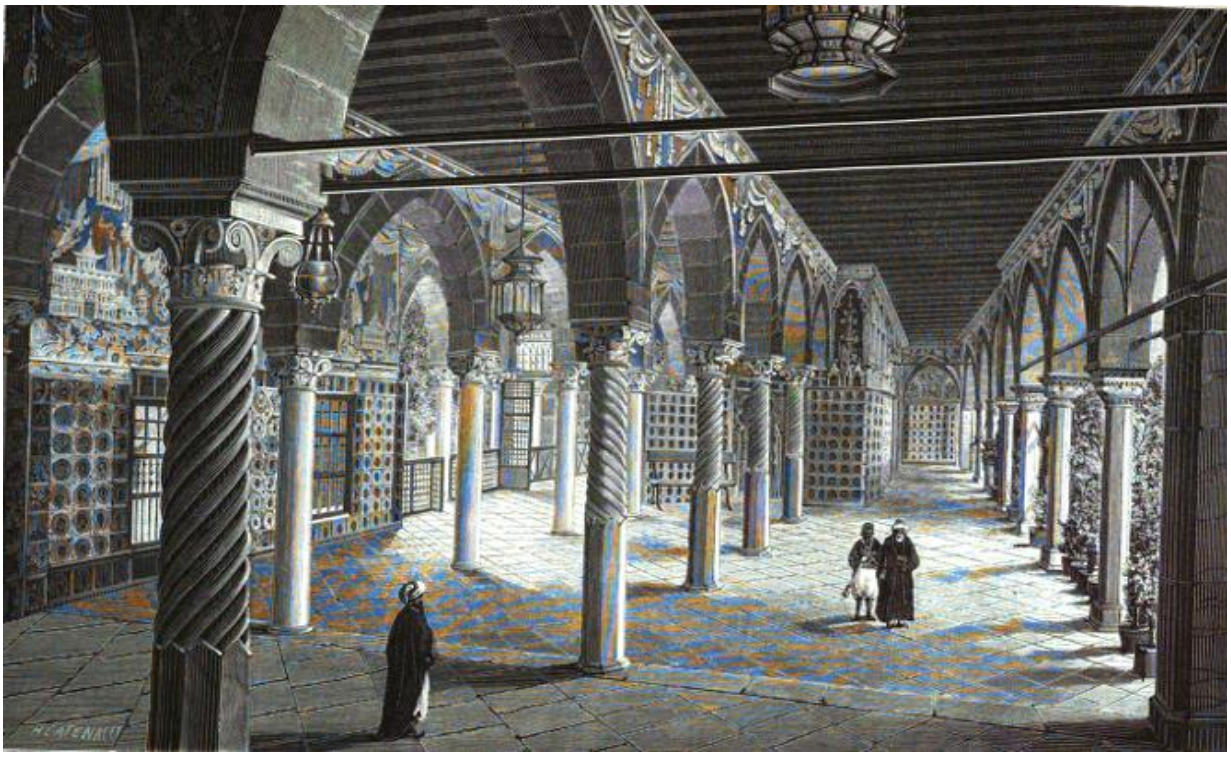

المصدر: Édouard Charton, Le Tour du Monde… , p 236.

أمّا عن تشكيل القصر وهندسته[1] فلقد لخص لنا الباحث عبد القادر دحدوح ذلك بشكل جيد حيث يذكر أنه: يتشكل من جهة الشرق من ثلاث طوابق، وفي ناحية الغرب من طابقين فقط. له مدخل رئيسي يقع في الجهة الجنوبية، تليه سقيفة منكسرة تؤدي إلى حديقة النخيل على يمين المدخل، أما على يسار المدخل مباشرة مع الرواق الغربي لحديقة النخيل ثلاثة أروقة متوازية مع الرواق السابق الذكر، يحدها من الناحية الشرقية كشك الباي؛ وهو بمثابة قاعة يتقدمها إيوان، ومن الناحية الشرقية جناح خاص بابنته فطومة، ومن ناحية الغرب حديقة البرتقال، وباتجاهها يوجد قسم للحريم وغرف للخدم، وباتجاه رواق النخيل يوجد حوض مائي بمساحة(105.5م²) بجوار حديقة البرتقال، كما تشير بعض النصوص التاريخية أنه كان مخصص لتربية الأسماك. والقصر كذلك يحتوي على محكمة و مسكن للنساء. ومكان خاص للغسيل، والقصر به جناحين لإقامة الباي جناح شرقي يقيم فيه في فصل الشتاء، وجناح غربي يقيم فيه في فصل الصيف، أما الطابق العلوي يحتوي على مرافق عدة، منها غرف الحريم، ومكان للغسيل، والطابق السفلي به إسطبل

[1] – **ملحق(05)**: مخطط الطابق الأرضي والطابق الأول لقصر أحمد باي في مدينة قسنطينة، يوضّح لنا هندسة وتخطيط القصر القصر بشكل جيد، راجع: الطاهر رحال، الحاج أحمد باي وقصره، وزارة الثقافة، منشورات الرجاء، قسنطينة،(الجزائر)، 2016م، ص87.

ومطبخ ومقهى وحمام الداي يَضمُّ القصر في المجموع اثنان وعشرون(22) غرفة وأربع ساحات، وقد زُوّد بأعمدة رخامية متنوعة وزُيّن بزخارف جصية بديعة وبلاطات خزفية ذات أشكال وزخارف متنوعة[1].

وفي الأخير وبعد عرض نماذج من القصور يمكن أن نستخلص من دراسة النموذج المعماري لقصر أحمد باي في قسنطينة ودار الإمارة(قصر الجنينة) في مدينة الجزائر، بأنّ قصور الحكم لم تكن مجرد مبانٍ إدارية ذات طابع سكني، بل كانت انعكاسًا لهوية سياسية وثقافية متميزة لكل منطقة. ففي قسنطينة، يظهر قصر أحمد باي كتحفة فنية متكاملة، حيث سعى الباي إلى إبراز مكانته من خلال هندسة تجمع بين البَذخْ الشرقي في المواد والزخرفة والدّقة المحلية، مع اعتماد مواد مستوردة عالية الجودة، ما يدل على رغبة لدى أحمد باي في التّعبير عن القوة والسلطة. أمّا في نموذج دار الإمارة بمدينة الجزائر فقد اتسمت بالبساطة، فجاءت هندستها أكثر تحفظًا، تخدم الوظيفة الإدارية لمقر الحكم المركزي، وتعكس تقاليد العمارة الإسلامية التي تميل إلى التّوازن والانسجام دون مبالغة في الزخرفة. هذا التباين بين النموذجين قد يكشف ربما عن اختلاف في تصور السلطة بين سلطة محلية ذات نفوذ شخصي في الشرق، مقابل سلطة مركزية أكثر مؤسساتية وغير مستقرة في غالب الأحيان بدار السلطان.

1-2-4-قصر الباي محمد الكبير بمدينة وهران

القصر اليوم يقع ضمن المجمع المعماري المسمى(القصر الجديد)، الذي يضُم أيضا البرج الأحمر والأبراج الإسبانية سابقا والقطاع العسكري ومنتزه ابن باديس والفندق. بعد تحرير مدينة وهران سنة 1792م وانسحاب الإسبان، اتَّخذ الباي محمد الكبير(1776-1796م) من قلعة القصر الجديد التي تتمتع بحصانة كبيرة مكاناً لبناء قصره؛ الذي يشرف على المدينة القديمة والجديدة في آن واحد، ويطل على الواجهة البحرية، ولقد أجمعت أغلب النصوص التي ورد فيها ذكر القصر، على أنّ الباي حمد الكبير هو من شَيّده بعد فتح وهران[2]. يصف ابن سحنون الراشدي تحرير الباي محمد الكبير للقلعة قائلا: " **إن الباي بنصر الرحمن السيد محمد بن عثمان لما استقل ب(وهران) قدمه جمع لسكناها الناس من كل مكان، فبعضهم باع له الأماكن، وبعضهم أقطع له أمير المؤمنين وثمن المبيع عمر به بيت مال المسلمين،... أمر بإلهام من الله تعالى بهد الأبراج الموالية للبر وهو (برج مرجاجو) وبرجا (رأس العين) الكبير والصغير وبرج الويز وبرج فراندوو وبرج كارلوس وأشباههم من الأبراج الموجهة للبر،... فإن الباي أبو الشلاغم لما فتحها عليها أولا ترك الأبراج بلا هدم ولما رجع ها النصارى وكان أول ضرر حصل على المسلمين من تلك الأبراج، فلذلك أمر**

[1]-عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة ...، المرجع السابق، ص ص97-98.

[2]-علي بوتشيشة، « قصر الباي محمد الكبير بوهران»، مجلة آثار، مج12، ع01، 2014م، ص178.

بهدمها، وبنى بالموضع الذي تقف به فرسه عند الباب للمواقف مسجدا لصلاة الخمس والجمعة، ويعرف عد الناس للان بجامع الناصف ثم بنى في السنة السابعة والمائتين والألف قلعة البرج الأحمر"[1].

لما شيَّد الباي محمد الكبير القصر اتخذه مقراً لإقامته وحكمة، وحذا حذوه البايات الذين جاءوا من بعد لمدة ثمانٍ وثلاثون(38) سنة، وبعد احتلال الفرنسيين لمدينة وهران اتخذوا من القصر مكانا لإقامة العسكر، مستفيدين من موقعه الاستراتيجي والمحصن من جميع النواحي. يمتد القصر من الشمال نحو الجنوب في شكل شبه منحرف طول قاعدته الكبرى(90م) وقاعدته الصغرى حوالي(40م) وتقدر مساحته بـ(4000 م²) يضم القصر عدة أجنحة منها الديوان ودار الإقامة ودار الضياف(الدويرة) وحديقتين وحمّام. أمّا سور القصر فهو بسيط يخلو من الزّخرفة، ومدخل القصر من الجهة الشمالية يرتكز على دعامتين مستطيلتين.[2]

1-2-5-قصر الباي بومزراق بمدينة المدية

قبل تشييد قصر مصطفى بومزراق كان "حوش الباي" يُعدّ مقرًّا لحكام بايلك التيطري، ويتكوّن المقر من عدة مبانٍ ذات طابع دفاعي تُشبه القلاع. وقد سُمّي بهذا الاسم لاحتوائه على مزرعة كانت مملوكة للبايات الذين حكموا المدينة.[3] يقع الحوش بحومة المصلى غير بعيد عن وسط المدينة التاريخية يبعدها بألف وستة مئة متر(1600م) فقط[4]. وتشير بعض الدراسات إلى أن الباي مصطفى بومزراق كان يقيم في "حوش الباي"، الذي امتلكه سنة 1820م. أما القصر الواقع في وسط المدينة، فقد ورد في أرشيف وزارة الحرب الفرنسية لسنة 1840م أنه مملوك لابنه أحمد بن مصطفى بومزراق، والذي كان يقيم فيه مع زوجاته[5]. لكن هذا المعطى الأرشيفي، ليس دليل قاطعاً على أنَّ الباي كان يحكم من حوش الباي فقط، كما أن ملكية ابنه لقصر الباي في المدينة العتيقة لا يعني بالضرورة أن والده لم يسكن القصر ولم يزاول الحكم منه في فترات معينة.

---

[1]- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تق وتح ، المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية (الجزائر)، 2013م، ص ص264-265.

[2]- علي بوتشيشة، قصر الباي...، المرجع السابق، ص179.

[3] - Leon Cortes, Monographie de la commune de Médéa, Ouvrage honoré d' une Médaille d'Argent de la Société de Géographie d 'Alger (Concourse de 1907) Edition de l' imprimerie Algérienne, Alger, 1909, p54.

[4]- إسماعيل علال، العمارة في الفترة العثمانية بالمدية- قصر الباي بالمصلى نموذجا- (1784-1900م)، صفحات من تاريخ المدية، تن ومرا: رشيد مياد، إشراف، الغالي غربي، سلسلة منشورات مخبر الدراسات المتوسطية عبر العصور جامعة المدية، 2022م، ص181.

[5]-المرجع نفسه، ص182.

يقع قصر الباي بومزراق بحي القصبة القديم في وسط مدينة المدية بالحي المعروف بالرواربلي، يحده من الشمال شارعان هما شارع ولد خاوي علي وشارع الإخوة فخار، وهذا الأخير يفصل القصر عن الجامع المالكي، ومن الجنوب الساحة العامّة المعروفة في العهد الفرنسي بساحة الجنرال وهي اليوم ساحة الشهداء. يعود تاريخ بناء القصر إلى فترة آخر بايات التيطري مصطفى بومزراق الذي حكم بين(1819-1829م)، كما استغل الأمير عبد القادر الدار كمقر له سنة 1835م، ثم بعد اجتياح الاستعمار الفرنسي للمدينة تم الاستيلاء على الدار واتخذ كمركز إداري عسكري وسكنات للضباط العسكريين وأُجريت عليها تعديلات على النمط الأوربي خاصة في الجهة الجنوبية شهد قصر الباي عمليات ترميم وتهيئة برعاية وزارة الثقافة بين سنتي(2004- 2005م)[1]، ليصبح القصر اليوم متحف عمومي للتقاليد الشعبية بولاية المدية، ويسمى كذلك قصر الأمير عبد القادر.

من بين أقدم الأوصاف التي وصلتنا عن القصر ما ورد في مجلة: **ألبوم L'Album** التي تُعنى بالفن والصادرة باللغة الايطالية. ورد في المجلّة أن القصر يبدو مظهره الخارجي بسيط وبعيد عن الأناقة ولكنك وما ان تمر عبر باب تجد رواق طويل يفضي إلى فناءا جميلا مرصوف بالرخام الابيض ومحاط برواق به صف مزدوج من الاقواس ذات العمارة المغاربية والذي تنفتح عليه الابواب والنوافذ ينفتح الرواق علة ممر يؤدي الى فناء آخر أصغر توجد به غرف موظفي الباي[2]. كما هو موضح في **الصورة رقم(06)** .

أمّا عن هندسة القصر وتشكيله فمدخله الرئيسي من جهة الرُّكن الشمالي الشرقي، وهو مزين بإطار من الحجر الكِلسي المزخرف، تتقدمه سقيفة صغيرة تُفضي إلى باب هو الآخر مزخرف من نفس الحجر، يفضي إلى سقيفة ثانية، وكلا السّقيفتين خالية من المقاعد. تنفتح السّقيفة الثانية على رواق به أعمدة حجرية فوقها عقود، خمسة أعمدة بالجهة الشمالية والجنوبية وأربعة بالجهة الشرقية والغربية، في وسط ساحة القصر نافورة بها حوض مثمن الأضلاع، تنفتح على الصحن ثلاث غرف متناظرة من كل الاتجاهات، ونفس التخطيط يتكرر تقريبا في الطابق العلوي بالنسبة للغرف، ماعدا بعض التفاصيل البسيطة في القصر حجرة مربعة بها قبة مضلّعة وهي الغرفة الساخنة لحمام الداي. ولهذا القصر ملحق في شكل حوش خاص بالإسطبل من الناحية الغربية، كما يوجد فناء من الناحية الشمالية، وآخر من الناحية الشمالية الشرقية ملحقان

[1]- فاتن دريس، «تاريخ مدينة المدية ونسيجها العمراني ابان الحكم العثماني»، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج12، ع02، ص 284.

[2]- L'Album, giornale letterario e di belle arti, Vol. 08, Tipografia delle Belle Arti, Roma, 1841, p 60.

بالقصر، ينفتح القصر على هذه المرافق بأبواب صغيرة، لكل باب غاية ووظيفة منها باب السرايا مخصص للباي ورجال الديوان وباب الخضرة مخصص للخدم وباب خوجة الخيل مخصص للقائم على خيول الباي[1].

الصورة رقم (1): لوحة لأحد الرسامين الإيطاليين تمثل رواق قصر الباي بومزراق بمدينة المدية



CORTILE DELL'ANTICO PALAZZO DEL BEY in Medeah

المصدر: L'Album, giornale letterario e di belle arti, p 60.

1-2- القصور السكنية:

1-2-1- قصر(دار) خداوج العمياء

وفق التسلسل الزمني يمكن اعتبار قصر "خداوج العمياء" هو الأقدم من حيث البناء، حيث يشير هنري كلاين أنّه عثر على وثيقة شرعية مؤرخة بسنة(862هـ/ 1458م)، تؤكد أن القصر شُيّد فوق زاوية سيدي أحمد بن عبد الله، التي أُنشئت في منتصف القرن الخامس عشر،[2] ومع ذلك فإنَّ تاريخ بناء القصر غير مؤكد بشكل نهائي.

ويضيف كلاين أنّ السُلطات الفرنسية اشترت القصر من الوريثين الأمير عمر والأميرة نفيسة، نجلا الداي حسن باشا "الخزناجي"، اللّذين ينسبانه إلى خالتهما(خداوج العمياء) وذلك لقاء مبلغ(80.000) ف. ف، كما يذكر أنَّ القصر سكنه التاجر اليهودي "باكري" دون أن يحدد التاريخ ووقد أصبح يعرف "بفندق البكري".

[1]- عبد القادر دحدوح، التخطيط المعماري للقصور...، المرجع السابق، ص151.

[2]- Henri Klin, Feuilles d'El –Djezair , Edition du Tell, Tom01, Blida, Algéreie, 2003. p133.

وقد اتُّخذ القصر فيا بعد مقراً لعدة شخصيات فرنسية ابتداءً من سنة 1832م وأقامت به السلطة الفرنسية معرضا للمنتوجات الفلاحية سنة 1833م وزاره، الملك الفرنسي نابليون الثالث سنة 1865م.[1] وقد أصبح مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر مقرا للقاضي الأول لمحكمة الجزائر، ثم اتخذ القصر مقرا لأول بلدية في مدينة الجزائر خلال الفترة الفرنسية، يحمل عنوان 38 شارع سوق الجمعة.[2] وأصبح القصر اليوم ملكية للدولة الجزائرية تحت مسمى المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

أما فيما يتعلق بالتّسمية فقد فتضاربت الرّوايات حول أصلها. يذكر كلاين أنّ مالكة القصر وهي ابنة حسن الثالث "الخزناجي"، فقدت بصرها فجأة وهي تنظر للمرآة ومن هنا اكتسبت لقب "خداوج العمياء". أمّا معنى كلمة "خداوج" فيشير إلى أنّه اسم لنبتة عشبية عطرة[3]. ولكن حسب وجهة نظري أعتقد أن كلاين قد لا يكون ملمًّا بما يكفي بالثقافة المحلية، فلفظة "خداوج" عند الجزائريين تطلق عادة كتلطيف واختصار لكلمة خديجة، وربما كان الباي حسن من فرط حبه لابنته كان يناديها خداوج.

تعدُّ الدار من بين أجمل الدور التي شُيّدت في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، لما تتميز به من جوانب فنية ومعمارية رائعة، تتجسد أساساً في الجدران المكسوة بمربعات الخزف المستوردة من اليونان وجزيرة صقلية في كل من السلالم والأروقة والغرف وحتى السَّقيفة، كما تظمُّ الدار ساحة تحيط بها أعمدة رخامية وفوانيس من صنع عثماني، وبها قاعة استقبال واسعة وكبيرة مدرَّجة بزخارف جصية مختلفة[4].

1-2-2- قصر(دار) عزيزة

من الممكن كذلك اعتبار قصر "عزيزة" هو الأقدم من حيث البناء؛ خاصة وانه يقع قرب قصر الداي، ويحتمل انه كان جزءًا منه، بحسب ما ذكره هنري مورا(H. Murat) الذي نشرا مقالاً ذكر فيه أن القصر كان يستخدم كبيتٍ لضيوف الداي. ويؤكد كولفن أن القصر قديم؛ إذ ورد ذكره في مخطوطات تعود إلى القرن السادس عشر. وهو يقع مباشرة خلف دار السلطان، وربما خصّص كإقامة للمسؤولين[5]. ويذكر كلاين أن القصر شيّده الداي حسن باشا(1517- 1570م) وهو ملك لابنته "عزيزة"[6] زوجة باي قسنطينة وأنّه كان جزء

---

[1]- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص34.

[2]-H. Kline, Op.Cit,Tom01, P134.

[3] -ibid, p134.

[4]- علي بن بلة، المصنوعات الخشبية بقصور قصبة مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني: دراسة أثرية- فنية، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2002م، ص84.

[5]- Lucien Colvin, palais et demeures d' Alger a la période ottomane, Edisud France, 1988, p31.

[6]- هناك روايتين الأولى تذكر أن "عزيزة" كانت ابنة الداي حسين وهي زوجة باي قسنطينة محمد بن فرحات، بَنى لها والدها الدار لكي تقيم فيها عندما تزوره في مدينة الجزائر، والثانية أنها ابنة ابنة القايد أحمد بن رمضان واخت شلبي بن علي بتشين

من قصر الجنينة، وفي فترة الاحتلال الفرنسي سكنه أحد الأساقفة وقام بطلاء أحد جدرانه، وبنيت فيه كنيسة في الطابق الأول كان القصر من ثلاث طوابق، قبل أن يتعرض لزلزال سنة 1716م، ثم تضرر بفعل الحريق الذي نشب سنة 1844م بقصر الجنينة. والدار تعتبر آخر ما بقي من ملحقات قصر الجنينة. لم يحدد تاريخ بنائها[1].

ومن خلال نص دي نيكولاي المؤرخ بسنة 1721م يمكننا تصور شكل المبنى: " **بعد ثلاث أيّام في ميناء الجزائر، ذهبنا مع السفير وكان في ذلك الوقت السيد "ديسولت"، إلى الفندق الذي تم إعداده لنا، وكان فندقاً جيداً قبل حدوث زلزال عام 1716م، قبل ذلك الوقت كان يتكون من ثلاث طوابق، ومنذ ذلك الحين لم يتبقى سوى طابقين. شكلها مربع ويتوسطها فناء وفي كل جهة ممر مزوّد بأعمدة رخامية، وفي الواجهة نجد الشارع الذي يؤدي إلى دار السلطان ويسميه الأتراك الجنينة، الفناء مرصوف بالبلاط الأبيض وفوقه أقبية جميلة جداً، وفي داخل القصر الشقق والعناصر الداخلية غنية جداً، الأسقف مزينة بلوحات على الجوانب ذات الإطار الذهبي تشبه الألواح الموجودة في رصيف جنوة، النوافذ التي تفتح على صالات العرض مؤطرة ومصنوعة من الرخام ومزودة بشبابيك نحاسية**"[2].

أصبح القصر مع بداية الاحتلال الفرنسي، ملك لأحد الضُّباط الفرنسيين، اقتناه لقاء مبلغ زهيد قدر بالفان ومئتا(2200) فرنك فرنسي. في المقابل بيع أثاث القصر لأحد التّجار اليهود بمبلغ يفوق نصف مليون فرنك تطلب نقله سبعة أيام. ورغم ضخامة المبلغ حمدان خوجة يعتبره زهيداً اذ يقول: "**إني أعرف حق المعرفة أنه يوجد في قصر باي قسنطينة بمدينة الجزائر ملابس وأشياء أخرى تقدر بأكثر من مليون فرنك فرنسي تتمثل هذه الأشياء في برانس وحياك وأواني فضية إلخ...**"[3]. وفي سنة 1838 انتقلت ملكية القصر لأسقف فرنسا في مدينة الجزائر، وذلك ليكون بقرب الكنيسة التي جعلت مكان جامع كتشاوة، وأخيراً وبعد

تزوجت من رجب أخ محمد بن فرحات باي قسنطينة، بعد وفاته ونظراً لحبه الشديد لها انتقل ليعيش معها في مدينة الجزائر في تلك الدار، التي أصبحت تسمى دار عزيزة وفي ما بعد أصبحت مقراً ثانوياً لبايات قسنطينة. للمزيد راجع: فاروق قداش، عزيزة ابنة الباي التي ماتت بتسع طعنات جريدة الشروق العربي،2018/09/05م، متوفر على الرابط:
https://www.echoroukonline.com/، أطلع عليه يوم: 2024/02/04.

[1]–H. Klin, Op.cit, Tom01, p155.

[2]-Lucien Colvin, Op.cit, p31.

[3]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتح وتع: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP ، 2005م، ص184.

استقلال الجزائر، وضع تحت تصرف وزارة السياحة الجزائرية سنة1962م[1]. والدار تأوي اليوم الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية.

أمّا عن تَشْكيل وهندسة القصر، فهو مستطيل الشكل يتألف من طابقين، الطابق الأول يتم الوصول إليه عبر باب مقابل لجامع "كتشاوة" من الناحية الغربية، به رواق مشكل من أعمدة رخامية حلزونية الشكل، تعلوها عقود منكسرة أربعة في كل جهة، تلتف حول صحن مربع، في وسطه نافورة رخامية، أمّا الطابق العلوي يتم الصّعود إليه عبر سلم، يقع في الجهة الشمالية الغربية، به باب خشبي يفتح على رواق من أعمدة رخامية، جزؤها السفلي مثمن والعلوي حلزوني تعلوها عقود منكسرة، وفي الأركان قباب تكسوها بلاطات خزفية تتخللها حشوات جصية[2].

1-2-3-قصر(دار) حسن باشا

قصر الداي حسن باشا الثالث الذي كان يلقب بـ (بابا حسن) أو حسن باشا الخزناجي، حكم الجزائر بين سنتي(1791-1797م) بعد أن كان يشغل منصب "خزناجي" في فترة حكم الداي محمد بن عثمان. القصر يقع في القصبة السفلى مقابل دار "عزيزة" بحي سوق الجمعة مجاوراً لجامع "كتشاوة" ، لم يحدد تاريخ بنائه، قبل تولي حسن باشا الحكم سنة 1791م أم بعد توليته[3]. غير أن كولفن يشير أن القصر بني سنة 1791م من طرف الداي حسن باشا الخزناجي، لكنه لم يذكر المصدر الذي أخذ منه هذا التاريخ[4]. وهذا ما أكدته كذلك الباحثة لطيفة بوراية[5].

غير أن كولان يرى أن تاريخ بنائه يعود إلى فترة حكم حسن باشا (المدعو شاوش) والذي حكم فترة قصيرة من نهاية سنة(1698-1700م)، واعتمد في ذلك على تاريخ 1111هـ الذي ورد في النقيشة المعلقة في مدخل القصر والذي يقابله سنة 1698م في الميلادي، حيث كتب قائلا: "**حسب نقوش لوحة تذكارية رخامية كتبت بخط النسخ كتابة بارزة ومذهبة مثبتة فوق مدخل السقيفة الصغرى للدار الذي يفتح على**

[1]- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص34.

[2]- عبد القادر دحدوح، التخطيط المعماري للقصور بالجزائر...، المرجع السابق، ص143.

[3]- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص35.

[4]-Lucien Colvin, Op. Cit, p 63.

[5]- لطيفة بوراية،« دور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني دار حسن باشا نموذجا (دراسة وصفية وأثرية)»، حولية الاتحاد العام الآثارين العرب، مج16، ع01، 2013م، ص ص1120-1121.

شارع السودان" ونصها ما يلي: " **حبذا دار بناها مثل عدن، ونزهة حسن باشا بجد وجود // قد كساه بهجة وزينة للناظرين وأتم عتبته بالسرور والسعود // سنة 1111**"[1]/ 1699م.

أصبح القصر ملكاً لصهر حسن باشا "عمر باي" والسيدة "نفيسة"(الأخت الشقيقة لهذا الأمير)، فلما وقعت أحداث الغزو الفرنسي سنة 1830م، انتقلا إلى الإسكندرية، واستولت عليه السلطات الفرنسية،[2] واصبح يعرف "بالقصر الشتوي"، لان الحاكم الفرنسي يقصده في الشتاء لمزاولة أشغاله الإدارية، وينتقل صيفا إلى قصر "مصطفى باشا" في أعالي المدينة،(ما يعرف اليوم بقصر الشعب)[3]. كما يجب علينا أن نشير إلى أن قصر بابا حسن أجريت عليه تعديلات،[4] بعد الاستيلاء عليه من طرف السلطات الفرنسية سنة 1839م شملت الواجهة[5] من طرف مختص وتم تجهيزها بنوافذ بيضاوية وبوابة ذات أعمدة رخامية وفق الطراز الموريسكي والقوطي الجديد الذي تبنته السلطات الفرنسية آن ذاك.[6]

ويؤكد هذا الكلام العالم الألماني هاينرش فون مالنسان الذي زار الجزائر عدة مرات بين سنوات (1857 إلى 1860م)، حيث يذكر أن القصر كان دار للداي حسن باشا ويصفها بقوله: " **هذه البناية غنية بالزخارف المرمرية، ويعتبر الفناء وقاعة الأكل مثاليين أصليين للفن الوطني، أمَّا المظهر الخارجي فهو جديد، بناه الفرنسيون بأسلوب شبيه بالأسلوب الفنيياني**"[7].

يقع القصر اليوم داخل مستشفى لمين دباغين في باب الواد، ويتشكل من دور أرضي وفناء وطابقين. الأرضي يضم سقيفتين وعدة مرافق تعرضت إلى تغييرات كبيرة نتيجة استغلالها كمكاتب

---

[1]-Gabeiel Colin, Corpus de l'inscription Arabe et Turques de L'Algérie, Ernest Leroux Eiteur, Paris, 1901, p73.

[2]-H. Kelin, Op.Cit, Tom01, p123.

[3]–محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر....، المرجع السابق، ص35.

[4]– للمزيد حول مخطط القصر راجع :

- Amable Ravoisié, Exploration scientifique de L Algerie pendant les années 1840,1841, 1842, paris, France, S.D, p12.

[5]– ما يلاحظ ان اغلب التعديلات الفرنسية على المباني المحلية في فترة الاحتلال كانت تمس بشكل أساسي واجهات المباني حيث كانت فرنسا تسعى إلى طمس الهوية الجزائرية واستبدالها بالهوية الفرنسية. تعديل واجهات المباني كان وسيلة لإظهار الطابع الأوروبي على المدن الجزائرية، مما قد يعكس الهيمنة الثقافية والسياسية.

[6]- Lucien Colvin, op, cit, p63

[7]–هاينريش فون مالنسان، ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا، ج1، ط1، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، برج الكيفان (الجزائر)، 2008م، ص29.

للمستشفى، به عدة غرف تختلف مقاساتها وسقوفها برميلية ومتقاطعة، على أعمدة أو على جدران فيها نوافذ أصلية ومستحدثة[1]، وهو من القصور التي أجريت عليها تعديلات كثيرة خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

الصورة رقم(07): لوحة تمثل واجهة قصر حسن باشا(القصر الشتوي) رُسمت حوالي(1840-1845م).

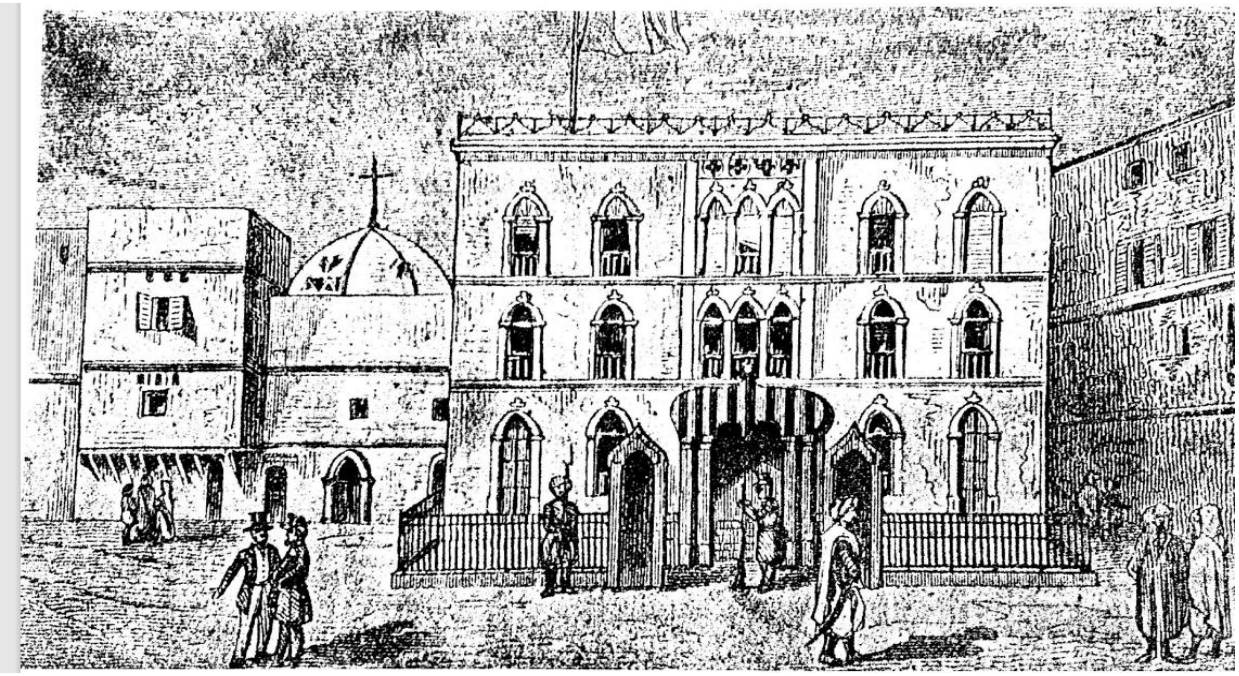

المصدر: Lucien Colvin, palais et demeures d' Alger a la période ottomane, p 64

1-2-4-قصر مصطفى باشا بحي رياس البحر.

أ- حي رياس البحر

في قلب مدينة الجزائر وعلى ضفاف البحر الأبيض المتوسط ينتصب حصن(23)، أو ما يعرف(بحي رياس البحر)، المعروف كذلك(بطبّانة سيدي رمضان) أو(بطارية سيدي رمضان)، كأحد أبرز الشّواهد التّاريخية التي تحكي قصة المدينة عبر العصور. ويعود تاريخ تشييد الحصن حسب هايدو إلى سنة 984هـ/1576م، ولقد مرّ سابقاً بعدة مراحل حضارية بدءًا من الفينيقيين ومرورًا بالعهد العثماني وصولًا إلى الاحتلال الفرنسي سنة 1830م[2]. يتشكل الحصن من مجموعة من المباني التي شُيّدت في فترات زمنية متفاوتة، وقد بدأ تشييده في منتصف القرن السادس عشر بأمر من رمضان باشا، بعد أن كان الموقع عبارة عن بطارية أو طبانة بناها الريّس مامي أرناؤوط وقد استخدم الحصن كمقر لرياس البحر، ومحطة لانطلاق

[1]-عبد القادر دحدوح، التخطيط المعماري للقصور...، المرجع السابق، ص144.

[2]- لطيفة بوراية، « قصر مصطفى باشا بحي رياس البحر»، مجلة آثار، ع06، 2007م، ص129.

ورسو سفنهم. كما أدى دور الحصن المنيع الذي يحمي المدينة من جهة البحر مع بداية الاحتلال الفرنسي، تم الاستيلاء على الحصن سنة 1830م، ثم عُزل عن باقي القصبة سنة 1840م، وأُحيط بسور في الجهة الشمالية الغربية منه سنة 1890م. اتَّخذه الضباط الفرنسيون مقراً لهم من سنة(1909-1961م)، ثم بعد الاستقلال سكنته العائلات الجزائرية من(1962-1980م)، قبل أن يتم ترحيلهم منه. باشرت وزارة الثقافة عملية ترميم واسعة للحصن بين سنتي(1980-1986)، وفي سنة 1994 تم تحويله إلى متحف للفنون والثقافة[1].

ب-قصر مصطفى باشا

يحمل القصر **رقم(18)** داخل الحصن، يُعد من أروع نماذج العمارة الجزائرية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بناه الرايس مامي سنة 1750م واشتراه منه الداي مصطفى باشا بغرض الاقامة فيه سنة 1798م. كما شُيّد على أرض كانت تابعة لمؤسسة "سبل الخيرات"، حصل عليها قبل توليه الحكم، مبنيين متجاورين اكتمل بناؤهما بعد توليه الحكم[2]. كما أن القصور(23) و(17) شُيّدا في نهاية القرن الثامن عشر أو مع بداية القرن التاسع عشر وهما ملحقان بالقصر الأول[3].

كان القصر مقرًا لإقامة الداي وزوجاته وأولاده وخدمه، حيث كان يلتقيهم مرة واحدة في الأسبوع، يوم الخميس بعد صلاة الظهر، برفقة حرسه الخاص. بعد اغتياله، تم مصادرة المبنى من طرف الداي أحمد بن علي خوجة(1806-1808)، ثم استولى عليه الجنرال الفرنسي (Trobriant)، مع بداية الغزو الفرنسي سنة 1830م. وفي 17 ديسمبر 1834م، سُلّمت الدار إلى الأمير إبراهيم، الابن الأكبر لمصطفى باشا، تنفيذاً لوصية والده. لاحقًا، حصل الورثة على قرض بقيمة(1700) ف. ف، بفائدة 15%، لم يستطيعوا سداده، ما اضطرهم لبيع الدار بعد محاكمة دامت ثماني سنوات بمبلغ(100) ف.ف. وفي عام 1863م، استولت الإدارة الفرنسية على المنزل وحولته إلى مكتبة وطنية حتى عام 1948م، ثم صُنّف المبنى كمعلم تاريخي بتاريخ 30 مارس 1887م[4] .

---

[1]- بوسويل ليلى، سليم عنان «المساهمة في الحفاظ على التراث المعماري بالجزائر، حصن(23) بمدينة الجزائر- نموذجا- »، مجلة آفاق علمية، مج14،ع01، 2022م، ص157.

[2] - Lucien Colvin, op, cit, p 47.

[3]-لطيفة بوراية، قصر مصطفى باشا...، المرجع السابق، ص ص157-158.

[4] - H. Klein, Op.cit., Tom 01, p136.

كان يتم الوصول إلى دار مصطفى باشا وكذلك "دار الصوف" عبر زقاق يسمى زنقة "باب السوق"، المعروف أيضًا (بزقاق سيدي بوشاقور)[1]، تُعَدُّ هذه الدار التي بناه شخصية نافذة في التاريخ يمثل أحد أروع نماذج العمارة الجزائرية بشهادة كل من زارها، فقد استقبلت العديد من الشخصيات البارزة، منها الإمبراطور الفرنسي نابلويون الثالث (Napoléon) في(09 ماي 1865م) لحضور حفل أقيم فيه على شرفه. كما هو موضّح في **الصورة رقم (08)**، ولقد زار الدّار كذلك الرئيس الفرنسي إيميل لوبيه(Émile Loubet) سنة 1903م. والملك البريطاني إدوارد السابع(Édouard) سنة 1905م كما زارها سنة 1932م دُوق(Aosta) أميدو دي سافوريا(Amedeo di Savoia) أحد أفراد الأسرة الحاكمة في إيطاليا. كانت الدّار تحتوي على صورة رخامية للعالم الفرنسي(E. Maupas) المختص في علوم البيولوجيا[2].

الصورة رقم(08) لوحة تمثل حفل أقيم في قصر مصطفى باشا إثر زيارة نابليون الثالث إلى الجزائر1865م.

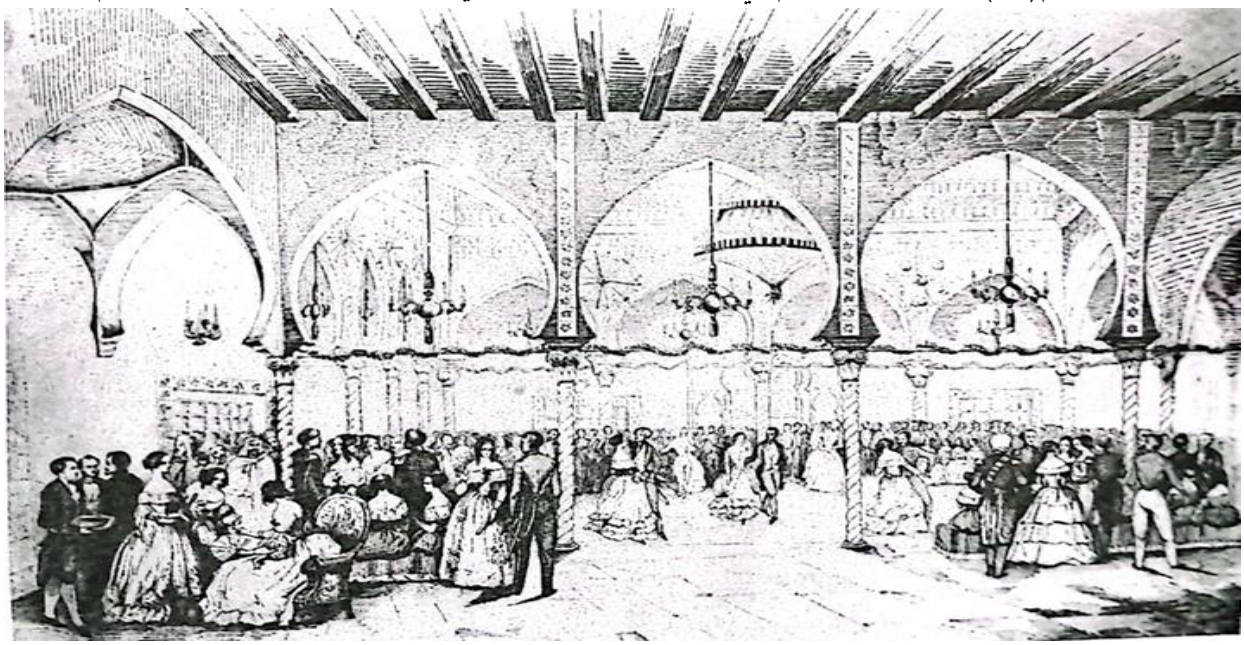

المصدر: H. Klein, Feuilles d El –Djezair, T 01, p152

أمَّا فيما يخصُّ هندسة القصر وشكله الأصلي قبل ترميمه، فقد اعتمدت الباحثة لطيفة بوراية وقبلها كولفن في وصفه على مخطط وضعه المهندس الفرنسي بيار تريميو (Pierre Trémaux) الذي زار الجزائر بين(1847–1854م).[3] يتربع القصر على مساحة(709م²) ويتخذ شكلًا مربعًا بارتفاع يصل إلى(16م)،

[1] - Lucien Colvin, op. cit, p47.
[2] - H. Klein, Op.cit., T01, p138.

[3] –**ملحق(05)** المخططات التي أنجزها المهندسون الفرنسيون للقصر قبل ترميمه من انجاز بيير تريميو، للاطلاع على المخطط راجع:

-Pierre Trémaux ، Parallèles des édifices anciens et modernes du continent Africain, dessinés et relevés de 1847 à 1854,Librairie Hachette, Paris, 1854.

يبدو شكله من الخارج بسيطًا مشابهًا لقصور الرياس ودور عامة الجزائريين، لكنه من الداخل يضم أصنافًا عديدة من الزخارف والعناصر الفنية[1]، سمك الجدران يبلغ حوالي(0.80م)، وتخترقها نوافذ صغيرة مسيجة بقضبان حديدية عليها رمز الهلال، تطل أغلبها على جهة البحر، عدا القليل منها التي تطل على شارع باب الواد[2]. يتألف القصر من ثلاثة أقسام:

– **الطّابق السُّفلي:** يظم سقيفتين، الأولى مربعة الشكل مخصصة لحراس القصر، والثانية قاعة كبيرة مستطيلة بمساحة(50م²) مخصصة لانتظار الضيوف، تفتح على صحن القصر، مبلطة بالرخام الأبيض، وبها دكّات ومقاعد من حجر الشّيسْت، تفصل بينها الأعمدة المزدوجة والمنحوتة، والسقف مقبَّبْ بالأقبية المتقاطعة، وجدرانها مزينة بالمربعات الخزفية، وبها ملقف للتهوية والإضاءة في جانب هذه السقيفة سلم رخامي يسمح بالصعود إلى الاعلى تتضح هذه التفاصيل بشكل جيد في **الصورتين رقم(09) و(10).**

الصورة رقم(09) و(10) تمثلان جانب من داخل السقيفة الكبيرة بقصر مصطفى باشا بمدينة الجزائر.

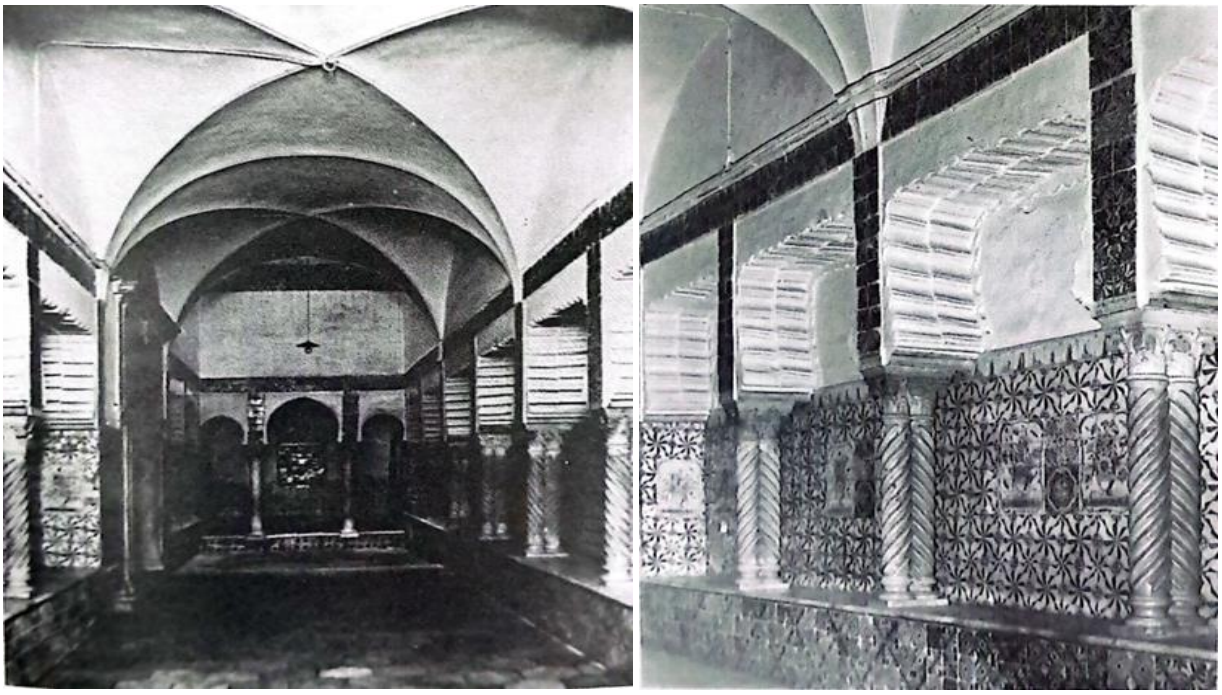

المصدر: Lucien Colvin, palais et demeures d' Alger a la période ottomane p 49

–**الطابق الأرضي:** مخصص للمعيشة، وهو يتخذ شكلًا مربعًا بمساحة(245م²)، تقوم به أربعة أروقة تحملها(12) عمودًا، وعلى جوانب هذه الأروقة تتوزع أربع غرف متفاوتة في الحجم، ويضم هذا الطابق مطبخًا وبئر ماء.

[1] - H. Klein, Op.cit., T01, p 136.

[2] – لطيفة بوراية، قصر مصطفى باشا...، المرجع السابق، ص 131.

– **الطابق العلوي:** مخصص للنوم ويتشكل من قسمين: القسم الأول على شكل "دويرة" ملحقة بالقصر تضم رواقًا به قاعة للأكل سقفها متعدد الألوان، وأرضيتها مزينة بالفسيفساء ورفوف جدارية تتناسب زخارفها مع السقف، والقسم الثاني يظم خمس(05) غرف ويتربع على مساحة (280م²)، وأجمل ما فيه قاعة الأكل الواسعة وسقفها المزين بزخارف جميلة منفذة بشكل جيد و بألوان مختلفة يغلب عليها اللون الأحمر، وهذا ما يتجلى بشكل واضح في **الصورة رقم(11)**. أما سطح القصر فهو ساحة كبيرة مستديرة بسبب الصحن في المنتصف، وهي تُطل على البحر، وتضم غرفة مسقفة.[1]

الصورة رقم(2) تمثل الزخارف المنفذة على سقف قاعة الطعام الكبيرة بقصر مصطفى باشا.



المصدر: Pierre Trémaux , Parallèles des édifices anciens et modernes …, pla 14.

وفي الأخير يمكننا القول بأن دار مصطفى باشا تمثل نموذجًا فاخرًا للقصور التي كانت تخص فئة العسكريين في مدينة الجزائر ومع التعديلات التي جرت على باقي قصور الطبقة العسكرية، وحسب كولفن لا يمكننا أن نعقد مقارنة واضحة لمعرفة ما إذا كانت كل قصورهم بنفس الحجم من البذخ، أم أن الأمر اقتصر على دار مصطفى باشا، مثل دار بكري، دار خداوج العمياء، دار حسن باشا، دار الصوف، والدار الحمراء[2] يميزها سقيفتها الواسعة والمزينة بزخارف بديعة، والتي توفر حماية لخصوصية القصر، مع وجود حارس دائم بها. كما أن غرفة الطعام التي يضمها طابق المعيشة تعكس وجود عدد كبير من الخدم، وهي تعطي فكرة

[1]– لطيفة بوراية، قصر مصطفى باشا...،المرجع السابق، ص 132.

[2] - Lucien Colvin, op. cit, p 56.

عن عدد الأشخاص الذين كانوا يسكنون القصر، إلى جانب حجم المطابخ الكبير ووسائل الراحة الأخرى كالمراحيض وحمامات البخار.

1-2-5- دار الحمراء

تقع "الدّار الحمراء" في القصبة السفلى بمدينة الجزائر، بين شارع باب الواد ونهج أول نوفمبر (حالياً). وكان موضعها يُعرف خلال العهد العثماني بزنقة "عين الحمراء" أو "ساباط سيدي الفاسي"، ثم سُمّي "شارع فيليب" في الفترة الاستعمارية. يحمل المبنى الرقم(14) من هذا الشارع.كان بجوارها مسجد استُخدم كثكنة سنة 1830م، قبل أن يُهدم سنة 1863م إثر توسعة الشارع، التي أدّت أيضاً إلى بتر جزء من القصر. وكان الشارع مقبّباً بالكامل إلى غاية هذه التوسعة[1].

يعود تاريخ تشييد الدار إلى أواخر العهد العثماني خلال حكم الداي علي خوجة(1817-1818م)، وكانت ملكًا خاصًا للداي حسين عندما كان خزناجيًا، ولما غادر الجزائر وكّل عليها القنصل الإنجليزي جون-روبير دي سانت (John Robert de Saint)، الذي دفع إيجارها إلى غاية ديسمبر 1830م، ثم استولى عليها الفرنسيون واتخذوها مقرًا لمصالح الهندسة المعمارية إلى غاية 1835م . حافظت الدّار على عدة عناصر هندسية وفنية أصلية لأنها لم تعرف ترددًا كبيرًا للزوار، وكانت الدار والمسجد المتصل بها والعين موقوفين على الجامع الكبير قبل الغزو الفرنسي[2]. كما يذكر كلاين أنه كانت توجد بالقصر لوحة تؤرخ لزيارة دي بورمون(de Bourmont) للداي حسين في هذا القصر يوم 08 جويلية 1830م، ويضيف أيضا أن القائمين على الجامعُ الكبير طالبوا بمبلغ 100 ريال بوجو سنويًا لمدة أربع سنوات ونصف، لقاء استغلال الفرنسيين للقصر إلى غاية بتاريخ 24 فبراير 1835م وقد سُددت المستحقات كاملة[3].

أمّا عن تخطيط وهندسة القصر فقد نشر أمبل روفوازيه (Amable Ravoisie) مخطّطات للقصر قبل أن يتعرض جزء منه للهدم والتغيير خلال فترة الاحتلال الفرنسي[4]. أمّا كلاين فيصف القصر مع بداية الاحتلال الفرنسي بالاعتماد على مشاهداته بعد زيارته له، فيذكر أنه القصر يتّسم بجاذبية خاصة، وله فناء مبلّط و مزدان بأعمدة رخامية ملتوية، وغرف مزيّنة بزخارف منفذة على الخشب بإتقان، ولوحات الخزف

[1] - Lucien Colvin, op. cit, p67.

[2] - الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص 36.

[3]- H. Klein, Op.cit., T02, p135.

[4] - **ملحق (06)** المخططات التي نشرها روفوازيه توضح بشكل جيد تشكيل المبنى في وهي خمس مخططات: الطابق السفلي الأرضي العلوي والسطح والمخطط الخامس يظهر فيه المسجد والعين التابعتين للدار للاطلاع على المخطط راجع:
-Amable Ravoisié, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, Imprimerie Royale, Paris, S.D , pla 04.

المستورد من دلف(Delfet) وبألوان متعددة، وقاعة الاستقبال كبيرة وفخمة، ومتناغمة مع الجدران المطعّمة بزخارف مخرمة، وأسقف ذات أقبية وخزائن منحوتة من الخشب، مع زخارف مذهّبة. كما أن الطّابق السُّفلي هو الأساس الذي بُنيت عليه الدار، وفيه مكان لحارسها، ومدخل قديم مخصّص للانكشارية، ويدخل منه عبيد الداي، وبعد نهاية زيارته للقصر يذكر هنري كلاين أنه طلب من السلطات الفرنسية تصنيفه ضمن التراث الإنساني[1].

ودار الحمراء صغيرة الحجم مقارنة بباقي القصور، وتتكون من طابق سفلي وأرضي وعلوي إضافة إلى سطح يضم منزهًا وبها سقيفتان: الصُغرى تطل مباشرة على الشارع، والكبرى واسعة مزودة بملقف؛ على هيئة فتحة كبيرة لتجديد الهواء، بها أربع دكّات أو مقاعد في الجانب الأيسر واثنتين في الجانب الأيمن. والطابق الأرضي يفتح على صحن مربّع، تحفُّ به عقود متجاورة قائمة على أعمدة رخامية، وتتوزع الغرف على ثلاث جهات فقط، بعد أن تعرّض الجانب الشمالي للهدم. ويحافظ الطابق العلوي على التخطيط نفسه، عدا تعويض موضع المطبخ في الأسفل بحمام في الأعلى؛(إذ تُستغل حرارة الفرن لتدفئة الحمّام)، مع بقاء توزيع بقية الغرف على ما هو عليه. حافظت غرف هذا الطابق على طابعها الفني والزّخْرفي خاصّة في الأسْقف[2].

ثانيا: عمارة الدُّور بالجزائر خلال العهد العثماني.

اهتمّ الإنسان منذ القديم بمسألة إنشاء مسكن يَقيه من حرّ الشّمس وبرد الشتاء، فسكن الكهوف ثم بنى الأكواخ، وطوّر المسكن الذي يُلبّي حاجياته، من الرّاحة والاستقرار والخصوصية والأمن، وسعيا منه لتحقيق هذه الأغراض باختلاف الزمان والمكان، تغير شكل المساكن من حين لأخر ومن منطقة لأخرى، ومع ظهور الإسلام وانتشاره شرقا وغربا، تأثَّر نمط بناء المساكن بخصوصية الدين الإسلامي، خاصة ما تعلق منه بحرمة أهل المسلم والسترة والحشمة و احترام الجار، والبساطة في البناء لكنه في الفترات اللاّحقة تطور بناء المساكن، ودخلت أنماط جديدة في البناء والتخطيط .

1- تطور الدّور لدى المسلمين.

اختلفت آراء الباحثين حول مسالة التّخطيط الإسلامي للمسكن، فمنهم من يرى أنه أقرب في تصميمه إلى البيت الإغريقي، ومنهم من يرى أنه أقرب إلى التّصميم الرّوماني، لكن أغلب الدراسات التي أُجريت حول الموضوع في مصر والشّام والعراق، تؤكد أن التّخطيط العام المُشكّل للمسكن العربي الإسلامي

---

[1] - H. Klein, Op.cit., T02, p136.

[2]- لطيفة بوراية، « دار الحمراء بمدينة الجزائر العثمانية»،(دراسة تاريخية أثرية)، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج12،ع02، 2012م، ص164.

الذي يتكون أساساً من فناء مكشوف، يتوسط الدّار وتفتح عليه الغرف من كل اتجاه، ربما يعود إلى فترات تسبق الفترة الإغريقية والرومانية، لكنّه مشابه في التخطيط العام.[1]

من المؤكد أنّ المسكن الإسلامي قد تأثر تصميمه بعدة عوامل دينية واجتماعية واقتصادية وطبيعية، كما يكون قد تأثر بالنّمط القديم من التصاميم لكنه، ارتبط بشكل كبير بتعاليم الدين الإسلامي خاصة ما تعلق بخصوصية وحرمة أهل الدّار. أما من حيث الشكل فهو متشابه في كل الأقطار الإسلامية، من خلال تصاميمه وعناصره الزُّخرفية، ويكمن الاختلاف في بعض التفاصيل الدّقيقة فقط.[2] لقد حافظ المسكن الإسلامي في بلاد المشرق على طرازه، وانتقل هذا الطّراز إلى المغرب بخصائصه العامة، مع الإشارة أنه بلغ أوجَّ تطوره في العهد العثماني، حيث أُضيف إليه الصّحن المكشوف، الذي تحيط به أروقة تَنفتح عليها الغرف، وترتكز على أعمدة خشبية أو رخامية مع إضافة بعض العناصر الزخرفية.[3]

2-الخصائص المعمارية للدُّور بالجزائر خلال العهد العثماني.

2-1-مفهوم الدّار

ورد في لسان العرب لابن منظور أن لفظ الدّار مشتق: "**من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها، والجمع أَدُور وأَدؤر في أدنى العدد ...، والكثير ديار. وفي حديث زيارة القبور :سلامٌ عليكم دار قوم مؤمنين، سمي موضع القبور داراً تشبيهاً بدار الأحياء، لاجتماع الموتى فيها. والجنة تسمى دارُ السَّلام، والله عزَّ وجلَّ هو السلام، قال ابن سيده في جمع الدار: آدرٌ، وديارةٌ وديّارات وديْران ودُور ودُورَات، ويقال ديْرٌ وديرةٌ وأدْيارٌ وديرانٌ ودارةٌ وداراتٌ ودورٌ ودورانٌ وأدوارٌ ودوَّارٌ وأدُورَةٌ، قال: وأمّا الدّار فاسم جامع للعرصَة والبناء والمحلَّة. وكل موضع حلّ به قومٌ، فهو دارهمْ. والدّنيا دارُ الفناء، والآخرة دار القرار ودار السلام**"[4]. من خلال نص ابن منظور يتضح أن لفظة دار، تستعمل في عدة مواضع ومرادفات، وتشمل عدة أجزاء وانواع من المباني، لكن المعنى الجامع أن الدّار هي محل الإقامة أو المُستقر الذي يجمع الأحياء.

---

[1]- بوعبد الله بلجوزي، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر 2006، ص65.

[2]- علي بوتشيشة، « المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني ، دراسة في عناصره المعمارية »، مجلة الدراسات الأثرية، مج19، ع01، 2021م، ص88.

[3]-بوعبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص ص6566.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج4، ص298.

أما لفظة "دار" في الجزائر خلال العهد العثماني، فإذا رجعنا إلى وثائق الأرشيف العثماني، نجد أنها كانت تُطلق على المنازل أو المساكن التي تُبنى وفق شكل وحجم معيّنين، وتتوفر على مرافق محددة تُلبّي حاجات الأسرة في حياتها اليومية. كما كانت تُطلق هذه التسمية أيضًا على البُنى المخصصة لبعض الحرف والمهام المختلفة، مثل "دار البارود" فقد ورد في وثيقة مؤرخة بسنة 1229هـ/1813م: " **بعد أن رام الإمام الهمام مولانا السيد مصطفى باشا بن براهيم أن يحدث بالبحيرة الكاينة قرب ضريح الولي الصالح سيدي يعقوب المحدودة ببعض مهامها لدار البارود القديمة**"[1]. ودار اللحم ودار الصابون ودار سركاجي وتطلق كذلك على مقرّ الحكم "دار الإمارة " وحسب ما ورد في وثيقة مؤرخة بسنة 1219هـ/1804م: " ...**واشهد على نفسه شهيديه على لسان ترجمانه السيد عبد الرحمن المذكور معه في المشار إليه أنه دفع جميع الجلسة المذكورة لدار الإمارة**"[2].

مثلت الدُّور الوحدة الأساسية للبناء في مدن الجزائر، وكانت متشابهة في الشكل العام مع بعض الاختلافات، حيث نجد في عقود المحاكم الشرعية انها تتألَّف في الغالب من طابقين، الأرضي يسمى السُّفلي والفَوقي يسمى العَلْوي كما يمكن أن يكون المسكن علوي فوق حانوت أو مسجد أو حمام، فحسب وثيقة مؤرخة بسنة1103هـ/ 1691م: " **بعد أن استقر ملك السيد مصطفى خوجة بن مراد ابتاع جميع العَلْوي الكاين أعلى ضريح الشيخ البركة سيدي محمد الشريف...**" [3]. أو أن يُشار إليه بكلمة الرَّاكبة كما ورد في وثيقة مؤرخة بسنة 1166هـ/ 1752م " **بعد أن استقر على الملك الحاج إبراهيم بلكباشي ابن عثمان التركي جميع العلوي الرّاكب على الكوشة الكاينة بحومة تبارنا لاغة المعدة لطبخ خبز العسكر المذكورة معه في الرسم**"[4].

تتّخذ الدَّور طرازاً واحداً تقريباً، يتكرّر في مختلف المدن الجزائرية، قسنطينة، المدية، مستغانم، البليدة، ووهران، ولا يبدو الاختلاف إلّا من حيث الحجم والمساحة وتعدد الأجنحة[5]. ويعدُّ هايدو من بين أقدم من وصفوا دور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حوالي 1578م، ويذكر أنّه لا تحتوي المدينة داخل أسوارها سوى على ألف ومئتا(1200) دار بين كبيرة وصغيرة، وأنه ليس هناك دار إلاّ وبها فناء[6].

---

[1]– وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية ، ملفات 3205 و17.

[2]– المصدر نفسه، ملفات 3205، و03.

[3]– نفسه، ملفات 3205، و45.

[4]– نفسه، ملفات 3205، و29.

[5]–علي بوتشيشة، المسكن في الجزائر...، المرجع السابق، ص88–89.

[6] - Diego De Haedo, topographie…., Op. Cit, p110.

وقد تضاعف عدد الدُّور في المدينة بعد مئة سنة من وصف هايدو، فقد ذكر فونتور دي باردي أنّ عدد الدّور في مدينة الجزائر هو خمسة آلاف(5000) داراً منها مئة وثمانون(180) يسكنها اليهود. كما يضيف أن المدينة ليس بها ساحات عامة أو حدائق[1]. لقد عرفت المدينة توسعاً كبيراً وزاد عدد الدُّور فيها إلى ثمانية أضعاف وأكثر، وحسب شهادة وليام شالر الذي يقدر عدد الدّور في مدينة الجزائر أواخر عهد الدايات بحوالي ثمانية آلاف(800) وعشرة آلاف(10000) داراً، وخضع نمط بنائها إلى فضاء المدينة ومحيطها الداخلي، فظهر نمط الطوابق ابتداء بطابق واحد ثم طابقين أرضي وعلوي، وتوقفت في طابقين بسبب الزلازل.[2]

أمّا مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، فقد كان الفضاء السّكني فيها يتقسم إلى قسمين: منطقة سكنية كثيفة في مركز المدينة بها دور الطبقة الميسورة، وهي مركز ريَّادة الأعمال، وسعر العقَّار فيها كان مرتفعا، وهي تخلوا من الحدائق، ومنطقة كانت تسمى بالضّواحي في محيط المدينة يسكنها الوافدون الجدد.[3] وما كان يميز مدينة قسنطينة في تلك الفترة، هو انتشار المساكن الجماعية بشكل كبير، البعض منها كان ملكاً للعائلات، وأخرى ملكٌ للمؤسسات الدينية كالمساجد والزّوايا، وأخرى ملك لموظفي الدولة، كما أن معظم الدّور كانت تظم عائلتين أو أكثر[4].

لم تكن الدُّور التي يقطن فيها الجزائريون على نوع واحد، بل تعدّدت أنواعها وذلك باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمناخية، وحتى الثقافية وهذا ينطبق على مجتمع مدينة الجزائر، فاختلفت الدور من صغير إلى كبير، وحسب الطّراز من بسيطة إلى فخمة، وإمّا أن يكون مسكناً مشتركاً أو مستقلًّا وتختلف

[1] - Jean Michel Venture De Paradis, Alger au XVIIIe siècle, édité par E. Fagnan, Bibliothèque nationale de France, 1898 .p36.

[2]– بلبراوات بن عتو، المدينة واليف في الجزائر خلال لعهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران (الجزائر)، 2008م، ص53.

[3]– فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة(من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تونس، 1419هـ/1998م، ص85–86.

[4]– حياة بوشريبة، التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م /1841م أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الشلف، الجزائر، 2025/2024م، ص217–220.

أهميتها حسب المكان داخل المدينة أو خارجها. ويمكن تصنيفها حسب المساحة والوظيفة إلى: الدّار، الدويرة العلوي والغرفة[1].

عادةً ما كانت دور الأغنياء من التّجار والمسؤولين فخمةً وتشبه القصور. وقد ذكر وليام شالر أن بعض الدور المحلية الجميلة مثل: دار إبراهيم باشا، ودار الإخوة بن المرابط، ودار الوالي العام؛ التي كانت في السابق مقرًّا لسُكنى حسن باشا خامس دايات الجزائر، تُعدّ من أبرز الأمثلة على تلك الفخامة، إلى جانب عدد قليل من الدور الأخرى[2]. كما ذكر ديفولكس أسماء عدة دور جميلة في مدينة الجزائر كانت ملكاً لكبار الشّخصيات منها: دار بوشناق، دار بن زحوط باكري، قصر القنصل الدانيماركي، دار النّصارى، دار السُّبوعة، دار بوهراوة، دار الريّاض، دار مونتشاشو، دار الوكريف، دار النخلة، دار أوزون محمد، دار محمد رايس السّنباكي، دار أوسطى والي، دار الذّهب، دار باي روحو، دار بن جلاتي، دار الباشا مراد، دار الرايس ميزومورتو، دار الحاج إبراهيم، دار الحاج مصطفى العلج، دار الحاج عمر، الدار الحمراء، دار البلكباشي، دار المقاطعجي، دار علي تاتار، دار أحمد خوجة.[3]

أما الدُّور في مدينة قسنطينة، فقد كانت مشابهة لدور مدينة الجزائر، لكن أغلبها يكتفي بطابق واحد ويخضع تصميمها للمستوى الاجتماعي، فبيوت الفقراء تبنى بمواد بسيطة، أمّا بيوت وقصور الطبقة الميسورة فتُبنى على عدة طوابق وبمواد رفيعة، كانت الدّور لا تكتسي أي مظهر جمالي في الخارج، ولا تتوفر على نوافذ وإن وجدت فهي صغيرة،[4]وشكلها متشابه في كافة أنحاء المدينة، من حيث العناصر أمّا البيوت من الداخل فهي جميلة، ومُزيّنة بالزلّيج والدُّهانات، ويَشتمل البيت على سقيفة وكل النوافذ والأبواب الدّاخلية تفتح على فناء جميل، يعتبر المكان المفضل الذي تجتمع فيه العائلة[5]. فقد ذكر الرَّحالة الحسين الورتلاني الذي مرَّ بمدينة قسنطينة أثناء عودته من رحلة الحج (1193هـ/1779م) قائلا: " **هذه البلدة كثيرة الأرزاق قوية**

---

[1]– خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ جامعة قسنطينة (الجزائر)، 2006م، ص461.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص ص29–30.

[3]-Albert Devoulx, El Djazair Histoir…, Op.cit, p 55.

[4]– يوسف قويسم، مدينة قسنطينة ما بين القرنين (10–07 هـ/ 16–13م) دراسة سياسة، عمرانية، واجتماعية وثقافية، دار المتنبي للطباعة والنشر، المسيلة (الجزائر)، 2022م، ص154.

[5]–يوسف قويسم، المرجع السابق، ص156.

الإنفاق طويلة البنيان" وأضاف قائلا: **فهذه البلدة كثيرة السمن واللحم والقمح والمياه الباردة والديار الواسعة.** "[1]

وفي مدن الغرب الجزائري كانت الدُّور متشابهة في شكلها العامّ، في مدن تلمسان ومعسكر ومازونة ومستغانم، كانت مشيّدة على النّمط العربي الإسلامي ذو الفناء الداخلي، وهي لا تتعدّى في الغالب طابق واحد، وفي بعض الحالات فقط يكون لها طابق أرضي وهي دور ذات أقواس داخلية، كانت الدّار في مدن الغرب في الغالب، على شكل مربّع لونه أبيض ولا يتوفر على نوافذ وإن وجدت تكون عالية، وباب الدّار عريض ويُصنع من الخشب.[2]

2-2-هندسة الدُّور السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني

كانت الدَّار في الغالب تتشكل من ثلاث مستويات، طابق أرضي، وطابق علوي إضافة إلى السطح كما تظمُّ صحناً مركزيًا وأروقة تحيط به، وتتوزع حول هذه الأروقة غرف الدّار، يتصدَّر الدّار مدخل منكسر أو سقيفة لاستقبال الضيوف. وهذا النمط من المساكن قديم، حيث يذكر أندري ريمون أنّ المسكن التقليدي الإسلامي ينتمي إلى نموذج وحيد، لم يتغير عبر الزّمان والمكان، يوصف بالانعزال لأنه داخل المدينة، عبر طرق ضيقة ومُلتوية تنتهي بدروب ضيقة مسدودة، ومعزول تماما عن العالم الخارجي، ومنفتح من الداخل على صحن مكشوف، وهذا يحقق بطريقة جيدة المتطلبات الاجتماعية والدينية.[3]

يُعدّ نموذج مدينة الجزائر مثالًا على التخطيط الموحد للدور خلال العهد العثماني، حيث كانت تُبنى وفق تصميم ثابت يتكوّن من فناء مربع تحيط به مجموعة مناسبة من الحجرات على الجوانب الأربعة. وقد اختلفت تلك الدّور في الحجم، وفي قيمة مواد البناء المستخدمة في التّزيين الداخلي. وتجدر الإشارة إلى أن الدّور التي تُبنى داخل أسوار المدينة كانت ضيقة وصغيرة المساحة، في حين أن الدّور الواقعة خارج الأسوار، وكذلك الدور الريفية، كانت أكثر اتساعاً وتتميّز بسعة مساحتها، كما أنها مزوّدة بحدائق.

على الرغم من بساطة الواجهة الخارجية لدور الجزائريين، إذ كان التركيز موجّهًا نحو الداخل (الفناء والفضاءات الداخلية) لضمان الخصوصية، بينما ظل الخارج متقشّفًا يعكس قيم التواضع والبعد عن الاستعراض، كما تبدو من الدّاخل نظيفة وتعكس ذوقًا رفيعًا. يهتم الجزائريون بغرف الاستقبال جيدا حيث

---

[1]-الحسين بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، مج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(مصر)، 2006م، ص700.

[2]- فتيحة الواليش، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلل القرن الثامن عشر، رسالة مجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994م، ص148.

[3]- أندري ريمون، المدن العربية الكبرى...، المرجع السابق، ص ص307-308.

تُؤثث بأثاث فاخر وتُزين بزخارف متنوعة، تُعد امتدادًا للتراث المحلي، إذ تتنوع بين النُّقوش المخرَّمة على الجِبْس، وتزين بالسّجاد التقليدي والمفروشات المطرّزة يدويًا. يظهر ذلك جليًا في **الصورة رقم(12)**. إنّ هذا التّناقض بين البساطة الخارجية والفخامة الداخلية يعكس رؤية اجتماعية متجذرة في الثقافة الجزائرية، حيث تُعطى الأولوية دائماً لاحترام الضّيف وراحته، أكثر من الشّكل الخارجي للمبنى الذي تُراعى فيه الحرمة بشكل أساسي.

الصورة رقم(3): لوحة تمثل قاعة الضيافة بأحد الدور الجميلة في مدينة الجزائر



المصدر: E.lessore,W.wyld, Voyage pittoresque…, pla 20

يذكر الأسير الإيطالي فيليبو بانتاني(Filippo Pananti)، في العقد الثاني من منتصف القرن التاسع عشر وصفا جيداً للمسكن في مدينة الجزائر قائلا: " **على الرغم من أنّ مساكن الجزائريين نظيفة بشكل عام بل ورائعة من الداخل، إلا أن مظهرها من الخارج لا يسرُّ الناظر، ولا نوافذ على الخارج. يوجد فقط في وسط الدار فناء مربع، تحيط به الغرف من كل جهة. الأسطح مسطّحة تستقبل المياه التي يتم تجميعها في صهاريج وتستخدم للغسيل. وبشكل عام فالمنازل منخفضة ولا تحتوي على أكثر من طابقين والأرضيات مكسوَّة برخام الكاشاني المستورد من إيطاليا. وهناك نافورة في جميع البيوت تقريبا، يسكن الحريم دائما في المبنى الخلفي، وبدلا من النوافذ توجد شرفة[1]كبيرة في واجهة المبنى... يتم تحضير**

[1] – يَقصد بالشُّرفة في واجهة المبنى **الرُّوشَنْ** وهو عنصر معماري هام في بيوت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، في شكل بروز في واجهة المبنى يسمونه المشربية في المشرق العربي ويبنى بالخشب، صُمم ليلبي وظائف متعددة، منها التهوية،

الطّعام في أفران تُرابية موضوعة في الفناء مجهزة بقباب وميضأة وهناك تشابه كبير بين الدور"[1]. يعكس هذا الوصف الطابع المعماري العربي الإسلامي، الذي يُولي أهمية للخصوصية والوظيفة أكثر من الزَّخرفة الخارجية.

وعلى خلاف ما ذكر بانتاني يذكر الدكتور شاو الذي كان في الجزائر لمدة من(1720-1730م) وصفاً مغايراً حول عدد الطوابق حيث يقول:" **إن أغلب الدّور في مدينة الجزائر فيها ثلاث طوابق وشرفاتها مكسوة بالجير الأبيض**"[2]. وربما يقصد هنا بالطابق الثالث؛ السطح الذي ترتاده النساء باستمرار، لنشر للغسيل واستنشاق الهواء والمحادثة مع الجيران، لأن الدُّور كانت تتشكل إمّا من طابق واحد أو طابقين، لكن هذا لا ينفي وجود دور من ثلاث طوابق، فقد جاءت الإشارة إليها في عقود المحاكم الشرعية مثل: دار ابن كرشيش اليهودي والتي تقع في حومة "الجرابة"، وصارت سنة 1675م مُلكاً لأبي حفص محمد الحاج، وكذلك دار أخرى قريبة من "عين الحمراء" تسمى باسم مالكها الحاج مصطفى خوجة ابن عبد الله "البلوكباشي"، مع تسجيل وجود دار بأربع طوابق بحومة "الكبابطية" تعرف بدار "الشبّاني"، بناها الحاج علي بن رمضان الصّباغ عام(1100هـ/1689م)[3].

لقد كانت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من أكثر المدن تجليًا في تصميمها العمراني، إذ شُيّدت بما يستجيب لحاجات سكانها ويعكس نمط حياتهم اليومية.[4] ويوضّح هاينريش أنّ الدُّور في مدينة الجزائر كانت تتكون في الغالب من طابقين وفي بعض الحالات ثلاثة طوابق، وقد صُممت بصورة تجعل الطابق الأعلى يمتد عرضا فوق الطابق السفلي، بحيث تكاد تتلامس الطوابق في الأعلى، مما يجعل الأزقة الضيّقة لا يدخلها ضوء كبير[5]، مع الإشارة إلى وجود طابق أسفل الأرضي(دهليز)[6] تحت مستوى الشارع،

الإنارة، والحفاظ على خصوصية النساء، حيث يُمكّنهن من مراقبة الشارع دون أن يُرَين. وقد جاء كحل معماري لمشاكل الاكتظاظ العمراني، وبرز كعنصر جمالي وإنشائي في آن واحد، للمزيد راجع: سامية بن قويدر، «وظيفة القبو في عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني»، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع02، 2022م، ص1529.

[1]- Pananti Filippo, Relation d'un séjour à Alge, tr: Obratilled, Normant, imprimer libraire, Paris,1907,p p300-301.

[2]-Shaw, le Docteur, Voyage dans la régence, d'Alger, tr: de Langlais, J. Maccarthy, Marlin éditeur, Paris,1830, p293.

[3]- خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص463.

[4]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص58.

[5]- هاينريش فون مالنسان، المصدر السابق، ص28.

[6]- ممرات سفلية تحت المباني.

تستخدمه الأسر وعادة يكون فيهه البئر والمخازن وغيرها. كان يُطلق لفظ "الغرف" على ما يُبنى في الطّابق العلوي، ولفظة "الدّار" على ما يبنى في الجزء السُّفلي من المبنى.

أما فيما يخص عدد الطوابق في الدور السكنية بمدن الغرب الجزائري، فبحسب دراسة أجرتها الباحثة فتيحة الواليش، فإنها لا تتعدى الطابق الواحد، وفي بعض الحالات فقط تضم طابقًا أرضيًا[1]. وهذا ما يجعلنا نذهب إلى القول أن مدينة الجزائر شهدت بشكل كبير نمط البناء بطابقين وأكثر، على عكس باقي المدن الأخرى وهذا راجع إلى ضيق مساحة المدينة، التي توسعت بسرعة داخل الأسوار فأصبح السّكان يستغلون الطوابق العليا لتوفير مساحات للبناء، كما ساهم في ذلك الطبيعة الطوبوغرافية للمدينة التي بنيت على تضاريس جبلية وساحلية في اعتماد هذا النمط البنائي.

3-أقسام وعناصر الدُّور السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني.

إنّ المعلومات القليلة وغير الكافية حول أنواع الدُّور ومستوياتها ومرافقها، لا تمكّننا من ضبط شكل محدَّد لدُّور التي كان يسكنها الجزائريون خلال العهد العثماني، فقد اختلفت أقسام ومرافق الدّور من دار لأخرى، فتلك الموجودة في الدُّور الكبيرة قد لا تكون موجودة في العلالي والدّويرات والمساكن الريفية، إلّا أنّه يمكن أن نُميّز بين ثلاث أنواع من الدُّور في المدن: الدُّور الكبيرة التي تصل إلى مستوى القصر يملكها الحكام والأعيان وكبار الموظفين وأصحاب المال والجاه، والدُّور المتوسطة التي يملكها عامة الناس، والدويْرة التي قد تكون جزء مقتطع من الدَّار الكبيرة.[2]

3-1- أقسام الدُّور.

شهدت المدن الكبرى خلال العهد العثماني تزايدًا ملحوظًا في الطلب على السكن، نتيجة توافد فئات مختلفة من داخل البلاد وخارجها، كالتجار والمهنيين، وكذلك المهاجرين والجنود وغيرهم. وقد أصبح الحصول على سكن داخل المدينة مطلبًا للكثيرين، حتى وإن اضطرُّوا إلى اقتسام الدّار بين شخصين أو حتى مع أهل الزوجة. حيث تشير العديد من العقود في مدينة قسنطينة إلى أن بعض أفراد الانكشارية كانوا يسكنون في دار زوجاتهم، خاصة إذا كانت الزوجة غنية ولها إرث من والديها.[3]

لقد كانت أجزاء عديدة من المباني في المدن الكبرى تُستغل لغرض الإيواء، في ظل الطّلب المتزايد. حيت كانت الدُّور تتشكل من عدة أقسام، كما كان يمكن لكل قسم من الدّار أن يُشكل مأْوى في

[1]- فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص148.

[2]- Fray Diego De Haedo, topographie…., Op. Cit, p55.

[3]-جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر،2008/2007م، ص209.

حدّ ذاته فقد يكون المسكن داراً كبيرة متعددة المرافق، أو يكون دويْرة صغيرة، أو يكون غرفة في مبنى، أو يكون علوي فوق مبنى، أو يكون حتَّى خربة. وسوف نقوم بالتفصيل فيها:

-**الدّار**: قد تُشكل الدار مركب متعدد المرافق واللّواحق، وهي قد تَضُم في بعضها (الدويرة، العلوي، الحانوت، المخزن، الإسطبل) كما تشير إلى ذلك وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، فقد ورد في أحد العقود: "**جميع الدّار الكاينة بسوق الكبابطية بساحة باب عزون مع علوي الكاين بسقفها والإسطبل والحانوت المستخرجين منها رسم عقد محرم 1091هـ/** 1679-1680م.[1]

-**الدّويرَة**: وهي بيت صغير الحجم تملك نفس خصائص الدّار الكبيرة تقريباً، وعادة ما تكون عدد غرفها أقل، أمّا عن وظيفتها فهي تُخصَّص للزوَّار أو الأبناء المتزوجين حديثاً أو للزوجة الثانية، وفي بعض الحالات تُستعمل وفق حاجة صاحب الدّار، حيث يذكر شالر واصفاً للدّار التي كان يقيم فيها تتصل به دويرة : " **ومنزلي أُلحق به منزل آخر أصغر منه ومستقل عنه تخصصه الأسر الجزائرية أحيانا إلى إيواء الأسر التابعة لصاحب المنزل أو لابنه المتزوج وتستعمل البناية في حالة أخرى كمطبخ أو مكاتب أو حمامات**"[2].

- **البِيْت**: أطلق هذا اللّفظ في وثائق الأرشيف على نوعين من البيوت الموجودة في الدُّور، وعلى تلك الموجودة في الفنادق أو العَلْوي[3]، وهي تُطلق في الغالب على وحدة تمثل غرفة.

-**الغَرِيفَةُ**: عثرنا كذلك على مصطلح الغَرِيفَة، وهي تصغير للفظة غرفة، وتعني غرفة صغيرة كما ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية: "**جميع السُّفلي من الدَّار مع الغريفة الصغيرة. شوال 1094هـ/** 1683م.[4]

- **العَلْوي أو الهَواء**: من العوامل التي ساهمت في توسُّع العمارة الحضرية في المدن، القاعدة الفقهية التي تنص على أنّ من يملك أرضاً أو عقاراً مَلَكَ ما فوقه وما تحته، فهي تحمي البائع والمشتري. وقد اشترط الفقهاء في معاملات البيع والكراء المتعلق بالهَواء الوصف الدَّقيق، الذي ينْتَفي معه الجهل والغَرَرْ، فقد يضطرُّ الفرد لشراء هواء بيت للبناء، بدافع الحاجة أو لأنّه بمبلغ أقل من شراء قطعة أرض، كما أنّ حاجة البائع الاقتصادية قد تدفعه لبيع هواء داره. كما لا يجوز للمشتري التّصرف في هذا الهواء، إلاّ برضى

---

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع62 و25.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص96.

[3]-وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات 1258، و87.

[4]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع28، و23.

الطّرف السُّفلي، وهذا ما يُشكل أحياناً محلَّ نزاع بين المُلاَّك لكن الضّرورة وغلاء أسعار العقار في المدينة يدفعان إلى ذلك.[1]

-**الخَرَاب:** ورد في لسان العرب أنّه يُقال: خَرِبَ المكانُ أي؛ فسد وتهدّم والخَرِبة هي موضع الخراب، وجمعها خَرِبات[2]، كانت المباني المهدمة كغيرها من العقارات الأخرى تُباع وتُشترى لأغراض مختلفة، خاصة من طرف الحكام والأعيان للتوسع وإعمارها كما فعل "صالح باي"، فقد ورد في وثيقة من سجلاّت صالح باي التالي:" **الحمد لله بعد أن استقر على المُلك المعظّم الأرْفع الفَضْل الأمْنَع، سيّدنا صالح بي أيّده الله تعالى جميع الخَراب الذي له بابان أحدهما شرقي المفتح والآخر غربي، ... تملكه بالشّراء الصحيح والثمن المقبوض**"[3]. استُغلت أماكن الخَراب في المدن الكبرى خلال العهد العثماني كملاجئ مؤقتة لإيواء الغرباء، خصوصًا من الفقراء وفئة البرّانية. وقد مثّلت "خربة بن سعيد" في مدينة قسنطينة مثالًا واضحًا لهذا النوع من الإيواء غير الرسمي[4].

3-2-عناصر ومكوّنات الدَّار.

- **المدخل:** اتَّخذت مداخل الدُّور في مدن الجزائر خلال العهد العثماني أشكالاً وأبعاداً مختلفة، حيث كانت الرئيسية منها كبيرة وبارزة، أمّا مداخل الغُرف والحُجرات وبعض المرافق الاخرى فكانت أحجامها متوسطة أو صغيرة تحمل عقوداً[5] أو من غير عقود. كما كان البعض منها مدرجاً بأُطر من الرُّخام أو الحَجر في شكل دعَامات يتوّجها عقد نصف دائري، تتزين بها واجهة الدّار[6]. كما هو موضح في **الصورتين رقم(12)و(13)**، وكما هو الحال في مدخل دار سيدي أحمد بن علال في مدينة القليعة، الذي يعود إلى الفترة العثمانية،

[1]- حياة بوشريبة، المرجع السابق، ص222-223.

[2]- ابن منظور، المرجع السابق، ج1، ص347.

[3]- فاطمة الزهراء قشي، سجل أوقاف صالح باي، المصدر السابق، ص26.

[4]- حياة بوشريبة، المرجع السابق، ص226.

[5]-عرفت العمارة السكنية بالجزائر خلال العهد العثماني استخدام انواع عدة من العقود ذات الغرض الجمالي أو الوظيفي في أماكن عدة خاصة المداخل منها العقد المنكسر، العقد النصف دائري، العقد الجزائري. للمزيد راجع: علي بوتشيشة، «المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني؛ دراسة في عناصره المعمارية»، مجلة الدراسات الأثرية، مج19، ع01، 2021م، ص95-96.

[6]- المرجع نفسه، ص ص90-91.

فمدخل الدّار به عمودين وعقد نصف داري[1]. كما كانت بعض المداخل لا تُؤدي مباشرة لصحن الدّار مراعاةً للحرمة؛ فهي مُنكسرة لحجب مَن في الدّاخل عن أعيُن المارّة بالخارج[2].

-**الأبواب:** كانت أبواب الدُّور مصنوعة من الخشب لكنها تميّزت بالمتانة. فقد ذكر وليام شالر في مذكّراته أنّ باب الدّار كان من القوّة والصلابة بحيث يشبه باب القلعة، وأن الأبواب صُنعت من خشب صلب يكثر فيه استعمال الحديد. وغالبًا ما كانت تُزيَّن بنسيج حديدي جميل، أو تُضاف إليها مقابض يدوية ومطرقيّات(كبيرة مخصصة للرجال وصغيرة للنساء). وكان تصميمها في الغالب يأخذ شكل خمس أصابع اليد[3]. ورمز الخَمِيْسَة ارتبط في بلدان المغرب العربي بالحماية من العين الشرّيرة والشُّرور الخفية أو الغيبية، و هي حسب اعتقادهم تجلب الحظّ والبركة. وتعود جذورها إلى حضارة القرطاجيين حيث ارتبط بالإلهة "تانيت" آلهة الرّزق والخير، ثم استمرّ حضور اليد في الموروث الإسلامي والشعبي باعتباره "يد فاطمة". بنت الرسولﷺ و اليد هنا ليست مجرد عضو جسدي؛ بل رمز للقوة والدّفاع والبطش[4]، وكثرة استعمالها في أبواب الدُّور جعلها علامة بارزة في العمارة.

الصورة رقم(4)و(13): لوحة تمثل مدخل الدور في شوارع القصبة بالجزائر العاصمة اللوحة رُسمت مع بداية الاحتلال الفرنسي

[1]- سعاد بن شامة، المعالم الأثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني – شرشال البليدة والقليعة- أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر 2015م، ص171.

[2]- بوعبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص67.

[3]- بوعبدالله بلجوزي، المرجع السابق، ص62.

[4]- سعدي حسناء، حامي حسان،« الرموز ضمن البنية المورفولوجية للسكن التقليدي الجزائري-رمز الخامسة نموذجا- »، أنثروبولوجيا، مج09،ع01، 2023م، ص203.

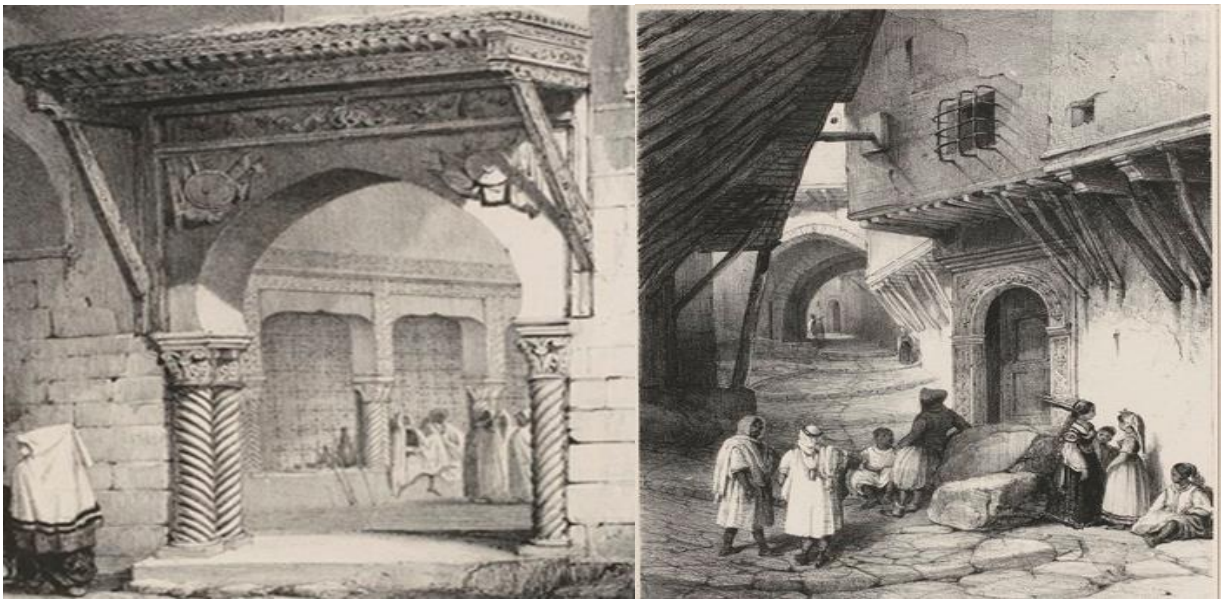

المصدر: E. Lessore, W. Wyld, Voyage pittoresque …, pla, 28,33

-**السَّقيفة:** هي الممرُّ الذي يفصل بين داخل الدّار والشّارع عبر الباب الرئيسي، ومن حيث الوظيفة هي المكان الذي ينتظر فيه الشخص الأجنبي، وقد تكون عبارة عن ممر في شكل زاوية قائمة، يمتد إلى ساحة الدّار بطريق دائري إلى اليمين وإلى الشمال، وذلك لضمان حجب من بساحة الدّار، وتزود السقيفة في بعض الدّور بمصاطب من الحجر، يجلس عليها الزّائر في انتظار الاذن بالدُّخول، وتُزيّن بالرُّخام وتُفرش بالزّرابي، كما أنّه في بعض الدُّور يخصص فيها مكان لربط الدَّواب[1].

وقد تكون السَّقيفة في شكل غرفة مربّعة تُزوّد بمقاعد مبنية من الحجر، ثم ممر يقود إلى الساحة الرئيسية للدّار[2]، وأحيانا بشكل غرفة بها مدخل ثاني لا يقابل المدخل الرئيسي، يَنْفتح على الصّحن ليحجُب النّظر على من بداخل الدّار[3]. فقد ذكر وليام شالر أن السَّقيفة كانت موجودة في كل الدور الجزائرية ووصف ذلك بقوله: "**وفي جميع الدّور توجد شقة عند الباب الرئيسي يستقبل فيها الزوّار والنظر في حاجياتهم وهي شقة فاخرة التأثيث تسمى السّقيفة**[4]".

ويذكر أ. ليسور أنّ البَهو كان يُستخدم كغرف للاستقبال، يبقى فيها العبيد في بيوت الأثْرياء ليخبروا مولاهم بزيارة الأجانب، وهي قاعة جميلة ومزخرفة من كل جانب وبها مقاعد مغطاة بزرابي مخصصة

[1]- خليفة حماش، المرجع السابق، ص497.

[2]- فتيحة الواليش المرجع السابق، ص148.

[3]- سعاد بن شامة، المرجع السابق، ص171.

[4]- وليام شالر، المصدر السابق ص96.

لجلوس الزوّار، في انتظار قدوم صاحب المنزل وعندما يفرغ الزّائر من موضوع الزّيارة ينصرف، دون أن يسمح له بالتّوغل داخل البيت لأن أفراد الأسرة وحدهم من يمكنهم الدّخول إلى الأقسام الأخرى من المنزل[1].

-**ساحة الدار(الفناء):** للفناء أهميّة بالغة في بيوت الجزائريين، لأنّه مصدراً الهواء النّقي ورئة البيت، كما يوفّر للضوء الذي تتزود به مختلف الغرف التي تُطلّ عليه. فهو يلطّف الجو في الصيف ومصدر لأشعة الشمس والحرارة في الشتاء، كما يُعد الفناء المفتوح مكاناً لالتقاء أفراد الأسرة تحت جوّ السّماء للسّهر وتبادل أطراف الحديث[2].

كانت الأفنية في شكل ساحات مركزية مفتوحة وغير مغطاة بداخلها نجد الغرف[3]، وتزوّد بعضها في الدُّور الجزائرية بنافورة في المنتصف، يجري إليها الماء لتلطّف الجو، وتُزرع حولها نباتات لإعطاء منظر جميل للدار[4]. يذكر وليام شالر أنّ البيت الجزائري يتوفّر على فناء تحيط به أروقة، يسميه العرب وسط الدَّار ويَدعوه الإسبان(باتيو)، وهم مقلدون بذلك للعرب، وهو نفس الفناء المعروف عند الرُّومان القدماء. وتحتوي الدّار الكبيرة على الصّحن الروماني، الذي هو صورة مكبّرة لوسط الدّار، إلاّ أنّ دور الجزائريين كانت جميلة وتضاهي في جمالها بيوت الأوربيين [5]. لقد ذكر لنا هايدو بعض الدُّور في مدينة الجزائر بها أفنية جميلة: **"هناك كذلك منازل جميلة ، في جميع أنحاء المدينة ليست أدنى بأي حال من الأحوال من المنازل المسيحية الجميلة جداً، وجميعها لها نفس الشكل الذي وصفناه، لها فناء أنيق، بيت رمضان باشا، الحاج مراد، بيت القائد مامي، القايد حميدة المغاربي، القائد التركي، مصطفى قائد، حسن القائد، محمد اليهودي**[6].

- **صحن الدَّار:** كما أشرنا سابقا فقد أُضيف إلى المسكن الجزائري في العهد العثماني الصّحن المكشوف، الذي تحيط به أروقة تنفتح عليها الغرف، وترتكز على أعمدة خشبية أو رخامية، مع إضافة بعض العناصر الزُّخرفية، والصّحن في العادة يتخذ شكلاً مربعاً في جوانبه الأربعة أروقة بأعمدة أسطوانية ترفع فوق تيجان، تحمل عقوداً متجاورة.[7] يصفه وليام شالر على أنّه رواق تحيط به الأعمدة يوجد في أغلب البيوت الجزائرية.[8]

---

[1]-E. Lessore, W.Wyld, op. cit p 11.

[2]– بوعبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص67.

[3]– فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص148.

[4]–عبد القادر قرمان، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007م، ص118.

[5]–وليام شالر، المصدر السابق، ص28.

[6]- Fray Diego De Haedo, topographie ...Op.cit, p215.

[7]– سعاد بن شامة، المرجع السابق، ص172.

[8]– وليام شالر، المصدر السابق، ص28.

– **الأعمدة والدّعامات:** هي من العناصر الأساسية التي تُستخدم لغرض تماسك البيت، وتحمل السقوف كما تستعمل الأعمدة والدّعّامات لإضفاء الجمالية على البيوت يضيف شالر أنّ الأعمدة التي تتواجد في بيوت الأغنياء تصنع من المرمر اللولبي أو المقنى، وبها ثلاثة أقواس في الجهات الأربع[1]. كما هو موضّح في **الصورة رقم(14)**. ويذكر كولفن أن شكل الأقواس المدبّبة نمط شائع جدًا في الجزائر خلال العهد العثماني، ويعود هذا النمط إلى عمارة العثمانيين في تلك الفترة، إذ نجد نماذج عديدة منه خاصة في فتحات الأبواب والنوافذ والخزائن في الجزائر وفي مركز الدولة العثمانية بالآستانة[2].

بينما لا يوجد في مداخل دور الفقراء سوى اثنين من الأعمدة تشبه حذاء الفرس، اما الاعمدة الداخلية في بعض الأحيان تأخذ شكلاً مستديراً ونادراً ما تكون مدببة، وتتكرر في الطابق العلوي بنفس العدد، مما يكون شرفة علوية تسمى الدرابزين[3]، غير أنّ الغالب على دور الجزائريين في العهد العثماني، استخدام العمود الرّخامي نصفه السُّفلي مثمَّن الأضلاع والعُلوي حلزوني. أُستخدم هذا النوع بشكل كبير في دور مدينة الجزائر، وبشكل أقل في مدينة وهران والبليدة والمدية وقسنطينة، وكانت تستخدم بشكل أساسي في الطّوابق العلوية، من أجل تثبيت الدّرابزين في الجزء المضلّع من العمود[4]. أمّا النّوع الثاني فكانت الأعمدة الملساء الأسطوانية الشّكل، المصنوعة من الحجر الكلسي تتميز بضخامتها وقصر طولها وتحمل تيجان، بسيطة في مظهرها شاع استعمالها في العهد العثماني والعهود السابقة، إضافة إلى أنواع أخرى من الأعمدة المثمّنة والمربّعة والأسطوانية والمدمجة بين المُثمّن والأسطواني، كما هو الحال في مدينة قسنطينة وملیانة[5].

الصورة رقم(5): تمثل لوحة رُسمت مع بداية الاحتلال الفرنسي جزء من الرّواق الداخلي لدار "مصطفى باشا بمدينة الجزائر.

[1]– نفسه، ص29.

[2] - Lucien Colvin, op. cit, p 54.

[3]– وليام شالر، المصدر السابق، ص29.

[4]– علي بوتشيشة، المسكن في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص93.

[5]– المرجع نفسه، ص94.

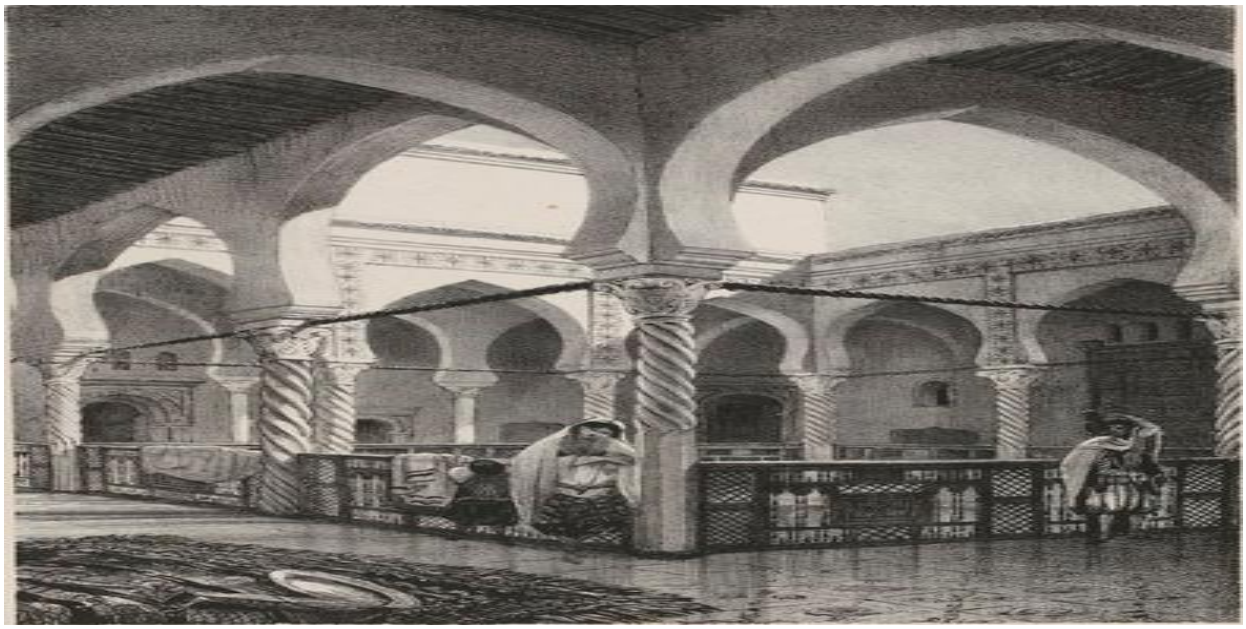

المصدر: E. Lessore, W.Wyld, Voyage pittoresque… , pla 40

-**النّوافذ والشّمسيات:** كانت النّوافذ الخارجية قليلة في بيوت الجزائريين، وإذا ما وجدت فهي تكون ضيّقة ومرتفعة على الشارع، يعوض وظيفتها الفناء الداخلي. فقد ذكر هايدو في وصف الدّور بمدينة الجزائر أنّ القليل منها من لا تحتوي على فناء واسع لأنّ المغاربة لا يريدون أن تَرى زوجاتهم ونساءهم ما يجري بالخارج، أو أن يَتمَّ رؤيتُهن، لهذا لا نجد الكثير من النوافذ المطلّة على الخارج[1]. وهذا ما جعل البعض ينفي وجود النّوافذ الخارجية في البيوت الجزائرية، حيث يذكر الأسير الإيطالي فيليبو بانتاني قائلا:"...**على الرغم من أنّ مساكن المغاربة نظيفة بشكل عام بل ورائعة من الداخل إلّا أنّ مظهرها من الخارج لا يسر الناظر ولا نوافذ على الخارج**[2]. ويشير فون مالسان أن الدّور كانت مُنغلقة عن العالم الخارجي؛ ويقصد به الطّرقات والأزقة ولا تتوفر على نوافذ، وإن وجدت تكون عالية[3] . وهذا ما ذهب اليه وليام سبنسر بقوله " **إنّ الجوانب الموالية للبحر من الدور كانت لها من نوافذ، ولكن يمكن القول على سبيل التعميم أنه لا توجد نوافذ خارجية، وهذا بناء على نظرية أن وجود تلك النوافذ كان سيمكن الرجال من ملاحظة زوجات جيرانهم** "[4].

وهذا التّصميم كان موجوداً كذلك في الدّور بمدينة قسنطينة، فحسب الدّراسة التي قام بها عبد القادر دحدوح ذكر أن المساكن خالية من النوافذ، وإن وجدت النوافذ فهي صغيرة وعالية ومزودة بقضبان حديدية.

[1] - Fray Diego De Haedo, topographie…Op.cit, p53.
[2] -Filippo Pananti, Op.cit, p301.
[3] – هاينريش فون مالنسان، المصدر السابق، ص26.
[4] – وليام سبنسر، المرجع السابق، ص61.

وتحكم عامل مراعاة الحشمة والستر في تقسيم وحدات الدّار. فكان القسم السفلي الذي يخصص عادة للضيوف يعرف "بالسلملك"، أما القسم العلوي الخاص بالحريم "بالحرملك".[1]

وندرة النّوافذ الخارجية لا يخص مدينة الجزائر وقسنطينة فقط. حيث تذكر فتيحة الواليش أن الدّور في مدن الغرب الجزائري خلال العهد العثماني لا يتوفر كذلك على نوافذ، وإن وجدت تكون عالية ومرتفعة عن الشارع[2]. باستثناء مدينة وهران فمثلاً قصر الباي محمد الكبير، وقصر مصطفى "المسراتي"، كانت بهما نوافذ كثيرة وواسعة وذلك بسبب ارتفاع القصران على مستوى الأرض، وموقعهما يجعلهما في منأى عن نظر المارّة. وعلى عكس الدّور في المدينة كانت الدّور الريفية بها نوافذ خارجية واسعة وكثيرة[3]. لأنها كانت غالبًا منعزلة أو محاطة بأراضٍ زراعية، مما أتاح إمكانية فتح نوافذ خارجية واسعة دون المساس بالخصوصية. هذا الانفتاح سمح بدخول الضوء والهواء، ووفّر إطلالة على الطبيعة المحيطة، ومراقبة القادمين من بعيد.

أمّا من الدّاخل فقد زوّدت مختلف المباني والدّور في مدن الجزائر خلال العهد العثماني، بنوافذ مختلفة الأشكال والأحجام، أُستخدمت لغرض التَّهوية ودخول أشعة الشّمس والرّؤية، تحكمت فيها عدّة اعتبارات دينية واجتماعية ومناخية ووظيفية، كانت تُراعَى في تصميمها مبدأ التّناظر وبترتيب متناسق الأجزاء[4]. كما عُوّضَت النّوافذ الضّيقة والقليلة في بيوت الجزائريين، خاصة في المدن بفناء واسع مكشوف، حيث أشار وليام شالر أن: " **المنازل لا تتلقى الضوء بشكل جيد إلا من الحوش، لأنه من غير المسموح لمنازل تُشرف عل بعضها من فتح نوافذ، وجميع النوافذ التي تشرف على الشارع أو على الحوش مزوّدة بقضبان من حديد يشبه فيها المنزل السجن.**[5]

– **الغُرف:** مثّلت الوحدات السّكنية المخصّصة للجلوس والنوم، وتناول الطعام واستقبال الضّيوف. لم تكن لها أسماء محدّدة، بل كانت تُسمى وفق الوظائف التي تشغلها، فهي متقاربة في الشّكل ويمكن لكل غرفة أن تقوم مقام الأخرى، وكانت تنعت حسب موقعها في الدّار، مثل الغرفة الشّرقية، الغربية، الشّمالية، الجنوبية، أو بناءً على موقعها من باب الدّار الذي يُفتح على الشارع، فكان يقال على يمين الباب، على يسار الباب،

[1]– عبد القادر دحدوح، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة...، المرجع السابق، ص451 .

[2]– فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص 184.

[3]– علي بوتشيشة، المسكن في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص91.

[4]– المرجع نفسه، ص91.

[5]– وليام شالر، المصدر السابق، ص96.

أو المقابلة للباب، وفي العلوية بناءً على موقعها من السُلم أو الدّرج أو فوق السّقيفة أو فوق بيت كذا أو الجهة التي تُفتح عليها شرقية، غربية، شمالية، جنوبية[1].

أمّا عن شكلها وهندستها فيذكر وليام شالر في وصف داخل الدّار بمدينة الجزائر، أنّ الشُقق في الدّار كانت ضيقة جداً وطويلة، نتيجة اتساع الحُوش(الفناء)، وهذا التّفصيل ملائم للمناخ البارد[2]، ويُعزى ضيق الغرف كذلك إلى تعدد حاجيات سكان الجزائر؛ إذ كانت الأسرة بحاجة إلى أكبر عدد ممكن من الغرف لتلبيّة متطلباتها اليومية، حتى أنّ العدد قد تراوح بين أربعة إلى تسعة غرف[3].

كما توفرت غالبية الدّور على بيت كبيرة تخصص للضّيوف، في المناسبات أو عند اجتماع أفراد الأسرة، وهي تقوم مقام غرف الجلوس في المباني الحديثة. أمّا بخصوص شكل الغرف ومساحتها ونمط التخطيط والوظيفة، اختلفت من دار لأخرى، حيث لا تذكر المصادر التاريخية ولا العقود شيئا حول ذلك، عدا ما أشار إليه وليام شالر في وصف إحدى الغرف، قد تكون الغرف المخصص للنوم: " **في كل جانب من جوانب الطّوابق الأربعة توجد غرفة واحدة طويلة وغالبا ما توجد في الغرفة قبالة الباب حنية تزينها حفر الخشب وفي النهايتين يرى المرء تجاويف خاصة بالنوم تشبه الكهف**".[4] كما تزوّد الغرف بخزائن جدارية، وهي من العناصر التي أُستخدمت بشكل كبير في للمسكن الإسلامي خلال العهد العثماني، يتم إحداثها في سُمك الجدار وتزوّد برفوف، وتزين أحياناً أعاليها بعقود نصف دائرية[5].

-**المطبخ:** لا يَخلو أي بيت جزائري من مطبخ، غير أننا لم نجد لها ذكراً على الأقل في المصادر التاريخية التي أطلعنا عليها. غير أنّ خليفة حماش يذكر أنّ المطابخ ورد ذكرها في العقود تحت مُسمّى(الخيامة)، وكانت في شكل غرف صغيرة، مقارنة بالغرف الأخرى، وقد تكون في الطابق الأرضي في بعض الدّور، كما كانت تحتوي على مداخن بارزة تسمح بتسريب الدّخان إلى الخارج.[6]

-**السَّلالم:** ارتبط وجودها بوجود أدوار علوية في الدّور أو سفلية. منها ما هو مستقيم ومنها ما هو منكسر ومنها ما هو ملتف أودائري، أُستخدمت في بنائها عدة مواد منها: الآجر، الحجارة، الملاط، الرّخام، والخشب وغيرها، تميزت عموماً ببساطة شكلها المعماري، وقد توفّرت بعض الدُّور على أكثر من سُلّم مثلما هو الحال

---

[1]- خليفة حماش، الأسرة...، المرجع السابق، ص479-480.

[2]- وليام شالر، المصدر السابق، ص96.

[3]- خليفة حماش، الأسرة...، المرجع السابق، ص481.

[4]- وليام شالر، المصدر السابق، ص29.

[5]- هواري العياشي، نماذج من المساكن...، المرجع السابق، ص125.

[6]-هواري العياشي، المرجع السابق، ص124.

في دار "الدّايخة" بنت الباي في مدينة قسنطينة؛ إذ تحتوي الدّار على ثلاث سلالم[1]. كانت بعضها تُسقّف بالأقبية والأوتاد الخشبية، وتزيّن بالرّخام والزليج أو بلاطات من الأجر[2]، يذكر شالر أن أغلب الدّور العربية، بل كلها تقريباً بها طابق أعلى، تتكرر فيه الأعمدة بالشكل نفسه وفي الأعلى سُلّم يؤدي منها إلى السّقف، الذي يحمل أيضا قاعة نصف مكشوفة تُسند بأعمدة، يبدو من الأسفل في شكل طابق لم يتم بناؤوه.[3]

-**السُّقوف:** لقد استخدم السُّقوف الخشبية في أغلب دور الجزائريين خلال العهد العثماني، في شكلها المسطّح خاصة في مدينة الجزائر، وأحياناً في شكلها الهرمي. أمّا مدينة قسنطينة فعرفت اعتماد السُّقوف الهرمية المغطّاة بالقرميد، فقد تحكم عامل المناخ بشكل السّقف، فمدن الوسط والغرب التي تشهد كميات قليلة من التّساقط، أُعتمدت فيها الأسقف المسطّحة بشكل كبير، والمدن الشّرقية التي تشهد كميات تساقط كبيرة كقسنطينة نجد الأسقف الهرمية، والتي تساهم في منع تسرب المياه إلى الدّاخل مقارنة بالأسقف المسطحة.[4]

استخدمت كذلك القباب في الجزائر خلال العهد العثماني كعناصر للتّسقيف، غُطّيت بها السّقائف والمطابخ وبيوت الغسيل والمراحيض والمخازن والصّهاريج، وغيرها من المرافق حيث كانت هذه القباب تسمح بتوزيع الثقل على نقطة ارتكاز ثابتة ومتباعدة، تساهم في متانة وتماسك السّقف، وتسمح كذلك بصعود الهواء إلى الأعلى وتساعد على تخفيض درجات الحرارة[5]. وهي تُضفي كذلك نظرة جمالية على السّقف.

-**الإنارة:**عرفت الجزائر خلال العهد العثماني عناية خاصّة بوسائل الإنارة، والتي كانت تجمع بين الوظيفة العملية والجمالية، حيث برزت الثُّريات[6] كأفخم عناصر الإضاءة واجملها، كانت تُعلق في السقف وتتدلى من القباب أو تتوسط القاعات، في القصور والدّور والمنشآت الدينية وكذا الاسواق والشّوارع، كانت تُصنع في الغالب من النُّحاس، لما له من سهولة في التَّشكيل والزّخرفة بالطّرق السّاخن أو البارد[7].

---

[1]- المرجع نفسه، ص129.

[2]- علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص102.

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص29.

[4]- هواري العياشي، نماذج من المساكن...، المرجع السابق، ص101.

[5]- المرجع نفسه، ص99.

[6]- واشتُقت كلمة "**ثُريَّا**" من "الثَّرى" بمعنى الغِنى والوفرة، ويقال كذلك للتربة الغنية، وأطلقت مجازًا على تجمع المصابيح المضيئة تشبيهاً بالنجوم، راجع: ابن منظور، مج 14، ص309.

[7]- هجيرة تمليكشت، «الثريات ذات الطراز المملوكي بالجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية، (العراق)، مج03، ع02، 2022م، ص104.

لقد كانت مدن تلمسان، الجزائر، قسنطينة، مراكز رئيسية لصناعة الثُّريات وحوامل المصابيح المتنوعة، مع اختلاف الزّخارف بين المدن، نتيجة المَزج بين الأسلوب المحلّي والتّأثيرات الأندلسية، كما أَلهمت التُّحف التي جلبها البحارة، الصُّناع المحليين لتقليدها مما ساهم في تطوير خبراتهم[1]. تنوّعت أشكالها بين التي بها حوامل للكؤوس الزّجاجية، أو الشموع، أو الاثنين معًا. وأخرى بطراز مملوكي[2] نصف كروي، أو كَمْثري مُخرّم، يمكن تعليقها بالسلاسل أو وضعها على قاعدة، ومن أمثلتها نموذج كَمْثري محفوظ بمتحف "الباردو" في مدينة الجزائر[3].

إلى جانب ذلك أُستُخدم الشّمعدان كأداة أساسية للإنارة عند الجزائريين؛ وهو عمود بقاعدة لتثبيت الشمعة، يُستخدم في القصور والدّور، وفي المساجد يوضع اثنان كبيران على جانبي المحراب. كان يعرف في قسنطينة ووهران وتونس باسم(الحَسْكَة)، وكان يُصنع عادة من النُّحاس أو البُرونز وأحيانًا قليلة من الفضّة، وقد عَرف تطوّراً في العهد العثماني ليشمل خامات أخرى كالفخّار، مع إضافة طبق لجمع الشّمع المتهالك [4].

أما الإنارة الزّيتية فقد كانت بواسطة القناديل؛ وهي عبارة عن وعاء معدني أو زجاجي يحتوي على ماء وزيت تَشْتعل فيه فتيلة. ويرجع أصل الكلمة من اللاتينية(candela) وبالإسبانية(candil)، وهي تُصنع كذلك من النُّحاس أو البرونز، فقد شهدت الصّناعة المعدنية والنّحاسية في الجزائر تطورًا كبيرًا، حيث يذكر الأسير فيليبو بانانتي أنّه لاحظ في الجزائر ازدهاراً كبيراً في صناعة الطّاسات والأباريق والكؤوس والفوانيس والقناديل الكبيرة، حيث أسْهم الحرفيّون الأندلسيون في إدخال أساليب زخرفية متقدمة، فيما برع الحرفيون اليهود في تزيين المصابيح والأواني[5]. مما يؤكد أن و سائل الإنارة لم تكن مجرد أداة للمساعدة على الرؤية في الظّلام؛ بل كانت عنصراً فنياً يعكس من خلال زخارفه هوية المدن الجزائرية، ويساهم في إضفاء النور على الشوارع والمباني وفي المناسبات، ويعزّز الأمن ويجمّل العمران.

---

[1]– شريفة طيان، «النحاسيات في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة آثار، مج07،ع01، 2009م، ص204.

[2]– تعود جذور هذا الاهتمام إلى التأثيرات المملوكية التي تسلّلت إلى الفن العثماني منذ القرن 9ه/15م، قبل ضم مصر والشام، عبر هجرة الحرفيين من الشام إلى مراكز الأناضول أو من خلال الهدايا المرسلة من القاهرة إلى إسطنبول، ثم تعززت بعد معركة مرج دابق(922ه/1516م) حيث عاد السلطان سليم الأول منتصرًا بغنائم من سيوف ودروع وثريّات وشمعدانات، ونقل معه الصّناع المَهرة إلى الأستانة..، للمزيد راجع: هجيرة تمليكشيت، المرجع السابق، ص106.

[3]– المرجع نفسه، ص108.

[4]- Paul. Eudel, Dictionnaire des bijoux de L'Afrique du nord, Ernest Leroux, Paris, 1906, p71.

[5]- Filippo Pananti, Op.cit, p365.

-**السُّطوح:** تُعدُّ جزء مهم ولا غنى عنه في عمارة الدّور في الجزائر فكانت إمّا مغطّاة بالقرميد، أو مفتوحة للأشغال المنزلية[1]، ويذكر الأب دان أنّ السّطوح تعلو الدّور وتُستغل لأغراض عدّة، فمدينة الجزائر تقع على جبل صغير منحدر نحو البحر، وبالتّالي فالسّقوف يعلو بعضها البعض مشكلة دَرَجْ، تسمح لكل دار بإطلالة على البحر، دون أن تَحْجب الرّؤية عن بعضها البعض[2]. كانت السّطوح من المرافق التي ترتادها النساء بشكل كبير لأغراض عديدة، حيث أُستعملت لنشر الغسيل، وتجفيف الفواكه، وكذا تبادل أطراف الحديث مع الجارات، حتى أن الرّجال منعوا من الصّعود إلى السّطوح نهاراً؛ مراعاةً للحشْمة وحرمةً للنساء. وفي هذا يذكر الشريف الزهار أنّ صعود السّطوح كان للنساء في النّهار، والرّجال في اللّيل [3]. كما ساعدت السّطوح المنبسطة في تَجميع مياه الأمطار التي تُستخدم لغسل الملابس أو للتّنظيف.[4]

-**العَلْوي:** هو جزء تابع للمبنى، وعلى ما يبدو أنّه متعدد الوظائف فقد كان يخصّص للسكن، أو يمكن أن يكون بيت أو غرفة متعددة الوظائف، كما يُمكن أن يكون محلاً تجارياً، أو مخزناً للبضائع، أو محلاً لحرفة معينة. والعَلْوي أحجام، هناك الصغير، وهناك الكبير، كما جاء في نص وثيقة " تعداد مخلفات السيد الحاج عمر شاوش: "**جميع جلسة الحانوت الكائنة بالعلوي الكبير المعدة لصنعة الحرارية** ". وقد يحتوي العلوي على حوانيت متعددة[5].

-**السّبَاطات:** هي بناء يشيد ليربط بين مبنيين، مع ترك ممرّ في المنتصف، لها عدة منافع، فهي تُساهم في حماية المارة من أشعة الشمس والأمطار، زيادة على الانتفاع بها فتقام فوقها غرف، فقد يكون لشخص دارين يفصل بينهما طريق، فيبني سباطاً ليصل بين المبنيين، ويتخذ فوقه غرفة يُنتفع منها، كما يبنى السّاباط بغرض الجمع بين وحدات الجامع، مثل ما هو الحال في جامع "سيدي لخضر" بمدينة قسنطينة الذي بُنيت بيت صلاته فوق صفين من الحوانيت يفصل بينهما شارع، ولقد سَمح الشّرع الإسلامي ببناء السّباطات، مالم يكن فيها ضرر على حركة المارة، أو على البيوت المجاورة، فلا يجب أن تكون أقلَّ عُلوًّاً من مقدار شخص يركب جمل، أو فارس يَمْتطي جواده رافعاً رمحه للأعلى[6].

---

[1]- فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص148.

[2]- Père Pierre Dan, op.cit, p88.

[3]-أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص26.

[4]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص61.

[5]- أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات، 3205 ج/02، و07.

[6]- عبد القادر دحدوح، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة...، المرجع السابق، ص438.

عرفت مدينة الجزائر انتشارًا واسعًا للسّاباطات، على خلاف ما كانت عليه باقي المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، وذلك بسبب نسيجها العمراني المُكتظ داخل الأسوار حيث لم يعد هناك متّسع للبناء الأفقي، فكان الحل المعماري يتمثل في التوسّع العمودي أو الربط بين المباني بواسطة السّاباط، والذي سمح باستغلال الفضاءات العلوية دون عرقلة حركة المارّة، مع الحفاظ على خصوصية البيوت. فقد ورد في وثائق الأرشيف أسماء العديد منها كانت منتشرة في كافة أنحاء المدينة نذكر منها ما هو مدوّن في الجدول التالي:

الجدول رقم(01): أسماء بعض السباطات التي كانت منتشرة في أحياء مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

سباط الرّيح	س. ب. ب، سجل 310، ص 15
سباط قايد قاسم	س. ب. ب، سجل 310، ص 32
سباط القسط	س. ب. ب، سجل 310، ص 33
سباط الحوت	س. ب .ب، سجل 357 ب 35- 38، ص 40
سباط كجاوة	س. ب. ب، سجل 357 ب 35-38، ص 40
سباط الدّيوان	س. ب. ب، سجل 357 ب 35- 38، ص 40
سباط اليهود	س. ب. ب، سجل ب 35- 38، ص 39

المصدر: وثائق الأرشيف الوطني الجزائري.

4- المرافق الخدميَّة في الدُّور السَّكنية:

عرفت الدّور السكنية والقصور في الجزائر خلال العهد العثماني، خاصة في المدن الكبرى مثل: الجزائر وقسنطينة ووهران وتلمسان، وجود مرافق خدميَّة متكاملة، اختلفت حسب فخامة المبنى تعكس بشكل جيّد نمط الحياة الحضرية آنذاك. فقد احتوت تلك الّدور على صهاريج لتخزين المياه، وعلى حمامات خاصة، مزودة بأنظمة تقليدية للتدفئة وتوزيع المياه، ومطابخ واسعة مجهزة بالأفران الطينية، ومخازن للمواد الغذائية، إلى جانب غرف متعددة الوظائف، مثل: غرف الضيافة والمعيشة والتي كانت تُزيّن بالجصّ والزّخارف الخشبية. كما اشتملت بعض الدّور على حدائق داخلية أو أفنية مغروسة بمختلف انواع الاشجار، تُستخدم للراحة والتهوية، مما يعكس اهتماماً واضحاً بالجانب الجمالي والمعيشي في العمارة المحلية خلال العهد العثماني. حاولنا فيما يلي توضيح ذلك من خلال عرض أبرز وأهم تلك المرافق.

-**الصّهاريج:** كان أغلب سكان المدن الجزائرية مع بداية العهد العثماني، يتزوّدون بالمياه من الآبار والعيون خارج أو داخل المدينة. بالإضافة الى الكميات التي يتحصلون عليها من خلال تجميع مياه الأمطار، من فوق أسطح الدور، بواسطة قنوات تَصُبُّ في صهاريج أسفل الدّور[1]. فقد ذكر ديغو دي هايدو أنّ الاسطح والأفنية في مدينة الجزائر يتم تنظيفها وصيانتها بعناية، حيث تتجمَّع بها كميات كبيرة من المياه، تتطلب

[1]- مولاي بلحميسي، «مشاكل المياه في الجزائر العاصمة خلال العهد العثماني»، مجلة بحوث، مج02، ع01، 1994م، ص47.

وجود صهريج أو بئر لتخزين هذه الكمية. ويضيف أن الكثير من الدّور كانت مزوّدة ببئر وصهريج في نفس الدّار[1].

ويذكر القنصل الفرنسي لوجي دوتاسي[2] أنه رغم توفُّر كل الدّور في مدينة الجزائر على صهريج لتخزين الماء، إلا أنها لا تكفي لسدّ حاجيات السكان، بسبب قلة الأمطار. ويضيف كذلك أن المياه كانت تحمل في قنوات، إلى رصيف الميناء، وتصبُّ في خزّان كبير، تتزوّد منه السُّفن، في حين أن قنوات أخرى كانت تزود أكثر من مئة عين داخل المدينة[3]. كما يذكر وليام كاثكارت أنّه تحت سجن المدينة بئر للمياه وصهريج يمتد على طول السّجن، لتخزين المياه يُزوَّد بمياه الأمطار التي تتساقط فوق السّجن، لكنه الآن أصبح يُزوَّد بالمياه التي تجلبها قنوات الماء، التي تخترق المدينة[4]. وهذا ما يؤكد وجود نوعين من الخزانات أو الصهاريج.

الخاصة: كانت تتوفر عليها دور عامة الجزائريين.

والعامة: التي تتزوّد منها المدينة ومرافقها الحيوية.

وعلى عكس مدينة الجزائر، كانت الصهاريج قليلة في مدينة قسنطينة، لأنّ سُقوف الدّور كانت هرمية، لا تتوفر على سطوح لتجميع المياه، كما أنّ الصّهاريج في الدّور كانت قليلة وهذا راجع إلى وفرة المياه بالينابيع المحيطة بالمدينة.[5]

-**المِرْحَاض:** تعددت التّسميات التي كانت تطلق على بيت الخلاء في الجزائر خلال العهد العثماني وقبله، إلى جانب لفظة "مرحاض" كان يسمّى كذلك "كَنيف"؛ لأنّه يستر قاضي الحاجة، واللفظ مشتق من كلمة "كَنَفَ". وسُمي كذلك "التّرس". وذكر بلفظ " المِسْرَاح"، وكذلك "بيت الماء"؛ وهذه اللفظة ماتزال تستخدم إلى يومنا في مدن الشرق الجزائري، امّا عن مكانه في الدّار، فهو عادة ما كان في السّطح، وله قناة تصرف المياه إلى باطن الأرض[6]. ورد ذكر المرحاض في والوثائق مباشرة بكلمة "مرحاض"، حسب ما أشار إليه الشويهد، في ذكر مُستحقات خلاّي المجاري بمدينة الجزائر، لأن الفضلات كانت تَصُبّ في حفرٍ، يتم

---

[1]- Fray Diego De Haedo, topographie…, op.cit. p241.

[2]- **لوجي دوتاسي** : شغل منصب مفوض البحرية لملك فرنسا في امستردام سنة 1724م. وقبل ذلك قنصل فرنسا في الجزائر صاحب كتابه تاريخ مملكة الجزائر في وصفه لمدينة الجزائر، للمزيد حول حياته راجع:

[3]- Lauger De Tassy, Histoire du Royaume, D'Alger, Henri du Sauzet, Amsterdam, 1724, pp158-159.

[4]- وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص59.

[5]- هواري العياشي، نماذج من المساكن...، المرجع السابق، ص125.

[6]- المرجع نفسه، ص126.

تنظيفها بشكل دوري. منها حفرة مرحاض عميقة، يَنزل إليها بالسُّلم وأخرى غير عميقة، وكان لكل حفرة أُجْرَتُها[1].

كانت قنوات صَرف مياه الغسيل والمراحيض، تمرُّ تحت المباني، وكان هذا المرور شرط أساسي يجب ذكره في عقود البيع والشراء، لتفادي المشاكل بين الجيران[2]. فقد ذكر عبد الله الشويهد في مخطوط قانون الأسواق حول تسديد مستحقات مياه المجاري، في الشوارع والدروب. قوله: " **الحمد لله بيان ما وقع على شأن الحفر امتع المجاري يحكم في الخلاص من الدرب إلى الدرب والذي من الدرب إلى الفوق يعطي زوج ديار في دار لأنه الضرر متاعهم ينزل على المسلمين بأمر سيد محمود قاضي الحنفية وبأمر سيد الحاج مصطفى كاهية العسكر نصرهم الله على أعدائهم وكاتب مصطفى بن الشويهد أمين الأمناء بتاريخ أواسط شهر صفر 1154هـ/**1741م[3]. يُبرز النّص أنه يوجد نظام صارم، لتصريف المياه بين الدّور والمرافق العامة. حيث يضيف، في موضع آخر أنّ صاحب المسكن العلوي، كان يدفع ضعف ما يدفعه صاحب المسكن السفلي، نتيجة الضّرر الذي قد يُسببه لجاره السّفلي[4].

-**مرمى الزّبل:** يقصد به الوعاء أو المكان المخصص لرمي النّفايات، فقد ذكر روزي أنّ السّكان في مدينة الجزائر، يضعون نفاياتهم في كُوَّاة(جمع كُوَّة) وهي فتحة صغيرة في حائط الدّار، وأن الأُسَر التي لا تَكْنُسُ الأوساخ المتراكمة أمام ديارها تعاقب، بالغرامة أو بالضّرب. كما أنّ عمّال النّظافة كانوا يمرّون بالحمير لجمع القمامة باستمرار[5]. غير أن خليفة حماش يذكر أنّه، لم يعثر سوى مرة واحدة على كلمة "مرمى الزّبل" في العقود وكان ذلك بدويرة في حومة سيدي رمضان؛ إلا أنّه يرجّح أن "مرمى الزّبل" موجود في كثيرٍ من البيوت الجزائرية، وهو المكان المخصّص لرمي القمامة.

-**المخزن:** كما يدل عليها الاسم فهو مكان مخصّص لتخزين المؤونة والأمتعة، وكانت عادة ما تُخصّص الأمكنة الزائدة كمخازن، ولا يتم احتسابها في التخطيط الأولي للدّار. وتكون داخل الدّار، لأن النّساء هنّ

---

[1]-عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق، المصدر السابق، ص ص01-02.

[2]- خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص490.

[3]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق، المصدر السابق، ص02.

[4]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط قانون الأسواق...،المصدر السابق، ص65

[5]- M. Rozet, Voyage dans la régence d'Alger, vol 23, Arthurs Bertrand, paris, 1833, p111-112.

الأكثر ترددا عليها. كما يمكن أن تكون في الطابق السّفلي، أو العُلوي، أو في السّطح، أو تحت الدَّرج، أو في الطّابق الأرضي، أو داخل إحدى الغرف[1].

كما يمكن أن يكون المخزن إمّا غرفة زائدة أو تحت السُّلم أو على جوانبه، يسمى في مجتمع مدينة قسنطينة "المسراق"[2]. تجدر الإشارة هنا الى أن خليفة حماش عثر على مفردة "السَّقلبية"، وفي موضع آخر "الجّقلابية" وكذا "الشّقلبية" تعددت كتابتها في العقود، ولم يُفهم منها شكلٌ ولا وظيفة، ولكنُّه يرى أننا إذا دققنا في السّياق الذي تشير إليه العقود، فهو يُعتقد أنّها مكان مُخصّص لتخزين الأمتعة في شكل سُدَّة.[3]

-**الإسْطبل:** تشير معظم الوثائق والعقود أنه كان في الغالب منفصلًا عن الدّار. ويُطلق عليه غالبًا لفظ "المَرْبَط"، كان موقعه في الغالب على أحد أطراف الدّار، وقد استُخدم لأغراض متعدّدة، أبرزها إيواء الدّواب أو تخزين الأدوات ذات الاستخدامات المنزلية المختلفة، وفي بعض الحالات يمكن أن تُحوّل هذه الإسطبلات إلى محلاّت تجارية.[4]. مما يعكس تطور الوظيفة المعمارية، حسب الحاجة الاجتماعية والاقتصادية

-**التُّربة:** وهي مَرفق لم تتوفّر عليه كل الدّور في الجزائر خلال العهد العثماني، وهو المكان المخصّص لدفن أفراد الأسرة المتوفيين، يذكر خليفة حماش واحدة بدار كانت قرب سيدي أحمد يوسف حسب عقد بتاريخ 1067هـ/1656م[5]. كما تشير الباحثة وافية نفطي إلى وجود تربة داخل مدينة الجزائر مخصصة لدفن موتى أولاد بن كولة وابن الدوالي، وهي وقف عليهم وعلى ذرياتهم من سنين، تقع قرب ساباط الضّلام بحومة مسيد الغولة[6].

ثالثا: تنظيم المجال العمراني داخل المدينة بالجزائر خلال العهد العثماني.

1- تخطيط الشوارع والأزقّة والحارات:

ما يلاحظه الزّائر إلى مدن الجزائر التي خلال الفترة العثمانية، ظاهرة عامة في الدّور وهي عدم انتظام الحدود الخارجية لها، ممّا يؤثر على عدم استقامة جدران الغرف، التي كانت لا تؤلّف زاوية قائمة،

---

[1]- خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص492.

[2]- هواري العياشي، نماذج من المساكن في قسنطينة... ، المرجع السابق، ص 124.

[3]-خليفة حماش، الأسرة...، المرجع السابق، ص499.

[4]- المرجع نفسه، ص498.

[5]-خليفة حماش، المرجع السابق، ص500.

[6]- وافية نفطي، الأوقاف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص410.

خاصة في دور القصبة في مدينة الجزائر. بسبب تداخل حدود الدور وتوسع رقعتها مع مرور الزمن، وبسبب التواء الأزقة وعدم انتظام الدُّروب[1].

بُنيت الدّور في المدن الجزائرية بانتظام بعضها إلى بعض(في شكل مجمع سكني)، كأنّها كتلة واحدة. أما الطّرق والأزقة فهي متشعّبة وضيّقة، ومنها التي تتوقف عند أبواب الدّور ويطلق عليها اسم الدّروب[2]. فالحومة[3] مثلا: وحدة عمرانية تتصل مع شبكة الشوارع الرئيسية للمدينة، بواسطة الدَّرب، وتتصل الدّروب بشبكة أصغر، من الشوارع تسمى الزقاق، والتي تنتهي إلى طريق مسدود، ويبدو أنها من السّمات المميّزة لمدن البحر الأبيض المتوسط. فقد بلغت نسبة الطرق المسدودة(النهايات الميّتة) في مدينة الجزائر خمسة بالمئة(05%) تقريبا، من أصل الطول الإجمالي لشبكة الشوارع. كما أن نظام الحارات[4](وحدات عمرانية مغلقة) في أغلب الأحيان ازداد خلال الفترة العثمانية؛ لأنّ هذا النّظام يتّفق كليّا مع سياستهم اللاّمركزية في الإدارة والحكم، ولأن تنظيم المدينة على أساس الحارات المغلقة يسهل عملية السيطرة على الرّعية، ويمنح بعض الخصوصية والاستقلالية لأهل كل حارة [5].

فقد وصف ديغو دي هايدو شوارع مدينة الجزائر قائلا: " **أمّا الشوارع فهي أضيق من شوارع غرناطة أو طليطلة أو لشبونة، تسمح بمرور فارس، ولا تتسع لمرور رجلين متجاورين، ويستثنى في ذلك الشارع الرئيسي شارع السوق، والذي يعبر المدينة في خط مباشر، انطلاقاً من باب عزون وصولا إلى باب الواد، وفي جانبي الشارع عدد لانهائي من المحلات التجارية، التي تباع فيها كافة أنواع البضائع، والذي يبلغ عرضه أربعين شبراً**،(تقريبا ثمانية أمتار إذا اعتبرنا الشبر يساوي عشرون سم) **وفي نقاط أخرى يكون أضيق**"[6]. وحسب أندري ريمون فهذه سمة عامة في المدن العربية الاسلامية، فهي تتشكل من أحياء

---

[1]– بوعبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص78.

[2]– فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص148.

[3]– كان يُطلق على **الأحياء** في المدن العربية عبر تراب السّلطنة العثمانية أسماء مختلفة، ففي الجزائر وتونس يسمونها (حُومة) وفي القاهرة ودمشق وصنعاء(حارة)، وفي حلب والموصل وبغداد(مَحلَة)، لكنها تتشابه في البنيان في جميع مدن العالم العربي فقد كان كل حيّ يضم شبكة من الشوارع المتفرعة من الشارع الرئيسي، كما يمكن غلق جميع أنحاء الحي وأزقته المسدودة عبر بوابة تقع على أول الشارع الرئيسي. راجع: أندري ريمون، العواصم العربية ....، المرجع السابق، ص103.

[4]– **الحارات:** جمع حارة وهي زقاق تسكنه عادة عائلة واحدة أو عدة أسر من سلالة واحدة مثل حارة اليهود ...، راجع: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص128.

[5]– أندري ريمون، المدن العربية الكبرى....، المرجع السابق، ص ص102–104.

[6]- Fray Diego De Haedo, topographie…, op.cit. p52.

حافلة بالنشاط الاقتصادي، تكون عادة في وسط المدينة تكون الشوارع فيها واسعة ومنتظمة ومفتوحة على شبكة ممتدة، دون انقطاع حتى حدود المدينة وأحياء سكنية بشبكة شوارع غير منتظمة ومتقطعة.[1]

الدّور بقربها من بعضها البعض تُسهّل عملية التواصل بين السكان؛ خاصة النّساء حيث كنّ يستطعن الاتصال داخل المدن عبر السّطوح، وفي هذا يذكر هايدو: "**أن عمارة البيوت جميعها تقريبا بيوت جميلة وصلبة مصنوعة بالجير، وسقوفها متقاربة في شكل مدرّجات، يُنشر فوقها الملابس للتّجفيف، بحيث يمكن للشخص أن يجوب المدينة فوق سقوفها، وهي وسيلة تَستخدمها النساء للتنقل في أرجاء المدينة لزيارة بعضهنّ البعض، غير أنّ هذه السّهولة تُمكن اللّصوص من السّرقة بسهولة**[2]. ويؤكد هذا الرّحالة وعالم الآثار الألماني هاينريش فون مالسان(1826-1874م) في وصفه لقصبة مدينة الجزائر بأنّ بها أزقة غريبة، وضيّقة تجعل البيوت متقاربة من بعضها البعض بشكل كبير[3].

كما يذكر أسير الدّاي وليام كاثكارت أن شوارع مدينة الجزائر تبدو ضيّقة ومظلمة، عدا الشّوارع الرئيسية فهي حسنة، انطلاقا من شارع باب عزون إلى شارع باب الوادي مرورا بقصر الدّاي، والشارع الذي يبدأ من قصر الدّاي إلى باب البحرية (باب الدّيوانة)، ويمر بالمسجد الكبير والقهوة الكبيرة،[4] وهذا ما أكّده وليام شالر، الذي يشير إلى أنّ شوارع مدينة الجزائر ضيّقة ولا تسمح بمرور فارسان على متن جوادهما، دون أن يصطدم أحدهما بالآخر، لكنّها نظيفة ومفروشة بالحجر، ويُعتنى بنظافتها وصيانتها، ومع ذلك فالشّارع الرئيسي واسع يسمح بمرور عربتين دون أن تلمس إحداهما الأخرى، يقصد به الشارع الممتدّ من باب عزون إلى باب الواد.

ويضيف شالر أنّ مدينة الجزائر تظم أحياء منفصلة، تفصل بينها أبواب تُغلق بعد صلاة المغرب مباشرة. يحرسها "البسكريّون" وهم يخضعون لأوامر الشُّرطة. وكانت تللك الأبواب تفتح عند الضّرورة ولمن يريد الخروج ليلاً من السّكان[5]. كان هذا يعكس وجود نظام أمني صارم لحماية السكان والمدينة، حيث أكّد ديفولكس وجود بوابات في الدُّروب(Deurb) عند مخارج بعض الشوارع، ولا يمكن للناس تجاوزها إلاّ عندما

---

[1]– أندري ريمون، العواصم العربية...المرجع السابق، ص17.

[2]- Fray Diego De Haedo, topographie… ,op.cit. p53.

[3]– هاينريش فون مالنسان، المصدر السابق، ص28.

[4]– وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص89.

[5]– وليام شالر، المصدر السابق، ص 96 97.

يسمح بحركة العبور، تُغلق مساءً وتُفتح صباحاً، وأحيانا تُغلق في النّهار في حالة التّمردات. ومع انتقال مقرّ الحكم للقصبة العليا اختفت تلك الأبواب، وبقيت أقواس تدلُّ على مكان وجودها[1].

شهدت مدينة الجزائر ازدهارًا في الأنشطة الاقتصادية، ممّا أدّى إلى اكتظاظ شوارعها بالمارّة. وقد استدعى هذا الوضع تدخل السلطات لتوسعة الطرق، حتى وإن تطلّب الأمر اللُّجوء إلى الهدم، وذلك مراعاةً للمصلحة العامة، عبر إجراءات قانونية مثل: الشّراء أو المعاوضة للعقار الذي يشكل عائقا ومحل الهدم، ففي وثيقة مؤرخة بسنة 1178هـ/1764م ورد: " **بعد أن كان المعظم الأرفع الهمام السيد علي باشا جلسة الدكان التي هي ملك للشاب السيد محمد بن السيد أحمد بوشعته به عرف الكاينة قبلة باب القيسارية لتوسعة الطريق لكافة المسلمين**"[2].وقد يكون ذلك نتيجةً لاتساع المدينة داخل الأسوار بشكل مستمر، حيث يشير أبو القاسم سعد الله إلى أن الدور داخل الأسوار في مدينة الجزائر كانت تكاد تكون متلاصقة، وسقوفها متقاربة إلى درجة يمكن معها القفز من دار إلى أخرى دون عناء.[3]

لم يكن ضيق الشوارع يقتصر على مدينة الجزائر فقط، حيث يذكر مرسي أنّ شوارع مدينة قسنطينة ضيّقة وملتفّة، وتتقاطع في طرق مسدودة، ولم يكن للشّوارع أسماء محددة، بل تسمى باسم صاحب الدّار الرئيسية في ذلك الحي(أشهر شخص في ذلك الحي)[4]. وهذا لا ينطبق على مدينة الجزائر وقسنطينة فقط فقد وصف لبرن كيلاس مدينة مليانة سنة 1841م قائلا: " **أما الدّيار فهي أدْرب وأزقة ضيّقة وملتويّة، وللدّيار طابق أرضي، وطابق أول وقد أحرقت عام 1840م** ". وهنا يقصد بعض الدّور في قصبة مدينة مليانة، وليس كل الدّور في المدينة[5].

كذلك الحال الذي كانت عليه مدن الغرب الجزائري، حيث تميّزت الدّور بقربها من بعضها البعض، ممّا يسهل عملية التّواصل بين السكان، خاصة النساء، حيت كنّ يسْتطعن الاتّصال بالمدن عبر السطوح[6]. على الرغم من أن بعض المدن لم تكن محاطة بسور؛ وهذا ما يفسّره حسب رأينا قول الباحث عبد القادر حليمي، بأن عدم مراعاة اتساع الأزقة وطغيان الدّور عليها، كان بسبب عدم تدخل الإدارة وحريّة البناء

---

[1]- Albert Devoulx, El Djazair Histoir…, op.cit., p164.

[2]– أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات 3205، و49.

[3]– أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان) 2003، ص495.

[4]- Mercier Ernest « constantine avant la conquéte française 1837 notice sur cette ville à l'époque du dernier bey », in Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de Constantin, 1878, p09.

[5]– عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص68.

[6]– فتيحة الواليش، المرجع السابق، ص148.

بالارتفاع أو الانخفاض، أو ضيق الأزقة[1]. ومن العوامل التي جعلت الشوارع ضيّقة، أنها تساهم في تَلطيف الجوّ على المارّة وتقييهم من أشعّة الشّمس أثناء فصل الصيف، بفضل قصر المدّ الشّمسي في الممرات الضيقة، ويساهم ضيق الشّوارع في تعزيز الروابط الاجتماعية بين سكان الأحياء، ويعوض النساء حرمانهم من الخروج، بتبادل أطراف الحديث فيما بينهن، بواسطة "الأواوين" البارزة أو عبر السّطوح[2].

ويرى وليام سبنسر أن الشوارع الضّيقة كانت عنصرًا أساسيًا في تخطيط المدن الجزائرية؛ حيث التصقت السطوح ببعضها من الأعلى لتوفير الظّل وحجب أشعّة الشمس، وهذا أمر مهم جداً حيث ساهم هذا التصميم في الحفاظ على برودة الهواء في الصيف الرطب، وقلّل من انتشار الرطوبة مقارنة بالمناطق الداخلية المفتوحة و المعرّضة للأوبئة. كما أن ضيق الممرات وانحسار الرؤية، كان لهما دور وظيفي في تنظيم الحركة، ويُضاف إلى ذلك أن الطّراز المعماري المخروطي، ساهم في مقاومة الزلازل، خاصة تلك التي ضربت المدينة سنة 1717م[3]. كان هذا التخطيط العمراني الذي عرفته المدن الجزائرية، يعكس مستوى عالي من التنظيم الحضري، الذي يأخذ بعين الاعتبار العوامل البيئية.

2-أنظمة التّزويد بالمياه.

قديما كانت عملية جلب المياه إلى المدن وتوزيعها على السّاكنة، وإنشاء شبكة صرف المياه وفق شروط الصّحة والنظافة أمر صعبن لكنّه من الأهمية بمكان، حيث كان يساعد على تطور المدن، ويساهم في ازدهار الأنشطة في مختلف مجالات الحياة. لقد عرفت عملية تزويد المدن الجزائرية بالمياه تطوراً عبر مختلف الفترات الزمنية، خاصة خلال العهد العثماني، وساهم في ذلك التطور التّطبيق الجيّد، لأحكام الشريعة الإسلامية، فيما يخص طرق استغلال المياه، لأنها وضعت أسس وقوانين لتنظيم الانتفاع بها، وفضّ النّزاعات التي قد تحدث بين الناس حول استغلالها.

2-1-تطور منشآت التزويد بالمياه بالجزائر خلال العهد العثماني.

عرفت المدن الكبرى في الجزائر خلال العهد العثماني، تزايدًا في عدد السكان والوافدين، خاصة في مدينة الجزائر باعتبارها مركز الإيالة ومقر السلطة. و هذا التوسع العمراني والسكاني فرض ضرورة ملحّة لتوفير المياه، سواء لتلبية الحاجات اليومية للسكان، أو لضمان توفير المياه للمدينة في حالات الحصار. ونتيجة لذلك خُصّت مدينة الجزائر بنظام متطور للتّزويد بالمياه، شمل إنشاء شبكة من القنوات لنقل المياه

[1]-عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، دار الفكر الإسلامي، ط1، الجزائر، 1972م، ص225.

[2]- عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص69.

[3]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص ص59-60.

الى المدينة، وصهاريج وعيون عامة، بما يتماشى مع موقعها الجغرافي واحتياجاتها المختلفة. تجدر الاشارة هنا انه لم تكن المدن الأخرى مثل بجاية، تلمسان، قسنطينة، هران بمعزل عن هذا التّطور؛ إذ امتلكت كل منها شبكات مائية خاصة بها، تختلف من حيث التّصميم والفعالية حسب التّضاريس ووفرة المياه الجوفية. وانطلاقًا من هذه المعطيات، اخترنا مدينة الجزائر كنموذج للدراسة، بهدف فهم التحولات التي طرأت على شبكة تزويد المياه فيها، وتتبعنا ذلك منذ الحقبة الرومانية وصولًا إلى العهد العثماني، للكشف عن مدى تطور هذه المنشآت الحيوية وأثرها في الحياة الحضرية للمدينة.

حظيّت العديد من المدن الجزائرية خلال الفترة الرّومانية بنظام تزويد بالمياه، من خلال ما تم اكتشافه من آثار لخزانات وأحواض مائية تتصل بها قنوات لجلب مياه الينابيع، التي يتم من خلالها تزويد المباني والحمامات بالمياه بشكل مستمر، في مدن مثل: شرشال، وقالمة، وتيمقاد، وسكيكدة، وسطيف، وغيرها من المدن، وهي تجهيزات غاية في الدّقة والبراعة والإتقان[1]. أما مدينة الجزائر خلال الفترة الرّومانية فقد كانت تتزود بالمياه، انطلاقا من الآبار ومن الينابيع التي تم العثور عليها، وما تذكره المصادر التاريخية على قلتها، أنّ مدينة الجزائر تتزود بالمياه عبر قناة رئيسية، تجلب المياه من جبل بوزريعة وتصبّ في صهاريج كبيرة داخل المدينة، ومنها توزع عبر أنحاء المدينة[2].

أمّا التّزود بالمياه في المدينة قبل دخول العثمانيين، فكان على الغالب من الينابيع العذبة في المدينة، فقد ذكر ابن حوقل الذي زار الجزائر في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، في وصف مدينة الجزائر: " **وجزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا، وفيها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها** "[3]. ويضيف المقدسي أواخر القرن العاشر قائلا: " **وجزيرة بني زغناية على ساحل البحر مسورة ويعبر منها إلى الأندلس ولها عيون**"[4]. ويقول البكري في وصف مدينة الجزائر(ق11م) المتوفي في(487هـ / 1068م): "**بمدينة بني مزغناي كنيسة عظيمة بقي منها جدار** ....

---

[1]– سليم تريكي، وافية نفطي، « صهاريج تخزين المياه في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني – دراسة تاريخية أثرية–»، مجلة الإنسان والمجال، مج09،ع01، 2023م، ص127.

[2]– نعيمة رزوق، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني –قصر الداي أنموذجا–، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م، ص ص82، 83، 84.

[3]– أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان)، 1996م، ص ص77–78.

[4]– شمس الدين ابي عبد الله المقدسي، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة (مصر)، (د. ت. ن)، ص228.

ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أهل السفن من إفريقيا والأندلس وغيرهما"[1]. ويذكر الإدريسي منتصف القرن الثاني عشر في وصف مدينة الجزائر: " **مدينة الجزائر على ضفة البحر وشراب أهلها من عين على البحر عذبة ومن أبارها**"[2].

من خلال النصوص التي اوردناها نجد ان اغلب الرّحالة أجمعوا على أن سكان مدينة الجزائر، كانوا يتزودون من المياه من خلال الينابيع العذبة التي تحيط بالمدينة. وتجدر الإشارة هنا أنّ "مناد بن زيري" أمر ابنه "بلكين" باختيار مكان جيّد لبناء مدينة الجزائر، مع مراعاة الطابع البنائي للمدن الإسلامية، ومن أهمّها أن تكون على ربوة تشرف على كامل المنطقة، وأن يتوفر فيها ينابيع للمياه، وهكذا أُنشئت القصبة على أعلى نقطة في المدينة، في منطقة تكثر فيها ينابيع المياه، وهذا ما أكّد عليه ابن خلدون في نمط إنشاء المدن الإسلامية " **أن تكون قريبة من مصادر المياه وأماكن الزرع**"[3]. وربما لقلة عدد السكان في المدينة آنذاك كانت الينابيع تكفي حاجياتهم، دون أن نغفل دور الآبار. ومع زيادة عدد السكان في المدينة، وازدهار الأنشطة بها، ازدادت الحاجة إلى المياه.

إن الينابيع التي ذكرها البكري وابن حوقل والإدريسي وغيرهم، قد أعيد تأهيلها من طرف العثمانيين حسب قول الباحثة دليلة أوزيدان، وهذ ما تؤكده كذلك الباحثة نعيمة رزوق، وهذا ما ذهب إليه قبلهم أندري ريمون، الذي يذكر أن العثمانيين لما قدموا إلى المدينة، وجدوها تعاني من نقص المياه، خاصّة في فترات الحصار، في ظلّ غياب منشآت للتزويد المستمر بهذه المادة الحيوية والأساسية، عكس ما وجدوه في المدن الأخرى مثل: تونس، وحلب، فقد استطاعوا مواصلة الأشغال بالاعتماد على ما وجدوه من سابقيهم[4].

2-2-الآبار: البئر وجمعها آبار وهي حفرة عميقة في الأرض يُسقى منها الماء، ومن المعروف أن آبار الماء تبنى بشكل أسطواني أو مخروطي، وتزوّد بحبل يتناسب مع طول البئر ودلو لجلب الماء، من أعماق البئر.[5] تمثل الآبار إحدى المنشآت المائية الأساسية في عمارة المدن الجزائرية، ولقد لعبت دوراً كبيراً في تخزين المياه والتزوّد منها عند الحاجة، وهي من دون شك تعدّ من أقد التجهيزات المائية في مدينة الجزائر، قبل مجيء العثمانيين والأندلسيين، وزاد عددها بشكل كبير خلال العهد العثماني، حيث يذكر الرّحالة

---

[1]- أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، جزء2 من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد(العراق)، 1857م، ص732.

[2]- محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (مصر)، ص258.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص3361.

[4]- أندري ريمون، العواصم العربية ....، المرجع السابق، ص141.

[5]-عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط01، القاهرة، 2000م، ص148.

الإنجليزي(Morgan) خلال القرن السادس عشر، إن عدد الآبار في مدينة الجزائر بلغ الألف بئر.[1] العدد قد يكون مبالغاً فيه لكن ما لا شك فيه، فالمدينة فيها عدد كبير من الآبار، خاصة اذا ما احتسبنا الآبار التي كانت داخل الدّور. فلقد اشتملت مدينة الجزائر على نوعين من الآبار

النوع الأول: ملك لصاحب الدّار ويكون عادة في الساحة أو قرب الباب الخارجي، فلقد ذكر باسكوالي أنّه :" **اشتملت كل دار على بئره الخاص إلا أن مياه هذه الآبار ثقيلة وذوقها مرّ ولا يصلح للشرب لكنها صالحة للاستعمال**"[2]. تجدر الإشارة هنا إلى أنّ ملوحة الآبار، كانت بسبب طول مواسم الجفاف، فتقل مياهها ويَقل استعمالها فتزداد ملوحتها، لكنها تصبح صالحة في فصل الشتاء،

والنوع الثاني: الآبار العامة والتي تستغل من طرف عامة الناس في المدينة، مع مراعاة المحافظة عليها، لأن إتلافها يستوجب عقوبات قاسية من طرف قائد العيون. فقد بنى مراد رايس بئر قرب قصره سمي بئر مراد رايس، ثم أطلق اسم البئر فيما بعد على الحي بأكمله،[3] أمّا الرّيف خارج أسوار المدينة، ففيه عدد كبير من الآبار، لا يتجاوز عمق المياه فيها(01م)[4] إلى(05م) تحت الأرض ومياهها عذبة.[5] ويذكر مصطفى بن حموش أن مساكن العامة كانت تتزود بالمياه من الآبار والصهاريج التي تملا من مياه الأمطار، أو من العيون العامة و لم تكن تستفيد من شبكة التوصيل بالمياه، وتستفيد منها مساكن الأعيان وكبار الموظفين في الدولة فقط، وهذا لغلاء تكلفة توصيل المياه حيث تساوي ثمن عقار بأكمله.[6]

2-3-العيون العامة: كانت العيون العامة أو الأسبلة من أهم منشآت للتّزويد بالمياه، في مدن الجزائر خلال العهد العثماني، على غرار مدينة الجزائر، فقد ساهمت بشكل كبير في ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى طابعها الجمالي الذي تُضفيه على معمار المدينة، فقد عرفت فترة الحكم العثماني في الجزائر بإنشاء العيون العامة.

---

[1]-نعيمة رزوق، الشبكة المائية بالقصبة العليا...، المرجع السابق، ص130

[2]- المرجع نفسه، ص130.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، « من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر: الشبكة المائية في العهد العثماني»، مجلة الدراسات التاريخية، مج06، ع01، 1995م، ص66.

[4]- من الملاحظ أن مسافة البئر قريبة جداً ربما كان يقصد هنا الآبار التي كانت تحفر قرب الوديان، فحسب نعيمة رزوق فالآبار التي حُفرت قرب الوديان، أقل عمقاً من الآبار التي حفرت في المرتفعات، والتي يصل عمقها ما بين (25م إلى30 م). راجع: نعيمة رزوق، الشبكة المائية بالقصبة العليا...، المرجع السابق، ص131. أو ربما كان روزي يعتقد أنّ وفرة المياه إلى درجة أنها قريبة جداً بعمق مترا وأنه لم يتثبت الأمر.

[5]- M. Rozet, Voyage…, op.cit, p170.

[6]- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة...، المرجع السابق، ص141.

كانت هناك أيام هايدو حنفية من المرمر كبيرة، تمتلئ وتجري مياهها ليلا ونهارا أمّام قصر الإمارة، كما كان هناك حول المدينة العديد من الحنفيات، تُجمّل المقاهي والدكاكين، وفي مختلف الساحات العامة،[1] يذكر وليام شالر قائلا: "**وعلى جنبات الطريق كانت تقابلنا هنا وهناك عيون كثيرة تفصل بين الواحدة والثانية مسافة نصف ميل**(حوالي804.67 م) **على أكثر تقدير**"[2].

لقد ساهمت الأعمال الخيريّة في بناء العديد من العيون لما تعود عليه من أجر على صاحبها، فهي صدقة جارية، وتعود بالمنفعة على الناس، ففي وصف هايدو لمدينة الجزائر أواخر القرن(16م/10هـ) ومما ذكر أنّ بها ستة(06) عيون تتزوّد بالمياه عبر قنوات مغطاة، ومكشوفة في أجزاء منها على الهواء الطلق، ومياهها من نبع هائل وغزير ينبع على بعد نصف ميل جنوب المدينة، وسط بعض الجبال وأنّ العيون كانت تلبي احتياجات عدد كبير من السكان في المدينة[3]. كانت هناك العديد من العيون اختلفت من حيث البناء، فتنوعت بين عيون فاخرة وذات زخرفة بديعة ومنها المتواضعة[4]، بلغت في مدينة الجزائر حوالي مئة وخمسة وعشرون(125) عيناً بين(1674–1675م) حسب ما ذكر داريفيو، الذي يضيف أنها كانت تزود من قناة قديمة من خارج المدينة، على بعد ميلين وكان ماؤها عذبا وطيبا خاصة في بلد شديد الحرارة كهذا.[5]

أمّا عن شكل وهندسة تلك العيون فقد ذكر هايدو أن شكل العيون يسرُّ النّاظرين، فهي محاطة بالزلّيج الملون والأنيق والمَرْمر. ساهمت هذه المواد في الحفاظ على نظافة العيون، وتميّزت العيون بوجودها في إطار داخل الحائط، وخلفياتها مزيّنة بفُسيفساء رائعة، وكان يعلوها سقفُ من القرميد الأخضر في شكل قوس[6]. ومن بين هذه العيون نذكر عين مسجد سيدي محمد الشريف(عين بير الدّروج حوالي 1674م)، وعين مسجد علي بتشين(الربع الأول من ق17م حوالي/ 1622م) وعين الصّاباط وعين الشيخ حسن وعين السلطان والعين المزوّقة والعين الحمراء وعين باب السّوق وغيرها. كما كانت تُثبّت جِرارٌ من المياه على جدران الأزقّة يرتوي منها عابرو السبيل، وتزود بالمياه باستمرار.[7]

---

[1]– وليام سبنسر، المرجع السابق، ص56.

[2]– وليام شالر، المصدر السابق ، ص74.

[3]- Fray Diego De Haedo, topographie…op.cit. p460.

[4] – مولاي بلحميسي، مشاكل المياه...، المرجع السابق، ص47.

[5]- Avrieux, Chevalier d. Mémoires du Chevalier d'Ariveux, J-B Delespine, Paris 1935 p226.

[6]- Fray Diego De Haedo, topographie…op.cit, p59.

[7]– نادية مباركي، «اطلالة على التجهيز المائي بمدينة الجزائر ومرافقها المائية خلال العهد العثماني– على ضوء مصادر غربية ووثائق محلية من الرصيد العثماني»، دراسات تراثية، مج11، ع01، 2017م، ص151.

لقد عَكف الدايات والبايات على تشييد العيون داخل المدينة وخارجها، ونذكر منهم هؤلاء أحمد عرب(1472-1574م) والداي بابا علي النقسيس(1754-1766م) والداي حسين(1518-1830م)، كما كانت كل عين تحمل نقيشة من الزليج أو المرمر تذكر وتخلد ذكرى صاحبها أو من بناها، وتذكر مآثره ومحاسنه، وتاريخ البناء والدعاء له بخط عربي أو عثماني، كانت العيون عمومية ولم يسمح لأي أحد بأن يدخل المياه إلى داره مهما بلغت رتبته أو مكانته.[1]

إلى جانب العيون نجد النوافير الجميلة داخل المدينة و بالقرب من أسوارها، واحدة قرب دار الامارة يستخدم ماؤها الموجود في حوض من الرخام لأغراض القصر والبيوت المجاورة، وفي الساحة الصغيرة أمام القصر هناك نافورة أخرى بناها حسن باشا سنة 1580م، تحتوي النافورة على خزّان من الماء يصبّ في حوض رخامي متقن الصُنع، ونافورة بالقرب من البحر تعمل كقناة للمياه بناها رمضان باشا، ويوجد في باحة كل من الثّكنات المخصّصة لإيواء الانكشارية نافورة تستخدم في حاجياتهم، ويستعملها الناس من الخارج، وكمية المياه التي وفرها النوافير الستة كبيرة جداً، لدرجة أنّها تكفي احتياجات عدد كبير من السكان.[2]

2-4-الأسْبلة: هي من المعالم الأثرية التي وجدت في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، منها ستة(06) أسبلة ورد ذكرها في سجلات المحاكم الشرعية، وهي سبّالة الموقف وسبّالة سوق الحدادين وسبّالة سوق رحْبة الصّوف وسبّالة أسفل سوق العطّارين وسبّالة باب الوادي وسبّالة باب الجابية وسبّالة سيدي سعيد الصّفروري، كانت في شكل خزّانات بعمق(01م) وطول يصل إلى(03م) [3].

2-5-قنوات التزويد بالمياه: عرفت المدن الجزائرية خلال العهد العثماني تطوراً ملحوظاً، في مجال التزويد بالمياه، وذلك بجلب المياه من الينابيع الجارية بواسطة القنوات، خاصّة في مدينة الجزائر، فمع تزايد عدد السكان وكثافة الأنشطة والحاجة المستمرة للمياه، فكّر الحكام في إنشاء قنوات لجلب المياه من الينابيع خارج المدينة، ذلك بمساهمة السلطات والاستعانة بالخبرة التي امتلكها السكان الوافدون من الأندلس، الذين برعوا في هذا المجال، وطوّروه مستغلين عنصر الجاذبية في عملية انسياب المياه، ووصولها إلى مختلف المرافق وإنشاء وشبكة للصرف بنظام دقيق، و بطريقة لا تسمح باختلاط مياه الشرب مع مياه الصرف، حيث كانت قنوات مياه الشُرب مرتفعة بمتر عن قنوات الصرف[4].

---

[1]- مولاي بلحميسي، مشاكل المياه...، المرجع السابق، ص48.

[2]- Fray Diego De Haedo, topographie…,op.cit., p220

[3]-عبد القادر دحدوح، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة...، المرجع السابق، ص372.

[4]-M. Rozet, Voyage…, op.cit, p 96 .

باستخدام أنابيب من مختلف الأحجام والأشكال، تعددت التّسميات في المصادر التاريخية ووثائق الأرشيف فجاءت بلفظ القَنطرة، وكذا السّاقية، وورد ذكرها تحت مسمّى الحَنيّة، سميت كذلك الجّعْبَة ففي وثيقة مؤرخة بسنة 1216هـ/ 1801م: " **إن السيد مصطفى باشا بن إبراهيم انه دفع لجانب البايلك ما قدره ألف دينار واثنان وتسعون دينار وثلاثة وثلاثون دينارا كلها ذهبا وذلك في مقابل الثمانية جعاب من الماء التي أحدثها من ماء بفحص حيدرة وأدخلها لجنته**" [1]. وكانت مهمة الحفاظ على الماء ومنشاة التّزويد مسندة إلى ناظر العيون ويساعده، قائد العيون، وخوجة العيون، فحسب وثيقة مؤرخة بأواخر شعبان سنة 1177هـ/ 1763م ورد فيها: " **الحمد لله ... الحاج المعتمر الحاج إسماعيل خوجة ابن خليل الناضر على أوقاف العيون ...تجديد بناء خزنة الماء الكاينة بقاع السور ناحية باب عزون ... من المال المخصص من غلة الأوقاف**"[2]. ومن مهامه أيضا تحصيل المستحقات التي تدفع لقاء المياه، التي تزوَّد بها الأفران بواسطة مقابس في مجاري النّوافير، تسدد رسوم شهرية مقدرة بـ(03 إلى 06 ريال).[3]

وفي إشارة إلى دور السّلطة في التكفل بصيانة العيون والقنوات، والسّهر على توفير مبالغ مالية من أموال الأوقاف والتبرعات، المخصص لذلك، ففي عقد حبس على ساقية الماء يعود "ليحي آغا" ورد: " **بعد أن خَلُص المعظم السيد يحي آغا الإصبايحية، ابن المرحوم السيد مصطفى، جميع جلسة الحانوت الصغيرة الراكبة على سقيفة المايضة القريبة من باب عزون، برحبة الشعير حبسها على ساقية الماء الدّاخلة للجزاير، في معامل ساقية الماء الدّاخلة لجنته، الكاينة بفحص تلاوملي وتُصرف غلّة ذلك في مصالح السّاقية المذكورة ... أواسط جمادى الثانية 1239هـ/**1823م.[4]

لقد كانت أعظم الأعمال التي قام بها الأندلسيون، هي جلب المياه إلى المدن عبر القنوات، وإنشاء عدة نوافير جميلة للمياه، كما وتجدر الإشارة أن نظام الصّرف الصّحي تم استحداثه مع دخول العثمانيين لمدينة الجزائر واستقرارهم بها، وساعدهم في ذلك مجيء الأندلسيين الذين برعوا في هذا المجال وطوّروه وأول من اهتم بهذا النّظام هو الباشا أعراب، الذي قام ببناء "ميزراب" لنقل المياه داخل السُّور سنة 980هـ/1572م[5].

وهكذا أُنجز على التّوالي:

---

[1]– الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع32 و04.

[2]– وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات 3205، و40.

[3]– نادية مباركي، المرجع السابق، ص162.

[4]– الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع132 – 133، و29 .

[5]– نعيمة رزوق، الشبكة المائية بالقصبة العليا...، المرجع السابق، ص ص115– 119.

- قناة التليملي سنة 1550م طولها حوالي3800م.
- قناة بئر طرارية سنة 1573م بطول حوالي1700م.
- قناة الحامة سنة 1611 م بطول حوالي4300م.
- وقناة عين الزبوجة في القرن 18م تعتبر أطول قناة بطول يفوق5000م.[1]

-قناة تليملي (التلاوملي): أنشأها حسن باشا، ويعود تاريخ إنشائها إلى 1550م، بغرض جلب المياه لمدينة الجزائر، من المرتفعات التي تشرف على خليج المدينة، وكانت تُمدّ تسعة وعشرون(29) عيناً في الثكنة الجديدة، مردودها(561 ل) يومياً، يوجد خلاف بين الباحثين حول طول القناة حيث يقدر كلاين أن طول القناة لا يتجاوز (02.00 كلم)، وتضاف إلى هذه القناة بعض السواقي الثانوية التي تزود القناة الرئيسية بالمياه، منها وادي عدّة ووادي جُرف، ويرى دالوني وريمون أن طولها يقدر(بـ 3.8 كلم).[2] ممّا يُرجّح أنّهما احتسبا القنوات الفرعية.

-قناة بئر طرارية: والطّرارية كلمة تركية تعني الماء البارد. لم تصمد القناة طويلاً فقد اندثرت بسرعة نظراً لنقص منسوب مياهها، حيث تذكر نعيمة رزوق أنّها عثرت على صورة لها في المكتبة الوطنية[3]. يبلغ طول القناة (1.7كلم)، أُنشئت حوالي سنة 1573م من طرف أحمد باشا أعراب. والتي كانت تؤمّن الماء للجزء الشمالي، من المدينة الذي كان تحت تهديد الهجومات الإسبانية المتكررة، ويتم جلب الماء من منبع شرق باب الواد، على بعد ميل ونصف،(مايعادل تقريبًا 2.4كلم) مردودها حوالي(126.144 ل) يومياً.[4]

- قناة الحامة: بنيت في عهد مصطفى باشا قوصة الذي حكم فترتين(1605-1607م)، وبين(1613-1617م)، من طرف المهندس أسطى موسى الأندلسي ويعود تاريخ إنشائها لسنة1611م. تعرّضت القناة لإصلاح وتوسعة في عهد الداي محمد باشا سنة 1758[5]، وكانت تأتي بالماء من بعد ميلين(03 كلم) تقريباً خارج المدينة من منبع يسمّى عين الحامة. وتُعدُّ من أهم السواقي في مدينة الجزائر، مردودها حوالي (600.777 ل) يوميا، وكانت تزوّد بالماء مجمع قصور الجنينة، وبعض الثّكنات العسكرية وحوالي تسعة وعشرون(29)عيناً موزعة على المدينة[6]. حيث يشير الأب دان: "**أنه يوجد في مدينة الجزائر، أكثر من مئة**

---

[1]-مولاي بلحميسي، مشاكل المياه...، المرجع السابق، ص47.

[2]-نعيمة رزوق، الشبكة المائية بالقصبة العليا...، المرجع السابق، ص117.

[3]- نعيمة رزوق، الشبكة المائية...، المرجع نفسه، ص118.

[4]-نادية مباركي، المرجع السابق، ص 143.

[5]-نعيمة رزوق، الشبكة المائية...، المرجع السابق، ص119.

[6]-نادية مباركي، المرجع السابق، ص144.

عين منذ خمسة وعشرين عاما فقط، في مكان لم يكن فيه من قبل سوى الصهاريج قام رجل موريسكي يدعى موسى من الذين تم نفيهم من الأندلس، بإنشاء قناة مائية لجلب الماء من على بعد فرسخين من أسوار المدينة وكلفت العملية التعب للأسرى الذين كلفوا بالعملية".[1]

-**قناة عين الزبوجة:** ومعناه(عين الزيتون المرّ) تم تشيّدها خلال القرن 12 هـ/18م في عهد آخر دايات الجزائر الداي حسين طولها حوالي(11.5كلم)، منها(09كلم) منها قناة رئيسية، والباقي تفرعات قناة مكشوفة، مزودة بمشروع تصريف المياه وتخزينها والمرشّحات للتصفية[2]، وكانت تأتي بالمياه من خارج المدينة، من منطقة بن عكنون على بعد حوالي(10كلم) جنوب غرب المدينة، وهي أطول القنوات تطّلب إنشاؤها خبرات وإمكانيات كبيرة، وكانت تزوّد القسم الأعلى من المدينة، من حيدرة وصولا إلى القصبة موزعة على أربعة عشرة(14) عيناً، مردودها حوالي(400.734 ل) يومياً، وينخفض في مواسم الجفاف إلى(400.86 ل) يومياً(انخفاض بقدر بسيط)[3].

-**قنوات تزويد المياه بقسنطينة:** خلال فترة العصر الوسيط ، كانت مدينة قسنطينة تتزوّد بالمياه من قناة رئيسية، بنيت في الفترة الرّومانية تَصبّ في صهاريج كبيرة، بكدية "سيدي عاتي"، ومنها تمتدّ قنوات فرعية إلى كافة أنحاء المدينة، وعبر الأسواق، وكانت القنوات تَجْلب المياه من منابع "بومرزوق" خارج المدينة. واستمرت هذه القنوات بالتّزويد في العصر الوسيط[4]. وصفها الحميري في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (ق14م) يقول: " **وكان لها ماء مجلوب يأتيها من بعيد على قناطر بقرب من قناطر قرطاجنة وفيها مواجل عظام مثل التي في قرطاجنة.**"[5] أمّا اشهر قناة تم إنجازها خلال العهد العثماني، تلك التي شيّدت في عهد صالح باي(1771-1792م) الذي عُرف بإنجازاته المعمارية، فبنى جامع "سيدي الكتاني"،

---

[1]- Dan le Pierre, op. cit, p 91.

[2]- نعيمة رزوق، الشبكة المائية بالقصبة العليا...المرجع السابق، ص121.

[3]- نادية مباركي، المرجع السابق، ص144 -145.

[4]- محمد يوسف قويسم، مدينة قسنطينة مابين القرنين 10- 07هـ / 16-13م دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية، دار المتنبي للنشر والتوزيع، المسيلة (الجزائر)، 2022م، ص162.

[5]- محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص480.

ودياره بالشارع وغرس البساتين وبنى قنطرة لجلب الماء استعان في بنائها بمهندسين من بلد النصارى، وأنفق عليها أموالاً عظيمة وعمّر الوطن وسَعد النّاس به.[1]

3-شبكة الصّرف الصحي: لم تشهد شبكة الصّرف الصحي في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني تطوراً كبيراً، فقد اعتمدت على طرق بسيطة لكنها كانت فعالة نسبيًا في تلك الفترة. كانت تعتمد على تقنيات تقليدية لتصريف المياه، حيث تمّ استخدام القنوات والمجاري الصغيرة لتوجيه المياه المستعملة، ومياه الأمطار بعيدًا عن المناطق السكنية، يُراعي في ذلك الانحدارات الطبيعية لتسهيل تصريف المياه، ويصف لوجي دوتاسي هذا النظام، بأنه يتّخذ من السّيول التي كانت تمر عبر المدينة مجاري، غُطّيت ببلاطات مسطّحة وساعد في ذلك التضاريس، التي تتمتع بها المدينة[2].

وكانت المجاري تتجمّع كلها لتصبّ في قناة واحدة وهي بدورها تصبّ في البحر كما يوضح دوتاسي بقوله:" **أنها تجتمع في قناة تصب في البحر مما انتج رائحة كريهة في فصل الصيف.**"[3] لم يَمنع ذلك من انتشار الأمراض الناتجة عن التّلوث، مما جعل السكان يعتمدون على أساليب تقليدية للحفاظ على النظافة، حيث كانت الدّور والمرافق المختلفة، مزوّدة بحفر تحت الأرض، تُستخدم لتجميع المياه القذرة، ويتم تنظيفها باستمرار، من طرف عمّال نظافة يسمون خلاّيين المجاري. كما ذكرهم عبد الله الشويهد في مخطوط الأسواق، وبين المستحقات التي يتقاضونها لقاء تنظيف هذه الحفر فكانت تختلف من حفرة لأخرى[4].

كما عرفت مدينة الجزائر إدماج مصلحة قائد الشوارع التي تسهر على تنظيف الشوارع وترميمها، مع مصلحة تصريف المياه القذرة، ذلك للمحافظة على النّظافة الدائمة للشوارع ومنع تداخل المهام[5]. وتجدر الاشارة أنّه كانت هناك مراحيض على الارجح كانت عمومية، ذكرها ديفولكس منها: مراحيض بالقرب من قصر الجنينة، وقد حُبّس عليها عقار سنة 1168هـ/1734م، ويضيف ايضاً أنّه كان في ردهة القصبة مجموعة من المراحيض، ذُكرت في الوثائق الشرعية التي تعود للقرن الثاني عشر هجري، وقد أصبح موقعها بعد الاحتلال الفرنسي على مسار الشارع العام، مما أدى إلى هدمها بعد سنة 1830م[6].

---

[1]- بدر الدين شعباني، « مدينة قسنطينة في العهد العثماني- الأصالة والتراث-» مجلة دراسات، مج11، ع01، 2020م، ص85.

[2]-D. Tassy, op.cit, p190 -191.

[3]- Ibid, p157.

[4]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق...، المصدر السابق، ص58.

[5]- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة...، ص146.

[6]- مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها واضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص ص65، 130.

رابعا: المنشآت الخَدميّة والتَّعليمية.

1- مرافق الرّعاية الصّحية(المارستان)

"المارستان"[1] هو الاسم الذي كان يطلق على المرافق دور العلاج أو المستشفيات، وقد أستخدم هذا اللّفظ في الجزائر أيضاً، غير أن المصادر التاريخية لم تذكر الكثير عن المرافق الصّحية في الجزائر، على ما يبدو فحكّام الجزائر في العهد العثماني لم يهتموا بتطوير البنية الصحية أو إنشاء مؤسسات علاجية رسمية، ولم تُشجَّع دراسة الطب أو تنظيم مهنة المداواة، مما ترك المجال مفتوحًا أمام السكان للاعتماد على وسائل تقليدية في العلاج. واللجوء إلى الزّوايا، التي لعبت دوراً اجتماعياً وصحياً، كما شاعت بين العامّة أساليب اخرى للعلاج، مثل: التداوي بالأعشاب والرقية وحمل التمائم، واقتصرت المؤسسات العلاجية على بعض المستشفيات التابعة للمؤسسات الدينية المسيحية، وما وقفنا عليه مجرد إشارات ووصف غير دقيق لها من بعض الأسرى حيث وصف هايدو أحد المرافق الصحية بقوله: **"إنّه لا يوجد سوى بيت واحد في مدينة الجزائر بني عام 1549 م على يد حسن باشا ابن خير الدين مكون من خمس غرف اثنتان منهما في الطابق السفلي وثلاثة في الطابق العلوي و لا يحتوي على سرير ولا أجهزة للمرضى فإذا أراد المسيحي أن يعالج وجب أن يوفر الطبيب والأدوية والطعام وعلى العكس من ذلك بالنسبة للأتراك.**[2]

ويذكر وليام كاثكارت(1788-1791م) أنّه كان هنالك مبنى كبير بجوار السّجن بمدينة الجزائر يُسمى "جاليرا"، و كان يُغلق أبوابه بالتّزامن مع إغلاق أبواب السّجن. كما أنّه يتّصل بالسّجن عبر باب صغير، مخصص لنقل المصابين بالوباء ليلاً إلى المشفى. كما أنّ نظام المجاري مشترك بين السّجن والمشفى، ممّا زاد من حالات الوباء في هذا السّجن، مقارنة بباقي السّجون. كان جميع العبيد والأسرى المسيحيين من مختلف المذاهب البروتستانت والأرثوذوكس واليونان والكاثوليك، يُقْبلون للعلاج فيه دون مراعاة عقائدهم، وهذا بفضل تسامح رئيس الأطباء والصّيدلي اللذيْن كانا يُديران أمور المشفى.

ويصف كاثكارت الخدمات الصّحية التي يتوفر عليها ذلك المشفى أنها على الرغم من قلتها إلّا أنّ الطعام فيه جيد وصحي، وكانت نفقات العلاج على عاتق التّجار والقناصل الأوربيين، وكذا بعض العبيد الذين يفكرون في فعل الخير، والنفقات الأساسية على عاتق مملكة إسبانيا. زوّد المشفى بمذبح تُرتّل فيه الصلوات في المساء إلى جانب القساوسة. كما يُراعى العبيد الذين يخدمون أسياداً ذوي مكانة، لتُخصّص لهم

---

[1]-المارستان: أصل الكلمة البيمارستان وهي لفظة فارسية مركبة من كلمتين بيمار معناها مريض وستان بمعنى محل او دار، أي؛ دار المرضى، ثم اختصر استعمال الكلمة فصارت مارستان...، للمزيد راجع: خالد عزب، ص451، هامش 24.

[2]- Fray Diego De Haedo, topographie…op.cit., p188.

غرف ينزلون بها؛ لأنّ باقي المرضى يوضعون في غرفة واحدة واسعة. كما أنّ شقق القساوسة معزولة عن باقي الغرف وكذا الغرفة الواسعة[1]. من خلال هذا الوصف، يتّضح أن المبنى كان مستشفى كبيرًا يقدّم العلاج لمختلف شرائح المجتمع، ويستمد تمويله من تبرعات متنوع . وعلى خلاف ما ذكره هايدو، فقد أشار فرناند أرندياس(Fernand Arnaudies)، الأمين العام السابق للجنة الجزائرية القديمة، إلى أن المساعدة الطّبية في مدينة الجزائر كانت تكاد تنعدم قبل سنة 1830م.[2]

غير أنّ إمري يذكر في وصف مدينة الجزائر أنه كان فيها بناء عبارة عن مشفى وسجن، يقع من جهة زنقة الهواء(Hauas) ومستشفى آخر خصص للجنود الانكشارية، الذين يكشف علهم الأطباء القادمين من جنوة أو القسطنطينية أو مصر. وفي سنة 1662م بلغ عدد المستشفيات في المدينة خمسة مستشفيات، وفي الفترة ما بين(1806-1827م)، بقي مستشفى واحد فقط بمدينة الجزائر هو المستشفى الإسباني، وخلال حصار 1827م غادر رجال الدين الجزائر، كما توجد أيضا صيدلية بالجنينة بالقرب من قصر الداي، ويوجد مستشفى خاص بالمرضى الأتراك في الزّنقة المسماة زنقة الهواء والتي تغير اسمها اليوم إلى شارع النسر(Rue de l'Aigle)، وكذلك مستشفى الأمراض العقلية الذي كان يسمى "المرستان" والذي يقع فيما سمي اليوم شارع السّهم (Rue de la Flèche).[3]

2-مراكز التعليم.

لم تكن بالجزائر معاهد كبرى خلال العهد العثماني إلاّ أن الدروس التي كانت تقدّمها المساجد والزوايا والمدارس التابعة لها، تضاهي ما تقدمه المعاهد الكبرى في باقي الدول الإسلامية، أو تفوق مستوياتها في بعض الأحيان. كما أنّ المدارس انتشرت بشكل كبير في المدن والقرى خلال العهد العثماني، فتلمسان كانت تتوفر على خمس مدارس كبرى، ينفق عليها أهل تلمسان، وهذا ما أشاد به الحسن الوزان[4].

كما يشير الفرنسيون أنّهم لما دخلوا تلمسان وجدوا بها خمسون(50) مدرسة صغيرة ومدرستين للتعليم كبيرتين، أمّا مدينة قسنطينة فمدارسها الابتدائية كثيرة، فبدخول الفرنسيين إلى مدينة قسنطينة، قدّروا عدد المدارس بتسعون(90) مدرسة. أما مدينة الجزائر فعدد المدارس بها عند دخول الفرنسيين قدّر بـ مئة(100) مدرسة. و صُنّفت المدارس في العهد العثماني، إلى مدارس خاصة بعلوم الدين ومدارس خاصة بباقي

[1]- وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص ص101، 102، 103.

[2]- Fernand Arnaudies, Esquisses anecdotiques et historiques du vieil Alger, édition A. Barthéley, Avignon ,1990, p17.

[3]- Marcel Emerrit, les quarties, Op.cit., p87.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج01، ط01 دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1998م، ص 275.

العلوم، كالحساب والطّب التقليدي والأعشاب وغيرها، كمدرسة "سيدي سالم" في عنابة، ومدرسة "سيدي بومدين" بتلمسان، ومدرسة "عبد الرحمن الثعالبي" بمدينة الجزائر و المدرسة "الكتانية" بقسنطينة.[1]

أمّا عن شكل وهندسة المدارس يذكر وليام كاثكارت، أن مدينة الجزائر تتوفر على أربع مدارس (عمومية)، وهي بنايات مربعة، فيها غرف صغيرة معدّة لينام فيها الطلبة، تُدرَّس في هذه المدارس القراءة، والكتابة، والحساب، ويجري التّعليم في الهواء[2] الطلق[3]. وكانت المدارس تحْظى باهتمام كبير من طرف المؤسسات التي تدير الأوقاف، فحسب وقفية تمثل رسم حبس على مدرسة عثرنا عليها من أحباس سبل الخيرات تعود لمدرسة "الشبارلية" التي بناها محمد باشا "دفتردار": السيد محمد خوجة دفتر دار مؤرخة بشهر شعبان1204هـ/1790م، وحُبّس عليها خمس دور وعلوي وربعي الدّار، ومخزنين وحانوت. تشير كذلك الوثيقة إلى وجود خمس بيوت تابعة للمدرسة تأوي الطّلبة في كل بيت(14) طالباً[4]. كما كانت تُخصّص أماكن لدفن الطّلبة المتوفين. فحسب وثيقة عثرنا عليها تظهر تحبيس رقعة أرض لدفن الطلبة[5].

كما كانت تُخصّص أحباس لتغطية نفقات المدرسين والطلبة، فحسب وثيقة مؤرخة بسنة 1201هـ/1786م كُتب فيها: "**الحمد لله بعلم على ملك المعظم الأجل التركي الأفضل السيد الحاج مهدي بن المرحوم بكرم الحي القيوم السيد الحاج عبد الرحمن بن الأمين به عرف تملك جميع الجنة الكاينة بفحص خميس السُّفلي وحضر وحبّس الجنّة المذكورة على نفسه وعلى من سيولد له من الذكر والأنثى ... ذكوراً وإناثا وذريتهم وذرية ذريتهم وان انقرضوا يرجع الحبس على طلبة العلم والمدرسين بالجامع الأعظم ومن يأتي بعدهم التاريخ أواسط رجب سنة 1201هـ**"/1787م.[6]

كان الطّلبة والمدرّسون يحضون باهتمام كبير؛ تجلّى في توفير الإيواء والرعاية اللاّزمة وتلبية احتياجاتهم اليومية. ويُظهر الجدول التالي حجم المصاريف المخصّصة للمدرسة التي أنشأها محمد خوجة "دفتردار"، حيث

---

[1]– أحمد مريوش، وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، (ط .خ)، الجزائر 2007م، ص16–17.

[2]- أعتقد أن وليام كاثكرت شاهد الطُّلاب يدرسون في مدارس مفتوحة على الشارع الرئيسي، كما هو موضح في **الصورة رقم (15)**.

[3]– وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص98.

[4]–الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، فيلم 35، ع33، سجل314.

[5]– المصدر السابق، ع55، و30 –11.

[6]–الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع 18/ 01، و20.

تم تسجيل النفقات المتعلقة بالطّلبة والمدرسين بشكل واضح، مما يعكس حرص الإدارة على ضمان ظروف تعليمية ومعيشية ملائمة.

الجدول رقم(02): يمثل بعض الأعباء التي كانت تُنفق على الطّلبة ومستحقات المعلمين.

النفقات	المستحقات
الإمام 9	9 ريال
المعلمين	5/6 ريال
الخضار في ثلاثة أشهر رجب شعبان	9 ريال
مؤذن ظهر وعصر	2 ريال
حرايين 5 لكل واحد	5 لكل واحد
تتمه الإمام في كل شهر 1	1 ريال
الساقي من البير وإصلاح المطهرة	4 ريلات
البيوت سكن لكل 14 منهم	07 ريال
الناظر على الأوقاف	2/3 ريال
زلابية لأهل المدرسة في كل أواخر رمضان	25 ريال
زيت في كل شهر	07 ريال

المصدر/ سلسلة بيت البايلك سجل 214 علبة 33 فيلم 35.

2-1-المسيد:

استخدمت لفظة "المسيد" بكثرة في وثائق الأرشيف الجزائري وهذا ما يبينه الجدول **رقم(03)**. إلى جانب لفظة مدرسة، للدّلالة على المكان الذي يزاول فيه التعليم، ويوضّح أبو القاسم سعد الله الفرق بينهما في كون كلمة المسيد، جاءت تحريف لكلمة مسجد، التي كان يصعب على العثمانيين نطقها بحرف الجيم فحذف واستبدل بالياء، لأن المسجد كان يؤدي وظيفة التعليم[1].

كما وردت لفظة "المسيد" و"المكتب" مجتمعتين في نفس الوثيقة، فمن خلال قراءة محتوى الوثيقة التي عنوانها: "**عقد المسيد الجديد**" ورد فيها : **أراد ناظر المواريث المخزنية بالبلد المذكور وهو المعظم مصطفى آغا ابن محمد التركي أن يتقرب إلى الله ببنائه مكتب لتعليم الصّبيان وغيرهم بأعلى الحانوت المذكورة من ماله الخاص بهن رغبة في الأجر والثّواب من الملك الوهاب ... وأحدث المكتب على الحانوت المذكور**

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص276.

وفتح له باب للصّعود إليه من سقيف باب جامع السيدة القريب من دكان المواريث المخزنية وتم البناء... بتاريخ أواسط جمادى الثانية 1112هـ/1700م.[1]

ما نلاحظه أيضا أن "المسيد الجديد" هو في الأصل حانوت من غرفة واحدة حُوّلت إلى مكتب لتعليم الصبيان، ما يؤكد استغلال الحوانيت وتحويلها الى مدارس. وكذلك كان يُقال مدرسة ومكتب ففي لوحة محفوظة بالمتحف الوطني تؤرخ لمدرسة بناها علي باشا 1125هـ/1713م مكتوب عليها: "**الحمد لله أمر ببناء هذا المكتب الإمام المفخّم السيد علي باشا نصره الله**".[2]

الجدول رقم(03): يمثل بعض أسماء المسيد المنتشرة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

مسيد الجديد (وثيقة مؤرخة بسنة 1112هـ-1700م)	س. م. ش، ع 145 و58.
مسيد البرميل (وثيقة مؤرخة بسنة 1144هـ)	س. م. ش، ع 117-118 و08.
مسيد الجامع الجديد (وثيقة مؤرخة بسنة 1248هـ)	س. ب. ب، بفيلم 35 ع 33، سجل 310 ص 77.
مسيد الشماعين	// // // // // // // // ص 77.
مسيد علي الفاسي قرب باب الواد	// // // // // // // // ص 86.
مسيد سيدي علي الجودي	س. ب. ب، بفيلم 32 علبة 31 سجل 287.

المصدر: الأرشيف الوطني الجزائري سلسلة المحاكم وسلسلة بيت البايلك.

يتّضح لنا من خلال الجدول أن "المسيد" لا يرتبط بمكان ثابت، بل يتكيّف مع السياق الاجتماعي والديني للمجتمع المحلي، فقد يكون في شكل حجرة ملحقة بجامع، كما هو الحال في مسيد الجامع الجديد، أو يكون ملحقا بزاوية مثل مسيد زاوية سيدي الجودي، كما يمكن أن يكون ضمن الفضاء التجاري كحانوت داخل السوق كما في مسيد سوق الشّماعيين، هذا التّنوع في المواقع يعكس المرونة والأهمية مما يدل على تغلغل التعليم الديني في النسيج الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني.

2-2-الكتاتيب:

وهي مكاتب يتم فيها تحفيض الصغار كتاب الله وأحكام التلاوة، وتنشأ الكتاتيب بجوار المساجد، أو في غرفة من دار مفتوحة على الشارع. يلتفّ الطّلاب حول المعلّم الذي يلقنهم آيات من القرآن الكريم،

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع 26، سجل 145، و58.

[2] - مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص68.

ويكتبون بأقلام من قصب، فوق لوح مطلي بالصلصال[1]. يذكر أ. ليسور أنها تشبه الدكاكين المفتوحة على الشارع، ولتفادي ضياع الفضاء، توجد مقاعد عليا[2] تكوّن طابقا ثانيا[3]. و يُشار للكتاتيب في وثائق الأرشيف باسم مكتب، مثل: مكتب جامع خضر باشا، ومكتب الرحبة القديمة، مكتب قرب القهوة الكبيرة ناحية زاوية أيوب، مكتب بجوانب سيدي عبد الله [4].

الصورة رقم (6): لوحة تمثل مدرسة لتعليم القرآن في مدينة الجزائر بابها مفتوح على الشارع.



المصدر: E. lessore, W. wyld, Voyage pittoresque…, pla 24

خلاصة

شهدت حواضر إيالة الجزائر في العهد العثماني توسعًا عمرانيًا وازدهارًا في العمارة السكنية وملحقاتها، بفضل استتباب الأمن وانتعاش التجارة والصنائع. وقد عمد الحكام إلى تشييد قصور ودور فَخمة تُضاهي ما شُيّد في دار السلطنة باستانبول، جمعت بين الطّراز المغربي المحليّ، كالفناء المكشوف والأقواس، والطّراز العثماني الذي تظهر فيه القباب والمداخل المزخْرفة. وكانت ديّار الرّعية في غالبها على النسق المغربي الأندلسي، ولم يكن للأثر العثماني فيها إلا بعض الزّخارف والعناصر المضافة، دون أن يُغيّر من نظام الدّار الأصلي، إذ إنّ الدّور في الجزائر غلب عليها الطابع الاسلامي المحليّ، خاصة وان شكل الدّور في مركز السلطنة، يختلف عن شكل الدّور في الجزائر وإيالات المغرب العربي التي خضعت للحكم العثماني.

[1]– أحمد مريوش، وآخرون، المرجع السابق، ص18.

[2]-E. Lessore, W. Wyld, op.cit, p10.

[4]– الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع35، سجل357 وسجل369، و10 و34.

اجتهد حكّام الجزائر في العهد العثماني في تطوير البنية الحضرية، وكان توفير الماء من أولوياتهم، نظرًا لأهميته الحيوية في حياة السكان. فقد أنشأوا الخزانات والعيون العامة، ومدّوا قنوات التزويد بالمياه، التي تنقل المياه من الينابيع إلى قلب المدينة، مما ساهم في تزويد القصور، والحمامات، والثكنات، والمساجد، وسائر المرافق الحيوية بالماء العذب .

ولم يقتصر اهتمامهم على توفير الماء فحسب، بل أولوا عناية خاصة لتنظيم الأزقة والدروب، والسهر على نظافة الشوارع، وتسهيل التنقل داخل المدينة. كما برز دورهم في المجال الاجتماعي والديني من خلال الاهتمام بالأوقاف، إذ خصّصوا عقارات وأراضي لخدمة المدارس، والزوايا، والمرافق الخيرية، مما ساهم في دعم التّعليم والرّعاية الاجتماعية.

الفصل الثالث: المنشآت الحضريّة التجارية وفضاءات التّرفيه

تمهيد

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني نشاطا تجارياً واسعاً ومكثّفا، حتّى أصبحت التّجارة من الّدعائم الرئيسية لازدهار البلاد خلال تلك الفترة، وقد تجلّى ذلك في العدد الكبير من الدّكاكين والحوانيت والأسواق، التي كانت منتشرة في كافة أنحاء الإيالة. فقد كانت الأسواق قديماً تقام في السّاحات وبالقرب من أبواب المدن، لكن سرعان ما توسّعت هذه الأخيرة، ودخلت ضمن النسيج العمراني للمدينة، وتمّت تحديثها وجرى تنظيمها، خاصّة مع مجيء العثمانيين، حيث شهدت مدينة الجزائر، على وجه الخصوص ، نشاطا كبيراً لحركة الأساطيل والجهاد البحري، فكان لذلك أثرٌ بالغ في تدفّق السلع والمواد من مختلف الأقطار، مما ساهم بشكل كبير، في استقطب التجار وأهل الصنائع والحرف من مختلف الاقطار، حتى غدت لكل حرفة سوقٌ مخصوص أو دربٌ معلوم، وصارت المدينة تَضُجّ بالتجار وأرباب الحرف. وبمحاذاة دار الامارة، شُيّدت دار السّكة، التي كانت تساهمت في تنظيم المعاملات النقدية، وأضفت على التجارة طابعًا من الاستقرار والازدهار، فانتعشت الأسواق، وتوسّعت الحركة التجارية، واستقامت أحوال الرّعية.

تجدر الإشارة هنا إلى أن موضوع الأسواق تناولته أقلام عديدة لباحثين جزائريين وأجانب نذكر منهم زهية بن كردة أسواق مدينة الجزائر عبد القادر دحدوح اسواق مدينة قسنطينة وكذا دراسة لأسواق بايلك الغرب الجزائري مشرفي جميلة وبوغفالة ودان، إضافة إلى أبحاث كلّ من ألبير وفو وإمريت وهنري كلين وأودال وغيرهم لهذا سنحاول من خلال هذا الجزء من الدراسة معرفة أنواع الأسواق التي كانت منتشرة في المدن الجزائرية ونظام توزيعها، وسنركز هنا بشكل كبير على الفنادق، التي لعبت دوراً محورياً في ازدهار التجار في المدن الجزائرية، خاصة خلال العهد العثماني، أين عرف هذا المرفق اهتماماً كبيراً من طرف السلطة، ولقي إقبالاً كبيراً من طرف التّجار، فاصبح بما يقدمه للتجار الأجانب خاصة عاملا في استقرار التجارة، حيت كان القلق الذي ينتاب أغلبهم خاصة الأجانب، هو أين يقيمون وأين يحتفظون بسلعهم وما تتمتع به المدينة من الأمن والاستقرار. كما كان يعّد هذا المرفق نموذجا فعليا للسّوق المغطّاة التي حظيت بهندسة معمارية راقية تلفت الأنظار وتنافس في إنجازها المعماريون وذوي الاختصاص.

أولا: الأسواق والحوانيت

1-الأسواق

1-1-الأسواق الحضرية (الأسواق المغلقة):

لقد كانت الأسواق الحضريّة منتشرة بكثرة في الجزائر قبل مجيء العثمانيين، حيث يذكر البكري المتوفي سنة(487 هـ/1093-1094م) في وصفه لمدينة الجزائر :"...**وجزائر بني مزغنة لها أسواق كثيرة ومسجد جامع** "[1]. ويصف الإدريسي في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي مدينة الجزائر، بأنّ لها أسواق قائمة وصناعتها نافقة.[2] من خلال ما ذكره البكري والإدريسي، يتّضح أنّ نشأة الأسواق الحضريّة في المدن الجزائرية سابق للفترة العثمانية، على غرار مدن تلمسان وقسنطينة وبجاية وغيرها من الحواضر. أمّا عن قول البكري حول مدينة الجزائر لها أسواق كثيرة ومسجد جامع، دليل على أن الأسواق كانت منتشرة قرب الجامع الكبير، وهذا من سمات العمارة الإسلامية، حيث كانت الأسواق تقام قرب المساجد في المدن، وقول الإدريسي لها أسواق قائمة، ربما هو دليل على أن الأسواق في المدينة دائمة، مما يرجّح أنّها دكاكين متلاصقة تفتح يوميا، لأنّ السّوق المغطاة في شكله العام عبارة عن تجمُّع لعدَّة متاجر، مبنية على طول الشّارع من شوارع المدينة، أو عند تقاطع الطرق أو حول ساحة عامة.

وقد عَرف هذا النّمط من الأسواق ازدهاراً كبيراً خلال فترة الحكم العثماني، حيث تُعدّ مدينة الجزائر نموذجا بارزاً لدراسة هذا التّطور، فقد ذكر هايدو مع نهاية (ق16م) أنّ أسواقها قاربت الألفي(200) متجر ودكّان، موزعة على سوقين القديم والجديد[3]. وعشيّة 1830م مع بداية الغزو الفرنسي للجزائر، كان مُجمل الحرف في مدينة الجزائر ستّون(60) حرفة موزعة في الفضاء الحضري الاقتصادي للمدينة، وفق ترتيب دقيق رحبة الشعير، رحبة الفحم سوق الحرّارين، سوق الصّفارين، سوق الخرّاطين، سوق الحدّادين، سوق الدّباغين، وغيرهم. ساهم هذا التّنسيق المكاني في تشكيل الاسواق الحضريّة في المدينة، منذ القرن الرابع

---

[1]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص65.

[2]- الشريف الإدريسي، وصف إفريقية الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المطبعة الرسمية، الجزائر، 1957م، ص89.

[3]- عبد القادر صحراوي، « الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية ونظم التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق»، الحوار المتوسطي، مج01،ع01، 2009م، ص87.

عشر ميلادي على الأقل[1]. ويشير أندري ريمون أن شبكة الأسواق في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كانت تُغطي مساحة إحدى عشر هكتار[2].

خضعت الأسواق الحضرية لتنظيم دقيق داخل الفضاء الحضري للمدينة، حيث خُصّص لكل صنعة أو تجارة موضعٌ معلوم ومقرّ دائم مندمج في نسيج العمران يراعي طبيعة النشاط. وقد اختصّت بعض الحرف بطوائف معينة ذات طابع قومي أو ديني، لا يُزاولها إلا أهلها، ممن توارثوا الصّنعة وتفنّنوا في دقائقها. ومن ذلك ما عُرف عن طائفة بني ميزاب، الذين انفردوا بمزاولة بعض الأنشطة التجارية والحرفية، وتميّزوا بدقة التنظيم، وحسن التّدبير، وصرامة الأعراف المهنية، حتى غدت أسواقهم مثالًا يُحتذى في الانضباط والخصوصية، كانت تشغل خمس نشاطات مذكورة في مخطوط الشويهد وهي: الفرّارين(الخبازين) الحمامجيّة(مسيرو الحمامات) الجزارين(بائعو اللحوم) والحلواجيّة (صانعوا الحلوى) والابلابجيّة(بائعو الفواكه الجافة)[3]. كما تم إبعاد بعض أنواع التجارة والحرف عن وسط المدينة، لاعتبارات مختلفة ومن حين لآخر كانت تنشأ الأسواق التلقائية، التي تتشكل بتحويل شوارع منطقة سكنية إلى منطقة تدبُّ بها الحركة التجارية، أو قرب أبواب المدينة، كما حدث مع سوق باب عزون في مدينة الجزائر خلال الحكم العثماني[4].

ما نلاحظه عند دراسة أسواق مدينة الجزائر، أنها كانت تتميّزت بما يعرف بالاختصاص، وهذا ما لاحظه الوزان في مدن عديدة مثل: تلمسان وقسنطينة وفاس وتونس، وهي في الحقيقة ظاهرة وسمة عرفتها كل المدن الإسلامية أشار إليها رحَّالة مسلمون وأوروبيون وهذا ما سنوضحه فيما بعد.

1-2-معايير توزيع السوق الحضري بالمدن الجزائرية خلال العهد العثماني.

يدلّ توزيع الأسواق في المدن الجزائرية على أنّ معايير التّوزيع لم تكن عشوائية، بل خضعت لعدة اعتبارات منها: القواعد الفقهية وفق قاعدة لا ضرر ولا ضرار، وبما يخدم الصالح العام ولا يُعيق حركة المارة، ويساهم في ازدهار النشّاط التجاري، كما ساهم الماء بشكل كبير في تحديد موضع بعض الأنشطة، التي تستعمل الماء بشكل كبير، وتحكم في ذلك المورد كالوديان والقنوات التي تزود بالمياه، التي تساعد الحرفيين على مزاولة نشاطهم، بكل سهولة في حين تشكل عائقا أمام حرف أخرى، ومن المنظور الشرعي

---

[1]- Houari Touati, note sur l'organisation des corporation de métiers a Alger aux XVIIe et au XVIIIe siècles, les cahiers de Tunisie, vol 34, 1986, P197.

[2]– أندري ريمون، العواصم العربية...، المرجع السابق، ص45.

[3]– عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق...، المصدر السابق، ص ص02 – 48

[4]– أندري ريمون، العواصم العربية ...، المرجع السابق، 1986م، ص ص50–51.

كانت أغلب الأسواق بمحاذاة المسجد الجامع، وذلك لجلب الناس ولان الناس يقصدون المسجد لأنه قلب المدينة، وتحكمت بعض الشّروط كالنّظافة، والرائحة، والصوت المزعج، والدخان، وثقل بعض المواد، وعدم اتساع الطرق لها، فقد بلغ عرض الشوارع حوالي(3.36م) أي؛ سبعة أذرع، لهذا نجد أنّ بعض الأسواق تتمركز خارج أسوار المدينة، أو قرب الأبواب كالفخارين والدباغين والحدادين بالإضافة إلى معاصر الزّيت والأفران والطواحين و كذا أسواق الماشية وغيرها.

أما أسواق الحبوب فكانت تُقام قرب الأبواب؛ لاتساع المساحة[1]. يُراعى في هذا التوزيع كذلك ضرورة أبعاد الحرف النَّجسة عن المساجد، وتقريب الحرف النظيفة، مثل: صناعة العطور، وصناعة الحلي، وبيع الكتب. ويهدف هذا التّوزيع إلى أمرين مهمين: أولهما: تمكين القاضي والمحتسب[2] وعمّالهما من مراقبة الحرفيين، حيث يجتمع أهل كل حرفة في سوق واحدة. والثّانية: الحدّ من المنافسة غير المشروعة بين الحرفيين. كما ساهم هذا التّوزيع المنظم في خلق بيئة يسودها التّعاون بين أهل الحرف، فكان لكل حرفة أمين يرعى شؤونها ومصالحها.[3]

1-3-توزيع الأسواق الحضرية بالمدن الجزائرية خلال العهد العثماني

1-3-1-توزيع الأسواق الحضرية بمدينة الجزائر.

إنّ عملية الهدم التي طالت مدينة الجزائر فور دخول الاستعمار الفرنسي، خاصة في جزئها السفلي المحاذي للسّاحل أدّت، إلى طمْس الكثير من المعالم التي كانت شاهدا على النشاطات الحرفية والتجارية، التي كانت قائمة في المدينة أيام الحكم العثماني، ويعود الفضل الكبير في معرفة تنظيم الأسواق والحرف، ومناطق تمركزها، إلى ما ورد في كتب المؤرّخين والجغرافيين والرحالة. فقد ووصف التمقروتي المدينة بأنّها إسطنبول المغرب، لما عرفته من ازدهار في النشاط التجاري. بالعودة إلى الدّراسات التي قدّمها الباحثون الفرنسيون، يمكننا إعادة تصّور الأسواق القائمة على اختلافها، لأنّه من الصّعب إعادة تشكيل المدينة بشكل دقيق، في ظلّ النموّ المتسارع لها في مختلف المراحل. أمثال: أودال وإيمريت وألبير ديفولكس. كانت مدينة

---

[1]- زهية بن كردة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، من خلال المصادر- دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2000/1999م، ص ص103-104.

[2]- تقوم وظيفة **المحتسب** على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يظهر من الناس من منكرات أما بالرؤية أو بالسماع أو بالنقل الموثوق وترتبط وضيفة المحتسب بمؤسسة الحسبة التي بدورها تشترك في المهام مع باقي المؤسسات صاحبة الولاية في الدولة كالقضاء والشرطة وأمناء الحرف ... للمزيد راجع: محمد أحمد عبابنة، مؤسسة الحسبة في الدولة العثمانية ودورها في ضبط الأسواق للمدة 699-973هـ/1300-1566م، مؤتة للبحوث والدراسات، مج31، ع06، 2016م، ص86-88.

[3]- Houari Touati, Op.cit., p 199.

الجزائر خلال الحكم العثماني بشكل عام تنقسم إلى قسمين: الجهة السفلية من المدينة، بمحاذات الساحل تسمى (اللُّوطَى)، وهي منطقة تجارية والجهة العلوية بالمنطقة العلوية وهي منطقة سكنية.[1]

كانت الأسواق الحضريّة لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، محصورة بين الشّوارع الثلاثة الكبيرة، وهي شارع باب الواد، وشارع باب عزون، وشارع الدّيوانة كمنطقة مركزية. انتشرت على امتداد شارع باب عزون عدة حرف، تقلُّ أهميتها كلما ابتعدنا عن مركز المدينة. ابتداءً بتجّار السّوق الكبيرة، الحدادين، والصفارين بجوار الباب، أمّا بمحاذاة المسجد الكبير الذي يقع في شارع الدّيوانة أوطريق باب الدزيرة(الجزيرة) المطلّ على البحر أين كانت تقوم الحرف الأساسيّة ذات الأهمية الاقتصادية، كالصّياغة وسوق البادستان(سوق النخاسة) والنساجين. وتتوزع داخل المثلث الذي تُشكله ثلاث مساجد(الجامع الكبير، الجامع الجديد، وجامع السيدة) عدة اسواق منها: أسواق الرّصايصية والفراغين(صانعو الأغلاق) والنحاسين، وهي حرف مُكسبة جداً قامت حيث يَكثُر تجمّع الناس. أمّا الصّباغون فكان مكانهم خلف القيسارية[2]، بالقرب من ساحة الجنينة[3].

كانت السّلطة العثمانية تُعيين ممثلين عن كل سوق، يسهرون على تنظيم الأسواق، والمساعدة في استخلاص الضرائب. فقد سجّل عبد الله الشويهد متولي السوق في مخطوط قانون الأسواق، المسؤولين عن الجباية الذين تم تعيينهم بالاتّفاق مع الجماعات الحرفية: " **اتّفق الجماع**(الجماعة) **يقدم من كل سوق رجل يخلّص الغرامة للمخزن، ما يوقع فيها خلل، ووفق الدولاتلي بابا أحمد أول**(الداي بابا أحمد العلج أو حاجي أحمد باشا(1695-1699م) **ذلك: عن السّوق الكبيرة عبد القادر، سوق السمن الحاج قاسم، سوقت عمور بن مقل الحاج محمد، باب عزون بن الخريف فكاي، عند دار الانكشاريا**(دار الانكشارية)**عبد الرحمن بن عان، باب الجزير**(باب الجزيرة) **سي محمد الجيجل، سوق باب الواد سي محمد الزاوي، رحب**

[1]- Sakina Missoum, Op.cit. p 242.

[2]– **القيساريّة**، المعروفة أيضًا باسم "قيصارية"، تشير إلى نوع من المباني العامة التي تتكون من أروقة محاطة بحوانيت ومصانع ومستودعات وحجرات معيشة. أشار دي ساسي في كتابه عام 1810م أن القيسارية كانت تختلف عن السوق باتساعها وكثرة دهاليزها المُسقّفة والمؤدية إلى ساحة مكشوفة وأصل الكلمة يوناني، يشير هنا إلى السوق الإمبراطوري. كانت هذه المباني في الأصل مملوكة للدولة، ثم أصبحت ممتلكات خاصة في العصر الإسلامي. يعتقد تيرش أن الإسكندرية كانت أول مكان ظهرت فيه تلك المباني ...، للمزيد راجع: مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف،ج27، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998م ص160.

[3]– وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص456.

القديم(الرحبة القديمة)، **بحي كجاوة عبد القادر سيدي محمد الشريف الجعد. ومشينا لمولا البلاد ووفق على هذا والسلام."**[1]

نشير في الأخير إلى أنّ أغلب هذه الأسواق، كانت تتمركز في الجزء السُّفلي من مدينة الجزائر، و تنتشر فيها الحوانيت والمخازن والفنادق، وبعضها كانت مفتوحة، في محور باب عزون، وباب الواد، وباب الجزيرة، الا أنّ الفرنسيون أقدموا سنة 1830م،على هدم العديد منها، وجانب آخر من هذه الاسواق أتى عليه حريق سنة 1844م[2]. وقد حصل إمريت على بحث مهم قام به أحد المترجمين يُدعى أوزيب دو صال (Eusébe de salles)، كان محفوظاً في الأرشيف بفرنسا، تحت رقم:(F80/1675)، و من خلاله تمكّن من إنجاز مخطّط تقريبي[3] لطوبوغرافيا الأسواق، التي تم تعويضها من طرف الاستعمار الفرنسي بعد سنة 1830م، بما سمي بساحة الحكومة أو حي البحرية(Quartier de la Marine).[4]

1-3-2-توزيع الأسواق الحضرية بمدينة قسنطينة

عرفت أسواق مدينة قسنطينة نفس التنظيم الذي عرفته مدينة الجزائر تقريبا، إذ تتمركز الأسواق في الشارع الرئيسي للمدينة، الذي يربط باب الوادي بباب القنطرة، والمناطق المجاورة لهذا الشارع، وقرب المسجد الكبير. اشتملت مدينة قسنطينة على نوعين من الأسواق، أسواق ارتبط اسمها بحرفة محددة، وأسواق لا يبدو من تسميتها أنّها مرتبطة بحرفة معينة؛ مما يعني أنها أسواق عامة تضمّ عدّة حرف، اختلفت المصادر في تحديدها بدقّة فهي قد تزيد أو تنقص حسب الأوضاع الاقتصادية. حاول عبد القادر دحدوح تحديدها بالاعتماد على سجل الوفيات وسجلات المحكمة الشرعية بالإضافة إلى الدراسة التي قدمها مرسي. وحاولنا تلخيص ما توصل إليه دحدوح في الجدول التالي:

---

[1]– عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق..، المصدر السابق، ص ص111-113.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، مخطوط قانون على الأسواق ... المصدر السابق، ص131.

[3]– **ملحق(07):** المخطط الذي أنجزه إمريت، ترجمه إلى العربية ناصر الدين سعيدوني وعلى ما يبدو فان الشوارع غير واضحة والأماكن تقريبية لكنه يعطينا صورة جيدة عن توزيع الأسواق في المدينة فنجد أن توزيع الأسواق في المدينة كان في شكل مجموعات موزعة على الشوارع الرئيسية للمدينة أو قرب أبواب المدينة. راجع: ناصر الدين سعيدوني، مخطوط قانون الأسواق...، المصدر السابق، ص197.

[4]- Marcel Emerit, «les marchés, les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque», revue mensuelle, N 25, 1952 p42.

الجدول رقم(04) يمثل الأسواق التي كانت منتشرة في محيط مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.

الوظيفة / التخصص المحتمل	النوع/ المكان	اسم السوق/ والحرفة
سوق عام متعدد البضائع	قرب المسجد	سوق التجار
نشاط تجاري مرتبط بوقت العصر	قرب المسجد	سوق العصر
ينشط يوم الجمعة	قرب المسجد	سوق الجمعة
سوق فرعي قرب باب الجابية	قرب المسجد	سويقة باب الجابية
متخصص في الغزل والنسيج	قرب المسجد	سوق الغزل
سوق فرعي في حي بن مقالف	قرب المسجد	سويقة بن مقالف
قرب موقف الدواب	قرب المسجد	سوق الموقف
من أكبر الأسواق، متعدد الوظائف	قرب المسجد	السوق الكبير
سوق شعبي عام	قرب المسجد	سوق الخلق
متخصص في بيع الصوف	قرب المسجد	سوق رحبة لصوف
سوق فرعي قرب باب القنطرة	قرب المسجد	سويقة باب القنطرة
في زقاق ضيق، غالبًا حرفي	قرب المسجد	سوق زقاق البلاط
صانعو البرادع للدواب	سوق حرفي	البرادعية
أدوات الحديد والمعادن	سوق حرفي	الحدادين
صانعو الأحذية الجلدية	سوق حرفي	الخرازين
بيع الخضر والفواكه	سوق حرفي	الخضارين
خبز الرقاق	سوق حرفي	الرقاقين
أعشاب، عطور، توابل	سوق حرفي	العطارين
القصاع أواني الطعام	سوق حرفي	القصاعين
صانعو السروج	سوق حرفي	السراجين
أثاث وأبواب خشبية	سوق حرفي	النجارين
صياغة الذهب والفضة	سوق حرفي	الصاغة
نحت وتشكيل الخشب	سوق حرفي	الخراطين
الجزارون	سوق حرفي	القصابين
صباغة الأقمشة	سوق حرفي	الصباغين
أواني نحاسية	سوق حرفي	الصفارين
طلاء وزخرفة	سوق حرفي	الدهانين
سلال ومنتجات القش	سوق حرفي	القشاشين

غالبًا باعة الأقمشة أو الملابس	سوق حرفي	الشواشين

المصدر: عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ص ص 393-409.

1-3-3- توزيع الأسواق الحضرية في بايلك الغرب

لم تختلف مدن الغرب الجزائري خلال العهد العثماني عن سابقاتها فلقد توزعت أسواقها الحضرية في وسط المدينة، على امتداد الشّوارع الرئيسية، كما هو الحال في مدينة معسكر القديمة، حيث تجد الطريق الرّابط بين وسط المدينة والطريق المؤديّة إلى حومة بابا علي دكاكين متنوعة تابعة لليهود أو السّكان الحضر، إضافة إلى سوق الحبوب وسوق مخصّص للصّوف.[1]

1-4-أنواع الأسواق الحضرية المنتشرة بالمدن الجزائرية خلال العهد العثماني

لم تعرف الجزائر خلال العهد العثماني، الوجه المعماري الضّخم في أسواقها الحضرية، لكن الشكل العام والخطوط العريضة كانت موجودة، مثل: الساحة المكشوفة التي تحيط بها الأروقة، والتي يستغلها التجّار لعرض سلعهم، وحمايتها من العواصف، والأمطار. وهي عمارة مستوحاة من عمارة البازيليكا البيزنطية. كما اشتملت الفضاءات الحضرية، خاصّة في مدينة الجزائر، على عدة أنواع من الأسواق، منها: الرّحبة، القَيْساريّة، والبَادسْتان، السّويقة، الفنادق، وهو ما نجده أيضاً في مدن جزائرية أخرى، مثل: تلمسان، وقسنطينة.

1-4-1-الرّحبة:

هي فضاءٌ مفتوح ومكتظّ بالسكان، تشهد حركة مكثّفة للمارّة يتم استغلالها للتجارة تسمى ايضاً الطحطاحة، أو البطحة، لقد ذكر ألبير ديفولكس، في مخطوطه أسماء العديد منها والمنتشرة في مدينة الجزائر، كرحبة موقف العربات والدواب، بطحاء القصبة(الرحبة القديمة) طحطاحة القصبة الجديدة، رحبة باب عزون، رحبة القمح، رحبة الحوت، رحبة الدباغ، رحبة مجهولة الاسم، سميت في العهد الفرنسي بساحة ماهون[2]. كما كانت مدينة قسنطينة تضمّ، رحبة الصوف، ورحبة الجمال، وهما من أبرز فضاءات النشاط التجاري في المدينة.[3] وفي معسكر، سوق الحبوب ورحبة الصوف. تعدُّ الرّحبات سوقاً مهماً تعرض فيها الحبوب، كالقمح، والشعير، والذرة، والفول، والحمص، وغيرها. وصفها حمدان خوجة: " **إنها خلاء، يعقد فيه**

---

[1]- مشرفي جميلة، بوغفالة ودان، «الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1519م 1830)» مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج08، ع01، 2017م، ص132 .

[2]- بلبروات بن عتو، «الهياكل القاعدية لتجارة مدينة الجزائر خلال العهد العثماني»، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، مج 03، ع05، 2017م، ص203.

[3]-عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية...، المرجع السابق، ص56.

البدو والبربر أسواقهم، في أيّام معينة من الأسبوع، وتحمل هذه الأماكن أسماء خاصّة، مثل: سوق الجمعة، وهي التي تُعقد يوم الجمعة، سوق السّمن وهي التي تباع فيها الزّبدة، وسوق الكتّان وهي خاصة بالأقمشة، ومازالت هذه التّسميات شائعة في مدينة الجزائر إلى يومنا الحالي "[1].

1-4-2- القيْساريّات

القيساريّة جمعها قياسر، وهي كلمة يونانية أصلها(قيساريون) بمعنى السّوق، أطلقت بعد ذلك على الشّارع التجاري في المدن، واستمرت التسمية في جميع العصور الإسلامية، كانت تظمّ عدداً من الحوانيت وهي بمثابة أسواق، وكانت كل قيسارية مستقلة بذاتها، أمّا عن شكلها فكان إمّا مستطيلاً أو مربعاً، وتصطفّ الحوانيت بداخلها، ولها حراس، وفوق الحوانيت بيوت، يسكنها الأجانب وغيرهم، وتُزوّد بدورة المياه، وحمام، ومسجد في بعضها[2]. وفيما يخصّ قيساريّة مدينة الجزائر فقد اندثرت، هي وقيساريّة مدينة تلمسان التي تعدّ النموذج الأول لقيساريّات المغرب الأوسط. كان مدخل القيسارية هو الأثر الوحيد الباقي من معالمها في مدينة الجزائر، ويُثبت وجودها وثيقة وقفية مؤرخة (1178هـ/1764م)، تُبيّن طبيعة نشاطها التّجاري وموقعها ضمن النسيج العمراني للمدينة. وتُعد هذه الوقفية مصدرًا هامًا لتوثيق أسماء الحرفيين، وأنواع الحرف التي كانت تُمارس داخل القيسارية، يذكر دُكّان قبلة باب القيساريّة على يمين الدّاخل لسوق الدُخان ويذكر ديفولكس أنّ لها بابان الأول يطل على الجنينة والثاني على شارع البحرية[3]. كما يشير حمدان خوجة ان سوق القيساريّة في مدينة الجزائر، هو السّوق الذي كانت تُباع فيه الكتب ويكثر به النسّاخون[4].

1-4-3-السّويقة

هي أسواق صغيرة منتشرة في المدينة وبالأحياء السكنية، لتلبية حاجيات السكان الأساسية دون تكليفهم عناء التنقل،[5] أمّا عن شكلها فهي في شكل صف من الحوانيت، تعلوها المساكن وترتفع عتباتها عن مستوى الشارع، عن طريق مصاطب تغطى واجهاتها بالقرميد لغرض الحماية من أشعّة الشمس،[6] مثل

[1]- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، ANEP، الجزائر، 2005م، ص70.

[2]- خالد عزب، المرجع السابق، ص218.

[3]- أندري ريمون، العواصم العربية...، المرجع السابق، ص250.

[4]- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص78.

[5]- بلبروات بن عتو، الهياكل التجارية ... المرجع السابق، ص212.

[6]- زهية بن كردة، المرجع السابق، ص154.

سويقة باب الجابية سويقة، بن مقالف، سويقة باب القنطرة في مدينة قسنطينة.[1] سويقة عمور في مدينة الجزائر.[2]

1-4-4- سوق "البادسْتان"

كانت سوق النّخاسة والغنائم في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تقع بجوار القهوة الكبيرة، بالقرب من باب عزون، وبعد تراجع النّشاط التجاري ونشاط القرصنة تحوّلت إلى سوق مخصص لبيع القماش والملابس وأدوات التطريز. وحولتها الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال إلى مقر لإدارة الحُبوس[3].

لقد كانت أسواق النخاسة منشرة بمدن شمال إفريقيا قديماً، حيث يُذكر أن القسّيس البيرت ريمون (Alber Raymond) القرن الثامن الهجري الثالث عشر والرابع عشر ميلادي كان يقصد مدن المغرب، وتلمسان والجزائر لشراء أو افتداء الأسرى[4] المسيحين وتحريرهم، وهذا ما أشار إليه دوماس ليتري(De Mas Latrie) بقوله:" **ففي عام 1306م، جاء الجنرال السابق ريمون البيرت نفسه إلى إفريقيا بموارده الوفيرة، ... وأعاد أكثر من ثلاثمئة عبد تم تخليصهم من تطوان وفاس والمغرب وتلمسان والجزائر** "[5].

كما ورد ذكر البادستان في مخطوط قانون الأسواق، عدّة مرات تحت مسمى "بابستان"، ومن خلال سياق النّصوص الواردة في المخطوط نفهم، منه أنّه يقصد به سوق النّخاسة أين تُباع الغنائم والعبيد، فقد ورد في مخطوط الشويهد قوله:" **الحمد لله هذا قانون على بركات الله خاص في مدينة الجزاير، أدامها الله للإسلام، وما اتفق عليه من تقعيد المسائل بحق الله، من عوايد الدلالين وفنونهم، وما يؤخذ في السّوق درهم لكل دينار، وعوايد الدلاّل بالديار والبرّاح، ودلال بابستان، ودلاّلين الغنيم مع جماعة دار السكة**"[6].

---

[1]–عبد القادر دحدوح، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة (الجزائر)، 2015م، ص409.

[2]– عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط قانون الأسواق...، المصدر السابق، ص113.

[3]– المصدر نفسه، ص39.

[4]– يطلق المسيحيون كلمة:**(Rédemptoristes)** على جماعات دينية مسيحية من القساوسة والأساقفة ينتمون إلى تنظيمات وطوائف دينية مختلفة، ظهر أغلبها في العصر الوسيط، ويسمون كذلك الآباء المُخَلصين أو المفتديين (Rédempteurs Pères) ، والكلمة أطلقها المسيحيون من قبل على المسيح عيسى عليه السلام، والذي حسب اعتقادهم افتدى البشرية وخلصها من الذنوب. للمزيد راجع: حفيظة خشمون، مهام مفتديي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، (الجزائر) 2007/2006م، ص31.

[5]- De Mas Latrie , traites de paix et de commerce, Henri Plon Editeur, paris, 1866.p154.

[6]– عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق...، المصدر السابق، ص2-3

من خلال عبارة البرّاح ودلاّل البابستان ودلاّل الغنائم، يتّضح أن السّوق كان مخصّص لبيع الغنائم ومن بين الغنائم كان هناك عدد كبير من الأسرى يباع في هذه السوق.

ويذكر أندري ريمون أنّ البادسْتان كان سوقاً يباع فيها الأسرى والعبيد، وبعد الاتّفاق الذي حصل بين الدّاي عمر واللورد إكسموث الإنجليزي(Lored Exmouth) سنة 1816م، توقّفت تجارة الأسرى الأوربيين وتحوّل من مكان لبيع العبيد إلى سوق للخياطة، وبيْع سلع أخرى[1].

1-5-الأسواق(المفتوحة) خارج الأسوار

كانت الأسواق المفتوحة منتشرة في مدن الجزائر خلال العهد العثماني، والتي عن طريقها يتزوّد السكان بكل ما يحتاجونه من سلع وبضائع، حيث يذكر نيكولا دو نيكولاي أنه قرب باب عزون يوجد سوقين يقامان على الهواء الطّلق يرتادهما سكان الأرياف كل أسبوع، محمّلين بالبضائع المتنوعة، الفواكه، والحبوب، والدجاج، بسعر جيد.[2] وهذا ما يؤكّده داريفيو (D'Arivieux) بقوله: "**أنّ قرب ضاحية باب عزون سوق أسبوعي، تُباع فيه اللّحوم، ومنتجات رئيسية، يأتي بها الفلاحون من الأرياف**" [3].

وكذلك كان الحال في مدن الشرق الجزائري، غير أنّه لكل قبيلة سوقها الخاص، يقام في أحد أيام الأسبوع، ويجتمع فيه أفراد القبيلة، كما يقصده القادمون من القبائل المجاورة، لتبادل بضائعهم. وقد اكتسبت هذه الأسواق المفتوحة(الرّيفية) أهمية بالغة، لدى سلطة بايلك الشرق، حيث كان يُكّلف أحد القواد والشيوخ بحرستها، واستخلاص الضرائب من تجّارها. هذا وقد تتحول بعض الأسواق إلى أسواق سنوية مثل: سوق الخروب وسوق العثمانية. كانت هذه الأسواق تسمى نسبة إلى الأعراش التي تقطن تلك المنطقة، مثل: سوق السقنية وسوق الحراكتة وسوق النّمامشة وغيرها. كما كان سكان الأرياف يقصدون أسواق المدن الكبرى، كسطيف وقسنطينة وجيجل وبجاية وبسكرة، التي تتوفر على كل الحاجيات وتُمكّنهم من تصريف منتجاتهم[4]. لقد مثّلت مدينة قسنطينة(مركز البايلك)، مُلتقى للطّرق مما ساهم في رواج التجارة، بها فأصبحت السلع والبضائع، تعرض في الأسواق والدكاكين المنتشرة بالمدينة، وتُحمل إليها من مختلف الجهات[5].

---

[1]– أندري ريمون، العواصم العربية...، المرجع السابق، ص197.

[2]-De Nicolay, op.cit., P17.

[3]- D'Arivieux, op.cit., P219.

[4]– فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العد العثماني 1771– 1837م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1990م، ص ص19–20.

[5]– فلة القشاعي، المرجع نفسه، ص22.

كما كانت الأسواق الأسبوعية في بايلك الغرب تُعقد بتشجيع من الإدارة العثمانية، بغرض جلب القبائل الممتنعة، واستخلاص الضرائب من تجارها.[1]

2-الحوانيت والدّكاكين

تعدُّ الحوانيت والدّكاكين، الخليّة الأساسية للنشاط التجاري في مدن الجزائر خلال العهد العثماني، سوآء داخل الأسواق الكبيرة أو داخل الأحياء، كانت صغيرة الحجم ويُطلق عليها اسم حانوت، أو دكّان في الفترة العثمانية ولها عدة دلالات منها المكان الذي تُباع فيه السّلع والبضائع، وتطلق الكلمة كذلك المخازن، فمن خلال ما ورد في سجلات بيت البايلك، في أحباس على ديار الانكشارية، استعملت المصطلحات التالية: حول مدلول الحانوت حانوت أمين الصفارين ، الدكان الرّابعة على يمين الخارج عن سكة حمام فوسطا، ويقال كذلك دكّان فوق سكة حمام السّبوعة، ويقال حانوتين مقابلتين للمخزن اليهودي "قسينة"[2]. وتطلق الكلمة كذلك على مكان مزاولة الحرفة أو المقر الذي تَنْشأ فيه مثلك ما ورد في وثيقة تغيّر نشاط حانوت، ورد فيها: " **واشهدهما على نفسه أنه غير الجلسة[3] المذكورة عن صنعها الأولى وجعلها الآن بصنعة الحفافة وجعل فيها الآت المناسبة للصنعة المذكورة** "[4].

كما أُستعمل كذلك لفظ "دكّان" للدّلالة على مقر إداري لاحد الوظائف الرسمية، حسب ما ورد في الوثائق الأرشيفية، مثل دكّان شيخ البلد، دكّان الحرمين الشريفين، دكّان المزوار، وغيرها[5]. كانت الكلمة تدلُّ على مكان صغير ومفتوح للناس، ممّا جعله مناسبًا لوظائف محلية، تتعامل بشكل مباشر مع الناس، مثل مقر شيخ البلد، أو المزوار، وهذا الاستخدام يبرز ارتباط الحياة الإدارية بالتّجارية، حيث كانت السّلطة تُمارَس وسط الأسواق والأحياء، بعيدًا عن البنايات الرسمية.

2-1- هندسة وتخطيط الحوانيت والدّكاكين

كانت في شكل حجرات صغيرة، تقتصر على بيع أنواع قليلة من البضائع التي تشمل متطلبات الحياة العادية، كانت الحانوت أو الدُّكان مُرتفعة قليلاً عن مستوى الشارع وله مضلّة خشبية هي نفسها باب

---

[1]- مشرفي جميلة، بوغفالة ودان، المرجع السابق، ص133.

[2]- الأرشيف الوطني الجزائري، س .ب .ب، ع 35 إلى 38، سجل351 إلى 369.

[3]- من خلال قراءة محتوى الوثيقة نفهم أنه يُقصد بملكية الجلسة (كراء الحانوت) وفي وثيقة أخرى وردت عبارة جميع الحانوت مع جلستها.

[4]- وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات 3205، و46.

[5]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص402.

الدُّكان ترفعُ نحو الأعلى[1]. ترتفع أرضية الحانوت أو الدّكان على مستوى الشارع بقدم إلى ثلاثة أقدام حوالي (30–90سم)، وواجهة الحانوت أو الدّكان تعلوها ستائر من خشب تغلق بالليل، يُرفع جزؤه العلوي ليكون في شكل سقف، والجزء السفلي منها فقد يتحول إلى منضدة، وعند تكدس البضاعة في الحانوت يلجأ التاجر إلى كراء مخزن مجاور لها[2].

وصفها أودال بأنها أشبه بعشّ داخل مبنى، يصعُب على الزّبون الدّخول إليه؛ فهو يقترب منه دون أن يلجه. وهي عبارة عن غرفة أو فتحة في جدار بعمق متر وعرض مترين مليئة بالبضائع، وتُشبه في نمطها الحوانيت الموجودة في سوريا والعراق والمغرب. وهي قد تكون جزء من الدّار أو المبنى لكنها تكون منفصلة عنه وظيفيًا[3]. يتّضح شكلها بوضوح في **الصورة رقم(11)**، حيث نرى غرفة صغيرة مستخرجة من المبنى الرئيسي ومظلّلة بسقف خشبي بارز من المبنى، تُستخدم لتخزين السّلع أو كمكان لمزاولة الحرفة وعرض المنتجات في آنٍ واحد.

كما كانت تُستغلّ الحوانيت أو الدكاكين لتشييد مباني فوقها كما هو الحال في جامع علي بتشين وجامع حسين ميزومورتو[4]، وهناك من هي بسيطة ومتواضعة ومن هي واسعة ولها مرافق تابعة لها. فقد ورد في وثيقة تحبيس "لبن القايد محمد" الذي حبّس عشرة(10) حوانيت بدار الدّباغة، كلٌّ واحدة منها بمخزن أسفلها، وعلوي فوقها[5]، والحوانيت تختلف أسعارها حسب مكان تواجدها، فمثلاً حانوت في شارع باب عزون التجاري كانت تساوي الكثير، فقد تجاوز سعر الدُّكان أو الحانوت في بعض الحالات سعر منزل بأكمله، فمثلاً بلغ سعر حانوت في مدينة الجزائر بين سنتي(1699–1700م) قيمة(3499) صائمة، تقع داخل السوق الكبير(في شارع باب عزون) في حين بلغ سعر دار ببير الجّباح(1500) صائمة فقط[6]. ما يوضّح ان اسعار الحوانيت كانت مرتفعة في المدينة، وهذا دليل على ازدهار التّجارة والحرف.

وفيما يخصُّ محتوى الدُّكان أو الحانوت، فقد ورد في عقد بيع لفظ(جلسة دكّان) فيقال: جلسة دكّان، على يسار الدّاخل من فندق علي بتشين، بيع جميع ما أُشتملت عليه الجلسة، من أواني وغيره خمسة

---

[1]-E. Lessore,W. Wyld, op.cit, p17.

[2]– خالد عزب ، المرجع السابق، ص246 .

[3]- Paul Eudel, L'Orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger, 1902, p70.

[4]– وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص402.

[5]– الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب ، ع101 .102 و78.

[6]- Tal Shuval, op.cit, p189.

05 دنانير سلطانية، ذلك سنة (1150هـ/1737-1738م)[1]. غير أنّ إحصاء عدد الحوانيت أو الدّكاكين في مدينة الجزائر أمر صعب، أو غير ممكن نظراً لزيادة عددها بسرعة كبيرة، إلّا أنّ ألبير ديفولكس يشير إلى مئتين وخمسون(250) حانوتاً، أواخر العهد العثماني، منها سبعة وثمانون(87) تابعة للبايلك[2].

الصورة رقم(7) : لوحة تمثل دكاكين في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني.



المصدر:E.lessore,W.wyld, Voyage pittoresque …, pla 07. 13

2- 2- الكْوَشْ(الأفران)

كانت لفظة "الكْوَشْ" يُقصد بها الفرن المخصّص لإعداد الخبز، كما تُطلق الكلمة أيضًا على أفران شوي القرميد أو كل ما يُشوى. وهي الكلمة نفسها في اللّغة العثمانية، غير أن أصلها اللّغوي يدلُّ على "رُكن" أو "زاوية"، ويُرجّح أنها استُخدمت في الجزائر بهذا المعنى، لأن الفرن غالبًا ما يكون في أحد أركان المبنى[3]. كانت الأفران التقليدية تعتمد في الطهي وإشعال النار على الحطب. وكان العدد الكبير من الأفران تحت مسؤولية جماعة الجيجلية وجماعة بني ميزاب وهي نوعين: أفران العامة وافران العسكر.

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع 1، و35.

[2]-Tal shuval, op.cit,P190.

[3]- خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط01، دار النشر نوميديا، قسنطينة (الجزائر)، 2012م، ص165.

2-2-1-أفران العسكر

هي أفران تعود ملكية أغلبها لجماعة الجيجلية وتقوم بطهي الخبز لأفراد الجيش الانكشاري، كانت تنتشر بشكل كبير بالمركز الحضري للمدينة منها: فرن العسكر فرن، تبارن الآغا، فرن بفندق العزارة، فرن كتشاوة، فرن قاع السور، فرن الخضّارين، فرن دار الإنكشارية، ولقد قام الداي حسين بالاستغناء عنها سنة 1826م، مقابل تخصيص مكان يسع اثنا عشرة(12) فرناً للخبز، وثلاثة(03) أفران لطبخ الكعك، في مبنى ملحق لقصر الجنينة، وأبقى إدارتها واستغلالها بيد جماعة الجيجلية[1].

2-2-2-الأفران العامة

وهي الأفران المعدة لطهي الخبز كانت منتشرة بمنطقة (اللّوطى) والمنطقة المرتفعة بمدينة الجزائر، وهي تقوم بطهي الخبز لعامة الناس. كانت عديدة أكثر من(55) فرناً[2]، ولقد اشتهر جماعة الجيجلية بإعداد الخبز، وامتلكوا عددا كبيراً من الكوش، خاصة تلك التي تعد الخبز للانكشارية ولغيرهم، وكانت صناعة الخبز من أهم الحرف المتوارث عندهم أبًّا عن جدّ، خاصة في مدينة الجزائر والمدن المجاورة لها، حتى إنّهم كانوا يبيعون الكوش لبعضهم، فحسب وثيقة مؤرخة أواخر رجب 1173هـ/1760م: " **بعد أن ملك المكرم محمد بن موسى (كذا)، يعرف بالجيجلي، جميع الربع الواحد شايعا من جميع جلسة الكوشة المعدة لطبخ خبز الانكشارية، الكاينة قرب باب الوادي، إحدى أبواب المحروسة الجزاير، وبزنقة الظّلام الكاينة هناك، حضر الان وباع الشاب قاسم الجيجلي ابن عيسى جميع الربع المذكور من جلسة الكوشة بـ 225 ريال**"[3].

كان الخلاف يقع أحياناً بين جماعة الجيجلية وجماعة بني ميزاب، التي كانت تختصّ بشكل كبير بطحن دقيق الخبز، فتتدخل السلطة لفض هذا النزاع، كما حصل في عهد عبد الله بن محمد الشويهد، لمّا كان متولي للسوق، فذكر ما جرى حول الاتفاق الذي وقع بين جماعة الجيجلية وبني ميزاب حول طحن خبز العسكر وثمنه قائلا: " **تمّت الموافقة بين الجيجليّا وبني مزاب الفرانين على حقّ الرَّحى للعسكر المنصور بالله، بمقدار أربعة دراهم للصاع، علماً أن وزن الصاع يبلغ سبعة وثلاثين رطلاً ونصف. أما للربعي، فكان السعر خمسة وسبعين درهمًا للصاع. وقد تمّ هذا الاتفاق بينهم سنة 1018هـ/1609م، في عهد صلحهم**

---

[1]- بلبروات بن عتو، المدينة والريف ...المرجع السابق، ص207-208.

[2]- لم يذكر بن عتو المصادر التي اعتمدها في إحصاء عدد الكوش، راجع: بلبروات بن عتو، الهياكل القاعدية...، المرجع السابق، ص206- 208.

[3]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع 72- 73، و05.

مع بابا حسن.أما خبز العسكر، فظلّ يُعدّ وفق العادة القديمة، بأربعة دراهم للصاع. وإذا توفّر لدى الجيجليّا فائض للبيع، يُعطى لبني مزاب بسعر اثني عشر درهمًا للصاع. وقد أصلح هذا الاتفاق الدلاتلي (الداي)، أيّده الله، ودوّنه عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد، تاب الله عليه، سنة 1109هـ /1697م."[1]. كان الاتفاق المبرم بين الجيجليّة وبني مزاب الفرانين حول حقّ الرحى للعسكر، جرى وفق ما تحدده الأعراف المحلية التي كانت سائدة، على ما جرت به العادة القديمة، وتم ضبط الموازين وتحديد المقادير على بدقة. بحضور الداي ومتولي السوق، مما يُظهر عناية الحكّام بتنظيم شؤون الخبز والرّحى، الذي يعد مادة اساسية للجيش.

أمّا في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، فقد كانت الكُوش منتشرة بكثرة في أحياء المدينة القديمة، وكانت تؤدي دورًا مهماً في الحياة اليومية لسكانها، حيث كانت توفر الخبز بشكل دائم. كما كانت هذه الأفران، تنتشر بشكل كبير قرب الأسواق والمساجد لتسهيل وصول العامة إليها. وقد شكّلت الكوش جزءًا من النسيج العمراني، تُدار من قبل حرفيين متخصصين في صناعة الخبز، وتخضع أحيانًا لقوانين الحسبة. ومن أشهر هذه الأفران نذكر: كوشة باب القنطرة، كوشة سوق العصر، كوشة سيدي عبد المؤمن، كوشة القصبة، وكوشة حارة اليهود، إلى جانب أفران أخرى كانت موزّعة في مختلف الحارات. وقد ساهمت هذه الكوش في تأمين حاجات السكان والعسكر[2].

كان الخبز باعتباره مادة أساسية خاصة للعسكر، يخضع لرقابة صارمة خاصة حول وزنه[3]، وجودته، وسعره، فقد ورد في مخطوط قانون الأسواق حول تقيد سعر الخبز الذي يحضر للعسكر" **الحمد لله تقييد على جماعة الكواشين مع أهل المدينة الذي يطيب الكواش بأمر العسكر المنصور بالله باش مراح والبلديا الحاج علي والحاج أحمد الهبحيط والحاج علي كلاطي وسي العداد أمين الخياطين والحاج سليمان الشويحت واتفقوا مع جماعة الكواشين ثلاثة خبزات بدرهم واحد وميزان الخبز أربعة عشر وقية وناس آخرون بالعام يتهود مع الكواش برضاه وناس آخرون يتحاسب في العاشورا والخبزات امتع الشوارع**

---

[1]– عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط أسواق الجزائر...، المصدر السابق، ص30–31.

[2]– بدر الدين شعباني، «مدينة قسنطينة في العهد العثماني –الأصالة والتراث–»، مجلة دراسات، مج11، ع01، 2020م، ص ص95–96.

[3]– يرتبط **وزن الخبز** في الجزائر خلال العهد العثماني بكميات الإنتاج من القمح فكان وزن الخبز يزيد في مواسم الإنتاج وينقص في مواسم الجفاف بالاتفاق مع الكواشين والمحتسب وسيخ البلد ...، راجع: محمد بوشنافي، «صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني (1520–1830م)»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع10، 2015م، ص49.

يتهاود في الجملا ويتراضوا في نصف عاشورا والذميون زوج خبزات بدرهم وميزان الخبز عشرون وقية، هذا ما وجدناه في الزمام القديم وربنا يسهل على أمّة محمد عام 1036هـ/1626م.

من خلال النص: يتضح أنه تم تحديد سعر ثلاثة(03) خُبزات بدرهم، تلك الموجهة للعسكر، على أن يكون وزنها أربعة عشرة أوقية حوالي(397)غراما تقريبا، وبالنسبة للمخابز المنتشرة في الأحياء، فقد تم تحديد السعر في موسم عاشوراء، بالنسبة لأهل الذّمة(جماعة اليهود والنصارى)، بأن يكون سعر خبزتين(02) بدرهم، على أن يكون وزنها عشرين أوقية حوالي(567) غراما تقريبا وهو وزن اثقل. كما ان باقي الناس يمكنهم شراء الخبز والتعامل مع الكوّاشين بالتّراضي.

2-3-الرَّحى (الطَّاحونات)

هي أماكن مخصّصة لطحن القمح والشعير، وكانت تعتمد على دواليب لتدوير حجر الرَّحى، تقوم الدواب بتحريكها. ويتضح ذلك جليًّا من خلال **الصورة رقم(18)** التي تُبيّن التفاصيل بدقة. الاّ أن أ. ليسور و ويلد اللذان رسما اللوحة، يصفان الرحى على انّها تقليدية، لكن هذا لا يعني حسبهم، أنّ سكان البلد متخلّفون، فهم متفوّقون في عدة صنائع، كتقطير الورد، وصنع الزرابي، ومعالجة الصّوف معالجة دقيقة[1]. كانت أغلب الرّحى يسيرها المزابيون، فقد بلغ عددها في مدينة الجزائر حوالي(25)، وقام الباي حسين باشا بإضافة أربعة أخرى سنة 1826م لخدمة الجيش. أحصى ديفولكس منها سبعة فقط وهي: طاحونة فرن الكعك، طاحونة بن جاور علي، اندثرت سنة 1830م، طاحونة تبارن الأغا، طاحونة سويقة عمور، طاحونة الفرينة، طاحونة بحومة، الصّفارين، طاحونة قرب جامع كجاوة[2].

أمّا في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني فقد كان الميزابيّون، يتولّون الإشراف على الطّواحين التقليدية إلى جانب الحمّامات والقصّابات[3]. وبالإضافة إلى الرّحى الحجريّة التقليدية التي كانت منتشرة بالمدينة. كما شكّلت الرَّحى المائية[4] على ضفاف وادي الرمال بقسنطينة، أداة اعتمد عليها السكان المحليّون

---

[1]-E. Lessore,W. Wyld, op.cit. p 14.

[2]- بلبروات بن عتو، الهياكل القاعدية...، المرجع السابق، ص208- 209.

[3]- خولة نواري، « نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة في العهد العثماني»، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مج02، ع01، 2019م، ص 285.

[4]- أُستعملت **الطاحونات** او **الرحى المائية** لأغراض عدة فبالإضافة الى دورها الرئيسي في طحن الحبوب استخدمت كذلك لتحضير بعض المواد الكيمائية التي تستخدم في دبغ الجلود وطحن الحناء والزيتون، وكذا طحن المواد التي يحتاجها اصحاب الحرف مثل الرمل والمواد التي تستخدم في صناعة الفخار تضاربت الآراء حول الموطن الاصلي لظهور الرحى المائية فيه من يرجع ظهور لها الى منطقة الشرق الاوسط واتجه فريق اخر الى ان ظهور لها كان في الهند والسند وفيه من ذهب الى ان في استخدام طاقة المياه، ويذهب أخرون إلى ان الرحى المائية ظهرت في روما على عهد الامبراطور أوغيست –

في طحن الحبوب، كالقمح والشعير، حيث استُغلت مياه الوادي لتوليد الطاقة الحركية اللاّزمة، لتدوير أحجار الطحن.[1]

الصورة رقم(8): لوحة تمثل رحى حجرية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني.

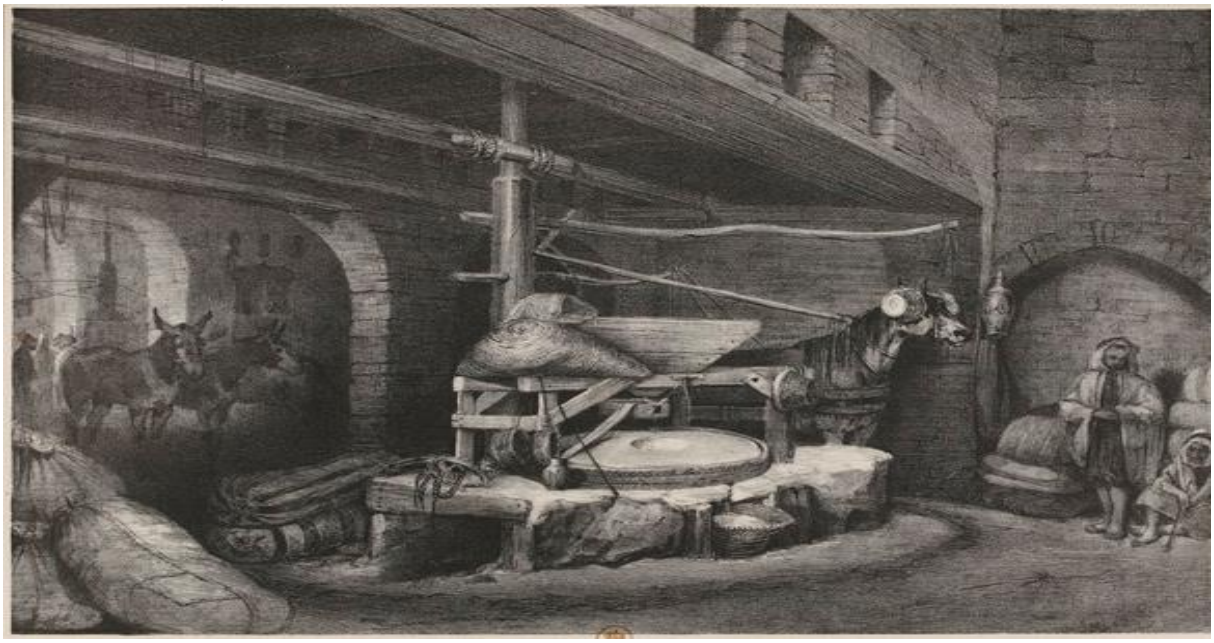

المصدر: E.lessore,W.wyld, Voyage pittoresque…, pla10

ثانيا: الفنادق بالجزائر خلال العهد العثماني.

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني انتشارًا واسعاً للفنادق، خاصّة في مدينة الجزائر، حيث أدّت دورًا مهمًا في تنشيط التجارة وازدهارها. كانت هذه المرافق توفّر خدمة الإيواء للتجار والوافدين، وتصمن لهم الحماية والعناية، مع الحرص على تلبية احتياجاتهم المختلفة، ومع تزايد أهميتها ازداد الاهتمام بإنشائها وتطويرها، سواء من حيث عددها أو مستوى الخدمات التي تقدمها، فضلاً عمّا تميّزت به من إبداع هندسي في تصميمها. لم تقتصر وظيفة الفنادق على توفير الإقامة فحسب، بل كانت أيضًا أماكن لتخزين السّلع وعرضها للبيع، مما جعلها مراكز تجارية مصغّرة. وبذلك وفّرت للتجار الراحة اللاّزمة بعد عناء السفر، وأسهمت في تعزيز مكانة إيّالة الجزائر، كمحطة تجارية نشطة في المنطقة.

---(27. ق م) اما في بلاد المغرب فيبقى السؤال مطروح حول ظهورها قبل الفترة الرومانية ام بعدها، للمزيد حول الموضوع راجع: فاطمة بوزاد،«جوانب اقتصادية واجتماعية من تاريخ الرحى المائية والرحويين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط»، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج01، ع01، 2020م، ص ص116-120.

[1]– عبد العزيز فيلالي، علاوة عمارة، وآخرون، مدينة قسنطينة محطات في تاريخها الثقافي والعمراني، مؤسسة الامام عبد الحميد بن باديس، قسنطينة (الجزائر)، 2015م، ص33.

1- الفندق لغة واصطلاحا

لفظة "فُنْدُقْ" من الألفاظ الأعجمية، التي تناولها أصحاب المعاجم العربية بالشّرح والتّفصيل، في مصدرها ومعناها وصياغة مفرداتها، حيث قدم ابن منظور في معجمه لسان العرب تفسيراً مفصلاً وشاملاً للكلمة بقوله: "**فندق: الفُنْدُق: أو الخَان كلمة فارسية؛ حسب ما حكاه سيبويه. وورد في التهذيب: الفُنْدُق حَمْل شَجَرَة مُدَحْرَج كَالبُنْدُق يكسرُ عن لبّ كالفستق، وقال أيضا: الفُنْدُقُ بلغة أهل الشّام خان من هذه الخانات التي ينزلها النّاس ممّا يكون في الطُّرُقِ والمدائن وقال اللّيث: الفُنْداقُ هو صحيفة الحساب، وقال الأصمعي: أَحسبه معرّبًا أي الفندق**[1]". نستخلص من نص ابن منظور عدة معان وصيغ لكلمة فندق، حيث نقل آراء عدة نحاة ومعجميين، منها أنّ أصل كلمة فندق فارسي وهذا ما أشار إليه سيبويه، وأنّ معناه هو "الخَان" بلغة أهل الشام على ما ورد في معجم التهذيب للأزهري، والخَانَات" هي الأماكن التي ينزل فيها الناس والتجار وعابري السبيل، في الطرق والمدن ، ويضيف ابن منظور نقلاً عن كتاب التّهذيب أنّ لفظ الفندق يطلق كذلك على ثَمر لشجرة، وصفه بأنّه مدحرج يشبه الفستق، في الشكل واللّب، وأشار كذلك بأنّ اللّيث ذكر كلمة فنداق بإضافة الألف بعد حرف الدال في كلمة فندق، والتي تعني صحيفة الحساب ويقصد بها الفاتورة في زمننا، وأخيرا أشار إلى قول الأصمعي أنّ أصل كلمة فندق أعجمي، وتم تعريبها بقوله أحسبه معرباً.[2]

ومما يُذكر أنّ الفندق بقي معروفا في إسبانيا، باسم(Alhóndiga) أو (Alfóndiga) منذ عهد دولة الأندلس، ومنها اشتقت اليوم كلمة (fondu) وتعني بالإسبانية فندقاً يأكل فيه النزلاء وينامون. أما المسلمون في الأندلس فلقد تأثروا بنظام الفندقة، الذي كان شائعا عند اليونان باسم(Agogora)، وعند الرومان كان يسمى(Horrea)[3]. هذا ويشير المؤرخ الفرنسي الكونت لويس دوماس ليتر (Louis De Dmas Latre)، أنّ كلمة فندق عربية المنشأ، وتعني المكان المخصص كمستودع وسوق، وكذا للعيش فيه؛ أي أنه يجمع بين وظيفة الإيواء وتخزين السلع، وتوجد داخل المدينة أو خارجها، ويذكر أن الكلمة وردت في نصوص العصور الوسطى، باللاّتينية تحت أسماء عديدة Fonticu, Fonticum, Fondegus Fundigum, Fondaco, وفي الإيطالية باسم(Alfondiga)، وبالفرنسية(Fondégues)[4]. ويشير أندري

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج10، المرجع السابق، ص313.

[2]-الشمري محمد كريم إبراهيم، «الفندق دراسة تراثية وحضارية أولية»، مجلة القادسية ، مج12 ، ع04 ، 2009م، ص15.

[3]-المرجع نفسه ، ص21.

[4]- **Louis de Mas Latrie.** Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au Moyen Âge. Paris, p167.

ريمون أن التّسمية اختلفت في البلاد العربية الإسلامية، تبعا للعصور ووفق المناطق المختلفة، فعرفتها القاهرة باسم فندق، ثم قيساريّة، ثم خان[1]، وأخيرا وكالة في العهد العثماني. وعرفت في سوريا والعراق باسم خان، وفي شمال إفريقيا بتونس كانت تسمى "وكالة" وتُنطق "أوُكالة"، وفي الجزائر كانت تسمى "فندق" [2].

2-نشأة الفنادق وتطورها في المدينة الإسلامية

تُعدّ خدمة الفندقة من أقدم أشكال النشاط التجاري في البلاد العربية الإسلامية، وقد حظيت باهتمام واسع منذ العصور الأولى، إذ أشار إليها عدد من الرّحالة والجغرافيين العرب والمسلمين في مؤلفاتهم. فقد ذكر ابن حوقل(ت. بعد 362هـ/974م) في كتابه أوصافًا لعدد من البيوت والفنادق التي كانت تؤدي وظيفة الإيواء والتجارة معًا. كما ضمت رحلة ابن جبير بين(582-585هـ/1186-1189م) أسماء العديد من الفنادق التي نزل بها في محطات أسفاره عبر المشرق الإسلامي، مما يعكس انتشار هذه الخدمة ورسوخها. أما الإدريسي(560-493هـ/1100-1166م)، فقد أورد في كتابه **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** إشارات دقيقة إلى أماكن النزول والاستراحة في المدن الكبرى، مؤكّدًا دورها في تسهيل الحركة التجارية وتوفير الراحة للتجار. وفي القرن التاسع الهجري، أشار الحميري(ت. بعد 900هـ/1495م) في كتابه: **الروض المعطار** إلى مراكز الإيواء والفنادق، مما يدل على استمرارية خدمة الفنادق وتطورها عبر العصور. حيث كانت المدن الكبرى التي تشهد حركية تجارية وتوافد للتجار والعمال والزوار تكثر فيها الفنادق،[3]

كانت المدن الساحلية، تُعدّ مراكز تجارية ترسو فيها السفن المحملة بالبضائع والتجار، من مختلف الدول العربية والأوربية ومنها مدينة الجزائر، حيث يتبيّن من خلال العقارات المحبّسة، أنّ مدينة الجزائر عرفت إنشاء عدد من الفنادق، لكن على ما يبدو كان عددها قليل ، حسب ما ذكر البكري في القرن الحادي عشر[4]. إذا ما قورنت بالعهد العثماني. ويذكر الحسن الوزان في القرن السادس عشر في وصف مدينة الجزائر: " **فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص وفيها كذلك عدد كثير من الفنادق والحمامات**"[5].

---

[1]- **الخان:** كلمة فارسية الأصل بمعنى منزل مؤثث أما المصطلح الأثري المعماري فان الخان نزل للاستراحة على طرق القوافل المختلفة بين المدن اوعند مداخل اسوارها ... وازدهر بناء الخانات في العهد الإسلامي خلال القرن 08 هـ / 13 م في كل من سوريا وايران والأناضول " راجع: عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص91.

[2]- أندري ريمون، المدن العربية الكبرى...، المرجع السابق، ص141.

[3]- المرجع نفسه، ص141.

[4] - وافية نفطي، الوقف في مدينة...، المرجع السابق، ص405.

[5]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1983م، ص37.

أما مارمول كربخال فينفي وجودها من خلال ما كتبه في وصف المدن البربريّة(دول المغرب العربي)، خلال مدة بقائه فيها من(1535–1559م)، فلما وصف مدينة(تَلْنَست) المغربية وممّا قال عنها؛ أنّ مدن البربر لا تتوفر على حمّامات وفنادق ولا مستشفيات ومدارس، وأنّ الغريب إذا قدم إلى مدنهم ولم يجد قريباً يأويه يتصل بأعيان المدينة، فيعقدون قرعة بينهم لإيوائه مجانا[1]. وسانده في ذلك الأب دان الرّاهب الذي قدم إلى الجزائر لتحرير بعض الأسرى سنة(1634م)، ومن خلال التّقارير التي كتبها بأن مدينة الجزائر لا تتوفر على فنادق، وأن على الأتراك والعرب الذين كانوا يأتون إلى المدينة، الإقامة عند معارفهم، أو في بيوت بعض اليهود المخصصة لذلك، وأشار أيضا أنّ المسيحيين يلجؤون إلى الإقامة في الحانات والملاهي الليلية[2]. أو أن يتم استقبال الوافدين للمبيت في المساجد تحت مسؤولية الشيخ[3].

ذكر دييغو دي هايدو الذي كان سجينًا في مدينة الجزائر بين سنتي(1578–1581م)، أنّه بمحاذاة باب عزون كانت توجد أماكن يلجأ إليها التجار القادمون إلى المدينة للإيواء مع دوابهم، غير أنّها كانت تفتقر إلى أبسط شروط الراحة، إذ لم يكن فيها غذاء ولا أسرّة[4]، ورغم أنّ هايدو نفى وجود فنادق بالمدينة في تلك الفترة، فإنّ هذه الدور التي أشار إليها يمكن اعتبارها بدايات أولى لتشكّل مؤسسات الإيواء، والتي ستتطور لاحقًا في خدماتها، لتصبح الفنادق في الجزائر أكثر تنظيمًا وارتقاءً بعد زمن هايدو. حيث يذكر دو تاسي (de Tassy) الذي زار مدينة الجزائر سنة 1718م أن هناك أربعة فنادق في المدينة، يطلق عليها في لغة الفرنكا(Albergues)، وهي مباني كبيرة فيها عدة غرف وساحات ومتاجر يقصدها تُجّار أتراك ومن بلاد الشام[5].

وهذا ما أكّده وليام كاثكارت، حيث يذكر أن مدينة الجزائر كان فيها عدد من الفنادق، تأوي بعض الأتراك المتزوجين والمتقاعدين، من الذين لا يملكون المال لكن أغلب الأتراك يسكنون منازلهم، وهم مواطنون عاديون بعد نهاية خدمتهم العسكرية[6]، وحسب ما أورده الدكتور توماس شاو، الذي مكث في الجزائر بين سنتي(1720–1732م)، فإنّه يوجد العديد من الفنادق تحتوي على محلات وغرف للإيجار، ينزل بها التجار الأتراك والقادمون من بلاد الشام، أما الفنادق التي تأوي المسيحيين فهي قليلة؛ لأنّ أغلب الوافدين إلى

---

[1]– مرمول كربخال، افريقيا،ج02، المصدر السابق، ص 09.

[2]- Dan Le père, op.cit. , pp 88 89.

[3]- Claude Antoine Rozet, et Ernest CaretteL'Univers: histoire et description de tous les peuples – AlgérieFirmin Didot Frères, Paris, 1850, p63.

[4]- Fray Diego De Haedo ,topographie…, op.cit, p45.

[5]-L. De Tassy, op.cit., p105.

[6]– وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص100.

المدينة منهم إمّا عبيد أو قناصل[1]. ويشير كاثكارت كذلك إلى أن العبيد الذين يملكون المال، ينامون في الحانات أو في صناديق (ربما يقصد بذلك غرف صغيرة)، بنيت على طول ممر السجن، وهم يدفعون إيجار لها مقداره اثني عشر(12) إلى أربعة وخمسون(54) ماسوناً شهرياً.[2] أمّا القناصل وكبار التجار الأوربيين، فحسب جون هابنستريت الذي زار الجزائر1732م، قال: **إنّ القناصل الفرنسيون والإنجليز والسويديون والهولنديون، يقيمون في أماكن ملائمة، ويسددون مقابلها مبالغ مالية، كما يمكنهم إيواء التجار من جنسياتهم، أو المسيحيين وتخزين بضائعهم**[3].

أما روزي، الذي زار مدينة الجزائر خلال القرن التاسع عشر بعد نحو مئة عام من زيارة دو تاسي، فقد لاحظ وجود العديد من الفنادق في المدينة، غير أنّه أطلق عليها تسمية بازارات . ويذكر أنّه يتكون من طابقين إلى ثلاثة طوابق، ويقصده التجار الأجانب حاملين معهم بضائعهم. وفي موضع آخر من كتابه، يستعمل مصطلح(Fonducs)، مميزًا بين المؤسستين وفق ثلاثة معايير

أولًا: البازارات كانت مقصدًا للتجار الأجانب، في حين أن الفنادق كانت يقصدها البدو، وتضم مرفقًا إضافيًا هو الإسطبل نظرًا لقدومهم مع دوابهم .

ثانيًا: البازارات تميّزت بالنّظافة ووجودها في قلب المدن أو بمحاذاة الموانئ، بينما الفنادق ارتبطت أكثر بالأنشطة الحرفية.

ثالثًا: من حيث الوظيفة كانت الفنادق تختصّ بصناعة مواد مختلفة مثل: الكتّان والنّسيج. في حين شكّلت البازارات فضاءً لتبادل السلع بين التجار الأجانب[4]. ويذكر وليام سبنسر أنّ رجال الجمارك المغاربة يَشملون برعايتهم بضائع المسيحيين، المودعة في دور البضائع المغلقة والمسماة(الفنادق)، وكان الحمّالون المغاربة ينقلون البضائع إلى الأسواق المناسبة. وعند وصول البضاعة إلى الميناء كانت تفرغ الحمولة وتنقل إلى المنطقة الجمركية لتسجل على حساب مالكها، وعندئذ إما أن تُحوّل إلى الفندق الخاص بجنسية مالكها أو أنّه يحتفظ بها في المخازن الجمركية، إذا كان جنسية صاحبها غير ممثلة[5].

---

[1]- Thomas Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc. de cetétat Tr: de l'anglais par :J. Mac Carthy, Paris, 1830, p295 -296.

[2]– وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص59.

[3]–جون أوهابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145 هـ – 1732)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 34–35.

[4]- Tell chevall, op.cit. p p 186-187.

[5]– وليام سبنسر، المرجع السابق، ص24–25.

كانت الدول الأوروبية تسعى للحفاظ على امتيازاتها، من خلال إبرام اتفاقيات مع دول إيالات المغرب والمغرب الاقصى، تسمح لهم بالحصول على مناطق خاصّة لبناء قنصليات و فنادق ومساكن تستغل اجزاء منها كمخازن، يعيشون فيها متحرّرين تحت إشراف قناصلهم[1]، حيث سعت فرنسا إلى إنشاء عدة قنصليات في بلاد المغرب العربي بين عامي(1648-1667م)، لتوفير الحماية للتجار الفرنسيين وتخزين بضائعهم[2]. والجزائر من بين الدول التي وقعت عدة معاهدات، مع عدة دول تمنحها امتيازات لحماية مصالح التجار، مع الحق في بناء فنادق تستغل كمساكن و مخازن[3]، وهذا ما يؤكده داريفيو حيث يذكر بانها بنايات كبيرة يقيم فيها التجار وكانت كثيرة وتوضع في مخازنها البضائع باستمرار.[4]

كان من عوامل زيادة عدد الفنادق في مدن الجزائر خلال العهد العثماني، هو تزايد عدد الوافدون إلى المدن من القرى المجاورة، والمناطق المختلفة منذ 1565م، فاكتظت بهم المدن، خاصة مدينة الجزائر فكانت الفنادق تقدم حلاً لتزايد عدد السكان الوافدين، من داخل البلاد وخارجها، وما ساعد على ذلك ازدهار التجارة بفعل عائدات الجهاد البحري.[5]. ويشير أندري ريمون أن في إفريقيا الشّمالية العثمانية كانت الوكالات والفنادق قليلة مقارنة بمثيلاتها في الشرق الأدنى، وإننا لانعرف إلا القليل عن فنادق مدينة الجزائر، التي اختفت مع اختفاء وسط المدينة بفعل الهدم ،الذي طالها من طرف الاحتلال الفرنسي [6].

3-انتشارالفنادق بالجزائر خلال العهد العثماني

3-1- فنادق مدينة الجزائر

تعدّ مدينة الجزائر خلال العهد العثماني نموذجًا جيدًا لمعرفة شكل الفنادق ووظيفتها، خاصة وأنّها المدينة التي ضمّت أكبر عدد من الفنادق خلال تلك الفترة، لكنه من الصّعب معرفة عدد الفنادق التي تم إنشاؤها في المدينة أو إحصائها[7] حيث أنّ أجزاء كبيرة من مدينة الجزائر تعرضت للهدم من طرف الاحتلال

---

[1]- Franc D'el, «les inscriptions arabes de Tlemcen xiv - la guidée royale de Tlemcen-», R A, vol 05, 1861, p16.

[2]- Falgas Geneviève.« Le Fondouk des Français à Tunis dans la deuxième moitié du XVIIIe siècle, à partir de la Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France avec la Cour (1579-1830)». In: Outre-mer, T 97, N°368-369, 2e semestre, 2010, p379.

[3]- Albert Devoulx, Alger:« Etude archéologique et topographique»….R.A,N° 121, 1877, pp517 518 .

[4]- D'Arvieux, op.cit. ,p225.

[5]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع سابق، ص405.

[6]-أندري ريمون، العواصم العربية...، المرجع السابق، ص187.

[7]- **ملحق(08)**: خريطة انتشار الفنادق في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تُظهر التوزيع الجغرافي لهذه المنشآت داخل النسيج العمراني للمدينة. وللمزيد حول إحصاء عدد الفنادق وتمركزها في محيط المدينة خلال تلك الفترة. راجع: سليم تريكي، -

الفرنسي، كما أنّ المصادر التي تناولت المنشآت العمرانية في مدينة الجزائر خاصة الفنادق قليلة، فنجد ربما إشارات في بعض كتب الرّحالة، إضافة إلى ما قدمه "البير دوفو" اعتمادا على وثائق الأرشيف حاول من خلالها إلى إحصاء أسماء الفنادق وأماكن انتشارها، أواخر العهد العثماني[1].

أحصى أندري ريمون ثمانية عشر فندقًا(18) في مدينة الجزائر، وقد تركز تسعة منها على طول طريق باب عزون، حيث قام بتحديد مواقعها بدقة ضمن دراسته[2]. كما يذكر تال شوفال أن فترة الحكم العثماني في الجزائر عرفت، تزايد كبير لعدد الفنادق منذ بداية القرن الثامن عشر وأنّ عددها وصل إلى ثلاثين فندقاً، من الحجم الصغير خاصة مع زيادة الطلب على السكن الجماعي، وتزايد عدد الوافدين إلى المدينة [3].

3-2-فنادق مدينة قسنطينة:

عرفت مدينة قسنطينة الفنادق قبل مجيء العثمانيين، حيث أنّ الفنادق في المدينة تعود إلى فترة العصر الوسيط، كانت مخصّصة بشكل أساسي للتّجار المسيحيين، الذين لا يطول بهم المقام في المدينة، ويشرف عليها قنصل معتمد لدى السلطان الحفصي، أما عن شكله فهو يتشكل من عدة طوابق، العلوية مخصصة لإيواء التّجار، والطابق السفلي بمثابة مخازن وحوانيت للسلع والبضائع، وتجدر الإشارة أنّ فندق قسنطينة كان يُباع فيه الخمر؛ ممّا جعل السّلطان أبا فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1434م) يهدمه، ويبني مكانه لاحقاً زاوية ومدرسة عُرفتا باسم زاوية الفندق ومدرسة الفندق.[4]

كانت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني تظمّ عددا من الفنادق، ورد ذكرها في مخطوط دفتر الأحباس الذي حققه عبد القادر دحدوح، غير أنّه لم يذكر شيئاً حول تاريخ إنشائها ولا شكلها، و منها فندق ولاد بن بلقاسم، فندق بن جلول، فندق بن سبّاع، فندق البونيين، فندق الرُّوم، فندق الصّباغين، فندق الفواكه.

---وافية نفطي، الفنادق في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال المصادر- دراسة تاريخية إحصائية- المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، مج08، ع 03، 2024م، ص ص211- 224.

[1]- أندري ريمون، العواصم العربية...، المرجع السابق، ص187.

[2]- المرجع نفسه ، ص141.

[3]- وافية نفطي، أوقاف في مدينة الجزائر ...، المرجع السابق، ص406.

[4]- يوسف قويسم، مدينة قسنطينة بين القرنين، (07-10هـ/ 16-13م) دراسة سياسية، عمرانية، واجتماعية، وثقافية، دار المتنبي للطباعة والنشر، المسيلة(الجزائر)، 2022م، ص171-172.

يشير دحدوح إلى اختفاء أسماء بعض الفنادق في سجلات مرسي نهاية الفترة العثمانية، وهي غير موجودة في سجلات أوقاف صالح باي ولا في سجلات الوفيات ولا سجلات المحاكم الشرعية، بل نجد أسماء لفنادق أخرى؛ إما لأنها اختفت أو تغيرت أسماؤها. أما ما ورد في دفتر أوقاف صالح باي أسماء فندق صالح باي، فندق سوق الخرازين، فندق بن نعمون، أمّا سجل الوفيات فورد فيه اسم فندق بني مزاب، وفي قائمة مرسيي فندق بن نويوة، فندق الزيت، فندق قيسارلي[1]. كما انتشرت بمدينة قسنطينة التَّربيعات التي كانت بمثابة فنادق صغيرة، مربّعة الشّكل وبطابق واحد تختص بحرفة واحدة مثل: تربيعة الحواكة، المختصة في النسيج[2] تربيعة الفحامين، تربيعة الحرارين، تريعة الصّباعين، وغيرها[3].

4-هندسة وتخطيط الفنادق بالجزائر خلال العهد العثماني.

لم يكن هناك اختلاف كبير بين الوكالات والخانات في العهد العثماني من حيث التخطيط والتصميم الهندسي وعناصر التّكوين المعماري، بين الموجودة في مصر ومثيلاتها في الشّام، حيث كانت لا تزيد غالبا عن طابقين، الأرضي مخصص لتخزين السلع وعرضها، والعلوي مخصص للإيواء[4]. تتشكل الفنادق في مدينة الجزائر عموماً من طابقين أو ثلاثة، مثل فندق النسّاجين الذي يذكره عقد وقف يعود تاريخه إلى(1216هـ/1801م)، ويسمي في العقد بالعلوي الكبير، كان كل فندق يختلف عن الآخر في عدد الغرف، ففندق باب الوادي يحتوي على إحدى عشر(11) غرفة في الطابق الأرضي، وثلاثة عشر(13) غرفة في الطابق العلوي، وفندق المحتسب كان يحتوي على ستة عشر(16) غرفة، وخمسة عشر(15) بيت، وفندق المسلم الجديد كان يحتوي على ستة(06) غرف بالطابق الأرضي، وسبعة(07) بالطابق العلوي، وهناك فنادق لها حوالي أربعون(40) غرفة[5]. أمّا فندق البحرية فكان يستخدم كمسكن لرئيس البحرية، وهي من أجمل البنايات التي تتميز بطابع مبتكر يوجد أسفلها منبعان للمياه، وبالقرب منها حوض تقصده السفن التي تحتاج التّرميم والتزّود بالمياه، كما كان يقصده التّجار الفضوليون، للاطلاع على السّلع والغنائم التي تجلبها السفن[6]. **الصورتين رقم(19) و(20)** لفندق البحرية بمدينة الجزائر توضح مكانه وقرب الميناء وشكله الخارجي.

---

[1]- عبد القادر دحدوح، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة...، المرجع السابق، ص366.

[2]– بدر الدين شعباني، المرجع السابق، ص98.

[3]–الأرشيف الوطني بولاية قسنطينة، س. م. ش، مج01، ص94 – 245.

[4]–عاصم محمد رزق ، المرجع السابق، ص325.

[5]–زهية بن كردة، المرجع السابق، ص159.

[6]-E. Lessore, W. Wyld, op.cit, p28.

قدّم لنا روزي وصفا دقيقا لاحد اقدم الفنادق في مدينة الجزائر وهو فندق الزيت، يصفه على انه:" **مبنى كبير فوق قبو مظلم يؤدي إلى صحن مستطيل الشكل ، تحيط به أروقة تمارس فيها نشاطات تجارية مختلفة رغم اختصاص هذا المبنى في تجارة الزيت، وتحمل هذه الأروقة، على تيجان منسجمة مع طابع البناء في المدينة وفي الأروقة اسفل المبنى حوانيت، يجلس أمامها وتحت الرواق تجار الزيت جلسة القرفصاء يطهون طعامهم وأمامهم أمتعتهم ودوابهم وأواني فخارية كبيرة وعلى يسار المدخل عند الرواق الرابع يجلس الصباغون وفي الطابق الثاني تجد النساجين ولهذه الحوانيت مصاطب حجرية من الخارج**[1]. رغم دقّة وصف روزي لتفاصيل المبنى، الاّ انّه لم يفسر لنا كيف كانت تنظم حركة البيع والشراء، أو كيف تُوزّع الأنشطة حسب الطوابق والمواقع. ويصفها ديفولكس مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر على أنها كانت عبارة عن مباني كبيرة، ذات طابق أو طابقين، تَضمّ محلات يشغلها التجار والحرفيون، وغرفا يأوي إليها العزاب والمسافرون، وكان في بعضها إسطبلات، يمكن للتّجار الذين يرتادون المدينة بالماشية والدّواب النزول بها [2].

الصورة رقم (9): لوحة تمثل فندق البحرية في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني

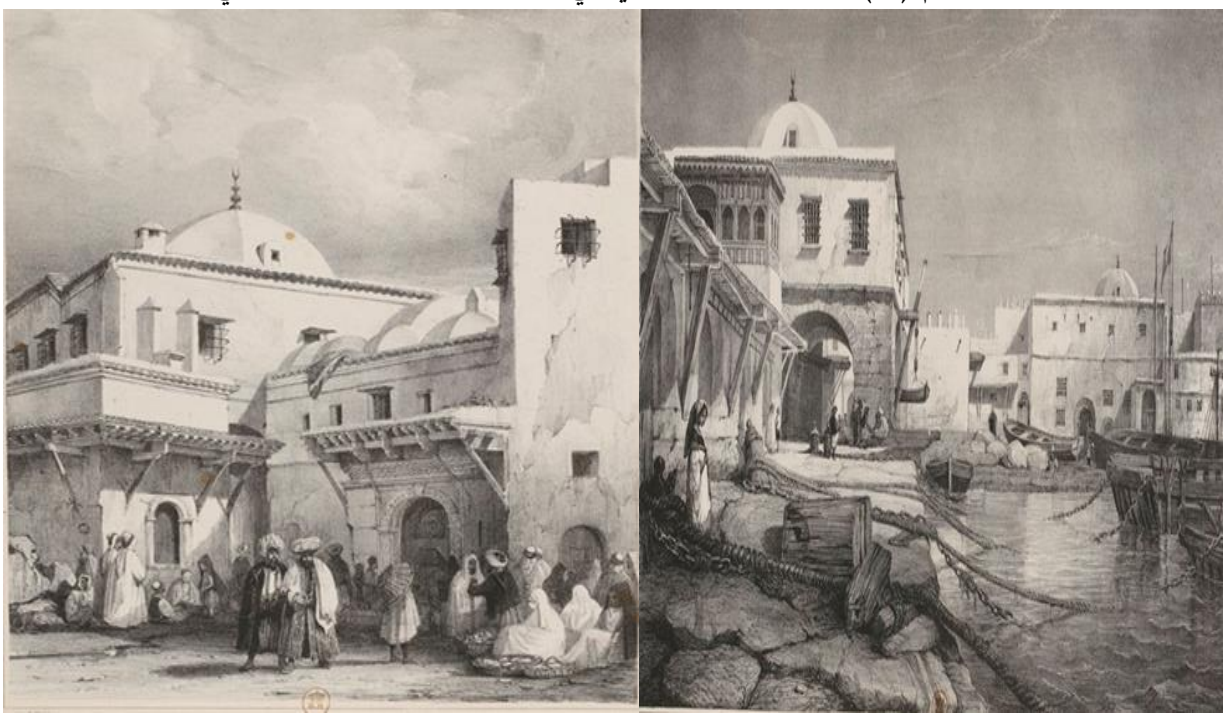

المصدر: E. lessore, W. wyld, Voyage pittoresque … , pla 11.32

[1]- Rozet et Carette, op.cit. p p66.67.
[2]- Albert Devoulx , Alger : Etude archéologique et topographique….R.A, vol20 ,1876, p p221-222.

5-نظام الفندقة وخدماتها بالجزائر خلال العهد العثماني :

كانت الفنادق في الغالب تخصص لإيواء التجار الأجانب وتخزين لبضائعهم، وكذا السّهر على راحتهم، وتقديم الخدمات اللاّزمة، فكانت الطوابق العليا تخصص للمبيت، والطوابق الأرضية تخصص لتخزين البضائع والسلع، وتخصص المستودعات للدّواب[1]. كانت وحدات الطّابق العُلوي يطلق عليها اسم غرفة و الطابق السُّفلي اسم بيت[2]. أمّا العامل بالفندق أو المالك فيسمّى "فَنْدَاقْجِي"[3]. كانت تلك المباني تبدو كأنّها منتديات تجارية، تتوفر على خدمات متنوعة للتّجار والذين بدورهم كانوا يدفعون رسوماً لقاء حصولهم على الخدمات؛ ومنها حق بيع بضائعهم فيها يقدر تلك الرُّسوم "المحتسب" المشرف على الأسواق وتنظيم التجارة بها[4]. حيث يذكره فونتور دي بارادي أن من يترأس الأسواق ومرافقها يُدعى المحتسب[5].

وسواء كانت الفنادق مخصصة لإيواء التجار المسيحيين أو المسلمين، فهي مؤسسات تجارية كانت تقام فيها عمليات البيع والشراء، التي يقوم السماسرة فيها بتسهيل العملية، إضافة إلى أن المنادون كانوا يقومون بالإعلان في المزاد العلني عن أسعار البضائع والسلع، وكان بها أيضاً أُمناء يراقبون أسعار البضائع وسلامتها من الغش، وبها شهود عدول لتحرير عقد البيع والشراء، وكذا مترجمون بين التّجار من مختلف الجنسيات، وفيها من يقوم بخدمات سريعة مثل: الساعي، وكذلك سراج لإصلاح سروج الدواب، ومختصّ لمعالجتها ونعلها[6]. و كانت تتوفر كذلك على حمّامات وأفران، ودير للوعظ بالنسبة للفنادق التي تأوي المسيحيين.[7]

وكانت لتلك الفنادق ضوابط وقوانين، وفيها يتم معرفة موعد وصول وانطلاق القوافل التجارية والمسافة التي تقطعها، ويتم معرفة أمن الطريق من عدمها، ووزن الشحنة التي تقلها القوافل إلى غير ذلك[8]، وهذا ما ذهب إليه روزي بأن الفنادق هي أفضل مكان للحصول على المعلومات حول القوافل وموعد انطلاقها ووصولها وكذا الطرق التي تسلكها [9].

1- Devoulx Albert, op.cit. , vol 20, p121.
2- Tell chevall, op.cit, p188.
3- عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر...، المصدر السابق، ص95.
4- ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار الشروق، ط01، القاهرة، (مصر) 1994م، ص70.
5-Venture de Paradis Alger au XVIIIe siècle, Édité par : E. Fagnan, Bibliothèque nationale de France, 1898, p34.
6- زهية بن كردة، المرجع السابق، ص98.
7-Franc D'el, op.cit. , p19.
8- بلبروات بن عتو، المدينة والريف...،المرجع السابق ، ص 209.
9- Rozet et Carette, op, cit, p156.

من حيث المستحقّات من دون شك فقد كانت تتفاوت حسب الموقع والأهمية التجارية لكل فندق، فالفنادق القريبة من المراكز الحيوية أو الموانئ كانت أغلى وكذلك الخدمات التي يقدمها، فقد بلغ إيجار فندق باب الواد(250) ريال وأما فندق خارج باب عزون فبلغ إيجاره(108) ريال وثلاث فنادق قرب الفندق المذكور أجرته(250) ريال[1]. كما كان يُشترط في الفنادق التي تأوي الأجانب أنّ تتوفر على حمّام وكوشة وإن لم يكن فيها، كانت إدارة الفندق تكْتري حماماً وفرناً خاصين به، وبالفعل توجد أفران كثيرة تقع داخل الفنادق أو قربها مثل: كوشة فندق "العَزَارة" من أوقاف حسن باشا على مسجده [2]. وكوشة القهوة الكبيرة [3]. وفي كثير من الأحيان ترفقها مقاهي ودير(أديرة) يقيم فيها الرُّهبان المسيحين شعائرهم الدينية [4].

ثالثا: فضاءات التَّرفيه

1-المقاهي

مثّلت المقاهي في مدن الجزائر خلال العهد العثماني مقصداً للترفيه عن النفس، ومكانا للاجتماع من أجل تبادل أطراف الحديث أو مناقشة الأعمال وعقد الصفقات، وكذا الاستماع إلى مستجدات الأخبار، مع أخذ قسط من الرّاحة والتّمتع باحتساء كوب من القهوة أو من الشاي، كما كانت المقاهي مكاناً جيداً يرتاده الزبائن، مرة أو عدة مرات في اليوم، للاستمتاع والراحة ونسيان الهموم، وتدخين الغليون أو الزَّنقيلة، وفيهم من كانوا يتسلّون بعدة لعب مثل: الضامة والشطرنج؛ مقابل الحصول على أكواب القهوة أو التبغ أو الشاربات على عاتق المغلوب، الذي يعلّق في عمامته غصن صغير من الشّجر بغرض التسلية[5]. كما لم يُكن هنالك تمييز بين روّاد المقاهي، فقد كان يأتي إليها البدويُّ المعوز الذي يرتدي أطماراً، فيجلس إلى جانب الثّري، وإن لم يكن له غليون فيستعير غليون جاره الثّري ففي، المقهى يعتبر كل الناس إخوة يجلسون على حصير واحد ويستمعون بشغف لأغاني الموسيقار[6].

كانت المقاهي كثيرة ومنتشرة في كل أنحاء مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، في الأسواق والسّاحات وكان بعضها فوق سطوح الدّور، إلى جانب الجزائريين كان يرتادها كذلك الأجانب لتعلم اللغة، فقد

---

[1]– وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص406.

[2]–الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع29 فيلم 28، سجل219.

[3]–الارشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، علبة 33فيلم 35 سجل 314.

[4]– زهية بن كردة، المرجع السابق، ص98.

[5]– مباركي نادية، « دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني»، حوليات التاريخ والحضارة، ع 04، 2001م، ص211.

[6]-E. Lessore, W. Wyld, op.cit , Pla 05.

وصف الرّحالة الألماني موريتس فاغنر (Moritz Wagner)، الذي زار مدينة الجزائر(1835-1836م) قائلا: " **وتتناثر المقاهي بين هذه المحلات حيث يوجد منها في الحي العربي وحده حوالي 60 مقهى يتعلم الأجنبي فيها مختلف المصطلحات الجزائرية**"[1]. كما كان روّاد المقاهي يستمتعون بألحان الموسيقى الشعبية والأندلسية الهادئة، تستخدم فيها آلات متنوعة مثل: الكمان والمَنْدُولِينَة والمزمار والعود والدّربوكة. وكانت تقدَّم فيها عروض لعرائس القراقوز[2].

يضيف فاغنر الوصف بقوله: "**وأحسن مقهى عربي يكثر فيه الرواد يقع في شارع الديوان ويزوره عدد كبير من الناس في القديم. وموسيقار الداي الخاص، يمتاز بالمهارة في العزف والقيام يزوره الأوربيين لجودة القهوة فيه ولوجود الموسيقى ويدير الفرقة عربي كان ذلك بحركات غريبة جدا تجلب أنظار الناس إليه وفي بعض الأحيان تظهر في نفس المقهى فتيات ليرقص ويغنين وصاحب المقهى هو أخو إبراهيم شاوش أو جلاد الجزائر وله ثروة كبيرة**"[3]. حسب فاغنر كانت المقاهي تدرُّ أرباحاً طائلة، ونشاطها كان مزدهراً، وروادها كثر؛ لأنّ احتساء القهوة في تلك الفترة كان يعد قمة الموضة والتّحضر، في مختلف أرجاء الدولة العثمانية ليس في الجزائر فقط. وسرعان ما انتقل هذا النشاط إلى أوروبا.

ففي أقدم وصف للمقاهي في مدينة الجزائر يذكر الأب دان أن الجزائريين يتجمعون في ساعات الصباح الباكر، في الأماكن العامة لاحتساء شراب أسود(Caufe) يسمونها العشبة الإلهية، بفضل خصائصها النادرة فهي تجعل العقل مبهجا، بعد أن يقوموا بطحنها وخلطها بالماء، ويقدم الشراب ساخنا ويشرب برشفات صغيرة[4]. يذكر القنصل السويدي "ريفتليوس" أن البن الذي يستخرج منه مشروب القهوة بدأ ينتشر في أوربا الآن حوالي 1730م، ويطبخ في الجزائر بكثرة ويستورد من ولاية اليمن، التي تبعد عن الجزائر ثمانية أيام سفر،[5] وهنا تجدر الإشارة إلى أن القهوة عرفت في فرنسا حوالي 1643 م، وأول مقهى في باريس كان حوالي 1672م ومن قبل في مرسيليا سنة 1654م.[6]

---

[1]- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، (ش. و. ن. ت) الجزائر1975م، ص35.

[2]- نادية مباركي، دور الحدائق ... المرجع السابق، ص 213.

[3]- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان...، المصدر السابق، ص35

[4]-Dan Père François, op.cit. , p282.

[5]- المازري بديرة ، «حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر»، قي الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات للبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1988م، ص101.

[6]- نادية مباركي، دور الحدائق...، المرجع السابق، ص213.

وحسب شهادة الأسير روكفيلر الذي اشتغل سقاء للماء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، عن أسلوب حياة الجزائريين والتنظيم الحضري للمدينة في(ق17م) يذكر:" **أنّ في شارع باب الواد إلى باب عزون، كانت تنتشر أكثر المقاهي في مدينة الجزائر، وأنَّ أغلبية المصلّين بعد خروجهم من المساجد يتجهون نحو المقاهي لشرب القهوة، وهي شراب يشبه الحبر يشربونه مغلي ومذاقها سيئ، لمن لا يستسيغه ويسكبونه في أوعية خزفية صغيرة.**"[1] ويضيف فاغنر قائلا:" **أما المقاهي في القسم الأعلى من المدينة فان المشاهد فيها أكثر أصالة وجمالا، ففيه يوجد المقهى اليوناني وصاحبه على مقدرة كبيرة على اجتذاب الناس إليه، بأخص الوسائل فكانت تجتمع في مقهاه حثالات البشر من كل جنس من غير تمييز عنصريا كان أو دينيا فكان فيهم المسلم والمسيحي واليهودي والأوربي والإفريقي وفي هذا المقهى تختلط أصوات السكارى رجالا ونساء بأصوات الآلات الموسيقية بشكل غريب** ."[2] ربما وقع المؤلف في خلط بين المقاهي والخمارات خاصة وأنّ صاحب المقهى الذي ذكره يوناني، والخمارات كان يديرها المسيحيون فعلى الغالب هي خمارة .

امّا عن عدد المقاهي في مدينة الجزائر فيذكر الألماني فيلهلم شيمبر(Wilhelm Schimper) الذي زار الجزائر في سنة(1830-1831م) يقول: " **المقاهي كثيرة يجلس فيها الناس من الساعة الثالثة صباحا ولا تخلو منهم اليوم كله يجلسون فيها للتدخين وشرب القهوة غير أن الجلوس فيها ليس بدافع الكسل والخمول بل لأغراض فردية ويذكر انه في مدينة الجزائر مقهى كبير يجتمع فيه العرب في الثامنة ليلا لسماع الموسيقى وأغان عربية** فقد طلب **شيمبر**" من أحد المغنيّن أن يكتب له الأغنية التي استمع إليها، فكتب له مقاطعاً منها ترجمها شيمر إلى (الألمانية)[3]. ويذكر وليام شالر أن في الشارع الرئيسي من باب الواد إلى باب عزون توجد المقاهي الرئيسية، يَلتقي فيها المهتمّون بالسياسة، والناس يُناقشون ويتنبّؤون بالأخبار ويشربون القهوة ويتبادلون الأفكار ويلعبون الشطرنج[4].

1-2-أهم المقاهي بمدينة الجزائر:

كانت هناك في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني على العديد من المقاهي الفاخرة، التي بُنيت خصيصاً لتكون مريحة، في شكل قاعات كبيرة مبلّطة بالرّخام، وفي وسط القاعة كانت تُوجد نافورة والمياه

[1]-Sieur de Rocaquville, Relation des mœurs et du Gouvernement des Turcs d'Alger, Edition Oliver de Varennes, paris, 1675, pp 67-68 .

[2]- أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص36.

[3]- المصدر السابق، ص ص13- 15.

[4]- وليام شالر، المصدر السابق، ص97.

تجري فيها باستمرار، وفي مدخل المقهى آنيّات مخصّصة للزهور والنباتات، العطرية مثل: الياسمين ومسك الليل، كما كان الحال في قهوة الدّرُوج التي تقع في الأعلى بقليل من جامع كتشاوة وقرب حصن الإمبراطور، وقهوة العريش في الطريق المؤدية إلى قسنطينة؛ وسميت بالعريش نسبة إلى أشجار الصفصاف التي تحيط بها[1]. والقهوة الكبيرة تظمّ مقهيين موجودان في شارع باب الجزيرة (Rue de la Marine) تميزا عن غيرهما من الأكشاك والمقاهي، بهندسة معمارية متميزة، وكانت من أهم المقاهي التي يقصدها عدد كبير من الزبائن، لما لهما من جمال ورونق، فهي مرصوفة بألواح رخامية ومزيّنة في وسطها بنافورة تجري فيها المياه، وفي مدخل المقهى آنيات من الياسمين تخفي قاعدة الأعمدة التي تحمل الطابق العلوي، وفي الساحة الداخلية رواقان محمولان على أعمدة صغيرة من الرخام، تتخللها مقاعد أو مصطبات حجريّة، مغطاة بحصائر من الحلفاء، وموائد دائرية أو بيضاوية، وصواني نحاسية موزعة هنا وهناك[2].

كانت القهوة تحضّر في أباريق فوق فرن في سمك الجدار، يبلغ عرضها حوالي متر ونصف، ويوجد بها رفٌ يوصل إليه بدرج صغير، مغطى بالزليج اللاّمع، كانت تُوضع أباريق من الحديد الأبيض ذات مقبض طويل، وأخرى أصغر منها وأكثر أناقة من الخزف المطعم بالنّحاس، تستخدم لسكب القهوة للزبائن. وكان مخزون وقود الفرن من فحم وحطب موضوع تحت الأرض[3]. كما هو موضح في **الصورة رقم(21)**.

الصورة رقم(10): لوحة تمثل مقهى في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني



المصدر: E.lessore,W.wyld, Voyage pittoresque…, pla 05

[1]– نادية مباركي، دور الحدائق...، المرجع السابق، ص210.

[2]- Albert Devoulx, El Djazair Histoir…,op.cit., p229.

[3]– نادية مباركي، دور الحدائق والمقاهي ...، المرجع السابق، ص211–212.

2-الخمارات

كان يُطلق عليها اسم "تبرنة"(Teberna) وهي مكان كان مخصّصاً للعبيد المسيحيين، كان يُباع فيه الطّعام والشراب، وقد سمحت لهم السلطة العثمانية في الجزائر بإشباع رغبتهم في تناول النبيذ والمسكّرات، وكانت بعض هذه الحانات تُستغل أيضًا كمكان للمبيت. لقد كانت لفظتا "تبرنة" و"زندانة" متداولتين لدى السكان المحليين في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث يقول ديفولكس إنهما جمعتا تحت هذين الاسمين نوعين من المؤسسات: الخمارة والسجن، وذلك لارتباطهما بالعبيد المسيحيين. في البداية، لأنه كان هناك ما يُسمى زندانة (Zendana) وهو سجن خاص بالعبيد ويسميه الإسبان(Banos)[1].غير أنّ بعض الباحثين يرون أنّ التسمية قديمة تعود للفترة الرومانية فغير بعيد عن مكان الفوروم القديم في مدينة الجزائر، نجد الحانات والتي كانت تسمى باللاّتينية(les Tebernae veteres) بمعنى الحانات القديمة، ومنها أخذت الكلمة الفرنسية(Une taverne) أي؛ حانة او خمارة، كما نجد في مدينة الجزائر شارع سبع تبارن، المحاذي لهذه الساحة في المدينة القديمة والذي ربما يكون إرث روماني[2].

لقد ورد في وثائق الأرشيف الوطني لفظ تبارن في عدة مواضع: تبارن بن الآغة، تبرنة البايلك، سبع تبارن، ممّا يؤكد أن الكلمة استخدمت بشكل واسع خلال العهد العثماني، ومما قد ينفي أنّ الكلمة تحريف للكلمة الفرنسية. ومنه ما ورد في وثيقة مؤرّخة بسنة 1166هـ/ 1752م: " **بعد أن استقر على الملك الحاج إبراهيم بلكباشي ابن عثمان التركي، جميع العلوي الراكب على الكوشة الكاينة بحومة تبارن الآغة، المعدة لطبخ خبز العسكر المذكورة معه في الرسم**"[3].

لقد تقدّمت الباحثة التونسية بديرة مازري بدراسة حول الخمارات في مدينة الجزائر، من خلال ملف قيّم عثرت عليه في خزانة الأرشيف السويدي بستوكهولم، وهو عبارة عن مراسلات تعود لأول قنصل سويدي في الجزائر سنة 1730م، وهو المدعو كارل ريفتليوس(Carl Riftilius)، تذكر الباحثة أنّ السّلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، أجازت بإقامة خمّارات خارج أسوار المدينة، وكان يديرها الأسرى والعبيد فقط. شرط أن يكونوا قادرين على شراء المقرّ، وبالمقابل يدفعون مستحقات سنوية تتناسب وفق ما يحققونه من الأرباح، باحتساب كمية المبيعات. وإلى جانب الخمر كانت تُباع فيها مواد أخرى، كالدخان، والخبز، وعدة

[1]-Albert Devoulx, El Djazair Histoir…, op.cit, p154.

[2]– زهية بن كردة، المرجع السابق، ص 65.

[3]– وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات 3205 و29.

مأكولات أخرى، أما روّادها فهم من الصّعاليك والمسيحيين، وبعض الجُند كما كانت تُسلّط عقوبات على من يرتادها من المسلمين، إذا ثبت عليه ذلك[1].

ويذكر أسير الداي وليام كاثكارت في مذكراته، أن مدينة الجزائر كانت تتوفر على حانات على غرار تلك التي توجد في السجون، والتي مُنعت وأُغْلقت بسب الفوضى وأعمال الشّغب، ومن حانات المدينة المشهورة حانة "رفاجي"، كانت تعود ملكيتها لكبير موظفي القصر المسيحيين. و"الفونداريا" والتي يملكها المهندس اليوناني ديميتريوس. وكان أصحابها لا يدفعون أيّة ضرائب رغم المداخيل الكبيرة التي تدرها، لأنّهم يتمتعون بحظوة لدى الداي، كما توجد عدة حانات في المدينة لا تستحق الذكر أو الوصف، ويتراوح عدد الحانات في مدينة الجزائر، بين سبعة وعشرون(27) و ثلاثون(30) حانة، بما فيها حانات السجون[2]. والخمارات غالبا ما تكون في محلات بسيطة، وهي مُظلمة لا يدخلها النور إلّا من الباب، ويتم استخدام القناديل طوال النهار للحصول على الإضاءة، وتشترك كُلُّها في عدم النظافة. وتوجد بها مناضد مستطيلة كانت تُقدّم فوقها أكواب الخمر[3].

رابعا: الحمّامات العامة.

1-الحمام لغة:

يذكر ابن منظور عن كلمة الحمّام قوله: **"هو المُغتسل ويقال له الدّيماس، والحمّام مُذكّر وقد يُؤنّث، وهو مُشتقّ من الحَميم، وهو الماء الحار والجمع حمّامات"**[4]. **والحمّام من الحَميم أو الماء الحار ومنه قوله تعالى:"وُسقُوا مَاءً حَميماً"**[5]. ونقول إستحمّ الرّجل أو اغتسل والحمّام هو مكان الاغتسال أو الاستحمام.

2-نشأة الحمّامات عند المسلمين

عُرف بناء الحمامات في الحضارات القديمة في منطقة بحر إيجة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ثم تطورت في الفترة الرومانية، وازداد الاهتمام بها فيما بعد وتم تزيينها من والدّاخل والخارج، وانتقلت بعد ذلك عمارة الحمامات إلى العصر الإسلامي، ليس لأنها من مظاهر التّرف فحسب، بل لأنّها ضروريّة

---

[1]- أحمد سلطاني، «الحوانيت والمرافق العامة في مدينة الجزائر العثمانية»، الحوار المتوسطي، مج05، ع02، 2014م، ص318.

[2]- وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص ص100-101.

[3]- بديرة المازري، المرجع السابق، ص101.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، ج02، المرجع السابق، ص185.

[5]- القران الكريم، سورة محمد، الآية15.

للتطهر والاغتسال، الذي هو واجب على كل مسلم ومسلمة[1]. اختلفت آراء الفقهاء حول الحكم الشّرعي لدخول الحمام وانقسموا على أربعة مذاهب، الأول يرى أنّه منهيّ عنه للرجال وللنساء، لما فيه من كشف للعورات، وقول ثاني بانه مُباحٌ للرّجال ومحرّم على النساء، قول ثالث يرى أنّه مباح للرّجال وحرام على النّساء إلّا للضّرورة كمرض أو نفاس، وقول رابع أنّه مُباح على الرّجال والنساء بشرط السّترة.[2]

مما لا شك فيه أنّ المسلمون قد ورثوا فكرة الحمّامات عن الحضارات السّابقة، اليونانية والرومانية، لكنّهم أدخلوا عليها تخطيطا معماريا يتماشى مع مبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها، وعلى الرغم من وجود التشابه إلّا أنّ الحمّامات الإسلامية كان تحظى بخصوصية مختلفة، في توفير المياه الطّاهرة النّقية وتوفير السّترة للمُستحم، وفق ما تنص عليه الشّريعة الإسلامية. لقد أصبحت الحمّامات مكاناً يرتاده غالبية فئات المجتمع الإسلامي الفقراء منهم والأغنياء، وحتى طائفة أهل الذّمة من غير المسلمين، كما أنّه خُصصت أوقات للنّساء، عادة ما تكون في الصباح، وأوقات للرجال تبدأ من بعد الظهيرة، كما اشتملت بعض الحمّامات على رغم قلتها، على قسمين قسم مخصص للرّجال وآخر للنساء ولكل قسم مدخله الخاص ووحداته الخاصة، ومما ساعد في انتشارها في البلاد الإسلامية أنّ الحمامات تأتي في مقدمة المنشآت الوقفية، فيتم تخصيص مداخيلها لخدمة المؤسسات الدينية خاصة المساجد[3].

فقد ذكر باسيلو بابون مالدونادو(Basilio P. Maldonado) وهو من أبرز المختصّين في العمارة الإسلامية والمدجّنة في إسبانيا، في كتابه: **عمارة المياه في الأندلس**، أنّ الحمّامات في المدن الإسلامية وفي شمال إفريقيا والأندلس، الكثير منها تتبع الحبوس(الأوقاف)، وهي موزّعة على أحياء المدينة والأرباض، وتعود نفقات أغلبها للمساجد[4]. وفي هذا الصّدد يذكر شوفال أنّ الحمّامات الموقوفة في مدينة الجزائر أكثر عدداً من حمّامات المُلك أي؛ التي تعود ملكيتها للأفراد، فقد بلغ عدد الحمّامات الموقوفة: تسعة عشرة(19) حمّاماً، منها ثلاثة عشر(13) حمّاماً لمؤسسة العيون، سبعة(07) حمّامات لمؤسسة الحرمين، وحمّامين

---

[1]– عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص84.

[2]– عبد الرؤوف المناوى، النزهة الزكية في احكام الحمام الشرعية والطبية،ط1، تح، تق: عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م، ص ص26–29.

[3]– علي بوتشية، « الحمامات العامة بالجزائر خلال العهد العثماني؛ حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران أنموذجا»، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج14،ع02، 2022م، ص85.

[4]– باسيلو بابون مالدونادو، العمارة الأندلسية عمارة المياه، تر: علي إبراهيم علي منوفي، مكتبة زهرة الشرق، ط01،القاهرة، (مصر) 2003م، ص 329.

(02) لمؤسسة سبل الخيرات، كما أنّ الحمّامات الموقوفة التابعة للمساجد الحنفيّة أكبر عدداً من الحمامات الموقوفة على مساجد المالكية[1].

لا نملك معلومات كبيرة عن خصائص حمامات المغرب الإسلامي، وحتى الأندلسية منها إلّا أنّها تتشابه مع الحمّامات العثمانية، من حيث عمارتها، ذلك بوجود ثلاث غرف، الغرفة الباردة، الغرفة الدافئة، والغرفة الساخنة، والحمامات العثمانية في الجزائر تتشابه مع الحمّامات التركية، كما أنّ نشأتها في الجزائر تعود إلى خير الدين بربروس ومحمد بن صالح رايس، ولم تكن تتجاوز ستة عشر(16) مع بداية القرن السادس عشر، ووصل عددها إلى ستون(60) حماماً مع نهاية العهد العثماني[2]. حيث عرفت أعداد الحمّامات في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني تزايداً مع زيادة عدد السكان في المدن الجزائرية، وانقسمت عموما إلى نوعين:

حمّامات خاصة: تلك التي توجد في قصور الحكّام دور الأثْرياء.

حمامات عامة: يرتادها عامة النّاس تنتشر في الأحياء وقرب المساجد والأسواق[3].

لقد أحصى شوفال قائمة لـ أربعة وثلاثين(34) حمّاماً، كانت موجود فعليا في مدينة الجزائر، من خلال ما ورد ذكره في وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، وهو عدد كبير لكنّه يقل عن العدد الذي أشار إليه قرامي (Gramaye)، الذي أحصى وجود اثنان وستون(62) حماماً خلال (ق17م)، وهو ما يراه شوفال مبالغاً فيه بالنظر إلى مساحة مدينة الجزائر[4]. لكن من المؤكّد انها كانت كثيرة ومنتشرة في كافة أنحاء المدينة، فقد أحصت الباحثة نبيلة سفاج أكثر من أربعين حمامًا عامًا في مدينة الجزائر، مبيّنة وجود تباين واضح في توزيعها. فقد احتضنت المدينة السُّفلى، التي تُعد مركز الأنشطة الاقتصادية والسياسية والإدارية، أربعة وعشرون(24) حمامًا؛ أي ما يقارب 60% من مجموع الحمامات، في حين لم تضمَّ المدينة العليا، رغم مساحتها الأكبر، سوى ستة عشر (16) حمامًا فقط[5].

---

[1]–Tal Shuval, la ville d'Alger vers la fin de XVIII siècle, population et cadre urbain CNRS Edition, Paris, 1998, pp215-216.

[2]– وليام سبنسر، المرجع السابق، ص110.

[3]– محمد بن حمو، خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمّامات المرابطية والمرنية، المجلة التاريخية، ع 20، 2013م، ص31.

[4]–Tal Shuval, op.cit, p211.

[5] - Nabila Chérif-Seffadj, Les bains d'Alger durant la période ottomane (XVIe–XIXe siècles), 1re éd., Presses de l'Université Paris-Sorbonne, Paris, 2008, p245.

لم يكن للحمّامات موقع محدد لكن ما يمكن ملاحظته، أنّها تقع بحسب المناطق التي يكثر فيها عدد السكان فمثلا: تقع بعض الحمامات بالقرب من المساجد، أو في وسط الأحياء المكتظّة أو تجاور الأسواق والمحلاّت التجارية، أو قرب مداخل المدن، وهو ما نلاحظه في مدن الغرب على غرار وهران ومستغانم معسكر ومازونة وحمامات البليدة، وحمام سوق الغزل في قسنطينة. أقيم أسفل الجامع الذي يحمل اسم جامع سوق الغَزل فهو مجاور للسّوق والجامع، وكذا حمّامات مدينة الجزائر، كحمّام قرب مسجد سيدي رمضان، وحمام قرب مسجد سيدي عبد الله[1]. كما كانت تنتشر بعص الحمّامات قرب الفنادق التي تأوي عددا كبيرا من التجار وأفراد والانكشارية[2].

ونظرا للتزايد الكبير لعدد الحمّامات في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، فقد وُضع جزء منها تحت مسؤولية خوجة العيون. غير أنّ بعض الحمّامات الموقوفة على المساجد وغيرها، وُضعت تحت مسؤولية ناظر الأوقاف[3]. وتوضّح نبيلة سفّاج في دراستها، بأن تسمية الحمّامات في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، كانت غالبًا مرتبطة باسم مؤسسها أو شخصية نافذة أنشأتها، وأحيانًا بموقعها أو بمعلم ديني قريب منها، ممّا يعكس مكانة المؤسّس أو طبيعة الحي الذي يقع فيه الحمام. فمثلًا: حَملت بعض الحمّامات أسماء باشوات وملوك، مثلك حمّام خضر باشا، وحمّام حسن باشا، أو أسماء أحد كبار المسؤولين، كحمّام "علي بتشين" وأخرى بأسماء شخصية محليّة بارزة أو نافذة في الدولة، كحمّام "القايد موسى" و"القايد قاسم"، وحمّام "الشويهد"، بينما سُمّي حمّام "سيدي علي الفار" نسبة لأحد كبار التّجار في المدينة، وحمّام جامع "سيدي عبد الله" القريب من مسجد سيدي عبد الله، وحمّامات ميّزت ذاكرة المكان كحمّام "البوزة"[4].

أمّا عن إدارة الحمّام كانت في الغالب من اختصاص صاحب الحمام، أو المُستأجر. ومسيّر الحمّام كان يدعى المعلّم أو "الحَمامْجي" الذي يدير الحمّام باسم المؤسسة الوقفية، أو باسم المالك، ويقال حمّام بيد المعلّم، يُدفع له راتبُ خارج مداخيل المؤسسة التي يديرها[5].

أمّا عن هندسة وتخطيط الحمّامات العثمانية فقد كانت تمتاز عن غيرها، بعدّة عناصر فنية ومعمارية، خاصّة في العناصر الزُّخرفية المميَّزة والمواد المستعملة في البناء، وفي طرق التّهوية والإضاءة، وكان يُسميها الأجانب حمّامات المُور أو الحمّامات التركية، لأن تسمية المُور كانت تُطلق على الأمازيغ

[1]–علي بوتشيشة، الحمامات العامة ... المرجع السابق، ص86.

[2]- Nabila Chérif-Seffadj, op.cit, p246.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص18.

[4] – Nabila Chérif-Seffadj, op.cit, pp 232–233.

[5]–Tal Shuval, la ville d'Alger, p217.

وعممت فيما بعد على جميع سكان شمال إفريقيا، بما فيهم العثمانيين المتواجدين هناك[1]. يشير وليام سبنسر بنيت في مدينة الجزائر حمامات واسعة من طرف حسن باشا ومحمد بن صالح رايس قائد البحرية الجزائرية الكبير وجهزت بالماء الساخن والبارد وكانت تضاهي احسن الحمامات في القسطنطينية "[2]

وأقدم وصف وصلنا عن الحمّامات العثمانية في الجزائر هو وصف هايدو حوالي 1578م، حيث يذكر: " **انّها من المباني البارزة التي بناها الباشوات، يرتادها السكان يوميا، إذا تركنا خمسين أو ستين حماما غير مهم. سنصف اثنين مهمين وأكثر تجهيزاً أحدهم يُسمى حمام "حسن باشا" بن خير الدين مكوّن من أقبية صلبة مغطاة بالرّخام المصقول وهي مقسمة إلى غرفتين مربعتين طويلتين وواسعتين، يخلع المرء ملابسه في الأولى، وتُحرس ممتلكاته بأمانة، ويدخل عارياً في الثّانية يوجد حولها عدة غرف قادرة على استيعاب ما بين عشر إلى اثني عشر شخصاً، ولكل غرفة نافورة تتدفق من جدار الحمّام عبر أنابيب برونزية تدور حول جدار هذه الغرفة** . يتّضح لنا من خلال وصف هايدو أنّه يوجد نوعين من الحمامات في مدينة الجزائر، العامة والخاصة كما ذكرنا سابقا وهي تتشابه إلى حدّ كبير في هندستها، وتختلف فقط في حجمها وطاقة استيعابها.

كانت الحمّامات في الجزائر خلال العهد العثماني، مزوّدة بتقنية لتسخين المياه باستمرار، بواسطة غرف مخصّصة، توقد فيها النّيران حيث يضيف هايدو قائلا: " **ويصل إليها الماء السّاخن من غرفة خلفها حيث تقوم بالتسخين بشكل مستمر، والمياه ليس مسخّنة طبيعياً، بل يتم تسخينها بشكل مستمر، وفي كل غرفة حوض رخامي يستقبل المياه عند نهاية كل أنبوب، ويأخذ الجميع المياه حسب حاجتهم بمزهرية نحاسية، ليغتسلوا يُسمح للأسرى بالاستحمام ولا يُسمح لليهود بدخول الحمام، يقع هذا الحمام وسط المدينة وهو مزدحم جداُ ليلاً ونهاراً.**[3] ويذكر أن الحمامات كانت مؤسسات عامة للنظافة والراحة، وأنها كانت مفتوحة للأسرى المسلمين حفاظًا على الصحة العامة، بينما مُنع اليهود منها لأسباب دينية واجتماعية مرتبطة بالنقاء والطقوس التي يمارسونها.[4]

3-أهمية الحمّامات

[1]- سليمة عربية موساوي، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1991م، ص ص111-112.

[2]- وليام سبنسر، المرجع السابق ، ص56.

[3]- Fray Diego De Haedo ,topographie… op.cit. pp209–210.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 270-280.

تكتسي الحمّامات أهمية بالغة في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، مما جعل أعدادها تزيد بشكل كبير. وتكمن أهمية الحمّامات فيما يلي:

3-1-الأهمية البدنية(الطهارة)

كان الناس يقصدون الحمّامات للوضوء والاغتسال لغرض تأدية الصلاة، وكذا استحمام الغرباء عن المدينة والمسافرين القادمين إليها، ليتخلصوا من عناء السّفر ومشاقه، وليظهروا بمظهر لائق، كما كان يقصدها العمّال والحرفيّون للاستحمام بعد نهاية أشغالهم، ليعودوا إلى منازلهم بمظهر حسن، أو يَستغلها الناس للاستحمام تحضيراً للمناسبات كالأعراس، والأعياد، ومنهم من يَعتقد بنزول البركة في بعض الحمامات، التي ارتبطت بالأولياء الصالحين، أمّا النساء فاتخذنها كمكان للاستحمام وتجاذب أطراف الحديث[1].

3-2 الأهمية الاجتماعية

كان للحمّامات في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أغراض اجتماعية هامّة، إلى جانب وظيفتها الأساسية في التنظيف. فقد مثّلت مكاناً جيداً للتّسلية حيث اعتاد الناس ارتيادها أسبوعيًا لأنها كانت تُمثّل فضاءً يَلتقي فيه الرجال والنساء من الحضر، كلٌّ في قسمه المنفصل أو حجرته الخاصة. وفيه تُعقد المبادرات الأولى للزواج، وتُناقش مراسيم الدفن، وتُدفع المعاملات التجارية نحو مرحلة الاتفاق، كما تُروى فيه الحوادث العائلية بين الأصدقاء،[2] اتخذت الحمّامات كمكان لمبيت الغرباء والمسافرين. كما أشرنا سابقا.

3-3-الأهمية الصّحيّة(التداوي)

استُخدمت الحمّامات للتداوي من بعض الأمراض الجلدية، وأمراض المفاصل، والحلق، إضافة إلى أن مياهها المعدنية كانت مفيدة لعلاج الأمراض الباطنية. وقد استُعملت للشرب لدى البعض، نظرًا لغناها بالمعادن.[3] يذكر الرحالة الألماني فيلهم شيمر(Wilhelm Schimper) ، عن الحمّامات في الجزائر ودورها في معالجة المرضى قوله:" **دخل إلى الحمّام شاب انتفخت لوزتاه عند فكه الأسفل، واستحم ثم اتجه إلى رجل كبير في السن كان جالسا في الرواق. ومع أنه لم يكن طبيبا فقد اضطجع الشاب أمامه، فوضع يديه فوق لوزتيه وضغط عليهم بشدة رافعا إياه عن الأرض لمدة طويلة، ثم أعاده إلى مكانه، وقد اعوج وجه الشاب الذي فتح عينيه برهة ثم أغمضهما وقد بدا عليه أنّه فقد وعيه تماما وعندما استيقظ ثانية ونظر**

[1]- علي بوتشيشة، الحمامات العامة...، المرجع السابق، ص84.

[2]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص112.

[3]- محمد بن حمو، خصائص الحمامات...، ص32.

حوله مستغربا ... كرَّرَ الشيخ العملية معه مرة ثانية وثالثة إلى أن غاب الشاب عما حوله لمدة طويلة، وبالتالي فتح عينيه وتنفس بقوة واستحم من جديد، ثم غادر الحمام وقد شفي من مرضه..."[1]

ويشرح لنا وليام سبنسر طريقة الاستحمام قائلا: يدخل المستحم فيدفع أجره بورقتين اثنتين، ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة، ومنها يمر عاريًا إلى حجرة عريضة قُسّمت إلى مكعبات تتسع لعشرة إلى اثني عشر شخصًا. في كل مكعب يمر الماء المسخن عبر أنابيب البرونز المقامة على الحيطان، والمعممة لسحابات البخار، ويمرّ المستحم عبر بخار تزداد حرارته شيئًا فشيئًا. بعد استراحة، يظهر اثنان من الهزميستر(Hizmetecis) فيمطّطونه حتى تتطرطق مفاصله، ثم يحكون جسمه بقفازات. بعدها يعود إلى غرفة الملابس، يتناول كوبًا من الشربات، يُبخّ عليه ماء الزهر، يلبس ثيابه، ويغادر المكان وجسمه ملئ بالحيوية والنشاط.[2] أما حمامات النساء ذكر أنّها تشبه حمّامات الرجال لكن الإجراءات كانت أكثر طراوة، والزبائن أمامهنّ وقت أطول ومناسبات أقل للتجمع. بعد إنجاز مراحل البخار، يقوم الرجال الخدم، ثم تصبغ السيدات حواجبهن ويلبسن ثيابهن التي علّقت مسبقًا في معالق تفوح منها أريج عود القمار المشتعل. في غرفة الملابس، لا ينتظرهن فقط الشربات، بل الفاكهة والجوز وحلويات تشمل الحلقوم (Lukum) وأصابع العروس. كما تُهيّئ المؤسسة جوًا موسيقيًا وتحضر فتيات للرقص[3].

كما أنّ السّلطة العثمانية في الجزائر، تتدخل أحيانا لتنظيم أوقات دخول بعض الحمّامات مما يظهر أنّ الإقبال كان كبيراً عليها، وحتى لا تقع الخلافات. وفي هذا يذكر الشويهد متولي السوق في قوله:" **الحمد لله صارت المواقع على الحمّامات بإذن العسكر الله ينصرهم ويصلح حالهم. وبابا محمد خوج باش** (الداي محمد علي المعروف ببكداش(1707-1710م)،**على الدينين**(المتدينين) **يدخلون الحمّام من الظهر إلى العصر و القحاب** (المُومسات) **يدخلون من العصر إلى المغرب، والسلام. وكتب أحمد بن حساين أمين الأمناء يوم الاثنين في ربيع الأول عام 1177هـ**/الموافق لـ 1744م[4].

4- التخطيط العام وهندسة الحمامات بالجزائر خلال العهد العثماني

---

[1]- أبو العيد دودو ، المصدر السابق، ص14.

[2]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص ص114-115.

[3]- المرجع نفسه، ص115.

[4]- عبد الله بن محمد الشويهد، قانون على الأسواق..، المصدر السابق، ص54.

من المؤكد أنّ الحمّامات في الجزائر كانت نتاج تزاوج بين النموذج العثماني بداية من القرن السادس عشر، ونظيره الأندلسي قبل مجيء العثمانيين، خاصّة وأن العمارة الأندلسية سابقة للعثمانية. زينت حمّامات الحكّام ببلاطات الرّخام والآجر القادم من هولندا[1]، وكانت الحمّامات العامة جميلة فهي تتفوق أحياناً على تلك التي توجد في قصور الدايات. هذا ما يؤكده وليام كاثكارت في وصف حمّام قصر الداي(الجنينة)، أنّه يقع بجوار فرن ولا يشتعل الفرن، إلا لتسخين مياه الحمّام، كان يستعمله الدّاي كل يوم جمعة، ويستخدمه "الخزندار" ورئيس الطّباخين في سائر أيام الأسبوع ويسمح للعبيد باستعماله، في حال بقائه دون استعمال من طرف ساداتهم، كما أنّ هذا الحمّام لا يُضاهي بعض الحمامات العامة المنتشرة في المدينة، والتي تّعد أفضل منه لكن طراز الحمّامات العثمانية واحد.[2]

وورد في وثائق الأرشيف الوطني الجزائري والمخطوطات نوع آخر من الحمّامات يُسمى حمّام زوج ديار يتشكّل هذا النوع من غرفتين: الأولى ساخنة والثانية باردة. فقد ورد ذكرها في نص قانون الأسواق ضمن مستحقّات الخلاّيين لتنظيف الحفر المخصصة لمجاري المياه قوله: "**صاحب الدّرب في حق الخلايين[3]، في عوايدهم وماهو معين للخلايين في عوايدهم الحفرة الصغير 68 درهم والكبير اللي فوقها جهد الوقفة 116 والذي يهبط لها بالسلوم بحسب كبرها والعلوي نصف دار تسع وعشرون درهم 29 ونصف "والحمام زوج" ديار نصف ريال الدّار تخلص الحومة الدّار والعلي نصف الدّار، والحمّام والفرن بحقه**[4]. يتم تنظيف الحفرة التي تتجمع فيها أوساخ الحمام المؤلف من حجرتين بنصف ريال(نصف ريال بوجو).

اتَّخذت الحمامات العامة في مدن الجزائر خلال العهد العثماني، تقريباً نفس التصاميم مع بعض الاختلافات البسيطة، فهي تتشكل كلها من ثلاث قاعات، الباردة، والدافئة، والحارة، بالإضافة إلى السّقيفة والفَرنَاقْ[5]. مثل ما هو الحال في حمّام الجيش في القصبة، حمام قصر "عزيزة"، حمام قصر "حسن باشا"،

---

[1]– معمر شعشوع، «العمارة والتراث بالجزائر خلال العهد العثماني قصور وحمامات مدينة الجزائر أنموذجا»، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج12،ع01، 2016م، ص ص110–111.

[2]– وليام كاثكارت، المصدر السابق، ص91.

[3]– يتضح من خلال النّص، أنهم العمال المكلفون بالنّظافة وإزالة الأوساخ.

[4]– عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق..، المصدر السابق، ص58.

[5]– **الفرناق:** ويعرف كذلك ببيت النار ينشأ تحت أرضية الحمام ليوزع الحرارة على الغرفة والجدران ويحتوي على الآتون وهو موقد النار ...للمزيد راجع :بن عبد الله زهية، «الجسد والعناية الصحية به في ظل حضارة الماء– قراءة أنثروبولوجية لعادات الاغتسال في التراث المتوسطي»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 18، 2015م، ص96.

حمام الشيخ، وحمام دار الباي في مليانة، وحمام العرب بمستغانم، وحمام الباي "مصطفى المسراتي" بوهران، وتختلف بعضها في أن تُلحق إحدى الأجزاء بالأخرى، كأن تكون السّقيفة مُدمجة مع القاعة الباردة، أو أن يكون الفَرنَاقْ أسفل الغرفة الساخنة، أو يكونَ بجوارها[1]. تميّزت الحمّامات في الجزائر خلال العهد العثماني بخلوها من أحواض الغطس؛ عدا بعض الحمّامات الخاصة بفئة اليهود، والتي كانت تزوّد بحوض يغطس فيه المستحمّ؛ حسب معتقداتهم ليتخلص من الذنوب والمعاصي. أمّا الحمّامات المعدنية فتعود أغلبها للفترة الرّومانية وكان يُلزم المستحمّ فيها، على الاغتسال قبل دخول الحوض الجماعي[2]، وهي منتشرة في عدّة مدن جزائرية على غرار تيمقاد، شرشال، تيبازة، قسنطينة، الجزائر، دلس، عنابة، قالمة، مداوروش، سطيف، تبسة، خنشلة، بسكرة .[3]

يؤكده المعمار الإسباني باسيليو بابون أن الحمّامات الأندلسية، لم تتخلص أبداً من القاعات الثلاث البيت البارد والدافئ والساخن، وهذا ما نلاحظه في بعض الحمّامات في الجزائر مثل حمام قلعة بني حماد ، وحمّامات العصر الوسيط كحمّام في مدينة الجزائر، وهو الواقع إلى جوار مسجد القصبة، أدخلت عليه العديد من التّرميمات لاحقاً، وربما يرجع إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر. كما أن الحمّام الأندلسي والحمّام الكائن في شمال إفريقيا هو تعبير واضح عن التوسع الإسلامي من المشرق نحو المغرب، طالما ألصقنا به المهمّة الأساسية وهي الميضأة المرتبطة بالمسجد[4].

وفقًا للدّراسة التي أجراها الباحث محمد بن حمو حول نماذج مختلفة من الحمّامات العثمانية في مدن الجزائر، قسنطينة، مليانة، البليدة، وتلمسان، تبيّن أن الحمّامات التّقليدية الجزائرية المشيّدة خلال العهد العثماني، تتميز بتصميم معماري مربع أو مستطيل. يبدأ المسار بالدخول عبر السّقيفة إلى القاعة الباردة، وهي واسعة وتضمّ أحيانًا غرفًا ملحقة، كما هو الحال في حمّامات تلمسان والبليدة. وتنفرد بعض الحمّامات بعناصر زخرفية مستوحاة من الطراز العثماني، مثل القبّة، النّافورة، والعين الجدارية. تليها القاعة الدّافئة، وهي أصغر حجمًا، وتُعد مرحلة انتقالية بين الحرارة والبرودة، لحماية المستحم من الأمراض، وتحتوي على مصاطب وسقف نصف أسطواني في **الصورة رقم(16)** نلاحظ جيداً المصاطب والقبّة في وسط القاعة، وفي منتصف الغرفة يوجد باب إلى أقصى اليسار، يَنفتح على القاعة الغرفة السّاخنة، التي تظم أحواضًا للمياه

[1]– علي بوتشيشة، الحمّامات العامة ....، المرجع السابق، ص87.

[2]– سليمة موساوي عربية، المرجع السابق، ص175.

[3]– معمر شعشوع، العمارة والتراث ...، المرجع السابق، ص ص110–111.

[4]– باسيلو بابون مالدونادو، المرجع السابق، ص354–355.

السّاخنة والباردة، وتتنوع أسقُفها بين القباب والأقْبية. ويقع الفرن بجوار الغرفة الساخنة ويزوّدها بالحرارة عبر "البرمة" النحاسية، وتجاوره غرفة الحرق، بالإضافة إلى صهاريج لتخزين المياه، مما يعكس دقّة التنظيم الحراري والوظيفي لهذه المنشآت[1].

الصورة رقم(11): لوحة تمثل أحد حمّامات مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني.



المصدر: E. lessore, W. wyld, Voyage pittoresque…, pla 37

[1]– محمد بن حمو، خصائص الحمامات ...، المرجع السابق، ص34–33 .

خلاصة

لعبت منشآت التّجارة والتّرفيه بالجزائر خلال العهد العثماني، دوراً هاماً حيث كانت الأسواق بأنواعها، و الحوانيت، والفنادق، والمقاهي، والخمارات، والحمّامات تشغل وظائف اقتصاديّة واجتماعيّة متكاملة، وعمارتها تعكس التنوع الوظيفي، والتّصميم الهندسي المحليّ مع بعض التأثيرات الوافدة.

لعبت الأسواق دورًا محوريًا في النشاط التجاري، حيث كانت منظّمة بطريقة جيدة، تضمّ ممرات واسعة وأروقة مغطاة تحمي التجار والمتسوقين من العوامل الطبيعية، مع بوابات ضخمة تفصلها عن الأحياء السكنية كانت الحوانيت بسيطة من حيث التصميم لكنها عملية للغاية حيث كانت عبارة عن دكاكين صغيرة مفتوحة على الأزقة، تسمح بالتفاعل السهل بين البائعين والمشترين، توفر حاجيات السكان المختلفة وتنوعت وظائفها بين بيع المواد الغذائية، الأقمشة، والتحف، إضافة إلى كونها ورشًا للحرفيين في مختلف المصنوعات .

أمّا الفنادق فكانت مصمّمة على الطّراز العثماني، مع امتزاجها بالعمارة المحلية من حيث المواد المستخدمة وعناصر الزخرفة تتألف من ساحة داخلية تحيط بها غرف للنوم، مع مرافق إضافية مثل الإسطبلات وقاعات الطعام، ما جعلها أكثر من مجرد أماكن للإقامة، بل فضاءً للتواصل وتبادل الأخبار بين المسافرين كانت المقاهي، بتصاميمها الاجتماعية، امتازت بأفنية مكشوفة أو شرفات مرتفعة تطل على الأسواق، حيث كانت مجهزة بمقاعد خشبية وطاولات تستخدم للألعاب التقليدية مثل الشطرنج والطاولة، إضافة إلى الموسيقى الشعبية، مما جعلها فضاءً ثقافيًا وترفيهيًا في آنٍ واحد.

كانت الخمّارات أقل انتشارًا بسبب الطابع الإسلامي المحافظ الذي يغلب على المجتمع الجزائري، سمحت السلطة العثمانية بإنشائها في مناطق محددة، يديرها المسيحيون من أهل الذمة ويرتادها الأسرى وقليل من المسلمين انتشرت خاصةً قرب الموانئ وأحياء التجار الأجانب، حيث كانت هندستها الداخلية تعكس الخصوصية، مع تقسيمات توفر مساحات معزولة للروّاد، كما لعبت الحمّامات دورًا اقتصادياً واجتماعيًا، إذ وفّرت فضاءً للنظافة والتّلاقي بين الناس، وساهمت في زيادة المداخيل وتنشيط التجارة المحلية، تميزت بهندستها وتخطيطها الدقيق، التي كان يُراعى فيها التّدرج الحراري عبر قاعات باردة ودافئة وساخنة، وزُينت بعناصر عثمانية كالقِباب والنوافير.

هذا التنوع في الوظائف والتصميمات الهندسية يعكس تأثر العمارة التجارية الجزائرية، بالأنماط المعمارية العثمانية والمغاربية والأندلسية، حيث امتزجت التجارة بالحياة الاجتماعية والترفيهية، ما ساهم في تشكيل هوية المدن الجزائرية بطابعها المميز.

الفصل الرابع:تقنيات وهندسة بناء العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تطورًا عمرانيًا لافتًا، تجلّى في تنوّع المباني والمنشآت التي شُيّدت خاصة في الحواضر الكبرى، على يد أمهر البنّائين والحرفيين ذوي الخبرة في مجال البناء، من مختلف أنحاء البلاد وكذا الأجانب. وقد أدّى هؤلاء دورًا محوريًا في إنجاز المشاريع العمرانية المختلفة، معتمدين على مهارات متوارثة عبر الأجيال، وساعدهم في ذلك تنظيماتهم المهنية المحكمة، و التي ساهمت في جودة الأعمال المنجزة، وسمحت باستمرار الطّراز المعماري، وانتقال الحرفة جيلاً عن جيل.

لقد لعب الأندلسيون الذين هاجروا إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة، دورًا بارزًا في إثراء العمارة المدنية خلال العهد العثماني، وبشكل كبير في مدينة الجزائر، حيث اندمجوا بسرعة في النسيج الحضري والاجتماعي وأسهموا في نقل تقاليدهم المعمارية والفنية، خاصة وهم ممّن يمتلك خبرة كبيرة في البناء وفنون والزخرفة، مما منح المنشآت العثمانية في الجزائر، طابعًا جماليًا مطعماً بالموروث الأندلسي.

كان نظام الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، يمثل حجر الأساس في تمويل المنشآت الدينية والخيرية، مثل المساجد والمدارس والتّكايا. وقد ضمن هذا النظام استمرارية تلك المنشآت، عبر تخصيص موارد ثابتة لصيانتها وخدمتها. وبذلك ساهم الوقف في تعزيز التماسك الاجتماعي وتكافل أفراد المجتمع ضمن منظومة حضرية متماسكة.

يتضح من خلال مواد وتقنيات البناء المستعملة في تشييد المباني المدنية، مدى التّقدم الذي وصلت إليه حرفة البناء آنذاك، فقد استخدمت الحرفيُّون العديد من مواد البناء المحلية والمستوردة ذات الجودة العالية، بالإضافة إلى العديد من المعادن، كانت معظم هذه المواد تُستخرج من مقالع محلية، مما ساعد في وفرتها وسهولة استخدامها في مشاريع البناء المختلفة.

أولا: أهمية جماعة البنّائين ودورهم في العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني.

1-أهمية جماعة البنّائيين في العمارة المدنية.

كان عمّال البناء والتعمير وأصحاب الحرف المتعلقة بالبناء، كالحجّارين والجيّارين وغيرهم، ينتظمون في طوائف حرفية، تُمارس مهنتها بشكل منظّم تحت سلطة أمين الامناء. كما تعدّ جماعة البنّائيين من أهم الشرائح في المجتمع بالجزائر خلال العهد العثماني وأكثرها عدداً، حيث قاموا بتشييد عدد كبير من القصور والدور والمساجد والحمّامات وقناطر المياه وغيرها من المنشآت[1]. وكانوا يُعرفون أيضا في وثائق المحاكم الشرعية بأهل الخبرة، يتمتّعون بمكانة خاصّة ولهم حضور قوي في تلك الوثائق، حيث تذكر وافية نفطي فيما تعلّق بشؤون الاوقاف، أنّ طائفة البنّائيين يبرز دورهم بشكل كبير، من خلال تقديم خبرتهم وتجاربهم، لتحديد قيمة العَنَاءْ أو المُعَاوَضَة والإسْتبدال، خاصة وهم على دراية بوضعية البناء وسعره.[2]

إنّ جماعة البنّائيين كانت من أكثر الجماعات الحرفية تنظيماً في مدينة الجزائر، وكانت تتعامل مع السّلطة المركزية، فيما يخص قضايا البناء والتّرميم والصّيانة[3]، كما كان يُستعان بهم من طرف القضاة والمُحتسب، في فصل المنازعات التي تَنْشُبُ بين أفراد المجتمع، حول قضايا البناء. وكان دورهم الأساسي الإشراف على الأشغال الكبرى في المدينة، كما ساهموا بشكل كبير في تقويم قضايا التّركة.[4] أشار ديفولكس في نص وثيقة تاريخية تتعلّق بأمر الباشا علي سنة(1173هـ/1759م)، إلى إمكانية بناء قناة لجلب الماء إلى المدينة، وذلك بعد استشارة أهل الصّنعة وخوجة العيون. وقد بدأ العمل بها في الأول شوال سنة (1203هـ/1789م)[5].

وفي ظل المشاريع التي تم إنجازها، وتفاوت خبرتهم من منطقة إلى أخرى، فقد تجاوزت مهمّتهم حدود مدينة الجزائر، فقد دُعي المعلّمون لترميم مدينة البليدة بعد زلزال 1824م. كما كان يتم الاستعانة من طرف الحكام بمعلمين من الخارج، ففي سجل التّشريفات نجد أنّ الباشا كلّف مهندسا لإنشاء قنطرة مدينة قسنطينة، وكذا إنشاء دار البارود في مدينة الجزائر بالاستعانة بالحاج علي "أمزيالي" من منطقة الأناضول(1230هـ

---

[1]- صليحة جدي، «حرفة البناء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ومساهمة الطائفة الأندلسية على ضوء وثائق الأرشيف والكتابات الأثرية»، مجلة آفاق علمية، مج13، ع04، 2021 م، ص771.

[2]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص461.

[3]- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة ...، المرجع السابق، ص137.

[4]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص 462.

[5]- بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر...، المصدر السابق، ص 231.

/1815م). وفي القرن السابع عشر كان عدد كبير من العبيد الأوربيين يرسلهم ملاكهم للعمل بورشات البناء، ويتقاسمون معهم الأجور بنسب متفاوتة[1].

كانت جماعة البنّائيين ورغم طبيعة عملهم الحر، إلّا أنّ الوثائق تشير إلى إجبارهم أحياناً من طرف الحكّام على القيام ببعض الأشغال، فقد أصدر الداي "علي خوجة" أمراً لولاته باستدعاء البنائين من مختلف أنحاء الإيالة، لإعادة ترميم أسوار مدينة الجزائر، عقب الهَدْم الذي تسبّبت فيه حملة اللورد البريطاني إكسموث سنة 1816م[2]. لا نملك معلومات كثيرة حول انجازات الجماعة بالتحديد، عدى بعض المعلّمين المشهورين في البناء، ممّن ذكرت أسماءهم في اللّوحات التّأسيسية، وهي المصدر الوحيد لمعرفة إنجازاتهم مثال على ذلك، ابن حسن باشا الخزناجي، الذي بنى ثكنة في عهد الداي علي باشا ورد اسمه في نقيشة مؤرخة بـ(1125هـ/1713م)، والمعلم مصطفى "الصّقلي"، الذي قام بتحصين مدينة الجزائر في العهد الأول، وشارك سابقا في تحصين مدينة حلق الوادي في تونس[3].

كانت الورشات التي يُدرونها متفاوتة حسب حجم المشروع، كما كانت هناك شركات بناء مصغرة، يرأسها معلّمون وتُشغل صُنّاع وخَدّامين من مختلف الجنسيات[4]، وتتولى مهمة إنشاء وترميم المشاريع، كما أنّ أسماء المعلّمين نفسهم تكرّرت في هذه السجلات، ربما هذا يدلُّ على التّعامل مع نفس المجموعة من المعلمين للقيام بأشغال البناء والترميم. أمّا المنشآت الكبرى فكانت تسند إلى معلّمين ذوي خبرة ومهارة، أو إلى شركات بناء كبرى. كانت لفئة الأندلسيين في الجزائر خلال العهد العثماني مؤسسات بناء منظّمة، أشبه بشركات حرفية متخصّصة، عُرفت بكثرة معاملاتها المالية وحجم المبالغ المرصودة لديها. ويُعد هذا النشاط المكثف دليلًا واضحًا على ضخامة المشاريع العمرانية التي كانت تتولاها.

أمّا فيما يخص أجور عمّال البناء، فكانت تُسدّد لهم باليوم أو كل جُمعة، أو حسب مدة انقضاء البناء، خاصة عندما يكون فترة قصيرة أقل من أسبوع[5]. لم تكن أجور عمّال البناء في الجزائر خلال العهد العثماني تخضع لمعايير موحدة، بل كانت تُحدد وفقًا لطبيعة العمل، مهارة وخبرة العامل، وفي بعض

---

[1]– المنور مروش، المرجع السابق، ص353.

[2]– مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة...، المرجع السابق، ص137–138.

[3]– المرجع نفسه، ص138.

[4]– يُقصد **بالخدّامين** أو **الخَدّام** عمّال ورشات البناء قد يكون الخدام عبيدا مستأجرين للعمل اليومي أو أحراراً من طائفة البنّائيين.(وهذا خلاف الخَادِم أو الخَديْم الذي يشتغل في الدّيار) راجع: المنور مروش، دراسات ...، المرجع السابق، ج1، ص363.

[5]– وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص477–479.

الحالات، خاصة في المناطق الريفية أو في المشاريع الصغيرة، كان يتم تعويض العمال بالسلع أو الطّعام الى جانب المال، كما كانت المستحقات ترتفع بسب ندرة في اليد العاملة، في حالات الأوبئة والمجاعة، ممّا يجعل السّلطة تتدخل لضبط المستحقات، ففي وثيقة صادرة في مدينة البليدة مؤرخة بأوائل صفر 1224هـ/1809م ورد فيها أنّه بعد اجتماع ضمّ كبار موظفي السلطة في المدينة، مع أعيان المدينة، تمّ الاتّفاق على تحديد أجور المهنيين، فحُدد أجر خدّام الفأس بربع ريال وخبزتان، و الصّانع أجرته لا تتجاوز ربع ريال، والبنّاي أجرته لا تتجاوز نصف ريال[1]. حسب الباحثة عائشة غطّاس، فإن حرفة البناء في الجزائر خلال القرن السابع عشر كانت من المهن التي تضمن لمحترفيها قدرًا معتبرًا من الاستقرار المادّي، نظرًا لما تدرّه من عائدات مالية مهمّة[2]. فقد ارتبطت هذه الحرفة بنشاط عمراني متزايد، وطلب مستمر على البنّائين المهرة، في ظل التوسع المستمر للمدن.

أما فيما يخصّ قيمة أجُور عمّال البناء، فلقد قدّم لنا الباحث لمنور مروش مقاربة جيدة حول أجور عمال البناء، من خلال استغلال معطيات تخص أشغال بناء الجامع الجديد في مدينة الجزائر سنة 1668م والتي قُيّدت في سجلات الأوقاف، فكان أجر العمال أو(الخدامين) هو 0.5 دخ[3] لليوم الواحد، وهذا الأجر اليومي يدعى جرناطة، وأجر البنّاي وهو عامل مهني يومي مؤهل قدره 1.00دخ، أمّا المعلّم البنّاي فكان أجره الأسبوعي يقدر ب 9.00 دخ(ستة أيام) أي 1.50دخ لليوم الواحد، والمعلّم المُشرف على ورشة البناء فيحصل على 16.00دخ للأسبوع، وهو أعلى دخل ويسجل عادة في بداية القائمة تحت مسمى العوايد.[4]

2-تنظيم جماعة البنّائيين

تمتّعت جماعة البنّائين بتنظيم جيد وتسلسل هرمي، يسمح لكل فرد بمزاولة مهام محدّدة وفق مهاراته، ويساهم في جعل ورشة العمل مكاناً منظّماً، حيث يترأس طائفة البنّائين أمين وله مساعدين، هما الكَاهيّة أو الكخيّة، والثاني هو الشّاوش الكاتب العام للتّنظيم الحرفي، يليهما مباشرة الخُوجَة وهو الكاتب الذي يسجل

---

[1]- المنور مريوش، المرجع السابق، ص 358-359.

[2]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص 367.

[3]- كان **الدينار الخمسيني** العملة الأكثر استعمالا في وثائق المحاكم الشرعية ثم حلّ محلّه الريال الثماني، أمّا في سجلات بيت البايلك ودفاتر الأحباس فكانت تسجل الحسابات اليومية البسيطة بالدّراهم والدنانير الخمسينية أما المبالغ الكبير فتسجل بالريالات الثمانية وفي بعض العقود المهمة والدفاتر التجارية تسجل الحسابات بالسّلطاني والزياني وكذا العملات الأجنبية .... أمّا عن قيمة الدينار الخمسيني في سنة 1626م كان معدل الصرف بين الدينار الخمسيني والريال الإشبيلي 4.65 وفي سنة 1643م كان الدينار الخمسيني يساوي نصف ليرة فرنسية وفي سنة 1626م . للمزيد راجع: المنور مروش دراسات عن تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص ص43-44

[4]- المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، المرجع السابق، ص363-364.

كل صغيرة وكبيرة في الورشة، ثم يليه الصّايجي المكلّف بجمع الحسابات، ثمّ جماعة الرفقاء أصحاب الخبرة والتجربة، يستعان بهم في المتابعة الميدانية ومرافقة أمين البنّائين في إشرافه على المشاريع وإنجاز مهامه.

2-1- أمين جماعة البنّائيين:

لقد كانت تسمية الأمين تطلق على كبير الحرفة، وممثّلها في مدينة الجزائر وقسنطينة وغيرها من المدن الجزائرية، ذلك قبل مجيء العثمانيين، واستمرّ استخدام التّسمية طيلة فترة الحكم العثماني، وهذا ما تؤكّده الرّسالة التي بعث بها سكان مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول، ورد في نصها: "**رسالة القاضي والخطيب والأئمة والفقهاء والتجار والأمناء وكافة سكان الجزائر العامرة**"[1]. يتم اختياره من بين كبار الحرفين وأكثرهم خبرة ودراية بأمور المهنة، كما يجب أن يتحلّى صاحبها بالأمانة و الأخلاق الحميدة، يتم تعينه بموافقة الباشا في حضور القاضي[2]، وهذه الصفة تُخوّله النظر في كل المسائل المتعلقة بالحرفة[3]، يذكر محمد السعداوي أنّه في مدينة تونس، كان المُشرف على عملية البناء يُدعى "أمين البنّائيين" وهو بمثابة المهندس الذي يشرف على البناء، ويرسم مخطّطات المباني[4]، ويضمن توفير المواد والعَمَالَة اللاّزمة، ويشارك في مراقبة أعمال البناء، كما أنّه يشرح المخطّطات للبنائيين الرئيسيين[5]. أمّا في مدينة قسنطينة، فقد

---

[1]-عائشة غطاس، الحرف والحرفيون ... المرجع السابق، ص181.

[2]- كان يُطلق على **كبير المعماريين** في مقر الدولة العثمانية لقب "المعمار باشي" أو "مهندس الدولة " و يعد منصبا مهما في الدولة أنشأه السلطان محمد الثاني (الفاتح)، وكانت مهمته الإشراف على إنشاء وترميم مباني الدولة، إضافة إلى متابعة الاشغال في المنشآت العامة والدينية التي يكلف بها السلطان كبار شخصيات الدولة، غير أن هذا المنصب لم يكن موجودًا في ولايات المغرب العربي العثمانية، إذ تشير السجلات إلى أن أعلى منصب في مجال العمارة والبناء في تونس كان **أمين البناء**، وهو اللقب الذي حل محل لقب "عارف البناء"، وكان يتولى الإشراف على أعمال البناء وتنظيمها على المستوى المحلي. راجع:
- Ahmed Saadaoui, Tunis Ville ottomane trois siècles d'urbanisations et d'architecture, centre de publication, universitaire, Tunis, 2001, p294.

[3]- خولة نواري، خيرة بن بلة، «البنية التنظيمية للطوائف الحرفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني»، مجلة الدراسات الأثرية مج16،ع01، 2018م، ص127.

[4]- وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه، طيلة مدة البحث لم نعثر على أي مخطّطات أولية للبناء، كما لم يرد ما يدل على وجودها في الدراسات التي تم الاطلاع عليها. ومع ذلك فإن مستوى الإتقان وجودة المباني، والدقة في التصاميم المنجزة، يؤكد أنّ مهندسي البناء آنذاك كانوا يستندون إلى مخططات هندسية دقيقة، ويُرجّح أن هذه المخططات ربما كانت تحفظ لدى أصحاب الحرفة أو داخل ورشات البناء بعيدًا عن التداول العام، كما أن غيابها اليوم قد يعود إلى ضياعها بفعل العوامل الزمنية أو التلف لاعتبارها وثائق مهنية خاصة وغير مهمة.

[5]- Ahmed Saadaoui, Op.cit., p 295.

خضع تعيين "أمين جماعة البنائين" في مختلف الفترات لسلطة الباي، مما يعكس مركزية القرار في تنظيم الحرف والبناء ضمن النظام الإداري المحلي[1].

أمّا فيما يخصُّ انتقال الأمانة بين أفراد الجماعة، فكان من بين أكثر من مئة وأربعين أمينًا رصدتهم غطاس في مدينة الجزائر، لم تُسجّل سوى حالات قليلة جدًا، تم فيها توريث الأمانة من الآباء إلى الأبناء، ممّا يُضعف القول بأن الأمانة كانت متوارثة. فقد تولّى المعلّم أحمد بن علي الأمانة بين(1691–1700م)، ثم المعلّم علي بن حميدة بين(1718–1733م) وتولاّها محمد بن أحمد "القشطولي" بين(1720–1727م)، والمعلّم "سعيد البناء بن علي" بين(1776–1788م). أما الحاج علي بن محمد "العطوي"، فقد شغل المنصب زُهاء أربع وعشرين سنة(24). ويُعدُّ الحاج "محمد بن محمد" أمين البنّائين أكثرهم ذكرًا في الوثائق، إذ تولّى الأمانة ثلاث مرات: الأولى بين (1789–1790م)، ثم تخلّى عنها لأداء مناسك الحج، فعاد وتولاّها ثانية بين(1795–1812م)، ثم غاب فترة ليعود مجددًا للمرة الثالثة بين(1813–1819م)[2]. كما يذكر المنور مروش أنّ منصب أمين البنّائيين في مدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر أصبح بيد الاندلسيين، ثم انتقل إلى الأتراك والكراغلة مع بداية القرن الثامن عشر، ثم صار بعد ذلك بيد البرانيّة القادمين من منطقة القبائل كزمورة وبني يعلى[3].

من المؤكّد أن أمين جماعة البنّائين كان يُختار من بين المعلّمين الأكثر خبرة ودراية، لأنّه يسمى في وثائق الأرشيف المعلّم(كذا) أمين جماعة البنّائين، كما ورد في رسم تحبيس مؤرخ بسنة 1130هـ/1717م: " **رسم تحبيس المعلم علي أمين جماعة البنائين بن حميدة جميع الدار والعلوي الكاينين بحومة سيدي محمد الشريف**"[4]. أمّا عن ظروف تنحيتهم أو أسباب عزلهم من الأمانة، تذكر غطّاس أنها لم تُصادف وثيقة بشأن تنحية الأمناء، أو ظروف وأساب تنحيتهم، لكن من خلال ما ورد في الوثائق، يمكن أنه يتولّى الجماعة أمين لعدة مرات، ويمكنه التّخلي عن الأمانة اختيارياً، كما حدث مع الحاج "محمد بن محمد"، الذي سبق ذكره، ومن المنطقي أن من يَخُون الأمانة يتعرض لأشدّ العقوبات، فهنا تذكر غطّاس أن أمين جماعة الزيّاتين(بائعوا الزّيت)، خان الأمانة فكانت نهايته شنقاً سنة 1814م[5].

---

[1]– عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص208.

[2]–المرجع نفسه، ص198–200.

[3]- المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص346.

[4]– الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع 145 و35.

[5]– عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص190.

كانت مهام أمين جماعة البنّائيين من الأهمية بمكان، حيث كان يُعتبر هو المسؤول الأول عن الطّائفة، ومهامه تُشبه مهام المحتسب؛ من حيث الرّقابة على الحرفة وصلاحية مواد البناء، أي أنّ مهامّه تنحصر بين حماية الحرفة وحماية النّاس من الغش في السلع، كما يُساهم في تسويّة الضّرائب العالقة على عاتق الجماعة، و يَرعى شؤونها حتى خارج إطار العمل، فيقوم مقام الوصيّ ويَرعى شؤون القاصرين منهم. كان يُستعان بالأمناء لحل القضايا العالقة، حتى بعد تخليّهم عن منصب الأمانة[1]. وهو يعمل تحت سلطة أمين الأمناء، الذي يُراقب الأسواق إلى جانب المُحْتَسب، كما تَستعين المحكمة بأمين البنّائين للحضور في عمليات قسمة البيوت، أو الدّكاكين بصفته خبيراً في شؤون البناء، ويرافقه عدد من أهل الخبرة في حرفة البناء، إلى جانب الشّركاء وشهود عُدول، ويُذكرون ويُسجّلون كلُّهم في عقد القسمة[2]. كان أمناء النّقابات المهنية يُساهمون بمبالغ مالية معتبرة، تُدفع إلى خزينة الدولة، وتختلف هذه المساهمات باختلاف أهمية كل نقابة ومكانتها داخل الهيكل الحرفي، حيث تُجبى من الحرفيين المنتسبين إليها وفقًا لنظام محدد [3].

2-2 الكَاهيّة

هو المساعد الأول لأمين البنّائيين وينوب عنه في حالة غيابه ويقوم مقامه، ووظيفة الكاهيّة[4] اختصّت بها طائفة البنّائين دون باقي الطوائف الحرفية؛ وهذا لكثرة انشغالاتهم وكثافة مهامهم[5]، ففي النّص الموالي من مخطوط قانون الأسواق لعبد الله الشويهد، نجد إشارة إلى دور الكاهيّة بصفة عامة، رغم أنّ الكاهيّة المقصود في النص هو كاهيّة البايلك أو ممثل الداي، إلّا أنّنا يمكن أن نستخلص منه أنّ من مهام الكاهيّة هي مرافقة المحتسب والضّباط لمراقبة الأسواق، وهي تقريبا نفس المهام التي يقوم بها كاهية البنّائيين[6]، فقد ورد في نص المخطوط قوله:" **إذا أتت القافلة تاع التمر يخرج الياباشي[1] وكاهيّة البايلك**

---

[1]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص202.

[2]- خليفة حماش، الاسرة في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص501.

[3]- علي آجقو، شهرزاد شلبي، « مؤسسة الخزينة في الجزائر أواخر العهد العثماني ودورها الاقتصادي والعسكري 1798-1830م»، مجلة علوم الانسان والمجتمع، مج05، ع04، 2016م، ص350.

[4]- **الكاهيّة**، ويُسمّى أيضًا الكِتخُدا، وتُخفّف الكلمة إلى كهيّة أو كِهِيّا، وهي لفظة فارسية مركّبة تعني "صاحب الدار"، وقد أُطلقت الكلمة على عدّة وظائف إدارية متنوعة، من بينها منصب مساعد الوالي العام ومعاونه. راجع: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون ...، المرجع السابق، ص209.

[5]- خولة نواري، خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص 128.

[6]- أول كاهية أشارت إليه الوثائق حسب عائشة غطاس، هو المكرّم مسعود كاهيّة البنّائيين ورد ذكر اسمه في وثيقة مؤرخة بسنة 1173هـ/1759-1760م. راجع: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص201.

وأمين الأمناء ومحتسب، ويشترون أغرارة(كيس) ويقوم (كذا) للقنطار عوايد يأخذ أمين الأمناء رطل على كل حمل تمر" [2]. وذكره الشويهد كذلك في موضع آخر تحت اسم كاهي، أين كُلِّف الشّويهد بمهمة عقد الصّلح بين قائد رحبة الفحم وبين الفحّامين قائلا: **الحمد لله على بركة الله مشاو القبايل الفحّامين شاكيين لبابا حسن ضي علي، وبعث لي ومشيت لعندوا وقلت له على العادة القديمة وأمر الكَاهي، وصلح بينهم وبين قايد الرحب والفحامين**"[3].

2-3 الشّاوش

هو المكّلف برعاية شؤون جماعة البنّائيين، وينوب عنهم، كما ينوب عن أمين الجماعة في حالة غيابه، ومن النص التالي للشويهد، يمكن أن نستخلص مهام الشّاوش بصفة عامة، حيث يذكر عبد الله بن محمد الشويهد قائلا:" **الحمد لله زمام الهدايا[4] على يد الحاج سليمان والعسكر المنصور بالله، ياباشي وكهي بايلك، وشاوش كشاريا، وزوج عدول من دار القاضي، أولهم السّلطان الله ينصره، ثم الوزير الأعظم، ثم قبطان باشا، ... ثم شيخ الإسلام، ثم بستانج، ثم كاهيّة العسكر، وخرج عليها ثمانية الف وثلاثة مائة واثنين وخمسون ريالا 8352 ...، سنة 1049هـ/**"[5]1639 م. يتّضح من هذا النص أن الشّاوش كان يُعد من ضمن الشخصيات الرّسمية التي تُشارك في ضبط وتوثيق المعاملات الكبرى، مثل: تسليم الهدايا وتسجيل المصاريف، إلى جانب ممثلي السلطة العليا. ويُستدل من ذلك على أن الشّاوش كان يتمتع بمكانة، ويضطلع بمهام تنظيمية ومالية، فضلاً عن دوره التمثيلي داخل الجماعة مثل ما هو الحال مع شاوش الانكشارية الذي يعد ممثلاً لهم.

2-4 الخُوجَة

هو بمثابة كاتب للجماعة، ولا يُشترط أن يكون من الجماعة نفسها، لكنّه يكون عادة من جماعة مهامّها متعلقة بالبناء أويكون ذا صلة بهم[6]. ويذكر ناصر الدين سعيدوني أن منصب خوجة الدّاي يجمع بين المرتبة

---

[1]- **الياباشي** هو الضّابط المكلّف برعاية مصالح الديوان، ومن شأنه أيضا حضور اجتماعات أمناء الطوائف...، راجع:عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط قانون الأسواق...، المصدر السابق، ص43.

[2]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق، المصدر السابق، ص25.

[3]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط قانون الأسواق...، المصدر السابق ص71-221.

[4]- يشير مصطلح 'زمام الهدايا'، من خلال سياق النص، إلى دفتر خاص كانت تُسجّل فيه الهدايا المُرسلة إلى السلطان في إستانبول.

[5]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط على الأسواق...، المصدر السابق، ص22.

[6]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيّون ...، المرجع السابق، ص209.

العسكرية والوظيفة الإدارية، وهو ممثل الداي لدى أمناء الطوائف والمهن، وهو بمثابة كاتب. أطلقت هذه التسمية، على عدّة موظفين مثل: خوجة العيون، خوجة الجمارك، وخوجة الرّحبة، خوجة الوزن، خوجة الفحم، خوجة الملح.[1]

2-5-الصّايجي: هو بمثابة المسؤول المالي لجماعة البنّائين، يتولّى الإشراف على إدارة الحسابات وضبط المداخيل والنفقات بدقة، ويُؤتمن على صندوق الجماعة، وكان يسهر على توجيه الموارد لخدمة احتياجاتها المهنية. كما يَلتزم برفع تقارير دورية تضمن الشّفافية وتعفيه من المساءلة أمام الأمين والسُّطلة الحاكمة[2].

2-6-الرّفقاء :

هم المساعدين الأكثر اتصالاً بأمين جماعة البنّائين، سُمّوا بالرُّفقاء لكثرة مرافقهم لأمين البنّائين أثناء تأدية مهامه[3]، يتراوح عددهم ما بين ثلاثة إلى خمسة أفراد، وهم من أصحاب الخبرة، يرافقون الأمين في القيام بمهامه ويساعدونه في ذلك، كما كان يُستعان بهم للحضور كطرف في النّزاعات القائمة بين أهل الصّنعة، والتي كانت تتم بمقر قاضي القُضاة أي قاضي الحنفية، أو بجامع السيدة[4].الذي كانت تقام فيه مجالس الصلح، وفضّ النّزاعات التي تحدث بين مختلف الجماعات و الطّوائف المهنية والحرفية.

3-البنية التّنظيمية للحرفة في ورشة البناء.

3-1 المعلّم أو الأُسْطَى

يطلق لفظ المعلّم على رئيس ورشة البناء، ولفظة المعلّم متداولة بشكل كبير لدى السّكان المحليّن في الجزائر، فقد عثرت عائشة غطّاس على وثيقة عامة مؤرخة بـ 1525م نصها: " **اشترى سعيد بن المعلم أبي عبد الله محمد بن جعد الحداد بن المعلم يحي بن المعلم سعد جميع الدار الكاينة بحارة الجنان داخل بلد الجزائر**"[5]. فهي تُرجّح أن كلمة معلّم سابقة للعثمانيين؛ لأنّ التنظيم الحرفي توارثه الأبناء عن الآباء. وما يؤكد هذه الوراثة نصّ عثرنا عليه في مخطوط الأسواق لعبد الله بن محمد الشويهد يقول فيه: "**واتفقوا الله يرحمهم، إذا كان معلّم في حانوت ويهبّط معلّم آخر إلا بحق الله، معلّم ما يهبّط معلّم وإذا كان معلّم يتهبّط انخربت. أمّا المعلّم في حانوت يجز متعلّم، ولا يبعث لدار اليهود، وابن المعلّم معلّم في مضْرب أبيه، هذا**

---

[1]- عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط قانون الأسواق ...، المصدر السابق، ص58.

[2]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص211.

[3]- خولة نواري، خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص129.

[4]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص212

[5]- المرجع نفسه، ص203.

هو القانون بين الجماع من قديم والمعلّم إذا عطا لبر وقططبينا[1]**،حتى يخرج معلّم كيف العادة والسلام. ما يقدرش معلّم آخر يديه بعادة المعلّمين والسلام**". من خلال النّص يتّضح أنه تم الاتفاق؛ على أنه لا يحقُّ لمُعلّم أخذ مكان آخر، وعلى المُعلّم أن يجيز من يتعلّم على يده، ولا يبعثه لدار اليهود، ويحق لولد المعلّم أن يَخْلُف أباه في مكان عمله، وهذا ما كان متعارفاً عليه منذ القديم.

كان بعض المعلّمين يشرفون على شركات مصغرة لأشغال البناء، يشتغل بها مجموعة من البنّائين، فقد ورد في أحد سجلات بيت البايلك مستحقات سُدّدت: **"لشركة المعلم محمد ابن النيقر"**[2]. هذا وتبقى المعلومات قليلة حول النّظام الدّاخلي للحرفة وكيفية الارتقاء إلى رتبة معلّم، غير أنّه في تلمسان لا يحصل المتعلم على إجازة إلا اذا أنجز تحفة فنية،[3] وهذا الشرط معمول بها في المشرق حيث، يصير معلماً في صنعته؛ من يتمكن من امتلاك المهارة في عمل شيء دقيق في صنعته، فيُشهد له بأنّه يستحق أن يكون معلّماً[4]. لم تكن تقتصر ورشات البناء خلال العهد العثماني على وجود "المعلّم المشرف على البناء" فحسب، بل عرفت توزيعًا دقيقًا للمهام والتخصصات. فقد ضمّت الورشات "معلّم دكّ الأساسات" المسؤول عن تثبيت قواعد المباني، و"معلّم النّصارى" الذي تولّى تنظيم عمل الأسرى المسيحيين. كما كان هناك حرفيون مختصون في الزّخرفة، والنّقش، وبناء الأقواس[5].

أما لفظ "اسطى" وتكتب كذلك "أستا" وهي تعني بالعثمانية المعلّم او الأستاذ الخبير[6]. استعملت في الجزائر بشكل كبير من قبل الأتراك والكراغلة والأندلسيين. وللأسطى مكانة رفيعة في أوساط ممتهني الحرفة، كان يبلغ هذه المكانة داخل الطائفة، بفضل مهارته وحنكته وخبرته الطويلة[7] كان من بين اهم من اقترن اسمه بلفظ أسطى معلّم البناء المشهور في الجزائر أسطى موسى الأندلسي.

---

[1]– يقصد بـ **البرقسطبيلا** : الإبرة والكستبان وهي عبارة كانت تُستعمل للدّلالة على ضرورة احترام أوامر المعلّم وعدم تجاوزها أو مخالفتها مهما كان الأمر هيّناً . راجع: عبد الله بن محمد الشويهد، مخطوط قانون الأسواق...، المصدر السابق، تعليق المحقق، ص136.

[2]– الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع29، سجل242، ص79.

[3]–عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص203.

[4]– علي باشا المبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج1 ، ط1، مطبعة بولاق، مصر، 1306هـ، ص206.

[5]– رفيقة لعزازي عتيق، مواد وتقنيات البناء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الحزائر02، 2013/2012، ص103.

[6]– أمين خوري، رفيق العثماني قاموس، معجم تركي فارسي عربي، مطبعة الآداب، بيروت(لبنان)، 1894م، ص30.

[7]– خولة نواري، خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص130.

3-2-الصّانع البنّاي

هو واحد من فئة الصُناع من الذين كانوا يحسنون الصَّنعة، إلاّ أنهم لم يَصلوا إلى مرتبة إتقان كل المهارات، وبالتّالي فهم في تطوّر مستمر تحت توجيهات المعلّم، لاكتساب المهارة و للرّقي إلى مرتبة المعلّم[1]، وقد كانوا يمثلوا أعلى نسبة من ذوي الحرف، نظراً لكثرة إعدادهم، فهم أكثر من المعلّمين ومن المتعلّمين، ولا نعلم الضّوابط التي تؤهلهم لأن يكونوا معلمين[2]. وكان يطلق عليهم في وثائق الأرشيف الوطني الجزائري اسم البنّاي، كما ورد في وثيقة مؤرخة بسنة(1201هـ/1787م): " **حبس المكرم محمد البناي بن مسعود بوجناح به شهر المذكور في رسم غير هذا بشهادة العدلين .... المؤرخ أواسط رجب الأول عام 1201هـ**"[3]. وفي مدينة قسنطينة كانت تُطلق كلمة البنّاي على من يقوم بمهام بناء البيوت، والأسوار، والأدراج، وتلبيس الجدران، ومد السقوف، وتركيب القرميد، والأبواب، والنوافذ، وردت الكلمة(19) مرة في سجلات المحاكم الشرعية، ومن أشهر البنائين في قسنطينة "سي عيسى البنّاي" و"مسعود البنّاي".[4]

3-3 المتعلّم

هو المبتدئ في الحرفة، وقد يُستأجر لمدّة محدّدة حتى تنتهي الورشة مثلا، و كان يُنفق عليه المعلّم المأْكل والمشْرب، ويتكفل بما يحتاجه طيلة مدة استئجاره[5]، تُوكل إليه بعض الأعمال الهامشية، ثم يتدرج في الحرفة تحت إشراف الصّانع والمَعلّم[6]. فقد ورد في سجلات مصاريف الأوقاف لفظة خدّامين المَعَلّم الفلاني وصُنّاع المعلّم الفلاني، ممّا قد يعني أن الخَدّامين هم المُتَعلّمين المُبتدئين أمّا الصّناع فهم من الواضح انهم أصحاب الحرفة[7].

---

[1]- خولة نواري، خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص131.

[2]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص209.

[3]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع2/18 من19 إلى41 و35.

[4]- حياة بوشريبة، التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م/1841م أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الشلف، الجزائر، 2024/ 2025م، ص169.

[5]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص206.

[6]- خولة نواري، خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص131.

[7]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص478.

ثانيا: عوامل تطور العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني.

1-مؤسسات الوقف ودورها في العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني

1-1-أهم المؤسسات الوقفية بالجزائر خلال العهد العثماني.

كانت مؤسسات الوقف[1]في الجزائر خلال العهد العثماني، ساهم في تخصيص بعض المباني والعقارات لخدمة المساجد والمؤسسات الدينية، وتغطية نفقات الخدمات التي تقدمها، ونفقات القائمين عليها، بالإضافة إلى ما يُخصّص لعمليات ترميم المباني وصيانتها بشكل مستمر.

ونظرًا لأهمية الوقف والخدمات التي يقدّمها، فضلاً عن الأجر الذي يناله صاحبه عند الله عزّ وجل، شهدت الأوقاف تزايدًا كبيرًا في تلك الفترة،[2] حتى أصبحت تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات العقارية داخل وخارج المدن، فلقد قدّم لنا ناصر الدين سعيدوني مثالاً جيداً من خلال ما استخلصه من وثائق المحاكم الشرعية، ووضعية أوقاف ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر، التي لم يتجاوز عددها أواخر (ق15م) حتى بداية(ق16م) إحدى عشر(11) وقفاً، ثم تزايدت بعد أن اكتسب شعبية في أوساط السكان، أصبحت عشية الاحتلال الفرنسي اثنان وثمانون(82) وقفاً. ونفس التّطور عرفتها أوقاف باقي المؤسسات في المدينة[3]. حتى أصبحت أملاك الأوقاف في مدينة الجزائر تشمل عددا كبيرا من العقارات والأراضي، وتظم العديد من الدّكاكين والفنادق والعيون والسّواقي وأفران الجير والكوش والحمامات وغيرها من المرافق. لم

---

[1]- **الوقف:** لغة هو الحَبْس وقد أُطلقت تسمية الوقف، على الموقوف وجمعه أوقاف، ومن تعريفات الوقف ما ذكره العز بن عبد السلام بأنه:" **تمليك لمنافع معدومة وفوائد معقودة تارة لموجود وتارة لمفقود، وتمليك المفقود أعظم أحوال الوقف، إذ انقرضوا صارت الغلات والمنافع المعدومة مستحقة بالوقف إلى يوم القيامة.**" راجع: جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام مقارنة الشريعة بأنظمة الحكم الوضعية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت(لبنان)، 1995م، ص ص460-461.

[2]- لقد عرفت المنشآت الدينية لبشوات الجزائر نمو كبيراً داخل المجال العمراني لمدينة الجزائر وازداد عددها، وعرفت أشغال التّرميم والتّوسعة والتّجديد والبناء عدة مراحل، بداية باختيار مواقع بناء المساجد؛ نظرا لتوفر مساحات واسعة للبناء وبعد نمو المدينة وانحصارها داخل الأسوار، أصبحت هناك صعوبة في إيجاد فراغ داخل المدينة لذلك تم استغلال الأماكن الخَرِبَة والمُهملة أو القيام بعملية الهدم واعاد التّوسعة واضافة الطوابق، أو اللّجوء إلى بعض المعاملات القضائية كالشراء والاستبدال والمعاوضة لتوفير العقار...، للمزيد راجع: وافية نفطي، فتيحة شلوق، «دور الأوقاف في دراسة عمران المدن والنظيم الحضري مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنموذجا»، المجلة الجزائرية للبحوث والدارسات التاريخية المتوسطية، مج08،ع.خ02، 2022م، ص155.

[3]- ناصرالدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)،2001م، ص235.

يقتصر الأمر على مدينة الجزائر فقط، بل شملت أغلب جهات البلاد وعدة مدن منها: مازونة، تلمسان، معسكر، قسنطينة، عنابة، بجاية، المدية، مليانة، البليدة، القليعة، وغيرها من المدن الجزائرية.[1]

يمكن أن نميّز بين نوعين من المنشآت الوقفية: منشآت خيرية: تحتاج إلى نفقات دائمة لتغطية الخدمات التي تقدمها، مثل الجوامع، والمدارس، والكتاتيب والسواقي، والعيون. منشآت تجارية: لديها عوائد تستغل في الإنفاق على المؤسسات الأولى وتوفير حاجياتها، مثل: الحوانيت، الفنادق، الحمامات، المقاهي، وغيرها، حيث كان من الضّروري المحافظة على التوازن بين المرفقين، لضمان استمرار الوقف وعدم تعرضه للخّراب، خاصة وان جزء من النفقات موجه لترميم المنشآت الوقفيّة[2].

ونظرا لأهمية الأوقاف وتزايد عددها بشكل كبير، كانت تُسند مهمّة تسيير الممتلكات الوقفية إلى مؤسسات تدعى مؤسسات الأوقاف، وكانت تعدُّ من أهم وأنشط المؤسّسات التي تشكلت في الجزائر خلال العهد العثماني، نظراً للدَّور الذي لعبته في التَّسيير والإشراف على عدد كبير من الملكيات العقارية، الموقوفة على المؤسسات الدينية والثقافية في الجزائر، كما أُستغلت فائض الأموال لإنشاء مباني ومنشآت عديدة، لزيادة المداخيل، وكانت تلك المؤسسات شريكاً في التّسيير الحضري للمدينة، إلى جانب المؤسسات الحضرية الأخرى[3]، وفي ما يلي نستعرض نماذج من المؤسسات الوقفية بمدينة الجزائر وقسنطينة.

1-1-1-المؤسسات الوقفية بمدينة الجزائر.

يمكننا التّعرف المؤسسات الوقفية لمدينة الجزائر، بالرجوع إلى وثائق الوقف المحلية، كما يمكن الاعتماد على هذه الوثائق في حصر عدد ممتلكاتها سواء الأهلية أو الخيرية،[4] وحسب الدراسة التي قدمها ناصر الدين سعيدوني حول ملكية الوقف والجباية، ذلك بالرجوع إلى المصادر الأرشيفية وإحصائيات السلطة الفرنسية في بداية الاحتلال أمكن له تحديد أملاك مؤسسات الوقف في مدينة الجزائر، واعتمد في ترتيبها على الأولوية(الأهمية) في تغطية الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، بداية بمؤسسة الحرمين الشريفين كان

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية...، المرجع السابق، ص235.

[2]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص468.

[3]- وافية نفطي، فتحة شلوق، دور الأوقاف ...، المرجع السابق، ص ص151 152.

[4]- **الوقف الخيري** أو (العام) هو ما أُخذ فيه براي المذهب المالكي تعود منفعته على الجهة التي يعود لها الوقف مباشرة. أما الوقف الأهلي(العائلي الخاص الذّري) ما أُعتمد فيه على المذهب الحنفي والذي يسمح أن ينتفع الواقف بمردوده أو أولاده من بعده الذكور منهم والإناث، حسب ما هو مسجل في وثيقة تأسيس الوقف ترغيبا، ويتم استغلاله من طرف مؤسسة الوقف بعد انقطاع نسل صاحب الوقف، وهذا لدعم الوقف وتشجيعا عليه...، للمزيد راجع: ناصر الدين سعيدوني الأوقاف بفحص مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص61.

عدد أوقافها لا يقل عن الفين(2000) منها ألف وخمسة مئة وثمانية وخمسون(1558) وقفا خيرياً، دخلها السنوي سنة 1837م يقدر بـ(43222.70) ف.ف، أمّا مؤسسة الجامع الأعظم عدد أوقافها أربعة مئة إثنان وتسعون(492)، دخلها سنة 1830م قدر بـ(12000) ف. ف، ومؤسسة سبل الخيرات عدد أوقافها المسجل رسميا ثلاثة مئة وواحد وثلاثون(331)، ذات دخل سنوي سنة 1836م قدر بـ(16000) ف .ف فرنسي، و مؤسسة الأندلسيين عدد أوقافها المسجل رسميا مئة وواحد(101)، ذات مردود سنة 1830م قدرت بـ (4000) ف. ف، أما مؤسسة سيدي عبد الرحمن عدد أوقافها المسجل رسميا اثنان وثمانون(82)، ذات مردود سنة 1830مقدر بـ(6000) ف. ف.[1]

يتّضح لنا من خلال عدد الأوقاف والمبالغ التي تُدرّها، أنّ هذه المؤسسات تُسيّر مبالغ مالية كبيرة، يُمكنها أن تُساهم بشكل جيد في تحسين وضعية المؤسسات الدينية والمشرفين عليها، فعائدات وغلّة الأوقاف كانت تخصّص منها مبالغ لتسديد أجور الأئمة والمدرسين، ومبالغ تُنفق على ترميم مؤسّسة الوقف وتلبية متطلباتها من أفرشه وشموع وزيت وغيرها من المتطلّبات، ومنها من المصاريف ما تُسدّد بها مستحقات عمّال الترميم والبناء، وكذا شراء مواد البناء والمستلزمات للقيام بأشغال التّرميم، ومنها ما تُخصص لأشغال التّوسعة، وتُخصّص مبالغ أخرى للإنفاق على فقراء المدينة، ومنها مبالغ كانت تُرسل إلى بلاد الحرمين الشريفين. وفيما يلي: بيان لذلك حسب كل مؤسسة. حسب ما هو موضّح في الجدول.

الجدول رقم(05): يمثل أوجه الإنفاق لبعض المؤسسات الوقفية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

المؤسسة الوقفية	أوجه الإنفاق
الحرمين الشريفين	عائدات وغلّة هذه الأوقاف تُصرف على إصلاح مباني الأوقاف العقارية داخل المدينة، إصلاح مكاتب المؤسسة، دفع نفقات موظفي هذه المؤسسة، إرسال جزء من العائدات إلى فقراء مدينة الجزائر، والإنفاق على ثلاث مساجد حنفية في المدينة.[2]
الجامع الأعظم	تنفق على مصاريف الجامع الأعظم نفقات الترميم ومستلزماته.
سبل الخيرات	تنفق على ثمانية مساجد حنفية تابعة لها داخل المدينة، حيث كان لكل مسجد منها أوقافه الخاصة.
فقراء الأندلس	تشرف المؤسسة على تسيير مئة وواحد(101) عقاراً داخل المدينة، يعود ريعها للإنفاق على الأسر المنحدرة من الأندلس، ويشرف على تسييرها موظف يعرف بوكيل الأندلس.
الأولياء والمرابطين	كانت أوقاف هذه المؤسسة تُنفق على أضرحة الأولياء الصالحين، ثمانية منها داخل المدينة والتاسع خارجها.

[1]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية ....، المرجع السابق، ص108.

[2]– المرجع نفسه، ص209.

الأشراف	تنفق على الفقراء في المدينة، ودعم التعليم والتبرع للمساجد.
أوقاف الجند والثكنات	مخصص ريعها للإنفاق على سبع ثكنات وبعض المرافق العامة كالطّرق والعيون والسّواقي والقنوات ولكل مرفق وكيل يَرعى شؤونها مثل وكيل العيون والسواقي.

المصدر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية.... ص 209. (الجدول من إعداد الطالب)

1-1-2-المؤسسات الوقفية بمدينة قسنطينة

عرفت تطوراً في عهد صالح باي بفضل أعماله العمرانية، فلقد قام بعمليات البيع والمعاوضة لتجهيز الأماكن التي بنى فيها الجامع والدّار والمدرسة والفندق ودار المرضى والعديد من المنشآت الأخرى. فأوقف بعض الأملاك على الجامع والمدرسة، والبعض الآخر على نفسه[1]. قيدت هذه الأملاك في سجل "صالح باي"، الذي يعدُّ من أهم عقود الأوقاف في مدينة قسنطينة، فالسّجل يعود تاريخه إلى نهاية القرن الثامن عشر، فترة حكم صالح باي(1771-1792م)، والسّجل يضم مجموعة من الوثائق المتفرقة قيد فيها تسعة عشر(19) من والأوقاف الخيرية لصالح باي التي تظم كذلك(19) عقداً إضافة إلى(24) عقداً تخص ملكيّات بيع وشراء ومعاوضة، وتأسيس للوقف تخصُّ بعض أعيان مدينة قسنطينة.[2]

1-2-دور مؤسسات الوقف في العمارة المدنية.

1-2-1- دور مؤسسات الوقف في صيانة وتشيّد المنشآت المعمارية.

ساهمت مؤسسات الوقف في الحفاظ على الوقف؛ من خلال التسيير الحسن للأملاك الوقفية، والسهر على تلبية متطلبات الوقف المختلفة، والقيام بأشغال الإصلاح والتّرميم باستمرار، ومن خلال نموذج لمصاريف قامت بها مؤسسة سبل الخيرات بمدينة الجزائر، مقيدة في سجل، أُفتتح السّجل بما يلي: " **بيان ما خرج من أيدينا مصارف على الجامع الجديد باب عزون، في غرة سنة 1146هـ/1733م**. سنقوم بعرض لما قُيّد في السّجل[3] بهدف تبيان مدى اهتمام المسؤولين عن إدارة المؤسسات الوقفية بالحفاظ على الممتلكات، والقيام بعمليات التّرميم المستمر والإصلاح وبناء مرافق جديدة، تُساهم في التوسعة وزيادة العائدات والمداخيل. ولا شك أن هذا الاهتمام يُسهم في توسّع النسيج العمراني للمدينة بشكل متواصل.

---

[1]- فاطمة الزهراء قشي، سجل اوقاف صالح باي...، المصدر السابق، مقدمة الكتاب ص12.

[2]- آسيا ليفة،« دور الملكيات الوقفية في تنمية المجال الحضري: حالة قسنطينة»، مجلة آفاق علمية، مج13،ع02، 2021م ص72.

[3]- **ملحق(09)** جدول سجلنا فيه النفقات التي قيدت في السجل دون الإشارة إلى التكاليف المالية والاكتفاء بذكر أوجه الانفاق.

ومن بين ما ورد في السجل: إصلاح الأبواب وأقفالها وترميم المباني وتبييضها، إضافة إلى نفقات مختلفة خُصّصت لشراء المستلزمات مثل: الشّمع والزّيت والأفرشة والمسامير والصّمغ والصّابون والخشب وغيرها من المواد . كذلك تسديد أجور الصنّاع وخياطة الحُصُر بالإضافة إلى دفع مستحقّات البنّائين والمهنيين ومعلّمي الحمّامات، إلى جانب المصاريف المتعلقة بالحبوس والسّواقي وغيرها من النفقات[1].

1-2-2-دور الأوقاف في صيانة المرافق العامة

يذكر ناصر الدين سعيدوني أن المؤسسات الدينية صاحبة الوقف، تتحكم بشكل كبير في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية؛ من خلال ما عائداتها وما تنفقه، ومن خلال ما توفره من وظائف وخدمات. وفي هذا السّياق يذكر روبير مانتران(Robert Mantran) حول مدينة إسطنبول، أنّ جزء هام من المرافق الحضرية يتم تسييرها من طرف المؤسسات الخيرية؛ يقصد هنا المؤسسات الوقفية، خاصة وأنّها تمتلك حريّة تامة في تسيير العدد الكبير من المنشآت والعقارات التابعة لها، دون أن يتدخل السّلطان ومعاونيه في ذلك[2]. كما ساهمت الأوقاف بفضل مداخيلها وما لديها من عوائد وغلة، في السّهر على المحافظة على المرافق العامة، من طرق وعيون وسواقي وآبار وصهاريج. وكذلك المساهمة في بناء وترميم الثّكنات والتّحصينات الدفاعية المختلفة. وهذا ما تناولته عدة دراسات تُبرز دور الوقف في تطور المدن الإسلامية، أو التي تتناول بالدراسة العلاقة بين الأوقاف والتهيئة العمرانية.[3]

كان لأوقاف صالح باي في مدينة قسنطينة دور كبير في تطور العمران، أواخر القرن الثامن عشر. وهذا ما وضّحته فاطمة الزهراء قشي[4]، حول التّدخلات المعمارية لصالح باي[5]. لم يكُن للأوقاف دور في توسيع وإعمار المدن الصغيرة فقط؛ بل تعدّاه إلى مدن عريقة وأكثر اتساعاً. وهذا ما تؤكده كذلك دراسة قام بها ستيفان يراسيموس(Stéphane Yarasimo)، حول دور الوقف في تخطيط مدينة إسطنبول خلال القرن

---

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع29، سجل242.

[2]- Robert Mantran, Istanbul dans la secondemoitié du XVIIe siècle, Thèseprincipale de doctorat, Librairie Adrien Maison neuve, Paris, 1962, p171.

[3]- كان من مهام قايد الزبل تنظيف المدينة من الفضلات، ومن الركام الذي تخلفه عمليات الهدم أو الترميم، وكان تخصص مبالغ من عائدات الوقف لهذا الغرض، يتقاضاها قايد الزبل قيدت ضمن سجلات مؤسسات الوقف، ومنها ما أخذ من مصاريف مؤسسة الحرمين الشريفين مبالغ لقايد الزَّبل، ومبالغ انفقت في تفريش دار قارة مصطفى، ومصاريف أخرى لإصلاح المراحيض وتنظيف الزّنق التي تجتمع فيها الفضلات ومصاريف لتنظيف خربة القصبة...، راجع: وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر ...، المرجع السابق، ص481.

[4]- فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، الجزائر، 2005م، ص85.

[5]- **ملحق(09)**.خريطة التدخلات المعمارية لصالح باي في مدينة قسنطينة، راجع: فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة ...،ص79.

التاسع عشر، ودراسة قام بها فاروق بيليجي(Faruk Bilici) حول الأوقاف في حي ناحية السلطان محمد الثاني في مدينة إسطنبول، خلال القرن السادس عشر[1]. ويذكر عبد الجليل التّميمي أنّ دور الوقف لم يعد يقتصر فقط على بناء مدرسة أو جامع؛ بل تطوّر دوره إلى المساهمة في منشآت خيرية أخرى، وبهذا الشكل يعني مزيداً من التطور العمراني وتوسعاً في المدن، أو في المناطق المجاورة، حتى أصبح إنشاء وقف يعني نواة عمرانية متكاملة قابلة للتّطور إلى نواة لمدينة جديدة[2].

1-1- 3-دور الأوقاف في بناء وتجديد المباني.

كان فائض عائدات الوقف يُستغل في إنشاء مباني جديدة، للعبادة أو التّعليم، مثل ما كان الحال في زاوية الجامع الأعظم بمدينة الجزائر؛ والتي بنيت عام(1629-1630) بفضل عائدات الأوقاف، وأصبحت فيما بعد تضم طابقين من الغرف خصّصت للمدرسين وطلبة العلم، وهكذا هو الحال مع باقي الزوايا، التي تم تشييدها في مدينة الجزائر، حتى أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على ستة(06) زوايا، فيها أماكن مخصصة لإيواء الطلبة[3]. يذكر البير ديفولكس أن زاوية سيدي "محمد الشريف" كانت تتكون من ساحة تضم عدة أضرحة وقبور، وتظم مسجد صغير، ومدرسة، وثلاث غرف للسّكن، وكذلك مرافق تم تجديدها، وأنّ النّواة الأولى للبناء كانت قبة الضريح، لكنّه لم يحدد تاريخ البناء.[4]

كان من بين ما يُسجّل في عقود الوقف، مسالة أعمال الصّيانة والمبالغ التي تقتطع من عائدات الوقف لهذا الغرض، خاصة وأن بعض مؤسسات الوقف تخصص عائدات، عقار آخر للتكفل بأشغال الصيانة، والباقي من العائدات يعود لصالح مؤسسة الوقف، وذلك للحفاظ على الوقف من الزوال واستمراره في تقديم خدماته بشكل جيد، كانت جل المصاريف المنفقة في مختلف التّرميمات، ومستحقات العمال الذين قاموا بالصّيانة والمستلزمات التي تم شراؤها تُسجّل في سجلاّت خاصة، تُسمى سجلاّت الوقف، ويتم افتتاحها

[1]- معاوية سعيدوني،«دور الوقف في الحفاظ على التراث والتنمية المستدامة»،أوقاف،ع19، السنة العاشرة، 2010م، ص69.

[2]- عبد الجليل التميمي، المدن العربية والديمغرافيا التاريخية والبحر الاحمر خلال العهد العثماني، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات العثمانية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان(تونس)، سبتمبر 1998م، ص47.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية ...، المرجع السابق، ص264.

[4] - Albert Devoulx , «Les édifices religieux de l'ancien Alger», R. A , N° 12, 1868, p279.

بما يلي:[1] "**الحمد لله هذا دفتر مبارك ميمون وضع لأوقاف الحرمين الشريفين بالجملة مصارفها الضرورية من بناء وغيره بتاريخ 1153هـ عرفنا الله خيره ووقانا ضره**"[2].

لقد ساهم تقيّيد المصاريف في تلك السّجلات خاصة بهذه الورشات، بشكل كبير في متابعة تقدم أشغال البناء، والمحافظة على حقوق العمّال والقائمين على البناء، خاصة وأنّ المصاريف كانت تُقيّد يوما بيوم، وقد كان هذا الأمر معمولًا به في عدّة مناطق من المغرب العربي، كما هو الحال في مدينة تونس، حيث أشار أحمد السعداوي في دراسته حول ورشات البناء ذلك باستغلال السّجلات التي تتضمّن مصاريف البناء لبعض وكلاء الأشغال، بما في ذلك خطوات بناء فندق وتفاصيل المصاريف اليومية لورشة يشرف عليها حمودة باشا، وكان مديرها وكيل الحج حسّان بن أحمد "الحامّي".[3]

1-2-4-دور الأوقاف في ترميم وإنشاء السّواقي والعيون.

ساهمت عائدات الوقف في المحافظة على مصالح التزويد بالمياه، كالسّواقي، والآبار، والصهاريج، وخاصّة العيون، التي حظيت بأوقاف عديدة، ففي مدينة قسنطينة كان وكيل أوقاف العيون والسّواقي يصرف حوالي(500) ف. ف[4]، لنقل المياه إلى الأحواض السبعة(07) المنتشرة وسط المدينة. وفي مدينة الجزائر ساهمت الأوقاف في إنشاء ما يربو عن مائة(100) عين داخل المدينة وخارجها، كان ذلك خلال منتصف القرن الثامن عشر ميلادي[5] .

كانت تلك المرافق في مدينة الجزائر تحتاج إلى صيانة دائمة، خاصّةً وأنها كانت عرضة للزلازل والتلف الناتج عن انزلاقات التربة بفعل السيول الجارفة، لا سيّما أن السواقي كانت تعتمد على استغلال التضاريس في المناطق المرتفعة، مستفيدةً من الانحدار، كما أشرنا سابقًا، ممّا يُساهم في سرعة تدفّق المياه لإيصالها إلى مختلف أنحاء المدينة، وهو ما يجعلها عرضة للتشقّقات. هذا الوضع يتطلّب ترميمًا مستمرًا ومصاريف دائمة لتفادي انقطاع المياه، لذا خُصّصت عدّة وقفيات لصالح إصلاح العيون والسّواقي، إمّا بترميمها أو بتجديدها إذا اقتضى الأمر. ومن ذلك وثيقة مؤرخة بسنة 1161هـ/1748م: "**حبس السيد مصطفى بلوكباشي ابن خليل التركي، جميع العلوي على نفسه وعلى عقبه، فان انقرض ترجع حبساً على**

---

[1]– وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...،المرجع السابق، ص476.

[2]–الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع30، ع31، سجل264– 279.

[3]- Saadaoui Ahmed, Tunis Ville ottomane trois siècles d'urbanisations et d'architecture, centre de publication, universitaire, Tunis, 2001 p291.

[4]– الاحصائيات وفقاً للتقديرات التي قدمتها السّلطات الفرنسية مع بداية الاحتلال. راجع: ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية...، المرجع السابق، ص247.

[5]– المرجع نفسه، ص ص248–249.

ساقية الماء الدّاخلة للجزائر، يُصرف ذلك في إصلاحها وما تهدّم منها، من المردود المقدور المجرور المنافع، والمرافق الدّاخلة فيه والخارجة عنها، و ماعد منه وعرف بدونه بتاريخ أوائل شهر شعبان[1] .

2- دور أهل الأندلس في ازدهار حرفة البناء بالجزائر خلال العهد العثماني.

لقد كان لتأسيس الحكم العثماني في الجزائر وجهود الإخوة "بربروس" دور كبير في تلبية نداء الموريسكيين وكان ذلك بإغاثتهم ونقلهم إلى مدن الجزائر. وقد شهدت هجرة أعداد كبيرة منهم خلال ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: امتدت من سنة(1212-1492م)، عقب اندلاع حروب الاسترداد(Reconquista) وسقوط عدة حواضر إسلامية بالأندلس، مثل: قرطبة سنة 1236م وبلنسية سنة 1283م وإشبيلية سنة 1284م. وقد تزايدت أعداد الوافدين إلى مدينة الجزائر بعد هذه الأحداث، خاصة من العلماء والمثقفين، إلا أن أعدادهم في هذه المرحلة كانت محدودة مقارنة بما شهدته حواضر تلمسان وبجاية، التي استقبلت أعدادًا مهمة.

المرحلة الثانية: جاءت مع سقوط مدينة غرناطة سنة 1492م، وهي آخر معقل إسلامي في الأندلس.

المرحلة الثالثة: فبدأت بعد سنة 1519م مع تأسيس الحكم العثماني في مدينة الجزائر، حيث أصبح الأندلسيون يفضّلون الاستقرار فيها، خاصة مع تطوّر وازدهار الأنشطة الاقتصادية والثقافية في المدينة[2].

كان الأندلسيون يمتهنون أغلب المهن والحرف السّائدة في الجزائر خلال العهد العثماني، على غرار حرفة البناء التي ساهموا في ازدهارها بشكل كبير، وهذا ما أكده دكتور شاو بقوله: "**إن حرفة البناء هي من أهم الحرف التي يحسنها أهل الأندلس**"[3]. ومن جهة أخرى لعبت العناصر الأندلسية دوراً كبيراً في تطور المهن والحرف بمدينة قسنطينة، وساهموا في تطوّر العمارة بشكل ملحوظ؛ من خلال ما تمّ إنجازه من عمائر في المدينة، والمرافق التابعة لها خاصة منشآت التزويد بالمياه[4]. فقد تولّى الكثير منهم منصب أمانة البنائين خلال القرن السابع عشر ميلادي، لما لهم من دراية وخبرة في هذا المجال، حيث تشير عائشة غطاس، أنّ

---

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع01، و19.

[2]- حنفي هلايلي، «الحضور الأندلسي بالجزائر على ضوء المحاكم الشرعية»، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع25، 2002م، ص315-316.

[3]- D. Show, op.cit, p57.

[4]- حياة بوشريبة، المرجع السابق، ص188.

أمانة طائفة البنائيين تولاها عدة معلّمين من أصول أندلسية، ووُرّثت في الأسرة الواحدة، كعائلة القشطولي والثّغري[1].

كما ساهم أهل الأندلس في مجال البناء بتأسيس شركة بناء في الجزائر، فحسب وثيقة مهمة من سلسلة بيت البايلك تتضمن تقيّد المصاريف التي صُرفت لإنجاز عدة مباني ومنشآت، منها مصاريف شراء مواد البناء، وصرف مستحقّات البنائّين والنجّارين، والأجور المدفوعة لقاء ترميم منشآت مختلفة، من دور وعيون عمومية وسواقي ومباني أخرى. كما ورد في الوثيقة ذكر لأسماء عدة معلّمين وحرفييّن ومساعدين في مجال البناء، وورد فيها كذلك ذكر من يتم التعامل معهم للتّزود بمواد البناء المختلفة، كبائعي الآجر والجير[2]. كما أننا عثرنا على وثيقة مؤرخة بسنة 1162هـ/1749م تخص سجل قُيّدت به أشغال على الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، ومن بين المستحقّات التي تم تقييدها، ورد ذكر مصاريف دُفعت لشركة الأندلس[3]، ما قد يؤكد فعلا وجود شركة بناء تخصُّ فئة الأندلسيين.

يذكر مصطفى بن حموش أنّ المصادر التاريخية، تُشير كُلّها إلى أن معظم أعمال جلب المياه تعود إلى خبرة أهل الأندلس، خاصّة وان هذه الخبرة صادفت اهتمام الحكام العثمانيين بمشاريع الرّي وإنشاء العيون والسّواقي، وكان أهمها ما شُيد على يد المهندس الأسطى موسى الأندلسي[4]، الذي كان يُسمّى معلّم العيون، لم يكن بارعاً في تشييد العيون والسّواقي فقط؛ بل قام بتشييد الثّكنات وترميم الأسوار والأبواب، وغيرها من المنشآت، غير أن ما تبقى شاهداً على أعماله ثلاث كتابات تأسيسية تُخلّد أعماله بالمتحف العمومي للآثار القديمة، منها نص يُخلّد بناء ثكنة للعسكر سنة 1627م[5]. ولقد خلفه أبناءه الذين علّمهم

---

[1]– عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق ص ص111–112.

[2]– **ملحق(10):** وثيقة من الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة بيت البايلك، سجل 262، ع، 30 ، و01. تظم أسماء عدة لمعلمي البناء يمكن استغلالها بشكل جيد لمعرفة أسماء العمّال الذين اشتغلوا بشركة الأندلس. للاطلاع على الوثيقة راجع: صليحة جدي، حرفة البناء....، المرجع السابق، ص772.

[3]–الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، سجل، 239، ص06.

[4]– **الأسطى موسى:** الثَّغري اليَسري الأندلسي الحميري. مهندس معماري من غرناطة من أمهر المهندسين الذين اعتمد عليهم العثمانيون في تشييد عدة منشآت معمارية في مدينة الجزائر، أشرف على عدة أعمال تخص شبكة التوزيع بالمياه وقام بتشييد الثكنات والابراج ، ومن اشهر الأعمال التي قام بها ترميمه لدار الإمارة، ورد اسمه في عدة لوحات تأسيسية منها النقيشة التي تؤرخ لتأسيس الثكنة الجديدة في شارع ميدي(خلال فترة الاستعمار) بمدينة الجزائر تحمل النص التالي: " **تم بناء دار من حسن الديار باليمن واليسار للعسكر الحرار أيام تبليغ المراد، دولة مولانا مراد زمان الباشا حسين لازال مبسوط اليدين على يد موسى اليسري الأندلسي الحميري عام ثلاثة والفين وسبعة** ..." راجع: تريكي سليم، وافية نفطي، صهاريج تخزين المياه ...، المرجع السابق، ص130.

[5]– مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة...، المرجع السابق، ص137.

صَنعة البناء إلى درجة انّهم برعوا فيها، حيث يُمكن التّعرف على اثنين منهم هما: "علي" الذي تولّى أمانة البنّائيين، وشيّد ثكنة لا تبعد عن ثكنة أبيه سوى بعض الأمتار، تُسمّى الثّكنة الفُوقانيّة نسبة إلى موقعها، ولا تزال كتابتها محفوظة هناك مؤرخة بـ: ربيع الأول 1047هـ/الموافق لـ24جويلية إلى02 أوت1637م. كتب فيها ما يلي:

كمُل هذا البناء المَعْمور. عن إذن العسكر المَنصور//

بي ولاية المَولى الكبير. أبي الحسن علي باشا الشّهير//

خليفة مولانا البادشاح. خلّد الله لنا مُلكه بي الأبراج //

على يد الأمين السّيد علي. ابن السّيد موسى صاحب المباني//

بي اوايل شهر ربيع الاول. عام سبعة وأربعين وألف الأكمل //[1].

ويذكر ديفولكس أنه يُدعى الأمين "السطيرلي بن موسى لامالي"[2]، وقد كان يُدير الأوقاف الخاصة بمكة المكرمة، حيث نجد اسمه وألقابه، في عقد أصلي مؤرّخ بسنة 1064هـ/1654م، تحت اسم الحاج علي خلاّطو بن موسى الأندلسي، أمّا الثاني اسمه إبراهيم، شيّد عدة مباني منها مخزن للعسكر، وكتابته التذكارية محفوظة بالمتحف العمومي للآثار القديمة[3]، كتبت باللّغة العثمانية، مؤرخة بـ 1077هـ/1666م كتب فيها:

أيا سلطان محمد خان غازي صدر عدل كن // جزائر قصرنه ضم اولدي

بر طوبخانه عضما // انك بنا سنهز يادى اولان باشا أحمد// عسكر

منصور اندى جهد اقدام ابتداء// سعاد تله تمام اولدي ديدي جرمي

اكا تاريخ// رمى صائي اور زهي طوبخانه زبيا// على يد الفقير ابراهيم

بن موسى// عام سبعة وسبعين والف .[4]

أمّا عن ترجمة النّص فهي كالتالي: أيّها السلطان محمد خان الغازي، لقد تحقق العدل بفضل حكمك. انضمت قلعة الجزائر إلى نطاق دولتنا بفضل مدفعيّة عظيمة. إن باشا أحمد الذي ازداد شرفًا بك، قد قاد جيشًا منتصرًا، وأبدى جهده بإخلاص منذ البداية. وقد تحقّق النّجاح الكامل بفضل سعادته. هذه الكلمات

---

[1]- Gabriel Colin, op.cit. p 42.

[2]– بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر...، ص255.

[3]– صليحة جدي، «حرفة البناء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ومساهمة الطائفة الأندلسية على ضوء وثائق من الأرشيف والكتابات الأثرية»، مجلة آفاق علمية، مج 13،ع04، 2021م، ص ص776–777.

[4]- Gabriel Colin, op.cit, p38.

تُوثق الحدث التاريخي. أُطلقت مدافع "الطوبخانة" الكبرى، وكان ذلك على يد الفقير إبراهيم بن موسى وذلك عام 1077هـ".[1]/ 1666م.

ثالثا: مواد وتقنيّات بناء العمارة المدنيَّة بالجزائر خلال العهد العثماني.

كانت مواد البناء التي استخدمت لتشييد العمائر في الجزائر قبل وبعد مجيء العثمانيين، كثيرة ومتنوعة مستمدة أغلبها من العناصر الطبيعة المحيطة بالمدن الجزائرية، حيث يشير الدكتور شاو أنّ جميع الحجارة التي استخدمها الرُّومان، في بناء مدينة الجزائر مأخوذة من محيط المدينة[2]، وقد تفنَّن في استخدامها المهندسون وذوي الخبرة، في إنتاج تُحف معمارية بهندسة راقية، و كان حرصهم شديداً على أن يكون المبنى صلباً ومقاوما لجميع العوامل الطبيعية، فقد كانت مواد البناء متوفّرة في جميع أنحاء مدينة الجزائر، أمّا عن الأدوات المستخدمة في البناء، فلم تذكر المصادر التاريخية الكثير حولها، لكنَّها على العموم كانت أدوات بسيطة، وكان العمّال يعتمدون بشكل كبيرة على المهارة اليدوية، وبالاعتماد على نص لابن الرامي الذي يعدُّ مصدراً هاماً لمعرفة عدّة مسائل متعلقة بالبناء، فقد ورد في حُكمه على نازلة متعلّقة بالإجارة(التأجير) والجُعل[3] في البناء، يمكن أن نستخلص من النّص أهم الأدوات التي كانت تستخدم في البناء آنذاك، فقد ذكر في النّازلة أنّ على البنّاء أن يوفر الأدوات التالية : الفُؤوس، والدّلاء، والقِفَافْ، وتعتبر هذه الأدوات أساسية، إلى جانب بعض الأدوات الأخرى مثل: الآنيات الكبرى، التي تُفرغ فيها المياه والمِسْحَاةْ(المجرفة) والمِعْوَل والعَتْلَة(قضيب حديدي يستخدم لفصل الأجزاء)[4].

كانت المواد البناء المستخدمة في مباني الجزائر خلال العهد العثماني متنوعة ومثّلت حجارة التُّوف المادة الأكثر استعمالاً في القاعدة أو الأساسات، وكانت الجُدران تُصنع من الطّوب المُجفّف بالشّمس أو الطوب المَشْوي، كما كان المَلاط ممتازاً، وكان يُشكّل من التُّربة الحمراء ورمل المَحَجر والجير الدّهني. كان الخشب يُستخدم في الأرضيات، والجدران، ودعائم الأروقة الداخلية، ودعائم الحواف الخارجية، والسقوف، خاصة جذوع شجرة الأَرَزْ، التي يَتم جلبها من المناطق المحيطة بالمدينة[5]. يشير رنيه ليسبيس أنّ الهندسة

---

[1] -Gabriel Colin, op.cit, p39.

[2] -D. Shaw, op. cit, p43.

[3] – **الجعالة** أو **الجعل:** هي ما يُجعل للإنسان على فعل شيء، أو ما يقدمه على أمر يفعله في صورة المكافأة فهي عقد أو التزام الشخص به بإرادة منفردة...، للمزيد راجع: ميمونة حامد، وآخرون الإباحة والإجارة والجعالة، مج1، جامع الكتب الإسلامية، المكتبة الشاملة، 2019م، ص20

[4] - عبد اللطيف الخلابي، المرجع السابق، ص231-232.

[5] - René Lespés, Alger étude de géographiée d'Histoire urbaines thèse pour le doctorat faculté des lettres, paris, libraire Félix Alcan 1930,p169 .

المعمارية للدُّور المغاربية في مدينة الجزائر، مَوحّدة تبدو كأنّها بُنيت من قبل فريق واحد من العمال، وهو ما يفسّر تَكيّفَها المثالي مع نمط الحياة وعادات سكانها.[1]

ولمعرفة أهم المواد المستخدمة في البناء، يمكننا استغلال الوصف الذي تُقدمه المصادر التاريخية لمختلف المباني، فمن خلال ثلاث نُصوص وصف فيها هايدو بعض المنشآت في مدينة الجزائر، يُمكن أن نستخلص أهم المواد التي استخدمت في بناء العمائر في مدينة الجزائر، كلُ فيما نفذ به، ففي وصفه لفناء الدُّور يقول:" و**أفنية الدُّور مبنية بالطُّوب ذي الذوق الرّفيع، وجدرانها مزيّنة ببلاطات خزفية مختلفة الألوان، والشيء نفسه ينطبق على الدّرابزين والممرّات الموجودة داخل الأفنية،**[2]. وأمّا في وصف دار الإمارة، فلقد أضاف لنا بعض مواد البناء الاخرى يذكر: "**الدّار الملكية وهي مكان إقامة الباشوات، تُفتح على ساحتين كبيرتين، قطر كل واحدة ستة وثلاثين قدماً وكلاهما مرصوف بالآجر، وتحيط بهما أروقة ذات أعمدة من الرُّخام حسنة التّنفيذ وشديدة البياض نرى الكثير من الغرف،... بعضها مكسوّ بالواح الخشب من البلوط الجيد**"[3]. وفي ذكر النّوافير الجميلة داخل المدينة أو بالقرب من أسوارها يقول: "هناك **واحدة قرب قصر السّلطان يُستخدم ماؤها الموجود في حوض من الرّخام لأغراض القصر والبيوت المجاورة، وفي السّاحة الصغيرة أمام القصر هناك نافورة أخرى، بناها حسن باشا 1580م تحتوي النافورة على خزّان من الماء يصب في حوض رخامي متقن الصُّنع**[4].

من خلال النّصوص الثلاثة نستخلص، أنّ مواد البناء المستخدمة كانت درجة عالية من الحرفية والجمال، فقد أُستخدام الطوب الفاخر والبلاطات الخزفية الملوّنة، مما يعكس الاهتمام بالتَّفاصيل في البناء والزّخرفة، وتلك المواد تجَمْع بين المَتانة والجمال في آن واحد، لما تتمتع به من خصائص، إنّ شكل الأعمدة الرّخامية البيضاء في دار الإمارة، تعكس الفخامة والرُّقي في الهندسة المعمارية، كما أنّ الألواح الخشبية المزيّنة بالزّخارف المغربية والعثمانية، تُبرز التّبادل الثّقافي والفني، الذي كان جزءاً من تاريخ مدينة الجزائر. ساهمت النوافير الرُّخامية في إعطاء قيمة جمالية للمبنى على غرار أهميتها في تلطيف الجو وتوفير الماء الجاري.

كما تُعدّ دفاتر الأوقاف مصدرًا مهمًّا لمعرفة مواد البناء المستعملة، وذلك من خلال تتبّع المصاريف المُقيّدة في هذه السجلات، والتي تُبيّن المواد الأساسية المُستخدمة في أعمال البناء والترميم. ومن بين هذه

[1]- René Lespés, op.cit. p170.
[2]- Fray Diego De Haedo, topographie…, op.cit. p p 111.
[3]- ibid, p p113.
[4]- Ibid, p115.

السجلات، تبرز وثيقة تتعلّق بمصاريف أوقاف جامع "عبدي باشا"، مؤرّخة بسنة(1143هـ/1729م)، حيث تُظهر أن المواد الأكثر استخدامًا في البناء آنذاك كانت الحجارة والحصى والجير والتّراب[1]. كما هو موضّح في الجدول التالي:

الجدول رقم(06) يمثل بعض المواد والمستلزمات التي كانت تستخدم في البناء.

المادّة أو العنصر كما ورد في الوثيقة.	الوصف أو الاستخدام المحتمل
حبل	يُستخدم في النقل أو التثبيت أثناء البناء
لوح لباب الحمام	ترميم باب خشبي
البياض	مادة جيرية لتبييض الجدران
كريش	حصى صغير يُستخدم في خلطات البناء أو الاساسات
جير للمخزن	مادة مخصصة لتبييض الجدران عازل جيد للرطوبة
تراب وكريش	يُستخدم في التأسيس أو الردم
حق العلوي بناء وتراب	أعمال بناء تخص" العلوي"
تراب لدار اليهود	أعمال بناء أو ترميم في دار اليهود
قريش	قد تكون تحريفًا لكلمة" كريش"، أي الحصى المستخدم
جير	مادة أساسية في التبييض والبناء
يجور	نوع من الطوب يُستخدم في البناء
حجر للحمام	حجر لتجهيز أرضية أو جدران الحمام
حجر السقيف	حجر يُستخدم في بناء السقف
جير وحمالة	مادة جيرية مع أدوات الحمالة
جير	يستخدم لطلاء الجدران
تراب	مادة تستخدم في الاساسات أو خلطات البناء

المصدر: الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب. ع 29 سجل231.

1-الحجارة

كان الحجر يُستعمل كمادة أساسية للبناء في أغلب المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، لما تتميز به الحجارة من صلابة تجعل المبنى مقاوما لعوامل الطبيعة، فلقد توفّرت فحوص مدينة الجزائر على هذه

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع29، سجل231.

المادّة وبكثرة، في محاجر بوزيعة، وباب الوادي، وإلى جانبه اُستخدمت مواد أخرى بشكل كبير، منها الآجر والقِرميد[1].

كانت الحجارة تستخدم بشكل كبير في بناء الأساسات، ولسدِّ الفراغات بين الجُدران التي كانت تُبنى بمادة الآجر، حيث يذكر رينيه ليسبيس أنّ منطقة واد كنيس والقبة والأبيار كانت تتوفر على حجر التُّوفْ (pierres de tuf) الذي يستخدمه عمّال البناء طوال الوقت لتأسيس المباني، وكان العيب الوحيد في هذا النّوع من الحجارة؛ أنها تنهار إذا لم تَتَصلّب بدرجة كافية في الهواء[2]. لهذا يتم أحيانا الاستعانة بالحجارة الأكثر صلابة في صناعة دعائم المبنى، حيث يشير الدكتور شاو أنّه يوجد في ضواحي مدينة الجزائر، نوع من الصخور جيدة وممتاز، يمكن استخراج الحِير منها، لكنّها لم تستغل بشكل كبير، تدعى المَارْن(les marnes)، لكن العَرب والبَربر يستخرجون منها ألواح صلبة جداً، يبلغ سُمكها سنتمترات وطولها مترين، يَستخدمونها في بناء المقابر، وفي السّلالم ودعامات النّوافذ، ويتم إحضار هذه الألواح إلى مدينة الجزائر حيث تُستخدم لنفس الأغراض.[3] ويَتم جلب الصّخور إلى المدينة بشكل أساسي من منطقة تامنفوست، وكان العبيد المسيحيون يقومون بنقلها إلى مواقع البناء[4]. وما يؤكّده استخدام الحجارة في الأساسات وصف شلوصر لقصر أحمد باي بمدينة قسنطينة، بأنّ هيكل المبنى اُستخدمت فيه الحجارة المقطوعة القادمة من الآثار الرُّومانية، مع طبقات من الطُّوب مغطاة بطبقات من الرّمل، وكذلك أقواس وأروقة القصر، فهي مصنوعة من الطُّوب.[5]

كانت الحجارة تعدُّ مادة أساسية ومهمّة في البناء، حتى أنّه يتم جلبها بمختلف الوسائل والطُّرق حتّى بواسطة السفن، حيث يذكر الأسير جيربيت ميتزون (Gerbet Metzon) (1814-1816م) في مذكّراته أن الحجارة يتم جلبها من مكان ما عبر السُّفن، ثم يتم تفريغها في الميناء[6]. دون أن يذكر لأي غرض يتم استخدامها، هذا لا يعني أن الحجارة نادرة في ضواحي المدينة، والغرض من نقلها عبر السّفن إلى الميناء ربما لبناء التّحصينات الدّفاعية أو لترصيف الميناء، فعوض أن يتم نقلها عبر شوارع المدينة الضّيقة بواسطة العربات التي تجرها الحمير والبغال، يتم الاستعانة بالحجارة في المناطق القريبة من المدينة،

---

[1]- زهية بن كردة، المرجع السابق، ص166.

[2]- René Lespés, op.cit. p55.

[3]- D.Shaw, op.cit, p27.

[4]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص219.

[5]- فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص10.

[6]- جيربيت ميتزون، يوميات أسير في الجزائر 1814- 1816م تر: فرنسية ج. ه بوسكيوج، ق. بوسكيميراندول، تع: محمد زروال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص35.

ويتم جلبها في السّفن لتوضع مباشرة في الميناء. ويشير ليسبيس أنّه لم تَكن المواد الحجريّة للبناء مفقودة، فقد كان هناك حجر باب الواد الأزرق، الذي أُستخدم على سلالم شوارع المدينة العليا، وكذا على الممرّات العثمانية القديمة، والتي يعتقد أنها سُميت خطأ بالممرّات الرّومانية.[1]

إن استخدام الصّخور في تَرْصيف الشّوارع وسلالم المدينة دليل على وفرتها. واستخدامها الواسع في مختلف المنشآت دليل على أهميتها، كما أنّ هناك أنواع عديدة من الحجر كانت موجودة في ضواحي مدينة الجزائر وهي غير مستغلّة، وفي هذا الصّدد يذكر دكتور شاو أنّ المغاربة لا يستخدمون صخرة النِّيسْ(le gneiss) لأي غرض من الأغراض، رغم أنّه يُمكن استخدامها كحجر للبناء، وإنشاء الطّرق[2]. ويتم استخدام الحجارة بعد قطعها وتعديل شكلها، لكي تَسْهُل عملية ترصيفها، واستخدامها في البناء، حيث كان هناك مُعلّمون مختصّون في تقطيع الحجارة، وردت أسماء العديد منهم في وثائق الأرشيف، نذكر منهم: عياد العباسي" قاطع الحجر" ، وعبد الله "الحجار"، ومعلّم "الشّرشالي" خادم الحجر[3].

2-التُّراب

يعتبر التُّراب من المواد الأساسية المستخدمة في انشاء المباني بالجزائر خلال العهد العثماني، فقد شاع استخدام الطّين كمادة للبناء منذ القديم، يُستخرج أحياناً قرب موقع البناء، أو يُجلب من بطون الأودية ومجاري الأنهار. يقوم العمّال بتصفيته وازالة الحجارة والنبات منه، والتي قد تتسبب في تسوس الجدران وتظهر بالبناء. كما كان التراب يُستخدم في صناعة الطُّوب، والآجر ورصّ الأساسات، وتماسك الجدران والأسقف[4].

3-الرُّخام.

يعدُّ من أكثر مواد البناء فخامة. أُستخدم الرّخام[5] بكثرة في تزيين القصور والدور الفاخرة كما هو الحال في دار الإمارة(قصر الجنينة)، أمّا أغلب المنشآت فنجده في الأعمدة الحلزونية والأسطوانية التي تحمل تيجاناً كورنيثية، وهذا لا يعني أنّ كُل الأعمدة كانت مصنوعة من الرُّخام، فقد كان الحجر كذلك

---

[1]- René Lespés, op.cit. p56.

[2]- D. Shaw, op.Cit, p 42 .

[3]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، ع30-31، سجل269، وكذا، ع28، سجل 215 .

[4]- رفيقة لعزازي عقيق، المرجع السابق، ص ص 56-57.

[5]- **الرُّخام:** هو حجر كلسي مُتصلّب من كاربونات الكالسيوم ينشأ من عمليات تحول طبيعية، يكون أبيضاً أو بألوان مختلفة تبعا لما يتخلّله من شوائب. يتم جلبه من المحاجر وتقطيعه إلى أشكال هندسية حسب العنصر المراد صنعه، ثم يُنحت بواسطة مِنقاش حتى يحصل إلى الشكل المراد. و يتم قلع الرّخام بشكل مفضّل في فصل الصّيف. راجع: هواري العياشي، نماذج من المساكن...، المرجع السابق، ص137-136.

يُستعمل في إنشاء بعض الأعمدة كما يذكر داريفيو في مذكراته[1]. أُستخدم الرّخام بشكل كبير في صناعة أحواض المياه في العيون العامة والنوافير، لأنّه أملس ومقاوم للماء مما يساهم في المحافظة على نظافة العيون، يذكر هايدو أنه يوجد عدة نوافير جميلة داخل المدينة بها أحواض من الرّخام ، وجدرانها محاطة ببلاطات من الزّليج الأنيق.[2]

كانت الجزائر خلال العهد العثماني تستورد الرّخام، حيث يشير فونتور دي بارادي، أنّ معاهدة السّلام التي تمت بين الجزائر وإسبانيا، ادخلت التّرف إلى الجزائر العاصمة؛ فبَنى الحكّام الحدائق والدُّور الفاخرة لزوجاتهم، والمغطّاة بالرّخام الذي تم جلبه من جنوة وليفورن[3]. هذا لا يعني أن الرّخام غير متوفر في الجزائر، فمن أهم المناطق التي كان يُستخرج منها الرّخام في الجزائر خلال الفترة الرّومانية، منطقة فلفلة في (سكيكدة حاليا)، ومقلع شنوة في (تيبازة حاليا)[4]. وتشير دراسة أمريكية مهمّة قام بها بعض الباحثين، من خلال تحليل عيّنات من التماثيل الرُّخامية، التي تعود إلى الفترات القديمة، وهي محفوظة في متحف سكيكدة. توصّلوا إلى أن أغلب التّماثيل كانت منفّذة على رُخام محليّ وهي مطابقة لرخام محاجر فلفلة، والقليل منها منفّذة على رُخام مستورد من منطقة كرارا الإيطالية[5].

كما يذكر دكتور شاو أن الرّخام الأبيض كان يُستخدم سابقاً في الآثار الجنائزية، وفي المنشآت في مدينة الجزائر. لكن تمّ التّخلي عن استخدامه[6]. لا نعلم الأسباب التي أدّت إلى التخلّي عن استخدام الرُّخام الجزائري بكثرة في المباني التي شيدت خلال العهد العثماني، وما إذا كان ذلك مرتبطًا بتفوّق الرُّخام المستورد من حيث الجودة أو من حيث الخصائص التقنية. وقد يكون الأمر ناتجاً عن عوامل اقتصادية، أو تسويقية أكثر من كونه مسألة جودة فعلية.

لم يقتصر استخدام الرّخام على المباني الفاخرة فقط؛ فقد زُيّنت به القبور، وما يؤكّد استخدام الرّخام والحجارة ذات القيمة في المقابر، ما أشار إليه فاغنر الذي يذكر أنّه مع بداية احتلال الجزائر قام الفرنسيون بنبش للقبور، بحثا عن الأموال، وتم نقل الحجارة الرّخامية التي تزيينها إلى أمكنة أخرى[7]. لقد عرفت الجزائر

---

[1]- Avrieux, Chevalier d . Mémoires du Chevalier d'Ariveux, J-B Delespine, Paris 1735, p 227

[2]- Fray Diego De Haedo, topographie… op. Cit. p 220.

[3]-Venture de Paradis, op.cit,.p121.

[4]– هواري العياشي، نماذج من المساكن...، المرجع السابق، ص136.

[5]- John J. Herrmann Jr., Robert H. Tykot, and Annewies Van Den Hoek, «Mt. Filfila and Marble in Rusicade (Skikda, Algeria) in Roman Times», Proceedings of the XII ASMOSIA Conference, Dokuz Eylül University, Izmir, Turkey, 2023,p 83.

[6]- D.Shaw, op.cit, p59

[7]– أبو العيد دودو، المرجع السابق ، ص112.

خلال العهد العثماني استخدام واسع للأعمدة الرّخامية، حيث لا يكاد مَعلم أثرى يخلو منها في مدينة الجزائر وقسنطينة، ومعسكر، ووهران، وغيرها من المدن. مهما كانت بساطة المبنى[1]. ويذكر شالر عن مكان إقامته الذي كان عبارة عن بناية بها طابقان للسُّكنى، يحيطان بفناء مفتوح مُرْصُوف بالمَرمَر، مساحته ثلاثون قدما مربعاً حوالي(2.79م²)، وحوله رواق مغطّى اتساعه(عرضه) ستّة أقدام حوالي(1.82م)، ومعه اثني عشر (12) عموداً من المرمر الإيطالي، البالغ الأناقة والجمال حول الفناء[2].

4-الزّليج

هو نوع من البلاطات الخزفية، يُرجَّح أنّ أصل الكلمة إسباني مأخوذة من اللفظ (Azulejo) وهي تعني اللون الأزرق، وفي قاموس اللّغة الإسبانية تُصنّف الكلمة على أنّها عربية وكُتبت(Azzulicha).أمّا في معاجم اللّغة العربية فهي تعني الصّخر الأمْلس، لأنّ الصّخور الملساء تتشابه في طبيعتها، مع البلاطات الخزفية[3]. أُستخدم الزّليج بشكل واسع في الدّور الفاخرة بمدينة الجزائر، حيث يذكر فونتور دي بارادي: "**أن جدران وأرضيات الدّور بمدينة الجزائر، مغطّاة ببلاط خزفي جميل مطليّ بالمينا و بألوان مختلفة، يُحصل على هذا البلاط من تونس وإسبانيا**"[4]**يسمّونه الزليج**(zelis)[5]. و يضيف أيضا قائلا: "**أن بلاطات الزّليج تُساهم بشكل كبير في تبريد القصور والدّور، في بلد يتميّز بالحرارة**[6]. علاوة على دور بلاطات الزّليج في تزيين الدّور، تتميز بسهولة تنظيفها بالماء.

يذهب العديد من الباحثين الذين اعتمدوا بشكل كبير على المصادر الأثرية ومعاينة البلاطات التي تم العثور عليها في مختلف العمائر، إلى أنّ بلاطات الزّليج التي أُستخدمت في عمائر مدينة الجزائر

---

[1]- زهيرة حمدوش، «الأعمدة الرخامية بالجزائر خلال العهد العثماني»، حوليات الاتحاد العام للآثاريين العرب، مج20، ع01، 20017م، ص1064.

[2]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص60.

[3]- علي بن بلة، محمد المقراني، «دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة في المتحف الوطني للآثار القديمة»، مقال منشور في حوليات المتحف الوطني للآثار، ع04، 1994م، ص ص11-13.

[4]- Ventures de paradis, op.cit, p121.

[5]- كانت الجزائر تستورد العديد من المواد، من بينها بلاطات الزليج التي كانت تُجلب من تونس، وإسبانيا، وحلب. وكان يُطلق عليها اسم "زليس (zellis) "أو "زليج". وقد كانت هذه البلاطات من بين ما تم نقله من المرسى الكبير في وهران بعد خروج الإسبان. كما جُلب الزليج أيضًا من إيطاليا، وتحديدًا من مدينة نابولي، حيث تُشير وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، في سجلات بيت البايلك المتعلقة بعلاقات الجزائر الخارجية، إلى ورود كمية كبيرة من بلاطات الزليج الصغيرة والكبيرة تحت مسمى "زيلايج أنابولي."....، للمزيد راجع: عبد العزيز محمود الاعرج، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص15.

[6]-Ventures de paradis, op.cit, p122.

مستوردة من دول مختلفة، مثل: تونس، تركيا، إيطاليا، هولندا، وإسبانيا، وأنّ ما تمّ استخدامه من زليّج محليّ مصدره بعض الورشات في مدينة تلمسان[1]. ويذكر عبد العزيز الأعرج أنه تمّ الزّليج استخدام خلال العهد العثماني في المباني بمدينة الجزائر وقسنطينة، ونادراً ما أُستخدم في مدن الغرب الجزائري، باستثناء أمثلة بسيطة في وهران وتلمسان، ذلك لأنّ مدن الغرب لم تشهد نشاطاً معمارياً كبيراً خلال تلك الفترة، بفعل الصّراع القائم بين حكّام الجزائر والحاميات الإسبانية في المرسى الكبير بوهران حتى سنة 1792م. وتضمّنت بلاطات الزّليج في هذه المباني ثلاثة، أنواع النّوع المصنوع في تركيا والنّوع المصنوع في تونس والنّوع المصنوع في أوربا[2].

لكننا عثرنا على وثيقة مؤرخة بسنة 1128هـ/1715م ورد فيها: "**توفي السيد محمد بلك باش الجقماقجي كان عبد الله وخلّف جميع الثلث الواحد (كذا) من جميع الدار الكاينة قرب جامع المرحوم السيد أحمد بن صلاح الشهيرة بدار الزلايج** "[3]. نحن نعلم أن كلمة دار هنا يقصد بها محل الحرفة فهل هذا يعني أن هذه الدّار كانت تشتغل على صناعة الزّليج المحلي وهذا ما يتطلب البحث أكثر في ما اذا كانت كل البلاطات المستخدمة في تزين عمائر المدينة كان مستورداً من خارج الجزائر. حيث يشير سعيدوني أنّ من بين الصّنائع التي جلبها الأندلسيون، إلى مدينة الجزائر ومدينة البليدة، نوع جديد من الخزف المزلّج (Céramique de l'email)، وهي مربّعات صغيرة من البلاط مطليّة بألوان مختلفة، تعرف بالزّليج (Zelidj)، كانت تُستخدم في تزيّين الجدران والعيون[4].

لقد عرفت منطقة المغرب العربي والأندلس نوعين من الزّليج لم تعرفه دول المشرق في العصر الإسلامي وهما أوّلا الفسيفساء التي تقوم على تقسم البلاطات الخزفية إلى أشكال صغيرة ثم يتم رصفها إلى بعضها باتباع هندسة زخرفية دقيقة ينتج عنها لوحات فنية برسوم بديعة وألوان مختلفة والنوع الثاني يقوم على تلوين البلاطات الخزفية بألوان زاهية ومتنوعة مع إبقاء جزء منها دون طلاء يسمح بإبقاء لون الطينة الخزفية[5].

---

[1]– سوكحال محمد الهادي، « قبوب لخضر سليم، دراسة تشخيصية لبلاطات الزليج في قصر رياس البحر بالجزائر العاصمة»، مجلة التنوير، مج01، ع01، 2018م، ص29–32.

[2]– عبد العزيز محمود الأعرج، الزّليج ...، المرجع السابق، ص18–19.

[3]– وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات3205، و34.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الإبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 2003م، ص49.

[5]– سوكحال محمد الهادي، قبوب لخضر سليم، المرجع السابق، ص28–29.

5-الآجُر

يعدُّ الآجر[1] مادة أساسية للبناء في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث كان يُستخدم في مختلف أجزاء المبنى، خاصّة العناصر ذات الأشكال المعقدة، كالقباب، والعقود النصف دائرية، والأقواس، وأطر النوافذ والأبواب، التي تتطلب وحدة بناء مستقيمة الجوانب[2]. ولما يتميّز به الآجر متانة وخفّة في الوزن زيادة على مظهره الجميل[3]. أُستعملت مادة الآجر بشكل واسع في عمائر مدينة قسنطينة، حسب دراسة تقدّم بها الباحث هواري العياشي، تخصُّ نماذج من مساكن مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، فهو يؤكّد أن الصّلابة والخفّة الوزن من بين مميزات الآجر، ممّا جعله مادّة مطلوبة في البناء، ليس في قسنطينة فقط بل في عدّة مدن جزائرية. حيث يذكر دكتور شاو(.D.Shaw) أنّه تم استخدمت المواد الطّينة بشكل كبير في البناء، خاصّة في مدينة البليدة والقليعة[4].

وحسب الدّراسة التي قام بها رنيه ليسبيس حول مدينة الجزائر، فقد ذكر أنّه لم يكن يُوجد نقص في مواد صناعة الطّوب. مثل: المارن الساحلي في منطقة البيار(les marnes sahéliennes) ومارن البليوسين(les marens pliocènes) والطين الغرانيتي (les argiles alluvionnes) في وادي الحراش السفلي. كانت هذه المواد مناسبة بشكل جيّد لصناعة الطّوب المحروق[5]. وتذكر الباحثة نعيمة رزوق أن الآجر أُستخدم إلى جانب الحَجر والقِرميد، لبناء قنوات صَرف المياه، فقد عُثر في قصر الداي بالقصبة العليا على قنوات مبنيّة بمواد متنوعة، بالحجر والأجر والقرميد أُستخدمت لصرف المياه[6].

تقوم تقنيّة صُنع الآجر أولاً على استخراج الطّينة، ثم تعريضها للأمطار في فصل الشّتاء بغرض تصفيتها، ثم تُغطس في حوض مائي سمكه(50سم) وتحرك باستمرار، حتى يتمكَّن الماء من الوصول إلى كافة أجزائها، وقد تدوم العملية لشهرين، لأنّ عدم تجانس المادّة قد يؤثّر في عملية القَوْلَبَة، ويُحدث الشُّقوق في الأجر. يتم وضع الخليط الممزوج في قوالب خشبية، تختلف مقاساتها من منطقة لأخرى، وتُوضع في

---

[1]- يقصد **بالآجر** طبيخ الطين والكلمة فارسية واللفظة آرامية. راجع: بطرس البستاني الآجر تعريفه واستعماله، نقلاعن: هواري العياشي، المرجع السابق، ص133.

[2]- فيما يخص المقاسات فغالبا ما يكون طوله شبراً وعرضه نصف شبر، أمّا الارتفاع فيكون ما بين أصبعين إلى ثلاثة أصابع، وتختلف المقاسات من منطقة لأخرى... ، راجع: سعيد مهيبل، «المواد الطينية المستعملة في بناء منشآت قلعة الداي بالجزائر»، مجلة دراسات إسلامية، مج11،ع 02، 2016م،ص58.

[3]- المرجع نفسه، ص57.

[4]- D. Shaw, op.cit .47.

[5]- René Lespés, op cit.p 55.

[6]- نعيمة رزوق الشبكة المائية بالقصبة العليا... المرجع السابق، ص208.

أرضية ملساء أو فوق طاولات مخصصة لهذا الغرض، ثمّ يتم ضَغطُها و إزالة الزّوائد عن شكل القالب، ثم تأتي عملية التجفيف، للتّخلص من كميّات المياه بعيداً عن أشعة الشّمس حتى تتسرب ببطء. وبعد عملية التّجفيف الطبيعية، يتم وضع الآجر في أفران مخصّصة تصل درجة حرارتها ما بين(800) إلى(1200) درجة مئوية[1].

كان فرن طهي الآجر يتشكل من جزأين، سُفلي تُوقد فيه النار، باستخدام الحطب والوقود، وقسم علوي مسطّح يُرصف فيه الآجر، بشكل يسمح بوصول الحرارة إلى كل أجزائه[2]. كما كانت بعض الأفران في الجزائر خلال العهد العثماني متوزّعة على فحص باب الواد، وباب عزون، وبلاد القبائل. فقد ورد في وثيقة عن ورشة لصناعة الآجر مؤرخة بـ 1239هـ/1823م: "**الساحة المعدّة لقطع اللّجور(الياجور) بإزاء الفرن الكاين باب عزون، اشتراها السيد يحي آغا الصباحية، وبنى فيها طبّانة بداخلها ستّة مدافع وجعل حائط بين الطبانة والفرن**" [3]. ومن الملاحظ من خلال قراءة محتوى الوثيقة أن كلمة اللّجور كانت تطلق على مادة الياجور.

6-القِرميْد

ما لاحظناه سابقا عند دراسة العناصر المشكلة لسقوف الدّور السكنية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنّ استعمال القرميد لم يكن منتشرا بشكل كبير، فسقوف المدينة أغلبها مسطحة، وكانت تعتمد السّقوف المسطّحة لاستغلال مياه الأمطار التي تتوجه عبر قنوات إلى خزانات تحت الأرض. إلا أنّنا نجد أنّه تم استخدام القِرميد في بعض عناصر السّقف لمنع تسرب المياه الى الجدران[4]. وكذا المضلّات المائلة فوق الأبواب والنّوافذ أو فوق العيون العامّة، فقد ذكر هايدو عن شكل العيون أنها موجودة في إطار داخل الحائط وكان يعلوها سقف من القرميد الأخضر في شكل قوس[5]. هذا وقد أُستخدم القِرميد بشكل كبير في الأسقف المائلة، كما هو الحال في مدينة قسنطينة التي عَرفت استخداماً واسعاً لأسقف القرميد. كما ذكرنا سالفاً. كما عُرفت المدن الجزائرية التي شهدت التواجد الأندلسي، خاصة البليدة والقليعة وشرشال بطابع عمراني مميز، استعملوا فيه القِرميد الأجوف؛ الأحمر المائل للزرقة. (Trilles Crues) ذلك في تغطية

---

[1]- سعيد مهيبل، المرجع السابق، ص ص58 -59.

[2]- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص482.

[3]- وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، ملفات 3205/، 2 و23.

[4]- **ملحق(12):** صورة تمثل نماذج من القرميد الأخضر الذي يستعمل فوق السطح، تُظهر الصورة بشكل جيد كيف يتم رصف القرميد فوق الأسطح لمنع تسرب المياه عبر الجدران. راجع: سعيد مهيبل المرجع السابق، ص61.

[5]- نادية مباركي، إطلالة على التجهيز المائي...، المرجع السابق، ص151.

سقوف الدّور ولم يستعمل هذا النّوع إلّا في القليل من دور الأندلسيين بمدينة الجزائر، لأنّ النّمط السّائد في المدينة كان مختلفاً.[1]

كان القِرميد يُصنع من طينة صلصالية متجانسة خاليّة من الشّوائب، تُدكُّ العجينة بالأرجل ويُضاف لها التّبن المهشّم، للحفاظ على التّماسك، وفي أثناء التّفْخِيْر يحترق ويُساهم في تخفيف الوزن[2]. وبعد اكتمال الطّينة، يُطلى ثلث القطعة بمادة خضراء براقة تمنع امتصاص الماء، لتفادي وصول مياه الأمطار إلى الجدران[3]. كما كان يتم تَفْخِيْرُ القِرميد بطريقتين: الأولى بترصيفه على سطح مستوي في الهواء الطّلق، وتعريضه لأشعة الشمس. والثانية بواسطة أفران مخصّصة لذلك تشبه أفران طهي الآجر.[4] أما عن شكل القرميد فيكون نصف أسطواني، ويتم رصفه بأن تُوضع الفوهة بالتّناوب، واحدة على البطن والثانية على الظهر، وتُلصق بمادّة الملاط، أو أن يتمَّ وضع القِرميد النّصف أسطواني مرصوفاً بعضه فوق بعض، في شكل خطوط تمتد من الأسفل إلى الأعلى، الجهة العريضة إلى الأسفل والضّيقة إلى الأعلى، وتُسدُّ الفراغات بمادة الملاط .[5]

7-المَلاط

من المواد اللاّحمة التي كانت تستخدم في الربط بين مواد البناء، وتمنع تشقّقها، وتستخذكم كذلك لسد الفراغات، وتغطية جدران الدّور والمباني لحمايتها من التّأثيرات الخارجية، والملاط خليط مكوّن من مادة صخريّة ، وقد تشكل بخلط الرّمل والطّين والجير ويُضاف إليه الماء ويُمزج بالمجرفة أثناء عملية البناء[6]. ويذكر دكتور شاو أن الجزائريين يستخدمون صخور "المارل" في صناعة الملاط، الذي استخدموه ومازالوا يستخدمونه في جميع منشاتهم، يخلطونه بالجير، بدلاً من الرّمل الذي لا يستخدمونه بشكل كبير[7]. هذا لا يعني أن الجزائريين لم يستخدموا الرّمل، حيث تكثر الرّمال في الشواطئ أو في المحاجر وتُستخدم مع الجير الدهني في صناعة الملاط، وهو الإسمنت المُستخدم في بناء دور مدينة الجزائر القديمة[8].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، المرجع السابق، ص99.

[2]- بن نعمان إسماعيل، «الصناعة التقليدية للقرميد المقعر في أرياف الجزائر منطقة القبائل نموذجا»، دراسات تراثية، مج09، ع01، 2015م، ص182.

[3]- سعيد مهيبل، المرجع السابق، ص60.

[4]- بن نعمان إسماعيل، المرجع السابق، ص181.

[5]- المرجع نفسه، ص181-182.

[6]- هواري العياشي، المسكن في قسنطينة...، المرجع السابق، ص135.

[7]- D. Shaw, op.cit p49 .

[8]- René Lesspés, op.cit , p55

8-الجِير

كانت مادة الجير[1] تستعمل بشكل أساسي لتبيض المنشآت المعمارية في الجزائر خلال العهد العثماني، وكانت تستخدم كطلاء للدّور خاصّة من الخارج، وهذا ما يؤكّده داريفيو الذي وصف شوارع ودور مدينة الجزائر بأنّها مبيّضة بالجير[2]. ويذكر ليسبيس أنّ مدينة الجزائر بُنيت على منحدر تكدّست فيه البيوت في شكل مكعبات بيضاء، فيها نوافذ صغيرة في شكل ثقوب، في هذه الكتلة المدمجة لا يوجد فراغات باستثناء ساحة أمام قصر الجنينة مقر إقامة الباشوات، إلى غاية 1817م.[3].

وتشير الوثائق الأرشيفية إلى قِدم صناعة الجير في مدينة الجزائر، فقد ورد في عقد مؤرّخ بأواسط ربيع الأول سنة(1101هـ/1689م)، شهادة تُفيد بأنّ محمد بن عبد المالك الجيّار كان يملك فرنًا مخصصًاً لصناعة الجِير، يقع قرب زاوية "الشيخ المبارك سيدي عبد القادر"، إضافة إلى ثُلث بناء ملاصق للفُرن الكبير المجاور لفُرن ابن "بوسعدية" قبل عشرون سنة .[4] وتدل هذه الإشارة على أن أفران الجير كانت قائمة منذ عقود قبل تاريخ العقد، مما يعكس أهميّة هذه الصّناعة.

كما أن هناك جماعة حرفيه مهمة هي "جماعة الجيّارين"، الذين وردت أسماءهم في الوثائق الأرشيفية ومنهم: السيد ابن محمد بن عبد المالك الجيّار، وهذا دليل على انتشار هذه الحرفة بالمدينة. وهذا ما يؤكده دكتور شاو الذي يشير سكان مدينة الجزائر استخدموا بشكل خاص الحجر الجيري الموجود بكثرة في ضاحية باب عزون لتصنيع الجير، و هذه الصّخور يتم إيقادها في أفران باب الواد، ويَنتجُ منها جير دهني يُستخدم للطّلاء[5]. حيثُ يتم إيقاد الصّخور الجيريّة، ثم يتم هَرسها حتى تُصبح ملساء وتخلط بالماء لتنتج لنا الطلاء، ولم يقتصر استخدام الجير على مدينة الجزائر فقط، فقد أُستخدم كذلك في مدن الغرب الجزائري على نطاق واسع في مدينة وهران، حيث يذكر دكتور شاو استخدم المغاربة و الإسبان للحجر الجيري، على نطاق واسع في البناء بمدينة وهران، ولهذا الغرض تم إنشاء أفران الجير المجودة حول المدينة[6].

---

[1]- يُعرف أيضا **بالجِبْس** وهو من أنواع الصخور الرسوبية، ينتج حين تبدا المياه الضّحلة بالجفاف وغالباً ما ينتج عن ترسُّبات مياه البحار، وتُشكل تلك التّرسبات ما يسمى بالحجر الجيري، في بعض المناطق الجافة ذات الأحواض الصغيرة التي تغذيها كميات محدودة من المياه ...، للمزيد راجع: أطلس الصّخور والمعادن، ط1، تر: عناد الدين افندي، دار الشرق العربي، بيروت (لبنان)،2014م، ص56.

[2]- CH. Avrieux, op.cit. p225.

[3]-René Lesspés, op.cit. p166.

[4]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. م. ش، ع55 و22 .

[5]- D. Shaw, op. Cit. p58

[6]- ibid .p 68.

ونظرا للاستعمال الواسع لمادة الجير، أصبح من المواد الأساسية في البناء وطلاء الجُدران، ما جعلها محطّ اهتمام مؤسّسات الوقف، فعملت على امتلاك أفران للجير، فقد أقامت مؤسسة الحرمين الشريفين فرناً للجير على رقعة محبسة على الفقراء، بمكان يُسمّى السّد وقد قُيّد هذا في سجلاتها، حيث تذكر السّجلات أنّه بدأ إنتاج الجير أواخر سنة(1079هـ/ 1669م)[1].

وفيما يخصُّ القائمين على الطّلاء فكانوا يسمون الجيّارين أو البيّاضين[2]، نسبة إلى لون الجير الأبيض، وكانت هذه المهنة رائدة في الجزائر خلال العهد العثماني. وهذا من حرص السّكان على نظافة البيوت من الداخل والخارج، كما أنّ مادّة الجير تَمنع تسرّب الرّطوبة إلى جدران الدّور، ومن أهمية هذه المادّة ورواجها في الأسواق، ولضبط السوق منع الحمّالون من المتاجرة بها، وتم تحديد مهامهم بالحِمالة فقط. فقد ورد مخطوط قانون الأسواق لعبد الله الشويهد قوله: " **الحمد لله قانون عملوه اللولانيين**(الأولون) **الله يرحمهم، الدّلالين بسوق الكبير لا يتجروا واللي يظهر عليه التجار يبطّل من السوق، لا يكون الدّلال تاجر والسلام. وكما أن حمّال الزيت ماله الحمالة والي يظهر عليه التجار يبطّل من الحمالة، وكما أن حمال الزرع لايتجر ماله إلا الحمالة والسلام وحمال البيّاض ماله إلا الحمالة، وجدنا في زمام الشيخ الله يرحم هذه العادة باش ما نضرش حد والسلام عام 1045هـ**"/1635م[3].

9-الجِصّ

هو مادّة موجودة في الطبيعة بشكلها النّقي في شكل صخور يتم حرقها حتى تفقد ماء التّبلور ثم يُسحق الصّخر حتى يصبح دقيقاً ناعماً، ويُمزج بالماء لاستعماله[4]. تتوفر كانت مدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني تتوفر على كميّات كبيرة منه، وكان يتم استخراج الجِصّ في منطقة روفيقو(المدية حاليّا)[5]. كان يُسمى أيضاً الجِبْس، وكان من مواد البناء المهمّة آنذاك. كانت الحجارة تُعرّض للحرارة ويتم تذويبها في أماكن خاصة تسمى الجصّاصَات، وتدخل في مكوناته كذلك الصّمغ والكِلْس ومساحيق الرّخام وقِشْرُ البيض، يُصبُّ الخليط في قوالب وتُغطى به الجُدران والأسْقف بعد اكتمال جفافه. كما يُصبُّ في قوالب مُخرّمة وقد تكون القوالب غير مُخرّمة، وتنقش عليه زخارف متنوعة بأزاميل من حديد، وهذا ما جعلهم

---

[1]- الأرشيف الوطني الجزائري، س. ب. ب، فيلم28، ع28، سجل215.

[2]-**البيَّاض:** يُقصد به الجير الذي يَطْلي به الجزائريون بيوتهم، للحفاظ على نظافتها ولهذا عُرفت المدينة بالجزائر البيضاء...، راجع: ناصر الدين سعيدوني، مخطوط قانون أسواق ...، المصدر السابق، ص70.

[3]- عبد الله بن محمد الشويهد، قانون على الأسواق...، المصدر السابق، ص47.

[4]- هواري العياشي، نماذج من المساكن...، المرجع السابق، ص136.

[5]- René Lesspés, op.cit, p55.

يُطلقون على هذا الفن، في بلدان المغرب العربي "نقش حديدة"[1]. وهي عملية عرفها سكان المنطقة قديماً وهو ما يوضّحه ابن خلدون بقوله: "...**ومن صناعة البناء ما يُرجع إلى التّنميق والتّزيين كما يُصنع فوق الحيطان الأشكال المجسّمة من الجصّ، يُخمّر بالماء، ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشكّل على التّناسب تخْريما بمثاقب الحديد، إلى أن يبقى له رونقاً ورؤاء وربما عولي على الحيطان أيضاً بقطع من الرّخام أو الآجر أو الخزف أو بالصّدف أو السّبج يُفصل أجزاء متجانسة أو مختلفة، وتُوضع في الكِلس على نِسب وأوضاع مقدّرة عندهم، يبدو به الحائط للعيان كانّه قِطع الرّياض المنُمنمة**"[2].

أُستخدم الجصّ منذ القديم في مختف العمائر في الجزائر ومدينة قسنطينة، كأرضية لتنفيذ المواضيع الزُّخرفية وللتّزيين، واستخدم كذلك كمادّة لاحمة أو لتغطية سقوف العمائر وجدرنها، لأنّه مادة عازلة للحرارة والصّوت، ومقاوم للرّطوبة، لكنّه يتميز بالهشاشة، لذلك استخدم في الجدران الداخلية فقط[3]. يقول ابن خلدون " **ومن صنائع البناء أيضًا أن يجلل الحيطان بالكْلس، بعد أن يخلط بالماء ويخمر أسبوع أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه، عن أفراط النارية المفسدة للإلحام، فإذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحائط وذلك لا أن يلتحم**"[4]. وفي مدينة قسنطينة كان يسمّى الجِبْس و الجبّاس صاحب حرفة تزيّين البنايات بمادة الجِبْس مثل: حواشي الأبواب والنوافذ وسقوف الغرف، ومن الجبّاسين من ورد ذكره في وثائق المحاكم الشرعية في قسنطينة مبارك بن الشوالي "الجباس"[5]. وقد كان عملهم يبتدئ بعد فراغ البنائيين من إقامة الجدران والزلاجين والرّخامين من فرش الأرض وتزيين أسفل الجدران.[6]

---

[1]– جميلة جلال الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق الارشيف والمعالم القائمة (1212–1220هـ/ 1798هـ– 1805م)– دراسة أثرية معمارية وفنية– مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2012/2011 م، ص243.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مج1، ط3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، 1967م، ص727

[3]– هواري العياشي، المرجع سابق، ص135.

[4] –عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، مج1، ص727.

[5]– حياة بوشريبة، المرجع السابق، ص169.

[6]– عبد اللطيف الخلابي، الحرف والصنائع وادوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي 669 – 960هـ/1270– 1550م، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (مصر)، 2011م، ص254.

10-الخَشَبْ

أُستخدمت مادة الخشب بشكل واسع في العمائر العثمانية بالمدن الجزائرية، كمواد للتّسقيف وصناعة الأبواب الداخلية والخارجية والنوافذ وأُطرها وأبواب الخزائن الجداريّة والدّرابزين[1] وعلى حواف السّلالم والأوتاد التي تربط السُّقوف وفي الجُدران لتعليق السّتائر[2]. كانت تستغل غابات الأَرز في منطقة البليدة و محيط شرشال والغابات الواقعة في منطقة القبائل، والتي ما تزال تَدْعم حوافّ الدّور في القصبة بمدينة الجزائر وتُقوّي الأروقة الداخلية بها[3]. هذا وقد شهدت العمائر في مدينة قسنطينة استخدام الخشب الذي يُجلب من منطقة القبائل، بالإضافة إلى المناطق المجاورة للمدينة. حيث يذكر شلوصر أنّه قد تمّ جلب القَصَب لتغطية الأسطح في قصر أحمد باي من منطقة الحامّة، أمّا ألواح العوارض فتمّ جلبها من منطقة القبائل الشّرقية وتلك الموجودة حول غابات الأوراس[4]. ممّا يدل على أنّ منطقة القبائل كانت غنيّة بالخشب اللاّزم للبناء، إضافة إلى ما توفّرت عليه مرتفعات الأطلس. كما كانت كميّات من الخشب تَحملها السُّفن القادمة من الدول الإسِكندنافيّة، كالسويد، والدنمارك، في شكل هدايا لحكّام الجزائر[5].

كانت هولندا من بين الدول التي زَوّدت الجزائر بكميّات كبيرة من الخشب عالي الجودة، والمخصّص أساسًا لصناعة السُّفن، ويُرجَّح أن جزءًا منه استُخدم أيضًا في البناء لما يتمتع به من مقاومة للماء والرّطوبة، بالرّغم من صدور مراسيم صارمة تمنع التُّجار الأوروبيين من التّعامل مع دُور الصّناعة الجزائرية، لكنّ هولندا لم تلتزم بتلك القيود، واستمرت في تزويد الجزائر بالخشب والمواد اللاّزمة[6].

كان اختيار الخشب الصّلب في صناعة الأبواب ضرورياً لتكون متينة وتصمد لفترة طويلة، وكانت هذه الأبواب تُدعم بأجزاء من الحديد، وتُزيَّن أحيانًا بشبكات معدنية زخرفيّة، إضافة إلى المقابض والمطرقيّات

---

[1]- **الدَّرابزينات** مفردها درابزين وباللغة التركية طرابزان ودرابزدن، وهي كلمة من أصل فارسي وتطلق على الحواف التي تسمح بالاستناد عليها على حافة السلم أو الشرفة أو الرواق داخل أو خارج المبنى، وهي تُصنع من الخشب. راجع: علي بن بلة المصنوعات الخشبية...، المرجع السابق، ص85.

[2]- هواري العياشي المرجع السابق، ص76.

[3]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص56.

[4]- فندلين شلوصر، المصدر سابق، ص07-08.

[5]- لطيفة بوراية، التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب)، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص249.

[6]- حليم سرحان، «صناعة السفن الحربية في الجزائر خلال العهد العثماني دراسة مستمدة من النصوص التاريخية والوثائق»، المجلة التاريخية الجزائرية، مج01، ع05، 2017م، ص77.

يدوية الصُنع. على شكل كفّ اليد بخمس أصابع، لتضفي على الباب عنصراً جماليًا[1]. كانت المباني مربوطة بأغصان من خشب العفصية، الذي يستخدم أيضا لإسناد الطوابق العلوية المشرفة على الشارع. السّقوف الخشبية العاليّة تُحمل على بوائك وأعمدة، وعقود نصف دائرية، أمّا السّقوف الخشبية ذات الارتفاع العادي فتقوم على الألواح الخشبيّة فوق الجدران مباشرة، ولإضفاء لمسة جماليّة على السّقف من الدّاخل، يتم تغطية السّقف بألواح خشبية مزخرفة[2].

كانت عملية تحضير الخشب، تبدأ بتقطيع الجُذوع إلى ألواح متساوية في العرض والسمك، مع إزالة اللّحاء الخارجي، وقَشْط سطحها باستخدام السكاكين. ثم تُجفف هذه الألواح بهدف تقليل نسبة الرطوبة منها، مما يُسهم في تَصلّب الخشب ويُعزّز مقاومته للظروف الطبيعية المختلفة، ويُعتمد في التّجفيف إما بتعريض الألواح لأشعة الشّمس لمدة تتراوح بين ستة أشهر وسنتين، حسب نوع الخشب، او أن يتم رصف الألواح فوق الأفران لتسريع العملية، غير أن هذه الطريقة قد تؤدي إلى تفحّم سطح الخشب واحتراقه جزئيًا.[3]

11-المعادن

كانت لها دورٌ أساسي في تفاصيل العمارة والزّخرفة بالجزائر خلال العهد العثماني، فقد الحديد يُستخدم في صناعة المسامير والدّرابزين، بينما خُصّص النّحاس والبرونز لصناعة الزلاليج والآليات الدّقيقة لفتح الأبواب وغلقها، كما استُعمل الحديد في تسييج النوافذ [4]. مما أضْفى طابعًا زخرفيًا على المباني وساهم في حمايها. كانت تُشكّل هذه المعادن بحيث تجمع بين الجانب الجمالي والعملي، فكانت النّقوش المعدنية تعكس الذّوق الفني الرّفيع، وهذه الاستخدامات تُظهر براعة الحرفيين في تطويع المواد لخدمة البناء، مع وفرة هذه المواد بشكل كبير خاصة الحديد والنُّحاس، حيث يشير الدكتور شاو قائلا:" **كان الحديد متوفر بكثرة في الجزائر، ولو كنّا سادة البلاد لأمكننا الاستفادة منه أكثر ومن مناجم النّحاس**" [5].

رابعا: استعمال الزخرفة في تزيين العمائر المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني

كانت الزّخرفة من أهم الفنون العربية الإسلامية، وهي أحد المجالات التي برز فيها العثمانيّون لمدّة بلغت خمس قرون، استطاعوا فيها الارتقاء بهذا الفن وتعميمه على مختلف المناطق التي خضعت لسلطة الحكم العثماني، على غرار إيّالة الجزائر التي دام فيها الحكم العثماني لأكثر من ثلاث قرون، ازدانت فيها

[1]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص62.

[2]- علي بن بلة، المصنوعات الخشبية...،المرجع السابق، ص78-79.

[3]- جميلة جلال، المرجع السابق، ص244- 245.

[4]- هواري العياشي، نماذج من المساكن...، المرجع السابق، ص139.

[5]- D. Shaw, op.cit p27.

عمائرها ونفائسها بكل ما جادت به أقلام الخطّاطين والفنانين العثمانيين، خاصة وأنهم طوّروا عدة خُطوط منها خط النّسخ الذي يعدّ خطأ عثمانيا بامتياز، كما طوّروا عدة أنماط زُخرفية تشهد لها إنجازاتهم المخلّدة في القصور والمساجد وغيرها من الأعمال الفنية. في مجال الزخرفة العمائرية من الملاحظ أن العثمانيين كانوا يميلون بشكل كبير إلى استخدام الألوان بدل النّحت، ذلك من خلال الاعتماد على البلاطات الخزفيّة التي تُجسّد عليها مختلف العناصر الزخرفية، خاصّة النّباتية مثل: زهرة القرنفل(Dianthus)، والآلة(Lotus) أو التُّوليب(Tulipe)، وزهرة كف السَّبع(Rosaceae)، والحَوْذان(Ranunculus)، بالإضافة إلى الورود والأشجار وعلى رأسها شجرة السَّرو(Servi)، إضافة إلى العناصر المورَّقة وفق أسلوب الأرابيسك العثماني المسمى محلياً في تركيا الرُّومي(Romi)، وبعض البراعم الشّبيهة برؤوس العصافير، إضافة إلى بعض العناصر الهندسية و"المُقرنصات"(Stalactite)[1]. كما تجدر الإشارة إلى أن العثمانيين ابتعدوا عن تجسيد العناصر الآدمية وحتى الحيوانية في المساجد، التزاماً بتعاليم الدّين الإسلامي الذي يحرّم التّجسيد .

1-الزّخرفة الكتابية

تُعدّ الزّخرفة الكتابية من أهم العناصر الزخرفية التي لقيت رواجاً لدى المعماريين المسلمين، نظراً لما تُضيفه من جمال ورونق على المباني، بتداخل الألوان والحروف فيما بينها، فقد كان التّبرك بآيات قرآنية لا يكاد يخلو منه أيُّ عمل فنّي[2]، فقد كانت تضيف على المعمار صبغة جماليّة، وتُساهم في توثيق المنشآت المعمارية، من خلال معرفة تاريخ تأسيسها وتخليد أسماء المؤسّسين. كانت أغلب الكتابات التأسيسية توضع في باب المداخل وهو اول ما يراه الزّائر[3].

قسّمت الباحثة خيرة بن بلة، الكتابات التأسيسية في الجزائر خلال العهد العثماني إلى ثلاثة أنواع (كتابات أثرية زخرفية، وكتابات أثرية زخرفية تذكارية، وكتابات تذكارية)،غير أن الملاحظة الدّقيقة تُبيّن أن الصّنفين الثاني والثالث يندرجان ضمن نفس النوع من الكتابات، بل ويؤديان نفس الغرض التّوثيقي . كما أن تصنيف الباحثة لهذه الكتابات على أنها "أثرية" فقط، لا يعكس تمامًا طبيعتها، إذ إنها تُمدّنا بمعلومات تاريخية هامة، مثل: الألقاب، والوظائف وتواريخ الأحداث وأسماء الحكّام وفترات حكمهم؛ لذلك ونظرًا لقيمتها

[1]– توامة نعناعة، « تطور فن الزخرفة العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني " مساجد قسنطينة أنموذجا»، مجلة جماليات، مج 07،ع01، 2020م، ص525.

[2]– ذهبية بوشيبة، «العلوم العقلية والفنون في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة متون ،ع 04، 2017م، ص138.

[3]– توامة نعناعة، المرجع السابق، ص525.

التّوثيقية، ارتأينا أن نُطلق عليها تسمية "الكتابات التّاريخية الأثرية" ونقترح تقسيمها إلى قسمين ليكون التقسيم أكثر دقّة وفقًا لوظيفتها ومضمونها.

الكتابات التاريخية الأثرية الزّخرفية: هي تلك التي تتضمّن آيات قرآنية، أدعية، أو عبارات ذات دلالات دينية، ويُراد بها التبرّك والتزيين في آنٍ واحد.وتمدنا بمعلومات تاريخية في مضمونها.

الكتابات التاريخية الأثرية التذكارية: هي تلك التي تتضمّن معلومات حول تاريخ تشييد البناء أو ترميمه أو أعمال التّوسعة التي أُجريت عليه، بالإضافة إلى اسم صاحب العمل أو المسؤول عن الأشغال .وغالبًا ما تُرفق هذه الكتابات بآيات قرآنية أو أدعية، يكون الغرض منها التزيين، وتخليد ذكرى صاحب العمل، والدّعاء له بالخير والبركة.

أُستخدمت في كتابة اللّوحات التأسيسية عدة خطوط، منها خط الثلث، خط النّسخ، الخط المغربي، والخط العثماني، أمّا درجة الجودة والإتقان فيها، فقد كانت تخضع لمدى مهارة الصّانع أو الخطّاط، وهذه النقوش أغلبها نُفّذت على ألواح الرّخام، وقلّما نجد مواد أخرى مثل الحجر أو البازلت أو الجص، كما كانت تُدرّج تلك اللّوحات بزخارف نباتية كالتّوريقات والأغصان والورود.[1]

تضم مدن الجزائر قسنطينة، الجزائر، وهران، تلمسان، معسكر، وغيرها من المدن الجزائرية العديد من اللّوحات التّأسيسية والكتابات التّذكارية، التي تعود لفترة الحكم العثماني، منها ما هو محفوظ في المتاحف، ومنها ما هو مثبّت على جدران المنشآت المعمارية إلى يومنا. وحسب الباحثة في علم الآثار خيرة بن بلة، فانّه ورغم أهمية هذه اللّوحات التأسيسية، إلّا أنّها لم تلقى حقّها من الدّراسة والاهتمام، بحيث لا توجد دراسة موسّعة وشاملة تتناول مختلف الجوانب التي تقدمها هذه الكتابات، من تواريخ وعبارات وألقاب ووظائف، عدى ما قام به كل من ألبير ديفولكس، الذي قام بنشر كتابه سنة 1864م بعنوان: "**النقوش المحلية في المتحف الأثري بالجزائر**" **(Epigraphie indigène du musée archéologiqu d'Alger)** ضمّنه مختلف الكتابات التي يضمها المتحف الوطني للآثار القديمة، والتي تعود أغلبها لفترة الحكم العثماني، كما قام الأستاذ كولن بكتابة مدونته التي قام من خلالها بجمع الكتابات العربية والتركية الخاصة بمدينة الجزائر، دون تحليلها مع محاولة تصحيح الأخطاء التي يعتقد أنّه وقع فيها ديفولكس قبله، وصدرت المدونة سنة 1901م بعنوان: "**مجموعة النقوش العربية والتركية ولاية الجزائر**" **(Corpus des inscription arabe et turques Département d'Algérie)**

[1]–خيرة بن بلة، «الكتابات التأسيسية بالجزائر في العهد العثماني خصائصها ومضامينها»، حوليات الآثاريين العرب، مج16، ع01، 2013م، ص821–822.

بالإضافة إلى دراسة حول الكتابات والنقوش في الشرق الجزائري ومدينة قسنطينة خاصة التي قام بها مرسي، وطرحها في كتاب صدر سنة 1902م بعنوان: "**مجموعة النقوش العربية والتركية ولاية قسنطينة**" **(Corpus des inscription arabe et turques d'Algérie Département de Constantine).**[1]

ويذكر الطيب عقاب أنّ البعض من هذه اللّوحات سُجّلت فيها بعض الأخطاء الإملائية، وفيه العديد من الكلمات غير الواضحة، كما هو الحال في اللّوحة التأسيسية لقصر حسن باشا كُتب عليها: " **حبّذا دار بناها باشاتي الجزائر مصطفى/ بيمن ومجد وعز وسرور وبهجة بالهنا والصّفا(كذا) نطق الهاطف (كذا) بإتمام تاريخه بأسعد وقت وانها واكتفا (كذا) / أربعة وعشر(كذا) بعد الماءتين (كذا) من هجرة النبي والفا/ في سنة 1214**". من الملاحظ أنّ هذا النص التّذكاري وردت فيه بعض الهفوات الإملائية كلمة (الهاطف) يُقصد بها الهاتف، وعبارة(أنها واكتفا) تُكتب بألف المدّ بدل الألف المقصورة وهي تكتب: أنهى وأكتفى وكلمة (الماء تين) يقصد بها المئتين. كما نسجّل بعض الحروف الزائدة كحرف الواو المقرونة بعشر، وحرف الياء والهمزة التي صاحبت الباشا.[2]

تنقسم الكتابات التّأسيسية زمنياً إلى ثلاث مجموعات:

-**المجموعة الأولى:** كتابات منذ دخول العثمانيين إلى القرن الحادي عشر هجري، تميزت هذه الكتابات بقلتها واستخدم فيها أسلوب الحفر البارز، أُستعمل في كتابتها الخط الكوفي وخط الثلث.

- **المجموعة الثانية:** كتابات القرن الثاني عشر للهجرة؛ فترة حكم الدّايات أُستخدم فيها تقنيّة الحفر الغائر المملوء بالرصاص[3]، إلى جانب الحفر البارز. كانت الكتابة أكثر اتقاناً وزخرفة وحصرت فيها السّطور إلى بعضها البعض. ثم

-**المجموعة الثالثة:** كتابات بداية القرن الثالث عشر الهجري، وهي امتداد لحكم الدّايات استخدم فيها الحفر الغائر المملوء بالرّصاص بشكل سائد معتمداً على خط الثلث، واستعمال اللّغة العثمانية في نصوص المباني[4]. غير أنّ الطيب عقاب يرى أنّ هذا النوع من الكتابات التي تعتمد على الرّصاص كانت قليلة

---

[1]- خيرة بن بلة، الكتابات التأسيسية بالجزائر...، المرجع السابق، ص820.

[2]- الطيب عقاب قصور مدينة الجزائر ... المرجع السابق، ص172.

[3]- **تقنية الحفر الغائر** المملوء بالرّصاص، هي تقنية يتم فيها نقش الكتابة على اللّوحة ثم ملأ الفراغات في الكتابة بالرصاص، ثم يتم تسويته إلى مستوى اللّوحة، فتظهر الكتابة كأنها مطليّة باللّون الأسود فوق الرّخام. راجع: خيرة بن بلة، الكتابات التأسيسية...، المرجع السابق، ص820.

[4]- خيرة بن بلة، الكتابات التأسيسية...، المرجع السابق، ص ص826-827.

مقارنة بالثّراء الذي عرفته في فترة ما قبل العهد العثماني لذا اقتصرت بشكل ملفت في قصر "حسن باشا" وقصر "عزيزة" وقصر مصطفى باشا[1]. الاّ اننا طيلة مدة البحث لم نجد ما يدعم قوله.

2-الزّخرفة النّباتية

عرفت هذا النوع من الزّخرفة تطوراً كبيراً خلال العهد العثماني، كانت في البداية تعتمد على التّقاليد السّلجوقية في الزّخرفة، ثم أخذت تدريجياً تميل نحو استخدام الزّخرفة النّباتية والزّهرية القادمة من الشرق الأقصى، والتي تم تطويرها على يد العثمانيين فيما بعد، باعتماد موروث قبائل التُّركمان وبعض التّأثيرات البيزنطيّة والمصرية وكذا الأندلسية والمغاربية(المغرب والجزائر وتونس وليبيا)، وقد جُمعت كل هذه المؤثّرات وتم إعادة إنتاجها في طراز جديد، أعيد تصديره إلى مختلف الولايات العثمانية[2]. استخدم العثمانيون الزّخرفة بواسطة الأفْرع النّباتية وأوراق الأشجار، التي تُحاكي الطّبيعة ونُفّذت على مختلف العناصر المعمارية، مثل: أوراق الغار، الكنكر، العنب، وأُستعملت الزهور بأنواعها المختلفة كزهرة القرنفل وزهرة اللّالة أو(شقائق النّعمان)[3] وزهرة اللُّوتس وغيرها.

كان العثمانيون يعتمدون بشكل كبير على الزّخارف النّباتية المحوّرة من الطّراز الرُّومي، حيث عملوا على تطويرها والاشتغال عليها بأساليب فنيّة دقيقة، حتى بلغوا بها درجة عالية من الإتقان والجمالية.[4] حتى أن الأوروبيون أصبحوا يطلقون على هذا النوع من الزّخارف اسم "الفن العربي" أو "الأرابيسك"[5]. حيث يشير فندلين شلوصر في وصفه للزّخارف النّباتية بقصر أحمد باي بمدينة قسنطينة، إلى أنّ تلك الزّخارف تجسّدت في أشكال من أوراق الشجر وعناقيد الفاكهة، تتّسم بانحناءات تُذكّر بالعناصر الزّخرفية التي كانت تُميّز الطّراز الكورنثي. كما يُلاحظ أن بعض هذه الزّخارف ينتمي إلى أنماط زخرفيّة أخرى، مثل: الطّراز

---

[1]- الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص170.

[2]-توامة نعناعة، المرجع السابق، ص542.

[3]- يُذكر أنّ العثمانيين استخدموا زهرة الآلة في مختلف الفنون الزّخرفية، وهي زهرة الخُزامى أو التوليب إلى جانب شقائق النُّعمان والزَّنبق. ظهرت تلك الزَّخارف في القرنين (09 – 12هـ/15– 18م) وأُستخدمت بشكل كبير على الخَزَفْ في عهد السلطان أحمد الثالث (1063 1090هـ/1703– 1730م) للمزيد راجع: محمد مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (مصر)، 1974م، ص53.

[4]- **ملحق(13)**: صورة تمثل بلاطات خزفية تظم زخارف متنوعة نباتية واشكال هندسية ورسومات لمجموعة متنوعة من السفن نفذت بلاطات خزفية من دلفت في قصر حسن باشا بمدينة الجزائر تجسد الاتقان الذي بلغته الزخرفة في العهد العثماني.

[5]- داليا علي عبد العال،« الأنماط الفنية للزخرفة العثمانية»، مدارات تاريخية، مج01،ع 02، 2019م، ص ص116–117.

التُّوسكاني والطّراز اليوناني البيزنطي، ممّا يدل على تأثر العمارة العثمانية في الجزائر بمزيج من الأساليب الكلاسيكية والمتوسطية، أعيد توظيفها ضمن سياق زخرفي إسلامي بطابع محلي[1].

وما يؤكد تأثر الزّخرفة فلقد اهتم سكان الجزائر خلال العهد العثماني، بزخرفة دورهم وخاصة الحكّام بمختلف العناصر الفنّية ذات الأشكال النّباتية التي يتم تنفيذها فوق عدة مواد منها الرّخام والجص[2] والخشب. أو على جدران الدّور وأطر الأبواب والنوافذ. أو الأسقف حيث يذكر إميل أوبيرت في رحلته إلى الجزائر سنة 1833م في وصف قصر مصطفى باشا، بأنّ الغرف المعروضة هنا من أجمل الغرف الموجودة في الجزائر العاصمة، السّقف منحوت بشكل خاص وبذوق رائع فيه زخارف بارزة مذهبة مرسومة بعناية والجدران مغطاة بخزف إزنيك" [3] ويقول كلاين عن القصر أنّه يتمتّع بجمالية جعلته محط أنظار السلطات الفرنسية التي اتخذته مقرا للضباط ومقر الهندسة المعمارية.[4]

ويذكر هايدو في وصف دار الإمارة(قصر الجنينة)، بأنّ الغرف كانت مسقّفة بأجود الأنواع من خشب الصّنوبر والبلّوط وتحمل تصاوير فنية ذات أساليب مغربية وعثمانية، وكل تلك التّصاوير كانت مركزة على رسومات نباتية مختلفة دون صور الأشخاص أو الآدميين. كل تلك التصاوير كانت منفذة من طرف فنانين مسيحيين"[5] شملت مواضيع الزّخرفة النباتية لدى عامة الجزائريين، أنواع عديدة من الزّهور والفواكه وأوراق الأشجار وغيرها وكانت زخرفة أزهار الزّنابق المتعاقبة فيما بينها النمط الشائع لدى الجزائريين، استخدمت في تزيين أبواب دور العامة المصنوعة من الحجر الكلسي أو الجيري، أما أبواب القصور فنفذت على زخارفها على الرّخام كما هو الحال في قصر عزيزة[6].

---

[1]– فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص10.

[2]– أُعتمدت الزّخارف الجصية في قصر أحمد باي على تقنية "الفريسكو"، وهي تقنية تقوم على التّصميم الجداري أو الزّخرفة بواسطة الرّسم بالألوان المائية. يُرسم التّصميم أولًا على الورق، حيث تُعد النماذج الورقية، ثم يُخرم الرسم وتُنقل الرسمة إلى الجدران عبر تمرير كيس مملوء بلون أسود أو ترابي أحمر. يدخل اللّون عبر الثقوب المخرّمة ويلتصق بسطح الجدار، فتتشكل الخطوط الرئيسية للزخرفة. بعد ذلك، يُستكمل الرسم بالألوان في يوم واحد قبل أن تجف طبقة الملاط على الجدار. للمزيد راجع: زهيرة حمدوش، الزخارف الجصية في قصر أحمد باي ...، المرجع السابق، ص455–456 .

[3]– لطيفة بوراية، قصر مصطفى باشا بحي رياس البحر..، المرجع السابق، ص130.

[4]-H. klein, op.cit, p 71.

[5]– لطيفة بوراية، تهديم قصر الجنينة...، المرجع السابق، ص195، نقلا عن: بربروجر، نقلا عن: هايدو.

[6]– محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر ...، المرجع السابق، ص ص176–177.

3-الزّخرفة الهندسية

شملت الزخرفة الهندسية عددًا من العناصر المعمارية في المبنى، وتجلّت في هيئة خطوط مستقيمة، حلزونية، أو منكسرة، إلى جانب استخدام أشكال هندسية متنوعة مثل المربع، المستطيل، الدائرة، المعين، والأطباق النجمية، وغيرها من التكوينات الزخرفية التي أضفت على الفضاء المعماري طابعًا جماليًا متناسقًا[1]. نفذت على الأبواب والشمسيات[2] والأسقف. كان الهلال من الاشكال التي عرفت استعمالا كبيراً حيث اعتبر واحد من أهم الرّموز الهندسية لدى العثمانيين[3]، بالإضافة إلى التَّكسية السائدة بالمربّعات على الجدران، وهي تتشكل من مثلثين أخضر وأبيض تجتمع فيها أربع مربعات من ذوات المثلثات وأربع مربعات أخرى من ذوات الأزهار، وهو نمط شائع في دور وقصور الجزائريين.[4]

4-الزّخرفة الرّمزية

تعدُّ من اقدم الزّخارف التي عرفها الإنسان، أمّا الزّخرفة الرّمزية الإسلامية فقد غذّتها الأفكار الصّوفية بشكل كبير، والتي كانت تميل إلى التّأويل والتّرميز، كما كانت لها دلالات فكرية وأبعاد جماليّة خاصة تلك التي جسدت على الأضرحة والقبور والمزارات، لذلك علينا أن لا نهمل دور الفكر الصّوفي الذي تبوا مكانة هامة لدى المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني خاصة، وأنّ هذه الأفكار شاعت لدى العامة حتى وإن لم يكونوا ينتمون للتيار الصوفي[5] .

ومن تلك الرّموز نجد الهلال وكف اليّد على أطر الأبواب وفي التيجان والعقود، وعلى لوحات العيون الجداريّة، كما نجد الهلال منحوتاً على جُدران المباني أو قرب الباب الرئيسي للمسكن، وكان الغرض من هذه الرُّموز اعتقاد إبعاد عين الحسّاد عن المبنى، كما أن يعتقد أنّ اليد ترمز للقوة والبطش أي أن كل من يتعرض لحرمة المبنى يتعرض للبطش، وأصابع اليد الخمسة تشير إلى أركان الإسلام، وأنّ الهلال يرمز للإسلام[6]. كان استعمال الرّسوم لتجسيد مواضيع متعلقة بالدين والشّعائر قليلاً جدا بالجزائر خلال العهد

---

[1]- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص183.

[2]- **الشَّمْسيَّات:** هي فُتْحات ضيّقة معقودة بعقد نصف دائري مغشاة بالجص المخرّم والمُعشّق بالزجاج الملون؛ لتخفيف أشعّة الشمس. تقع فوق الأبواب والنوافذ وأماكن أخرى وتزويد المكان بنور ملون ومشع اختلفت أحجامها وزخارفها في مختلف البلاد الإسلامية ...، راجع: علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص92.

[3]- داليا علي عبد العال، المرجع السابق، ص118.

[4]- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 180.

[5] - محمد خبيزي، «جمالية بعض الزخارف الرمزية ومدلولاتها في العمارة الإسلامية»، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج06، ع02، 2021م، ص271.

[6]-محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص ص186-187.

العثماني، نجد نماذج في قصر أحمد باي بمدينة قسنطينة تتوزع في مواضع مختلفة، في أعلى الجداران المطلّة على الحدائق والصّحون، وفي أقسام وغرف القصر وفي الدعامات التي تُرفع فوق بعض الأعمدة، وهي تضم رسومات لموضوعات فنية متنوعة، مرسومة بألوان متعددة، ومن المواضيع المجسّدة رسوم مختصرة لرحلة مليئة بالمشاهد من مدن وأنهار وبحار، تمثل أحد أركان الدين الإسلامي وهي رحلة الحج[1]، كما تحتوي جدران الدّيوان في القصر على جميع المعالم الأثرية المقدّسة في مكة والمدينة.[2]

[1]– زهيرة حمدوش، الزّخارف الجصية في قصر أحمد باي ....، المرجع السابق، ص456.

[2]– فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص38.

خلاصة

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني، تطور كبير في فنون العمارة والبناء، بفضل جهود جماعة البنائيين، الذين كانوا يشكّلون طائفة حرفية منظمة، يقودها أمين جماعة البنائيين ويعاونونه الكاهية والشاوش والخوجة والصّايجي، إضافة إلى الرُّفقاء أصحاب الخبرة. لم يقتصر دورهم على مدينة الجزائر، بل شمل مناطق أخرى مثل البليدة وقسنطينة، حيث استُدعوا لترميم المنشآت، كما استعان الحكام بمهندسين ومعلمين من الخارج لتنفيذ مشاريع كبرى.

لقد أسهمت الأوقاف بشكل كبير في تمويل أعمال البناء والصيانة، حيث امتدت أملاكها إلى العقارات والحمامات والأسواق والعيون والحوانيت، وساهمت في ترميم المرافق العامة وتوسيع المدن، كما تولّت مؤسسات الوقف إدارة هذه الممتلكات لضمان استمراريتها. كان للأندلسيين دور بارز في تعزيز الطابع المعماري، حيث أدخلوا تقنيات هندسية متقدمة مثل القرميد الأحمر، الزّخارف الجصّية، والمُقرنصَات، وأسّسوا شركات متخصصة في البناء.

أمّا مواد البناء، فقد تنوعت بين الحجر المحلي والمستورد، إضافة إلى الحديد والمعادن المستخدمة في تدعيم الهياكل، وكانت أغلب هذه المواد مستخرجة محليًا، ممّا سهل استخدامها في المشاريع المختلفة. وأخيرًا، ازدهر فن الزخرفة في العمارة العثمانية، حيث اعتمد على البلاطات الخزفية المزينة بعناصر نباتية مثل القرنفل، التوليب، وشجرة السرو، إلى جانب زخارف الأرابيسك العثماني، مع تجنب تجسيد العناصر الآدمية والحيوانية في المساجد.

لعبت الزخرفة الكتابية مكانة بارزة في تخليد العمائر، حيث زخرفت المباني بآيات قرآنية وأدعية، مستخدمة خطوط النسخ، الثلث، المغربي، والعثماني، مما جعل العمارة العثمانية في الجزائر تحمل طابعًا فنيًا متميزًا.

الخاتمة

الخاتمة:

استناداً إلى ما تم عرضه وتناوله في الدراسة من مختلف الجوانب والمرتبطة بموضوع العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني، يمكن القول أن التحليل أتاح لنا الوقوف على مجموعة من النتائج المهمة نرى أنه يمكن تلخيصها وعرضها في النقاط التالية:

- تعد المصادر التاريخية المكتوبة التي تعود لفترة الحكم العثماني مادة أساسية لدراسة تطور العمارة، غير أنّ الكثير منها كُتب بأقلام أجنبية؛ فقد شكّلت التّقارير العسكرية والمراسلات والمذكرات والرّحلات القسط الكبير منها، ورغم ما تحمله من أهمية فإنها كثيراً ما تعكس رؤية منحازة وتصدر أحكاما مسبقة في بعض الأحيان الأمر الذي يفرض علينا التعامل معها بحذر نقدي عند توظيفها في الدراسات الأكاديمية.
- كما أن ما تبقى من الوثائق الأرشيفية وما تتضمنه من معلومات متناثرة لا تعطينا صورة كاملة عن العمارة المدنية فضلا عن محدودية إلمام الباحثين باللغة العثمانية، وهذا النقص في المادة المصدرية يجعل تناول العمارة المدنية أكثر تعقيداً.
- شكّل فقه العمران عنصراً أساسيا في فهم تطور العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني، حيث أسهم في تنظيم الحياة الحضرية وضبط العلاقات داخل المجتمع، و يتضح ذلك في النوازل الفقهية التي تناولتها كتب تلك الفترة، والتي سعت إلى الجمع بين أحكام الشريعة الإسلامية والاستعانة بأهل الخبرة في البناء، بما يضمن انسجام المدينة الجزائرية في مبانيها وأسواقها وأحيائها. كما ساعد هذا الفقه على حماية العقارات والموارد الطبيعية والبيئة المحلية، مبرزاً أن أي إخلال بتطبيق تلك الأحكام كان من شأنه أن يؤدي إلى وانتشار الفوضى والظلم داخل المدن الجزائرية.
- لقد ساهم العثمانيون في ازدهار العمارة الاسلامية بشكل كبير، عبر مراحل عدة، مستمدة تأثيراتها من العمارة السّلجوقية والبيزنطية والفارسية، ومع توسع الإمبراطورية وانتشار الإسلام ودخول شعوب كثيرة ضمن نطاق الإمبراطورية، ظهرت عناصر معمارية جديدة مثل: القباب الضخمة والمآذن الرّشيقة والزّخارف الهندسية المتقنة خاصة خلال فترة العهد الكلاسيكي، برز خلالها المعماري **سنان باشا** الذي أحدث ثورة في التّصميم والهندسة والتخطيط، موحدًا بين الوظيفة الأساسية والجمال، ومع رفض الإسلام للتّجسيم، لجأ الفنانون إلى الزّخرفة باستخدام البلاطات الخزفية وتطور خلالها الخط العربي واصبح من الألوان الزخرفية المشهورة في العمارة العثمانية بالإضافة إلى الزخارف النباتية والهندسية، مما أضفى طابعًا فنيًا مميزًا على المباني.

- أظهر تطور العمارة العثمانية عبر مختلف المراحل التاريخية أنها لم تكن نمطًا جامدًا، بل تأثرت بعمق بالتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها مقر الدولة. وقد انعكس ذلك التّأثير في انفتاحها على الأساليب المحلية في الإيالات التابعة لها، وساهم التطور الذي شهدته العمارة في مركز الحكم العثماني بصورة إيجابية على تلك الولايات، ولا سيما في المدن الكبرى. فقد انتقلت الأساليب المعمارية المبتكرة من مركز الدولة إلى الإيالات، مُحدثة تفاعلاً مع الخصوصيات المحلية. وأسهم ذلك التبادل في إثراء النسيج العمراني للمدن، وظهور طراز معماري يحمل البصمة العثمانية بشكل واضح. وفي الجزائر على سبيل المثال فقد اندمجت العناصر العثمانية مع العمارة المغاربية لتشكيل هوية بصرية مميزة، هذا التفاعل لم يكن مجرد تكيّف جمالي، بل استجابة عملية لاحتياجات المجتمع والبيئة.
- كانت العمارة المدنية في بلاد المغرب العربي قبل مجيء العثمانيين متأثرة بالأنماط الأندلسية والمغاربية الموروثة عن دولة المرابطين والموحدين، حيث شكلت المواد المحلية مثل الحجر والطين والخشب مادة أساسية للبناء.
- تميز تخطيط المدن الجزائرية في تلك الفترة بالاعتماد بشكل كبير على الأزقة الضيقة والمنازل المتلاصقة، وكان ذلك يوفر بيئة معيشية ملائمة للمناخ المحلي من عدة جوانب. كما بنيت المساجد في وسط المدينة تحيط بها الأسواق مشكلة بذلك مراكز الحياة الاجتماعية والاقتصادية، استخدمت الزخارف الهندسية والنباتية في تزيين القصور والمباني السكنية، مع التركيز على الفناء الداخلي كمصدر للتهوية والإضاءة الطبيعية استمر هذا الطابع العمراني المحلي حتى دخول العثمانيين، الذين أضافوا عناصر جديدة إلى هذا الطراز المعماري.
- كانت الجزائر خلال العهد العثماني تواجه تهديدات مستمرة من القوى الأوربية وحملات متكررة نابعة من الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين لهذا حرص العثمانيون على تشييد الحصون والقلاع لتعزيز القدرات الدفاعية وحماية السواحل أما المدن الجزائرية، الاهتمام اكثر بالعمارة العسكرية على حساب المدنية فقد احتفظت بتخطيطها التقليدي حيث بقيت الأزقة الضيقة والأسواق المركزية والمساجد جزءًا من نسيجها العمراني.
- عرفت العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني تنوّعًا ملحوظًا في أشكالها ووظائفها، حيث شملت المباني الإدارية والفنادق والحمّامات والأسواق والقصور والدور الجميلة ومراكز التعليم وغيرها

من المنشآت التي ارتبطت بالحياة اليومية للمدن. وقد تميزت هذه العمائر بتصاميم تجمع بين الطابع الوظيفي والبعد الجمالي.

- لعبت القصور دورًا هامًا في الحكم والإدارة، حيث مزجت بين الفخامة العثمانية والتقاليد المحلية، أما عمارة المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني فقد اتخذت المنازل طرازا واحدا تقريبا يتكرر في مختلف المدن الجزائرية قسنطينة المدية مستغانم البليدة ووهران ولا يبدو الاختلاف إلا من حيث الحجم والمساحة وتعدد الأجنحة واختلاف المواد الزخرفية المستعملة في المبنى، مثل: الرُّخام والخشب المزين بالنقوش والبلاطات الخزفية الملونة والجص المخرّم، مما أضفى طابعًا فنيًا مميزًا على بعض المباني السكنية الفاخرة.
- عرفت المدن الجزائرية خلال العهد العثماني تطورًا كبيرًا في أنظمة تخزين وتوصيل المياه، في عدة مدن منها الجزائر، تلمسان، قسنطينة، حيث تم إنشاء أنظمة متقدمة للتزويد بالمياه، وذلك بجلب المياه من الينابيع الجارية إلى مختلف المرافق الحضرية. ومع تزايد عدد السكان وتوسع الأنشطة الاقتصادية، أصبح من الضروري تطوير وسائل تضمن توفير المياه بشكل مستدام؛ لذا قامت السلطة العثمانية بالتعاون مع الحرفيين المحليين والخبراء الوافدين من الأندلس، الذين كانوا بارعين في هندسة منشآت المياه، بإنشاء قنوات تعتمد على عنصر الجاذبية واستغلال المرتفعات لضمان التدفق المستمر للمياه نحو المدينة. هذه التقنية سمحت بتوزيع المياه بطريقة فعالة دون الحاجة إلى أنظمة ضخ معقدة، حيث وصلت المياه إلى المساجد، الحمامات، والدور العامة وزودت الخزانات والعيون بقنوات تضمن توفر المياه باستمرار.
- كما تم تطوير شبكات الصرف الصحي للحفاظ على نظافة البيئة العمرانية ومنع تجمع المياه الراكدة التي قد تؤدي إلى انتشار الأمراض كان لهذه التطورات دور هام في تحسين جودة الحياة داخل المدن الجزائرية، حيث أصبحت المياه متوفرة بشكل أكثر انتظامًا للسكان المحليين وساهم ذلك في ازدهار مختلف الأنشطة الاقتصادية. استمرت هذه الأنظمة في العمل لفترات طويلة، مما جعلها جزءًا من التراث العمراني الذي يعكس عبقرية الهندسة الهيدروليكية العثمانية كما لا تزال بعض آثار هذه المشاريع قائمة حتى اليوم، شاهدةً على تميز البنية التحتية العثمانية في الجزائر.
- عرفت الجزائر خلال العهد العثماني تطورا في نشاط البحرية وحركة القرصنة ساهم بما يوفره من مواد مختلفة وتوافد للتجار على مختلف المدن في ازدهار الأنشطة التجارية والحرفية ، مما ساهم في توسع نشاط الأسواق المختلفة التي كانت تُقام في مواقع استراتيجية قرب أبواب المدن والمراكز العسكرية

لضمان سهولة الوصول إليها ومراقبتها من قبل السلطات العثمانية أو في وسط المدينة قرب المسجد الجامع وهذا ما درجت عليه عدة مدن إسلامية منذ القديم.

- أما من حيث التّصميم فقد كانت الأسواق تتألف من شوارع وأحياء متخصصة، حيث يختص كل شارع أو حي بنوع معين من السلع، مما يسهل عمليات البيع والشراء ويعزز التنظيم التجاري تم تجهيزها بأنظمة قياس دقيقة تشمل المكاييل والموازين لضبط عمليات البيع والشراء، وخضعت الأسواق لمراقبة دائمة من طرف القاضي والمحتسب يساعدهم في ذلك أمناء الحرف لمنع الغش والمنافسة غير المشروعة هذا ما يظهر بشكل جلي اهتمام السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني بالجانب الاقتصادي عكس ما يروج له من أن اهتمام السلطة انصب فقط على الجوانب العسكرية والتحصينات الدفاعية.
- لعبت الفنادق دورًا مهمًا في ازدهار التجارة بالجزائر خلال العهد العثماني، حيث لم تقتصر على كونها أماكن لإيواء التجار والوافدين على المدن، بل أصبحت مراكز تجارية تجمع التجار والمسافرين. ومع تزايد أعداد الزوار، خاصة الأجانب، ارتفع الطلب عليها، وازداد الاهتمام بها مما ساهم في تنوع خدماتها وتطور نشاطها كانت تتمتع بهندسة راقية. وأدت انتقال الملكية إلى تغيير أسماء بعض الفنادق في مدينة الجزائر، مما جعل تحديد عددها ومواقعها بدقة أمرًا صعبًا. بالإضافة إلى ذلك فإن قلة المعلومات المتوفرة في المصادر، تجعل تكوين صورة كاملة عن هذه المنشآت أمرًا معقدًا وصعباً.
- مثلت المقاهي والحمّامات العامة بالجزائر خلال العهد العثماني قسماً أساسيًا من منشآت التّرفيه عن النفس وكان لها دور مهم في الحياة اليومية في المدينة، حيث لم تقتصر وظيفتها على تقديم الخدمات التقليدية، بل أصبحت أماكن تجتمع فيها مختلف فئات المجتمع من الفقراء والأغنياء، إضافة إلى غير المسلمين من أهل الذمة، يرتادون الحمامات التي لم تكن مجرد أماكن للنظافة، بل أماكن للتواصل وتبادل الأخبار والتفاعل الاجتماعي. تميزت الحمامات بتصميم هندسي يعكس الطابع الإسلامي والعثماني، حيث ضمت غرفًا للاستحمام الساخن والبارد، وقاعات للاستراحة، مما وفر تجربة مريحة لمرتاديها. على الجانب الآخر، أما المقاهي فكانت تُعد ملتقى يوميًا يجتمع فيه الناس لمناقشة الأحداث المحلية والتداول في الأمور التجارية، كما أنها كانت مساحة للترفيه، حيث تقدم فيها عروض الحكواتي والموسيقى، مما جعلها تساهم في إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية. ومع توسُّع المدينة وتطورها، ازداد عدد هذه المرافق وأصبحت تلعب دورًا اقتصاديًا مهمًا من خلال جذب التّجار والمسافرين. إلّا أن انتقال الملكية وتغير أسماء البعض منها واندثار العديد الأخر جعل من الصعب

تحديد مواقعها بدقة، كما أن المصادر التاريخية المتاحة لم تقدم صورة شاملة عنها، مما يجعل دراستها تحديًا للباحثين المتخصصين بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

- شهدت العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني تطورًا ملحوظًا بفعل تداخل عوامل بشرية ومؤسسية وثقافية متنوّعة، فقد ساعدت الخبرات الحرفية المتوارثة على تشكيل أسس متينة للبناء، فيما وفّرت بعض الأُطر الاجتماعية والدينية بيئة داعمة لإنشاء المرافق الحضرية.
- كما ساهم انتقال المعارف والمهارات بين الحواضر في إثراء الطّراز المعماري الجزائري الذي ودمجت فيه المؤثرات المحلية بالوافدة. هذا التفاعل أفرز هوية عمرانية مميزة، جمعت بين البعد الجمالي والوظيفي للمبنى.
- مثلت جماعة البنائيين إحدى أهم الطوائف الحرفية في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث تميزت بتنظيمها الجيد ودورها الكبير في تشييد المنشآت العمرانية، فلعبت هذه الجماعة دورًا رئيسيًا في بناء القصور، المساجد، الحمامات، والدور، وغيرها من المباني مستفيدة من خبرتها الواسعة في التقدير والتقييم. كان يعُرف أفرادها في الوثائق الشرعية بـ "أهل الخبرة"، وساهموا في تحديد قيمة العقارات وكيفية التصرف في الأوقاف.
- كما ارتبطت الجماعة بالسّلطة المركزية، حيث كُلفوا بأعمال البناء والترميم والصيانة، بالإضافة إلى ذلك، فقد استعان بهم القضاة والمحتسبون لحل النزاعات المتعلقة بالممتلكات العقارية وتقييم التركات. كان لهذه الجماعة حضور قوي في المحاكم الشرعية، إلا أنه ورغم الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي لعبته خلال العهد العثماني تبقى الدراسات التاريخية حولها قليلة خاصة فيما تعلق بأعدادهم وأصولهم والأعمال التي أشرفوا عليها رغم الجهود التي بذلها بعض الباحثين على رأسهم الباحثة عائشة غطاس رحمها الله في الكشف عن كل ما تعلق بهذه الجماعة.
- شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تطوراً ملحوظاً لنظام الوقف، مما ساهم بشكل أساسي في تطور العمارة بمختلف أنواعها خاصة المدنية، فقد تم تخصيص مبالغ هامة من أموال الأوقاف لتشييد المساجد وترميمها، وبناء المدارس والزّوايا والحمّامات العامة والفنادق والكوش وغيرها من المرافق والتي كانت تسهر على تسييرها عدة مؤسسات وقفية، مما منح المدن طابعًا عمرانيًا يعكس التّماسك المجتمعي.

- كما ساعد الوقف في الحفاظ على المنشآت القائمة من خلال عمليات الصّيانة الدورية، مما ساهم في استدامة المباني وفعاليتها على مدى الزمن، فكانت مبادئ الوقف تشجعت على الاستثمار في المرافق العامة وصيانتها، ما جعلها عنصرًا أساسيًا في التنمية الحضرية خلال تلك الحقبة.
- لقد ساهمت فئة الأندلسيين بشكل كبير في تطور العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني، فبعد نزوحهم من إسبانيا نحو بلاد المغرب استقبلت المدن الجزائرية أعدادا كبيرة منهم، حيث جلبوا معهم أساليب هندسية متقدمة، ووظفوا خبراتهم، في تصميم القصور والمساجد والدّور، وأدخلوا عناصر زخرفية متنوعة على المباني، مثلتها النقوش الجصية والخشبية، التي ميزت واجهات المباني الداخلية والخارجية. كما ساهموا ايضا في تحسين تخطيط المدن، من خلال إنشاء أحياء منظمة وتطوير أنظمة توزيع المياه، علاوة على ذلك، شاركوا في بناء المنشآت الدفاعية، مثل الأسوار والقلاع، التي عززت مناعة المدينة ضد التهديدات الخارجية. بفضل مهاراتهم، أصبح الطابع الأندلسي جزءًا لا يتجزأ من المشهد العمراني للجزائر العثمانية مما ساهم في التنوع الثقافي.
- لقد كانت مواد البناء المستخدمة في تشييد المباني المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني مستمدة من البيئة المحلية، حيث تم الاعتماد على الحجارة المتنوعة والطّين والخشب وتم مزجها في البناء. بتقنيات تجعل من هذه المواد تلعب دورا فعالاً في تعزيز صلابة المباني ومقاومتها للعوامل الطبيعية والبشرية، مما ساهم في استدامة العمارة العثمانية في البلاد.
- كانت الحجارة تستخدم في تقوية أساسات المباني والجدران، بينما استُخدم الطين في صناعة الطوب والبناء التقليدي، في حين شكل الخشب عنصرًا أساسيًا في الأسقف والزخارف الداخلية. بالإضافة إلى ذلك عرفت القصور وبعض المباني خاصة خلال العهد العثماني استخدام مواد فاخرة كالأعمدة الرخامية وبلاطات الزّليج.
- عرفت الجزائر خلال العهد العثماني ازدهاراً كبيراً في فنون الزّخرفة، حيث تنوعت مواضيعها وفق التأثيرات المختلفة، ونفذت على مواد مختلفة مثل: الخشب والجص والبلاطات الخزفية، مما أضفى على العمارة طابعًا جماليًا يعكس التأثير العثماني والأندلسي في العمارة المحلية، وبفضل هذه المواد وتقنيات استخدامها، استطاعت العمائر العثمانية في الجزائر الصمود لعقود محافظةً على جمالها.
- ومن خلال ما تم عرضه من نتائج ندرج بعض التّوصيات المهمة:

- بذل المزيد من الجهود للحفاظ على ما تبقى من المباني التي تعود إلى العهد العثماني، لما تمثله من قيمة تاريخية وتراثية وطنية. من خلال برامج الترميم، وتوثيق هذه المعالم المعمارية، والعمل على إدراجها ضمن قوائم الموروث الوطني والتراث العالمي.
- تشجيع الباحثين والمؤرخين على إجراء المزيد من الدّراسات والأبحاث حول تأثير العمارة العثمانية على النّسيج العمراني الجزائري، مع التّركيز على العناصر الفنّية والزُّخرفيّة والهندسية، والتي يمكن للمهندسين المعماريين من خلالها استلهام بعض العناصر الجمالية والوظيفية، وإدماجها في التّصاميم الحديثة للحفاظ على الهوية الثقافية.
- التحسيس ونشر الوعي بين المواطنين حول أهميّة التُّراث المعماري الجزائري خلال العهد العثماني، والذي يشكل جزء من الهوية التّاريخية للجزائر عبر العصور، وتشجيع السّياحة الثقافية لزيارة ما بقي من المواقع الأثرية وتسهيل عملية الوصول اليها، بما يخدم المصلحة الحضارية والاقتصادية للبلاد.
- كما يمكن اقتراح إدراج العمارة العثمانية في المناهج الدراسية في مختلف المراحل التّعليمية والجامعات والمعاهد المتخصّصة، بهدف ضمان انتقال المعرفة التاريخية بين الأجيال وتثبيت معالم الهوية الوطنية.
- وفي الختام تعدُّ هذه الدّراسة المتواضعة، مساهمة أولية في تسليط الضّوء على العمارة المدنية في الجزائر خلال العهد العثماني. كما لا يفوتنا أن نشير أن هذا الموضوع لايزال بحاجة إلى المزيد من الأبحاث والدراسات المكملة التي يمكن أن تتناول الجوانب المختلفة التي أثيرت وطرحت في هذا العمل. ونأمل أن تجد الساحة الأكاديمية مستقبلاً جهوداً بحثية من قبل باحثين آخرين تكشف المزيد حول الموضوع. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن العمارة الصحراوية تمثّل مجالًا قائمًا بذاته، نظرًا لخصوصياتها البيئية والمناخية وموادها المحلية، وهو ما يستدعي بحثًا مستقلًا يركّز على أنماط البناء في المناطق الصحراوية الجزائرية، وكيفية تكيّفها مع الظروف الطبيعية القاسية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

كتب الحديث النبوي الشريف

-أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط01، ج3، المكتبة العصرية، (بيروت)، 1990م.

I: المصادر

أولاً: باللغة العربية

1- الوثائق

1-1- وثائق مركز الأرشيف الوطني

ا- وثائق المحاكم الشرعية

رقم العلبة	رقم الوثيقة
01	19 ،35
72، 73	05
55	22
26	28 ،08
132،133	19
145	35
62	25 ،01
02/18	
28	23
01/18	09،20-01
ع55	11 - 30
ع101. 102	78.46

ب-وثائق سلسلة بيت البايلك

- س. ب. ب، ع30-31، سجل269.
- س. ب. ب، فيلم28، ع28، سجل215. أوقاف الحرمين الشريفين.

- س. ب. ب، فيلم28، ع29، سجل219. أحباس الرجال والنساء.
- س. ب. ب، فيلم35، ع33، سجل314. أوقاف المساجد .
- س. ب. ب، ع 29 سجل 242. أوقاف الحرمين الشريفين.
- س. ب. ب، علبة29، سجل242.
- س. ب. ب، ع29، سجل231.
- س. ب. ب، ع30، ع31، سجل264- 279.
- س. ب. ب، ع30، سجل246، و18.
- س. ب. ب، ع32، و04.
- س. ب. ب، ع35، سجل357، و10، سجل369، و34.
- س. ب. ب، ع35، سجل 351 – 369، و38.
- س. ب. ب، فيلم28، ع28، سجل215.
- س. ب. ب، فيلم35، ع33 سجل314.
- س. ب. ب. بفيلم32، ع31 سجل287.

ج-وثائق سلسلة بيت المال

- س. ب. م، فيلم 35، علبة ،33 سجل 310، ص 77.

1-2- الوثائق المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية قسم المخطوطات

- ملفات1258، و87 .
- ملفات3205، و03. (دفع مصطفى باشا حانوت بسوق الصّاغة لصالح الأوجاق 1219هـ)
- ملفات3205، و17. (صدقة يحي أغا الصباحية لصالح صفرة دار الإمارة 1239هـ)
- ملفات3205، ج/02، و07. (مصادرة ممتلكات الحاج عمر شاوش وضمها لدار الإمارة)
- ملفات3205، ج/2 و23 . (صدقة يحي أغا الصباحية لصالح صفرة دار الإمارة 1239هـ)
- ملفات3205، و29. تسليم كوشة معدة لطبخ الخبز للعسكر لصفرة دار الإمارة 1166هـ
- ملفات3205، و30.(تنازل مصطفى باشا للبايلك عن حانوت عطور يملكه مقابل ما يحتاجه البرج الذي بناه)
- ملفات3205، و34. (تركة علي بلوكباشي الجقماقجي)
- ملفات3205،و39.(وقف محمد باشا لحانوت على البئر الذي حُفره قرب رأس التافورة 1201هـ/1786م)

- ملفات 3205، و49.
- ملفات3205، و40. (تجديد بناء خزان للماء، وإنشاء بنايات بأموال أوقاف العيون 1177هـ/1764م)
- ملفات3205، و45. (وقف مصطفى خوجة علوي لصالح أوقاف العيون 1103هـ/1691م)
- ملفات3205، و46. النص الأول(حبس إسحاق يولداش عل أهل أوجاق أهجي مصطفي بدار الإنكشارية القديمة 1192هـ).

1- 3- وثائق أرشيف ولاية قسنطينة

- سلسلة المحاكم الشرعية، ج01، ص 94 -245.

سجل صالح باي

2- مخطوطات المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية

- الشويهد عبد الله بن محمد، كتاب قانون أسواق مدينة الجزائر، رقم 1378، عدد الورقات(1-116).

3- الكتب المطبوعة

- ابن الرامي أبي عبد الله بن محمد إبراهيم اللخمي، الإعلان بأحكام البنيان، تح: فريدة بن سليمان، تق: عبد ابن المفتي حسين بن رجب شاوش تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1، جم: فارس كعوان بيت الحكمة، الجزائر، 2008 م.
- ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، مرا وتح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.
- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، مج 1، ط 3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت(لبنان)، 1967م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، السعودية، (د. س. ن).
- ابن سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تق وتح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، المحمدية(الجزائر)، 2013م.
- الإدريسي الشريف، وصف إفريقية الشمالية والصحراوية ما خوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المطبعة الرسمية، الجزائر، 1957م.

- الإدريسي محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.
- البكري أبي عبيد ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد(العراق)، 1857م.
- الحميري بن عبد المنعم محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق وتح وتع: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (ANEP) الجزائر، 2006م.
- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1168-1224هـ/1754-1830م، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتع وتق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1982م.
- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي(1832-1837م) تر وتق: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- فيتروفيوس، الكتب العشرة في فن العمارة، تر: هاشم عبود الموساوي، إعداد، محمد عمر بن طالب، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة(مصر)، 2016م.
- قشي فاطمة الزهراء، سجل صالح باي للأوقاف 1207/1185هـ 1792/1771م، ط 1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة(الجزائر)، 2009م.
- كاثكارت جيمس ليندر، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب وليام كثكارت، تر وتح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- مالنسان هاينريش جون ، ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا ، ط1، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، برج الكيفان(الجزائر)،2008م.
- المقدسي أبي عبد الله شمس الدين، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
- ميتزون جيربيت ، يوميات أسير في الجزائر 1814-1816م تر: فرنسية ج. هـ. بوسكي وج. ق. بوسكي ميراندول تع: محمد زروال ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

- هابنسترايت جون أو، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007م.
- الورتيلاني الحسين بن محمد، الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(مصر)، 2006م.
- الوزان الحسن، وصف إفريقيا،ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 1983م.
- الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 1981م.

ثانياً: المراجع

1- الكتب

- مسلم ليليان، القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، منشورات ديوان رياض الفتح، الجزائر 1984م.
- أزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مج2، تر: عدنان محمود سلمان، مر: محمود الأنصاري، شركة الهلال المساهمة للطباعة والنشر والسياحة والصحافة والدعاية، إسطنبول(تركيا)، 1990م.
- الأعرج عبد العزيز محمود، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
- أغلو أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج2، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والثقافة والفنون، إستانبول(تركيا)، 1999م.
- أكبر جميل عبد القادر، عمارة الأرض في الإسلام مقارنة الشريعة بأنظمة الحكم الوضعية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت(لبنان) 1995م.
- بك محمد فريد، تاريخ الدولة العليّة والعثمانية، ط2، مطبعة محمد أفندي، مصر، 1896.
- بلقاضي بدر الدين، بن حموش مصطفى، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
- بن حموش مصطفى، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني، (952هـ-1242هـ، 1549-1830م)، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، (الإمارات العربية) 2000م.
- بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها واضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الامة، الجزائر، 2010م.

- بنور فريد، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر(1782-1830م)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.
- بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848، دار الحكمة، الجزائر، 2010م.
- حرب محمد، العثمانيون في التاريخ و الحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة(مصر)، 1994م.
- حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، دار الفكر الإسلامي، ط1، الجزائر، 1972م.
- حماش خليفة، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار النشر نوميديا، قسنطينة (الجزائر)، 2012م.
- الخلابي عبد اللطيف، الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي 669-960هـ/1270-1550م، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(مصر)، 2011م.
- دحدوح عبد القادر، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، قسنطينة (الجزائر)، 2015م.
- دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني(510-546هـ/1116-1151م)، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت(لبنان)، 1408هـ/ 1988م.
- دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830م 1855م،ش و ن ت، الجزائر،1975م.
- رحال الطاهر، الحاج أحمد باي وقصره، وزارة الثقافة، منشورات الرجاء، قسنطينة(الجزائر)، 2016م.
- ريمون أندري، العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، ط1، مج1، تع: قاسم الطوير، دار المجد، دمشق(سوريا) 1982.
- سامي عبد الله ، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، 2014م.
- سعد الله أبو القاسم، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان) 2003م.
- سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1998م.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الإبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 2003م.

- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)2001م.
- الصفصافي أحمد مرسي، إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة (مصر)، 1999م.
- عبد العزيز محمد مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة(مصر)، 1974م.
- عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1992م.
- عزب خالد، فقه العمارة الإسلامية، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة(مصر) 1998م.
- عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009م.
- عكاشة ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار الشروق، ط1، القاهرة(مصر) 1994م.
- فرحان صبيح لفتة، ناظم محمد وحواء، الفن والعمارة، مركز الدراسات والنشر، العراق، 2021م.
- فركوس صالح ، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.
- القحطاني مسفر بن علي، مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي، ط1، الشبكة العربية، بيروت(لبنان)، 2012م.
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، الجزائر، 2005م.
- قويسم محمد يوسف، مدينة قسنطينة مابين القرنين 10-07هـ/16-13م دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية، دار المتنبي للنشر والتوزيع، المسيلة(الجزائر)، 2022م
- مارسيه جورج، الفن الإسلامي، تر: عبلة عبد الرزاق، مرا: عاطف عب السلام، المركز القومي للترجمة القاهرة (مصر)، 2016م.
- مالدونادو باسيلو بابون، العمارة الأندلسية، ط1 عمارة المياه، تر: علي إبراهيم علي منوفي، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة(مصر) 2003م.
- مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، 1989.

- المبارك علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج01، ط1، مطبعة بولاق، مصر، 1306 هـ.
- محمد رزق عاصم معجم، مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
- مروش لمنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني " العملة، الأسعار والمداخيل"، ج1، دار القصبة لنشر، الجزائر، 2009م.
- مريوش أحمد، وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (ط. خ)، الجزائر 2007م.
- الملغوث سعيد محمد رعد، العمران في فقه ابن خلدون، ط 1، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق(سوريا)، 1985م.
- ملوحي ناصر محي الدين، المبدعون في الأرض المعماري العثماني المبدع سنان باشا، ط1، دار الغسق للنشر، سورية، 1443هـ/2022م.
- المناوي عبد الرؤف، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، ط1، تح، تق: عبد الحميد صالح حمدان الدار المصرية اللبنانية القاهرة(مصر)، 1987م.
- ميمونة حامد، وآخرون، الإباحة والإجارة والجعالة، مج1، جامع الكتب الإسلامية، المكتبة الشاملة، د.ت
- وزيري يحي، العمارة الإسلامية والبيئة الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة، الكويت، 2004م.

2-المقالات والدراسات

- آجقو علي، شلبي شهرزاد، «مؤسسة الخزينة في الجزائر أواخر العهد العثماني ودورها الاقتصادي والعسكري 1798-1830م»، مجلة علوم الانسان والمجتمع، مج05، ع04، 2016م.
- بخاخ سعدون، شبوط سعاد يمينة، «أهمية سجلات بيت المال في دراسة واقع الجماعات الوافدة على مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني " جماعة البساكرة نموذجا"»، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية جامعة سيدي بلعباس، مج14، ع01، 2022م.
- بلحميسي مولاي، «مشاكل المياه في الجزائر العاصمة خلال العهد العثماني»، مجلة بحوث، مج02، ع01، 1994م.
- بن بلة خيرة، «الكتابات التأسيسية بالجزائر في العهد العثماني خصائصها ومضامينها»، حوليات الآثاريين العرب، مج16، ع01، 2013م.

- بن بلة علي، المقراني محمد، «دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة في المتحف الوطني للآثار القديمة»، مقال منشور في حوليات المتحف الوطني للآثار، ع 04، 1994م.
- بن حمو محمد، «خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرابطية والمرنية»، المجلة التاريخية، ع20، 2013م.
- بن عبد الله زهية، «الجسد والعناية الصحية به في ظل حضارة الماء– قراءة أنثروبولوجية لعادات الاغتسال في التراث المتوسطي»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع18، 2015م.
- بن عتو بلبروات، «الهياكل القاعدية لتجارة مدينة الجزائر خلال العهد العثماني»، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، مج03، ع05، 2017م.
- بن قويدر سامية ، «الفقه والعمارة في مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية»، مج14،ع04، 2022م.
- بن قويدر سامية، «وظيفة القبو في عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني»، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج06، ع02، 2022م.
- بن نعمان إسماعيل، «الصناعة التقليدية للقرميد المقعر في أرياف الجزائر منطقة القبائل نموذجا»، دراسات تراثية، مج09، ع01، 2015م.
- بن نعمان إسماعيل، «حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط تقنية الطابية أنموذجا»، مجلة الناصرية، مج04، ع01، 2013م.
- البنا سامح فكري، «العناصر المعمارية والزخرفة المملوكية وأثرها على مثيلاتها بالعصر العثماني في ضوء نماذج من مصر وتركيا»، حوليات الاتحاد العام للآثاريين العرب، مج15،ع15، 2012م.
- بوتشيشة علي، «الحمامات العامة بالجزائر خلال العهد العثماني؛ حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران أنموذجا»، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج14، ع02، 2022م.
- بوتشيشة علي، «المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة في عناصره المعمارية»، مجلة الدراسات الأثرية، مج19، ع01 2021م.
- بوتشيشة علي، «المسكن في الجزائر خلال العهد العثماني(دراسة في عناصره المعمارية)»، مجلة الدراسات الأثرية، مج19، ع01، 2021م.
- بوتشيشة علي، «قصر الباي محمد الكبير بوهران»، مجلة آثار، مج12، ع01، 2014م.
- بوراية لطيفة، "قصر مصطفى باشا بحي رياس البحر"، مجلة آثار، ع06، 2007م.

- بوراية لطيفة، «تهديم الفرنسيين دار الإمارة (دار الجنينة) بمدينة الجزائر–دراسة تاريخية أثرية–»، مجلة آثار، مج11، ع02، 2013م.
- بوراية لطيفة، «دور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني دار حسن باشا نموذجا (دراسة وصفية وأثرية)»، حولية الاتحاد العام الآثارين العرب، مج16، ع01، 2013م.
- بوسويل ليلى، عدنان سليم، «المساهمة في الحفاظ على التراث المعماري بالجزائر، حصن23 بمدينة الجزائر– نموذجا–»، مجلة آفاق علمية، مج14،ع01، 2022م.
- بوشنافي محمد، «صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني (1520–1830م)»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع10، 2015م.
- بوشيبة ذهبية، «العلوم العقلية والفنون في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة متون، ع04، 2017م.
- تريكي سليم، «طوبونيميا مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال مخطوط قانون الأسواق لعبد الله بن محمد الشويهد»، الملتقى الوطني التاريخ والطوبونيميا، رؤية منهجية لخدمة التاريخ، جامعة البليدة 02، 04/17/ 2024م منشور.
- تريكي سليم، نفطي وافية، «الفنادق في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال المصادر– دراسة تاريخية إحصائية–»، المجلة التاريخية الجزائرية، مج08، ع03، 2024م.
- تريكي سليم، نفطي وافية، «صهاريج تخزين المياه في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني،–دراسة تاريخية أثرية–» ، مجلة الإنسان والمجال، مج09،ع01، 2023م.
- تمليكشيت هجيرة، «الثريات ذات الطراز المملوكي بالجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الانسانية، العراق، مج03، ع02، 2022م.
- التميمي عبد الجليل، «المدن العربية والديمغرافيا التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني»، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات العثمانية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان(تونس)، سبتمبر 1998م.
- توامة نعناعة، «تطور فن الزخرفة العمائرية بالجزائر خلال العهد العثماني " مساجد قسنطينة أنموذجا"، مجلة جماليات»، مج07،ع01، 2020م.
- جدي صليحة، «أهمية وثائق الأوقاف بسجلات المحاكم الشرعية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني(مدينة الجزائر نموذجا)»، مجلة الدراسات التاريخية، مج16، ع02، 2015م.

- جدي صليحة، «حرفة البناء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ومساهمة الطائفة الأندلسية على ضوء وثائق الأرشيف والكتابات الأثرية»، مجلة آفاق علمية، مج13، ع04، 2021م.
- جميلة مشرفي، ودان بوغفالة، «الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1519م 1830)»، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج 08، ع01، 2017م.
- حمدوش زهيرة، «الأعمدة الرخامية بالجزائر خلال العهد العثماني»، حوليات الاتحاد العام للآثاريين العرب، مج20، ع01، 20017م.
- خبيزي محمد، «جمالية بعض الزخارف الرمزية ومدلولاتها في العمارة الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة»، مج 06، ع02، 2021م.
- دحدوح عبد القادر، «التخطيط المعماري للقصور بالجزائر خلال الفترة العثمانية»، دفاتر البحوث العلمية، مج11،ع 02، 2023م.
- دحدوح عبد القادر، «المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية»، مجلة محكمة ، عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع13، 2013م.
- دريس فاتن، «تاريخ مدينة المدية ونسيجها العمراني إبان الحكم العثماني»، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج12، ع02، 2021م.
- رابح كتور، أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث المحاكم الشرعية أنموذجا، المجلة التاريخية الجزائرية، ع09، 2018م.
- الرديني يوسف عبد الكريم طه مكي، «العمارة العثمانية(1326- 1520م) دراسة في نشأتها وتطورها التاريخي»، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج29، ع01 (خاص بالمؤتمر العام)، 2022م.
- سرحان حليم، «صناعة السفن الحربية في الجزائر خلال العهد العثماني دراسة مستمدة من النصوص التاريخية والوثائق»، المجلة التاريخية الجزائرية، مج01، ع05، 2017م.
- سعدي حسناء، حامي حسان،« الرموز ضمن البنية المورفولوجية للسكن التقليدي الجزائري-رمز الخامسة نموذجا-»، أنثروبولوجيا، مج09،ع01، 2023م.
- سعيدوني معاوية، «دور الوقف في الحفاظ على التراث والتنمية المستدامة»، أوقاف، العدد19، السنة العاشرة، 2010م.
- سعيدوني ناصر الدين، «من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر: الشبكة المائية في العهد العثماني»، مجلة الدراسات التاريخية، مج06، ع01، 1995م.

- سلطاني أحمد،«الحوانيت والمرافق العامة في مدينة الجزائر العثمانية»، الحوار المتوسطي، مج05،ع02، 2014م.
- سوكحال محمد الهادي، قبوب لخضر سليم،« دراسة تشخيصية لبلاطات الزليج في قصر رياس البحر بالجزائر العاصمة»، مجلة التنوير، مج01،ع01، 2018م.
- شعباني بدر الدين، «مدينة قسنطينة في العهد العثماني –الأصالة والتراث–» ، مجلة دراسات، مج11، ع01، 2020م.
- شعباني بدر الدين، «مدينة قسنطينة في العهد العثماني– الأصالة والتراث–»، مجلة دراسات، مج11، ع01، 2020م.
- شعشوع معمر،«العمارة والتراث بالجزائر خلال العهد العثماني قصور وحمامات مدينة الجزائر أنموذجا»، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج12،ع01، 2016م.
- الشمري محمد كريم إبراهيم ، «الفندق دراسة تراثية وحضارية أولية»، مجلة القادسية ، مج12، ع04، 2009م.
- صحراوي عبد القادر، «الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية ونظم التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق»، الحوار المتوسطي»، مج01 ع01، 2009م.
- طيان شريفة، «النحاسيات في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة آثار، مج07،ع01، 2009م.
- عبابنة محمد أحمد، «مؤسسة الحسبة في الدولة العثمانية ودورها في ضبط الأسواق للمدة 699–973هـ/1300–1566م»، مؤتة للبحوث والدراسات، مج31، ع06، 2016م.
- عثمان محمد عبد الستار، فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم، المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية، الرياض،(السعودية)، 2010م.
- عثمان محمد عبد الستار، «فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني (دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر)»، منشورات: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان،(تونس)، 2001م.
- عشي علي، «فقه العمران في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب الإعلان بأحكام البنيان»، مجلة تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات، مج03،ع02، 2023م.

- علال إسماعيل ، «العمارة في الفترة العثمانية بالمدية– قصر الباي بالمصلى نموذجا– (1784–1900)»، صفحات من تاريخ المدية، تن ومرا، رشيد مياد، إشرا، الغالي غربي، سلسلة منشورات مخبر الدراسات المتوسطية عبر العصور، جامعة المدية، 2022م
- علاوة عمارة، «الجزائر وقبيلة الثعالبة تأسيس وتطور مدينة وسيطة»، مجلة معابر ، مج03، ع01، 2016م.
- علي عبد العال داليا، «الأنماط الفنية للزخرفة العثمانية»، مدارات تاريخية، مج01، ع02، 2019م.
- غطاس عائشة، «سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر– العهد العثماني–»، مجلة إنسانيات ،ع03، 1997م.
- ليفة آسيا، «دور الملكيات الوقفية في تنمية المجال الحضري: حالة قسنطينة»، مجلة آفاق علمية، مج13،ع02، 2021م.
- المازري بديرة ، «حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر»، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، د ت المازري بديرة، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات للبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1988م.
- مباركي نادية، «إطلالة على التجهيز المائي بمدينة الجزائر ومرافقها المائية خلال العهد العثماني– على ضوء مصادر غربية ووثائق محلية من الرصيد العثماني»، دراسات تراثية، مج11، ع01، 2017م.
- متولي محمد وليد موسى، «دراسة اتجاهات العمارة البيئية لتطوير المنشأ البيئي»، مجلة التصميم والتراث مج04، ع24، جامعة حلوان (مصر)، 2024م.
- محمود أحمد زهران، «القاعدة الفقهية " لا ضرر ولا ضرار" وبعض فروعها و أحكامها في فقه العمران»، مجلة كلية الآداب، ع66، جامعة المنصورة،(مصر)، 2020م.
- معازيز عبد القادر، «فن العمارة لدى المرابطين»، مجلة الكلمة ،ع106، 2016م.
- معروف ياسمينة، «عاشور سلال، استغلال الأرشيف العقاري العثماني قبل قانون وارني 1873م»، مجلة إنسانيات، ع99، 2003م.
- مهيبل سعيد، «المواد الطينية المستعملة في بناء منشآت قلعة الداي بالجزائر»، مجلة دراسات إسلامية، مج11،ع02، 2016م.

- الموالدي عواطف عطيل، «ابن خلدون وعلم العمران البشري»، مجلة تاريخ المغرب العربي ، ع09، 2018م.
- موقادي فطوم، شتوح ليليا، «الموروث العمراني المرابطي بالجزائر»، مجلة التعمير والبناء مج03،ع02، 2019م.
- ناجي لخضر، «عوامل تأثر المرابطين بالحضارة الأندلسية- فن العمارة أنموذجا-»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج15،ع01، 2022م.
- نادية مباركي، «دور الحدائق والمقاهي في توفير وسائل الترفيه والتسلية لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني»، حوليات التاريخ والحضارة، ع04، 2001م.
- نفطي وافية ، شلوق فتيحة، «دور الأوقاف في دراسة عمران المدن والنظيم الحضري مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنموذجا»، المجلة الجزائرية للبحوث والدارسات التاريخية المتوسطية، مج08،ع خ، 2022م.
- نمير أعقيل، «المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني، ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات نموذجا)»، مجلة دراسات تاريخية، ع115، 2011م.
- نواري خولة، بن بلة خيرة، «البنية التنظيمية للطوائف الحرفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني»، مجلة الدراسات الأثرية مج16، ع01، 2018م.
- نواري خولة، «نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة في العهد العثماني»، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج02، ع01، 2019م.
- هزرشي عبد الرحمان، «فقه العمران الإسلامي من خلال "كتاب رياض القاسمين للقاضي الحنفي كامي أفندي "أنموذجا"»، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، مج06، ع03 ، الجزائر،2021م.
- هلايلي حنفي، «الحضور الأندلسي بالجزائر على ضوء المحاكم الشرعية»، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع25، 2002م.
- هلايلي حنفي، «مخطوطات الجزائر في العهد العثماني بين ازدواجية الترجمة والتحقيق أسواق مدينة الجزائر فتر التشريفات نموذجا»، الملتقى الدولي الأول، الأواصر الثقافية والحضارية بين الجزائر وتركيا في الفترة الحديثة والمعاصرة -مقاربة في التراث المادي واللامادي-، جامعة المدية (الجزائر)، يومي11/10 نوفمبر، 2015 م.

3- الرسائل الجامعية

- بلجوزي بوعبد الله، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2006م.
- بن بلة علي، المصنوعات الخشبية بقصور قصبة مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني دراسة أثرية – فنية، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2002م.
- بن شامة سعاد، المعالم الأثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني – شرشال البليدة والقليعة- أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2015م .
- بن عتو بلبراوات، المدينة واليف في الجزائر خلال لعهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران،(الجزائر)، 2008م.
- بن كردة زهية، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، من خلال المصادر- دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2000/1999م.
- بوراية لطيفة، التصوير في سقوف المنشآت المدنية في العهد العثماني بمدينة الجزائر والمدن السورية (حلب)، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008 /2009م.
- بوشريبة حياة ، التفاعل الاجتماعي في ظل التوسع العمراني لمدينة قسنطينة بين التقليد المتوارث والتجديد الطارئ خلال الفترة 1787م /1841م أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الشلف، الجزائر، 2024/ 2025م.
- جلال جميلة، الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق الأرشيف والمعالم القائمة (1212-1220هـ/1798هـ-1805م)- دراسة أثرية معمارية وفنية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2012/2011 م.
- حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ جامعة قسنطينة (الجزائر)، 2006م.
- خشمون حفيظة، مهام مفتديي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، (الجزائر) 2006/ 2007م.
- خلاصي علي، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ والأثار، جامعة الجزائر 1989م.

- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني –قصر الداي أنموذجا– مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011م.
- عتيق لعزازي رفيقة، مواد وتقنيات البناء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الحزائر02، 2013/2012م.
- فرشيشي رمزي، الطراز المعماري والفني لعمارة القصور بالمغرب الأوسط من العصر الزيري إلى نهاية العصر الزياني(04–10هـ/10–16م) –دراسة أثرية معمارية فنية–، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر02، 2002م.
- قرمان عبد القادر، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007م.
- القشاعي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العد العثماني1771–1837م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1990م.
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تونس، 1419هـ/ 1998م.
- اللبابدة عبد الله فهد، المقرنصات في العمارة الإسلامية في مصر في العصر المملوكي (دراسة معمارية فنية مقارنة)، رسالة ماجستير في الآثار، جامعة مؤته (الأردن)، 2006م.
- معاشي جميلة، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، (الجزائر)،2008/2007م.
- موساوي سليمة عربية، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1991م.
- نفطي وافية، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة الدكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة باتنة،2017 م.
- الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلل القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994م.

4–المعاجم

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت(لبنان)، 2003م.
- أبوا الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القران العظيم ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، 2000م.
- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القران ج12، ط1، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والطباعة، القاهرة (مصر)، 2001م.
- أطلس الصخور والمعادن، ط1، تر: عناد الدين أفندي، دار الشرق العربي، بيروت (لبنان)،2014م.
- خوري أمين، رفيق العثماني قاموس، معجم تركي فارسي عربي، مطبعة الآداب، بيروت(لبنان)، 1894م.

5-المواقع الإلكترونية.

- الخويلدي زهير، التفاعل بين الهندسة المعمارية وأنطولوجيا الفضاء حسب مارتن ها يديجر الحوار المتمدن المحور (الفلسفة، علم الاجتماع، علم النفس)، ع 8108، الصادر في 22/ 09 / 2024 ص 02. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=842947 أطلع عليه يوم 21/ 03/ 2025 الساعة 20.00.
- شهري فيصل، القحطاني تركي وآخرون، الباروك والركوكو عمل طلاب، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك سعود، السعودية،1443هـ / 2021م، https://www.scribd.com أطلع عليه في 2024/02/05، الساعة 22.00..
- قداش فاروق، عزيزة ابنة الباي التي ماتت بتسع طعنات، جريدة الشروق العربي، 2018/09/05، https://www.echoroukonline.com/، أطلع عليه يوم: 2024/02/04.
- محمود السيد الدغيم، "المعمار الإسلامي العثماني في الدور الثاني المسمى الدور الكلاسيكي التقليدي في عهد السلطان سليم الأول"، جريدة الحياة، العدد **16243**،الإثنين 12سبتمبر،2007م https://www.dr-mahmoud.com/index.php?option=com_content&view=article&id=827:--10&catid=124&Itemid=64أطلع عليه يوم 2024/08/09.
- نبيلة القوصي، التكية السليمانية، متوفر على الرابط: https://naseemalsham.com ، أُطلع عليه يوم 2025/04/25، على الساعة 22.21.

II- باللغة الأجنبية

1- المصادر المطبوعة

- Avrieux, Chevalier d', Mémoires du Chevalier d'Ariveux, J-B Delespine, Paris, 1935.
- Bonnafont Docteur , Douze ans en Algérie (1830-1842), Librairie de la société des gens de lettres, Paris, 1880.
- Carle Joseph, Horace Vernet, correspondance biographies, par :Amédée Durande, paris, 1863.
- De Mas Latrie Louis, Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au Moyen Âge. Firmin-Didot et Cie, paris 1886.
- de Nicolay Dauphinois, Les quatre premiers livres des navigations et pérégrinations orientales, Guillaume Roville, 1568.
- de Tassy Lauger, Histoire du Royaume d'Alger, avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer , de ses revenus, police, justice, politique et commerce, Henri du Sauzet, Amsterdam, 1724.
- Devoulx Albert, El DjazairHistoir d'une Cité d' Icosium a' Alger, edition critique presentée, par: Badredine Belkadi, Moustapha Ben Hamouche, ENAG. Alger, 2003.
- Docteur Thomas Shaw – Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par: J. Maccarthy, Marlin Éditeur, Paris, 1830.
- Don Diego De Haödo, Topographie et histoire générale d'Alger, la vie à Alger au XVIe siècle, traduit de l'espagnol avec notes de A. Berbrugger et Dr. Monnereau, présentation par: Abderrahmane Rebahi, Grand-Alger Livres, 3ème Édition, 2007.
- J-M. Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIIIe siècle, mémoires et observations rassemblées et présentées par: Joseph Cuop, Sindbad, Paris, 1983.
- Lepère Dan, Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, des Royaumes et des villes d'Alger, Tunis, Salé et Tripoli, Seconde Édition, Chez Pierre Récollet, Paris, 1649.
- Shaw (Docteur) Thomas, Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc. de cetétat Tr: de l'anglais par: J. Mac Carthy, Paris, 1830

- Sieur de Rocaquville – Relation des mœurs et du gouvernement des Turcs d'Alger, Édition Oliver de Varennes, Paris, 1675.
- Tachrifat – Recueil de notes sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.
- Trémaux Pierre ، Parallèles des édifices anciens et modernes du continent Africain, dessinés et relevés de 1847 à 1854 ،Librairie Hachette ،Paris ،1854.
- Venture De Paradis, Alger au XVIIIe siècle, édité par E. Fagnan, Bibliothèque nationale de France, 1898.
- Venture, De Paradis, Tunis et Alger au XVIIIe Siècle Mémoires et observations rassemblés et présentes par: Joseph Coup Sind Bad, Paris, 1983.

2- المراجع العامة

- Arnaudies Fernand, Esquisses anecdotiques et historiques du vieil Alger, A. Barthéley Edition, Avignon, 1990.
- Carle Joseph– Horace Vernet: Correspondance et biographies, Amédée Durande, Paris, 1863.
- Colin Gabriel, Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie, Ernest Leroux Éditeur, Paris, 1901.
- Cortes Leon, Monographie de la commune de Médéa, Ouvrage honoré d'une Médaille d'Argent de la Société de Géographie d'Alger (Concours de 1907) Edition de l'imprimerie Algérienne, Alger, 1909.
- Eudel Paul, Dictionnaire des bijoux de L'Afrique du nord, Ernest Leroux, Paris, 1906.
- Féraud Charles, Visite au palais de Constantine, Nouveau Journal des Voyages, Paris, 1877.
- Golvin, Lucien, Palais et demeures d'Alger à la période ottomane, Éditions Edisud**,** France, 198**8**.
- Klein Henri , Feuillets d'El-Djezaïr, tomes 1 et 2, Comité du Vieil Alger (1910), Éditions du Tell, Blida, 2003.
- L'Album, giornale letterario e di belle arti fu pubblicato a Roma nel 1841- 42 dalla Tipografia delle Belle Arti.
- Lessore .E et Wyld. W, Voyage pittoresque dans la régence d'Alger, publié et imprimé par Charles Motte, Paris, 1835.

- Merle, Jean Toussaint, Anecdotes historiques et politiques pour servir à l'histoire de la conquête d'Alger en 1830**,** G.A. Dentu**,** Paris, 1830.
- Rozet Claude Antoine, et Ernest Carette, L'Univers: Histoire et description de tous les peuples Algérie, Firmin Didot Frères, Paris, 1850.
- Shuval,Tal, La Ville d'Alger vers la fin du XVIII °siècle; population et cadre urbane ,CNR S ,Paris ,1998.

3-المقالات والدراسات

- Amable Ravoisié, « Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années »1840, 1841, 1842, Imprimerie Royale, Paris, S.D.
- Berbrugger adrien, «La Jenina», Journal Akhbar de l'Algérie, N° 2009, 07 septembre 1854, Alger, Algérie.
- Charton Édouard, Le Tour du Monde – Nouveau Journal des Voyages, premier semestre, édition originale, Librairie Hachette et Cie, Paris et Londres, 1877.
- D'el Franc, «Les inscriptions arabes de Tlemcen XIV - La guidée royale de Tlemcen», Revue Africaine, vol. 5, 1861
- Devoulx Albert, «Alger: Étude archéologique et topographique» R. A, N° 121, 1877.
- Devoulx Albert, «Les édifices religieux de l'ancien Alger», Revue Africaine, N°12, 1868.
- Emerit Marcel, «Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque», Algéria, Février 1952.
- Emerit Marcel, Les marchés et les quartiers commerçants d'Alger à l'époque turque, Revue mensuelle, N° 25, 1952
- Falgas Geneviève, «Le Fondouk des Français à Tunis dans la deuxième moitié du XVIIIe siècle», publié dans Outre-mer Revue d'histoire, tome 97, N°368-369, 2010.
- Herrmann Jr. John J. Tykot Robert. H., and Annewies. Van. Den Hoek. Mt. «Filfila and Marble in Rusicade (Skikda, Algeria) in Roman Times», Proceedings of the XII ASMOSIA Conference, Dokuz Eylül University, Izmir, Turkey, 2023.
- L'Album, giornale letterario e di belle arti, Vol.08, Tipografia delle Belle Arti, Roma, 1841.

- Mercier Ernest , «Constantine avant la conquête française (1837) – Notice sur cette ville à l'époque du dernier bey», Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine **(**Algérie**)** , 1878.
- Pasquali. E, «L'évolution de la rue musulmane d'El-Djezaïr», Documents algériens, Alger**,** 1955.
- Rozet. M, «Voyage dans la régence d'Alger», Arthur Bertrand, vo.l23, Paris, 1833.
- Touati Houari, «Note sur l'organisation des corporations de métiers à Alger aux XVIIe et XVIIIe siècles», Les Cahiers de Tunisie, vol. 34, 1986.

4-الرسائل الجامعية

- Lespes René, Alger: Étude géographique et histoire urbaine, thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Paris, Librairie Félix Alcan, 1930.

الملاحق

الملحق رقم(01): وثيقة تبين الوصف الدّقيق الذي تقدمه وثائق المحاكم الشرعية للعقارات المحبسة.

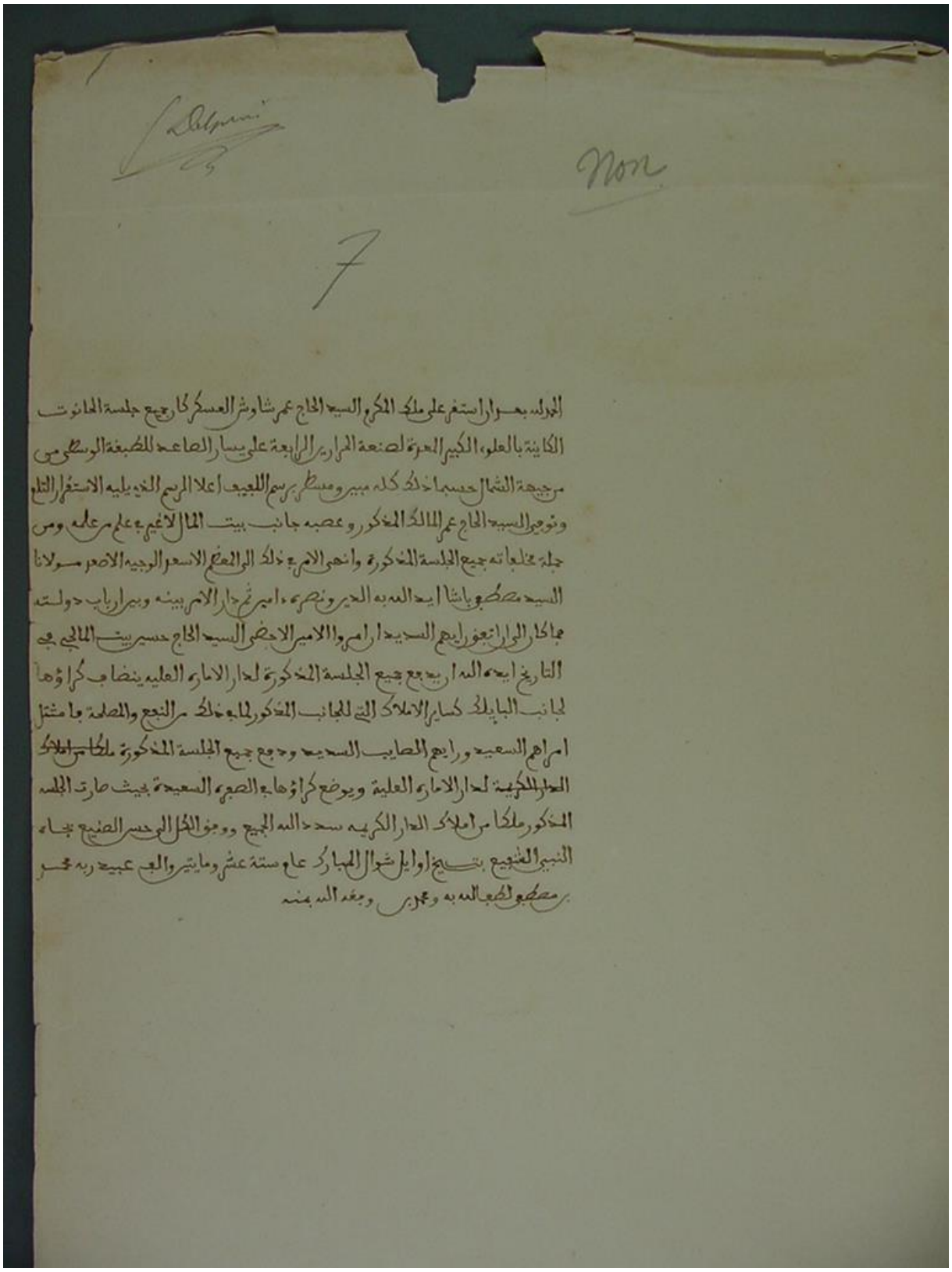

الحمد لله وحده واستغفر على ملكه المكرم السيد الحاج عمر شاوش العسكري جميع جلسة المحانوت
الكائنة بالعلو، الكبير المعروفة لصنعة المرايز الرابعة على يسار الصاعد للضبعة الوسطى من
جهة الشمال حسبما ذلك كله مبين ومسطر برسم اللبيع اعلا الرسم الذي يليه الاستقرار التام
وتوجر السيد الحاج عمر المالك المذكور وعصبه جانب بيت المال الاغيم علم رعايه ومن
جملة مخلوعاته جميع الجلسة المذكورة وانهى الامر في ذلك الى القطع الاسعر الوجيه الاصوب مولانا
السيد مصطفى باشا ايده الله به الخير ونصره امير تمر دار الامر بينه وبين ارباب دولته
بما كان الوزراتعور ابهم السيد ابراهيم والامير الاخضر السيد الحاج حسين بيت المالجي في
التاريخ ايده الله اربع جميع الجلسة المذكورة لدار الامارة العلية بنضاب كراؤها
لجانب الباب المالك كسائر الاملاك التي للجانب المذكور لما به ذلك من النفع والمصلحة وما مثل
امراهم السعيد ورايهم المصايب السديد وجمع جميع الجلسة المذكورة ملكا من املاك
الحارة المكرمة لدار الامارة العلية ويوضع كراؤها بالصفة السعيدة بحيث صارت الجلسة
المذكورة ملكا من املاك الدار الكريمة سدد الله الجميع وهو المحل الوحيد الصنيع بجاه
النبي الشفيع بتاريخ اوايل شوال المبارك عام ستة عشر ومايتين والف عبيد ربه محمد
بن مصطفى الخطاب الله به وعمر بن وبعده الله بمنه

المصدر: أرشيف المكتبة الوطنية ملفات 3205، و07

الملحق رقم(02): صورة تمثل واجهة قصر الجنينة مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر

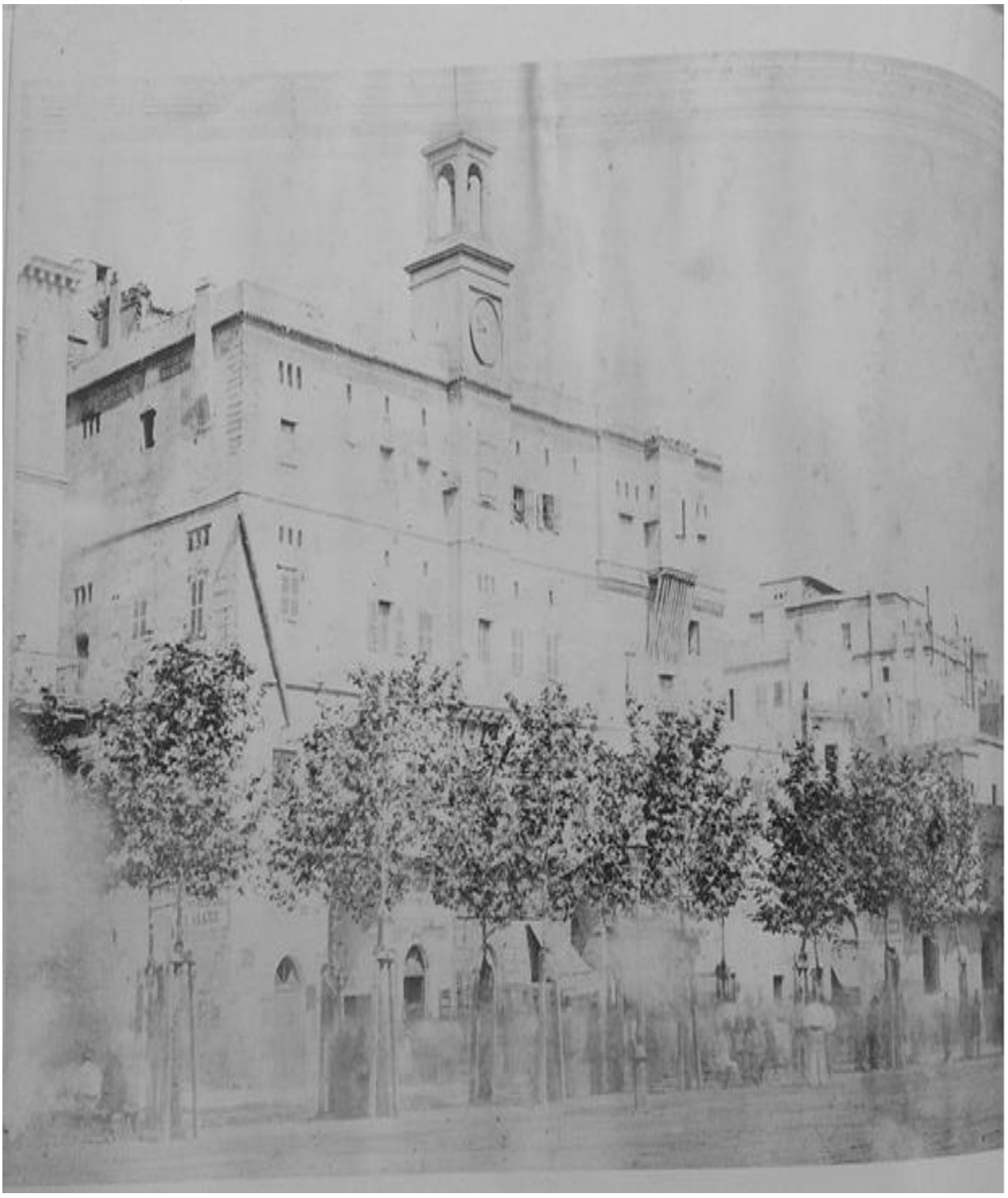

المصدر: Albert Devoulx, El Djazair Histoir d’une Cité d’ Icosium, p244.

الملحق رقم(03): مخططات دار الإمارة، الطابق السفلي الأول والثاني على التّوالي.01 و02 و03.

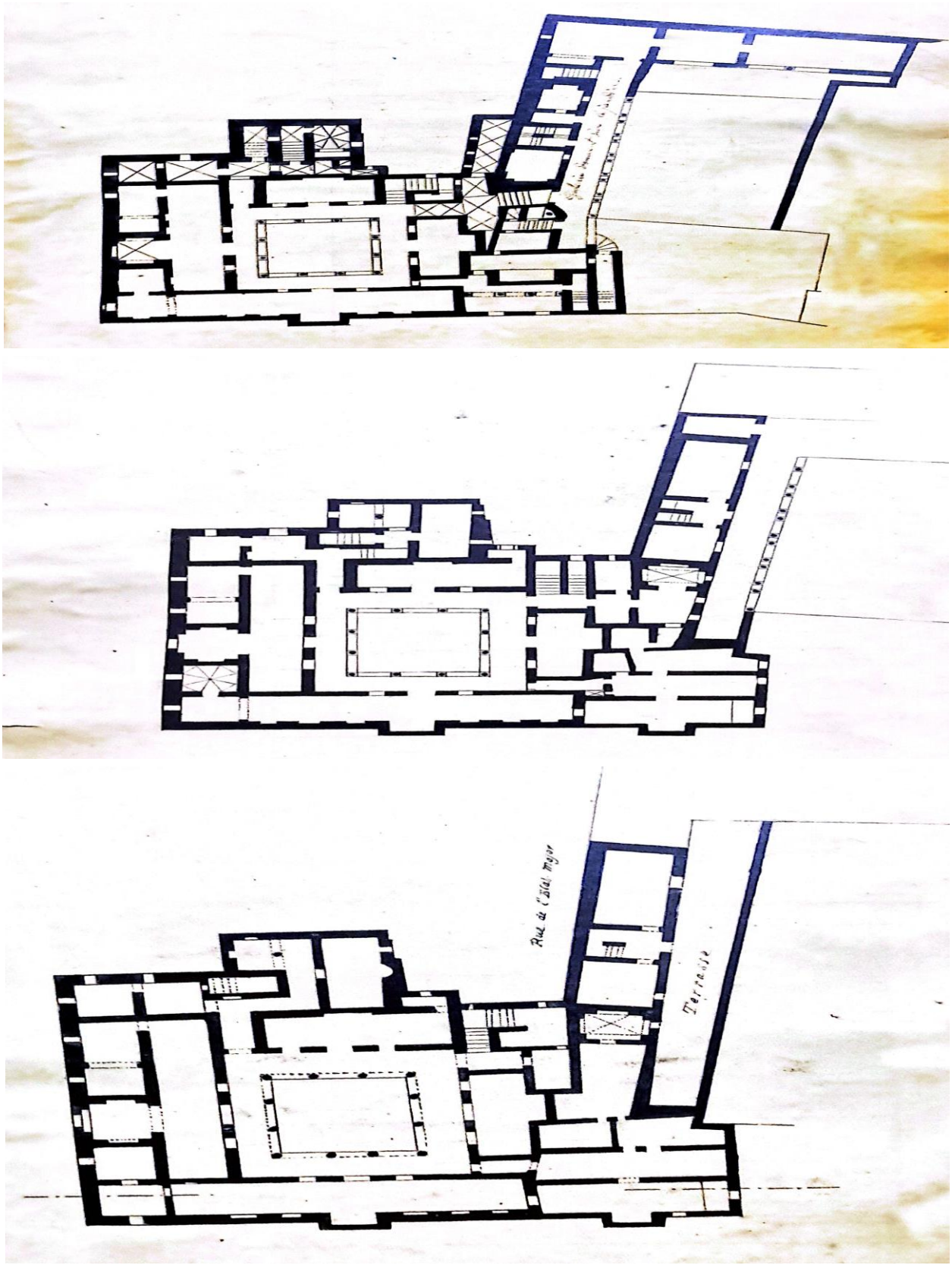

المصدر: Albert Devoulx, El Djazair Histoir d’une Cité d’ Icosium, pp249 −251.

الملحق رقم(04): مخططات قلعة القصبة بمدينة الجزائر. الطابق السفلي والطابق الأول 01 و02.

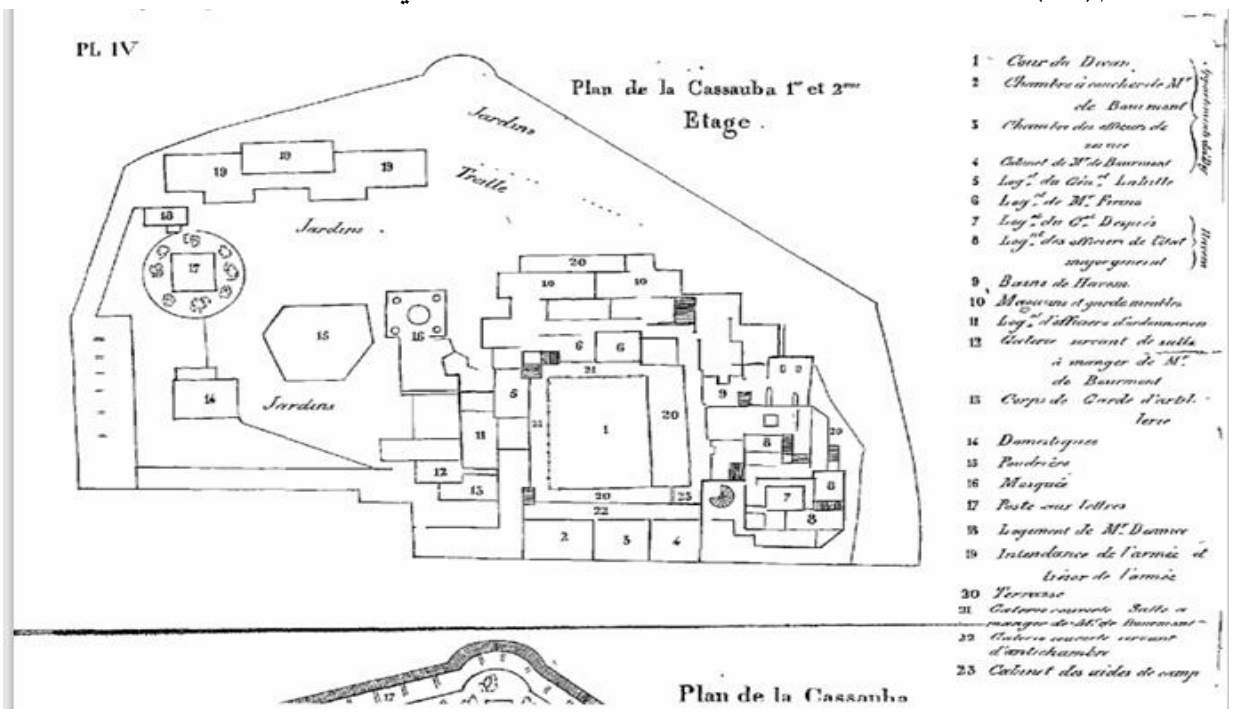

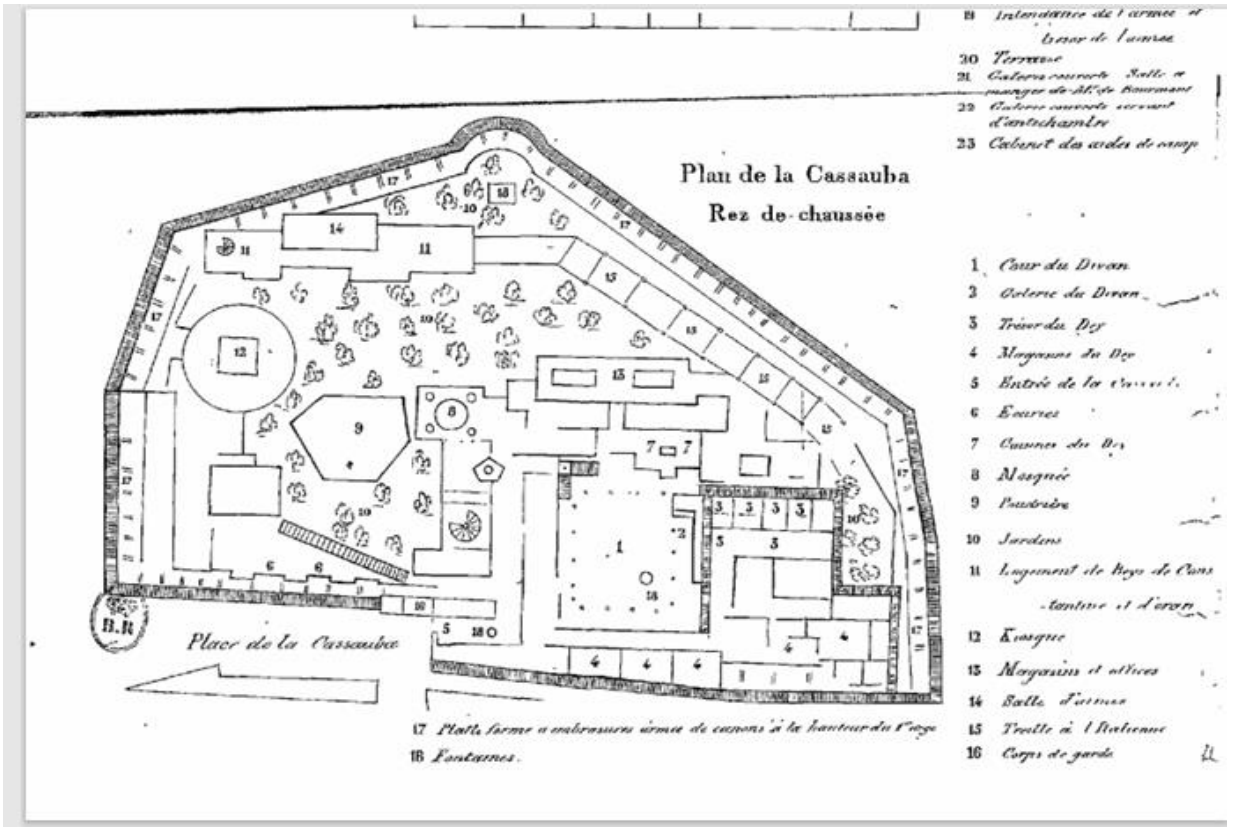

المصدر: Jean Toussaint Merle, Anecdotes historiques et …pp 317- 318

الملحق رقم(05): مخططات قصر أحمد باي في مدينة قسنطينة، الطّابق01 و02.

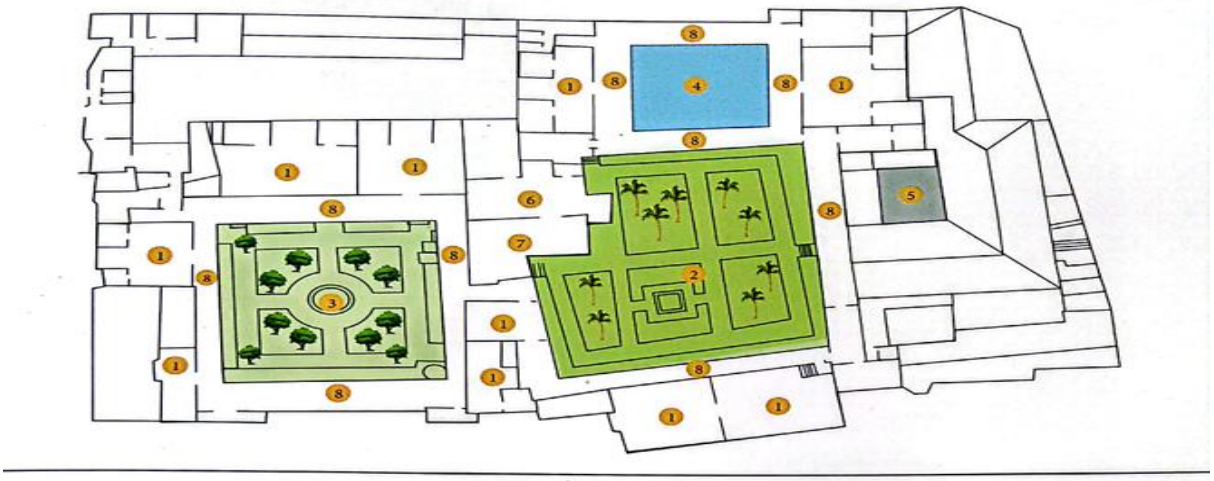

* مخطط الطابق الأول للقصر

1-بيوت.
2-حديقة النخيل.
3-حديقة البرتقال.
4-فناء الحوض المائي.
5-الفناء الرخامي.
6-بيت فاطمة بنت الباي.
7-المشربية (البهو).
8-رواق مغطى.

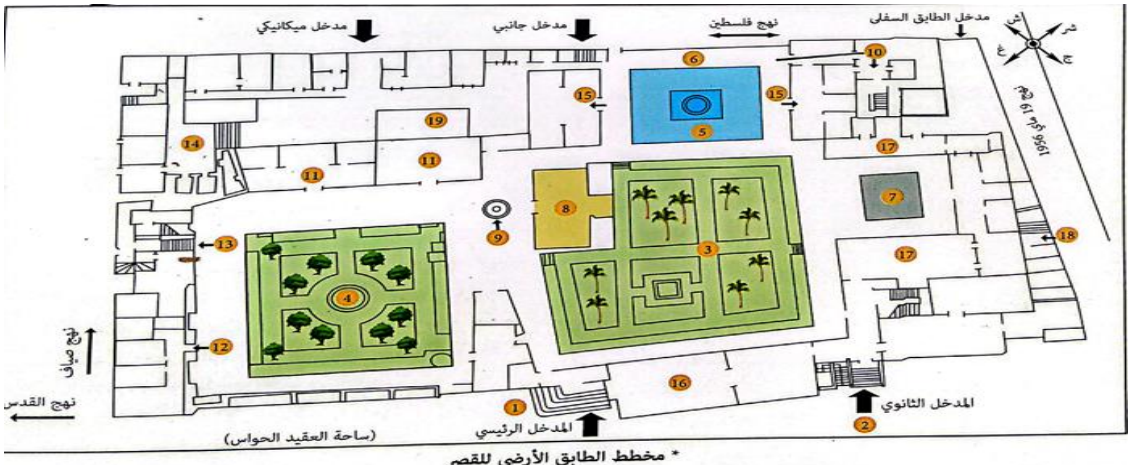

* مخطط الطابق الأرضي للقصر

1-المدخل الرئيسي.
2-المدخل الثانوي.
3-حديقة النخيل.
4-حديقة البرتقال.
5-الحوض المائي.
6-فناء الحوض المائي.
7-الفناء الرخامي.
8-الكشك(مجلس إستراحة الباي).
9-النافورة.
10-المجمع الخاص بالخدم الذي يقود إلى الحمام بالطابق السفلي.
11-إحدى البيوت.
12-مدخل إلى جناح يقود إلى دار أم النون سابقا.
13-سلالم تقود إلى الطابق العلوي.
14-المجمع الإداري.
15-بيوت.
16-قاعة (المحكمة سابقا).
17-ديوان الإستقبال.
18-سلالم الطابق السفلي «المعرض» (الإسطبلات سابقا).
19-مكان تنقيب و بحث أثري.

المصدر: الطاهر رحال، الحاج أحمد باي وقصره، ص87.

الملحق رقم(06): مخطّطات الطوابق التي تُشكل دار الحمراء قبل التعديلات التي أجريت عليها.

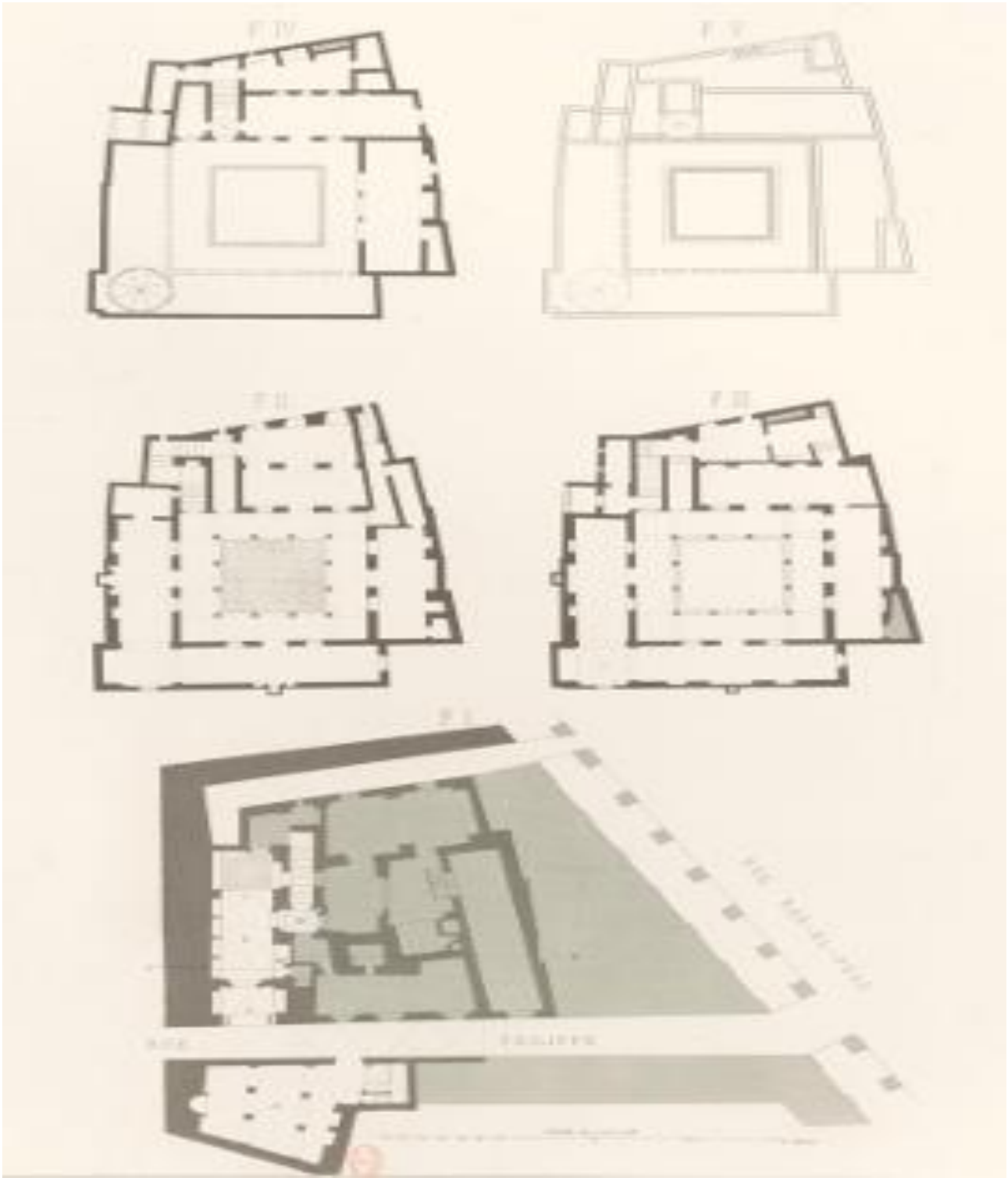

المصدر: Amable Ravoisié – Exploration scientifique de l'Algérie…, 1840, pla04 1841, 1842

الملحق رقم(07): مخطط إيمريت يمثل الحي التجاري ومركز مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

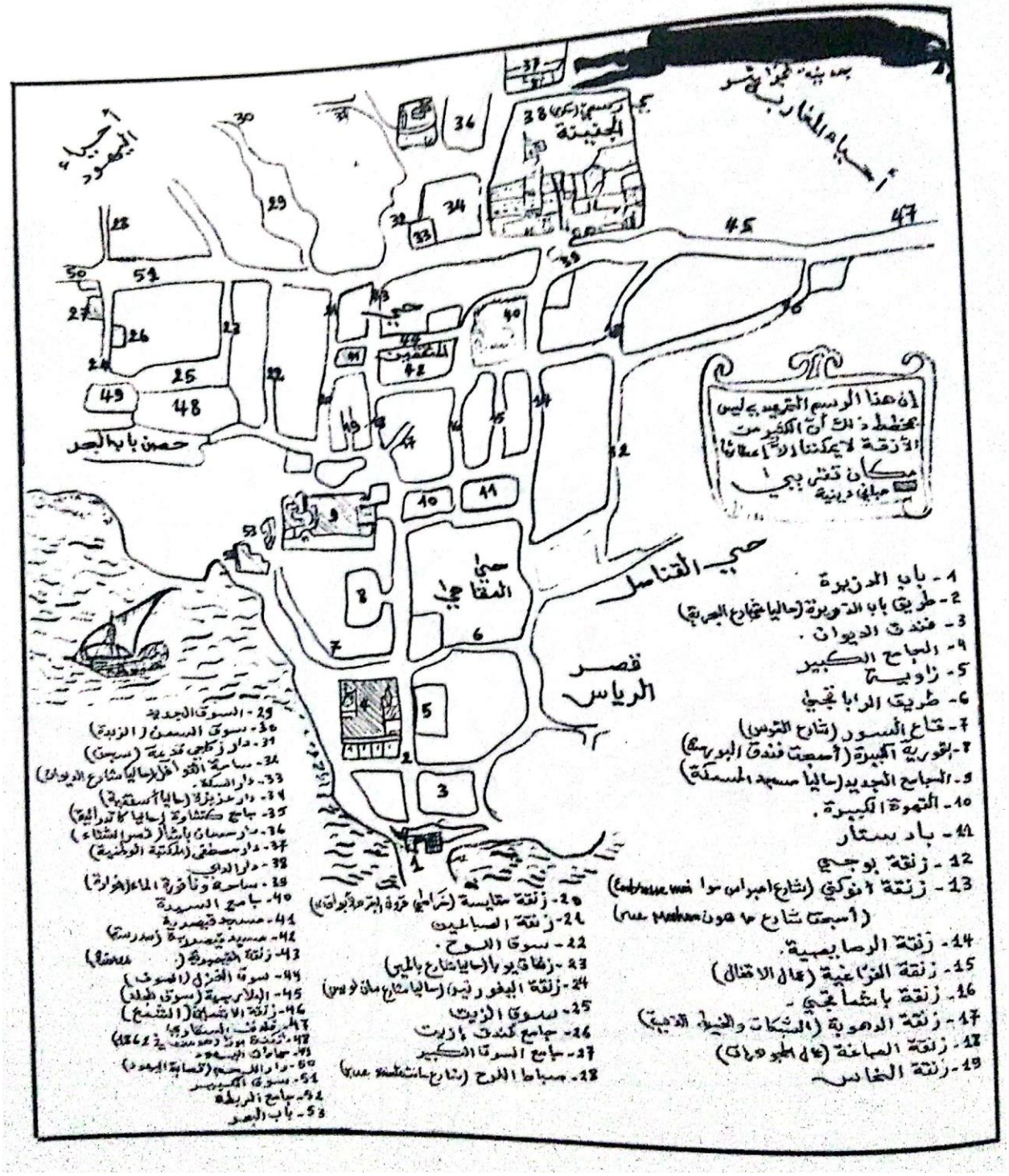

المصدر: عبد الله بن محمد الشويهد، قانون اسواق مدينة الجزائر...، تح: ناصر الدين سعيدوني ص 197.

الملحق رقم(08): خريطة توزيع الفنادق في شوارع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

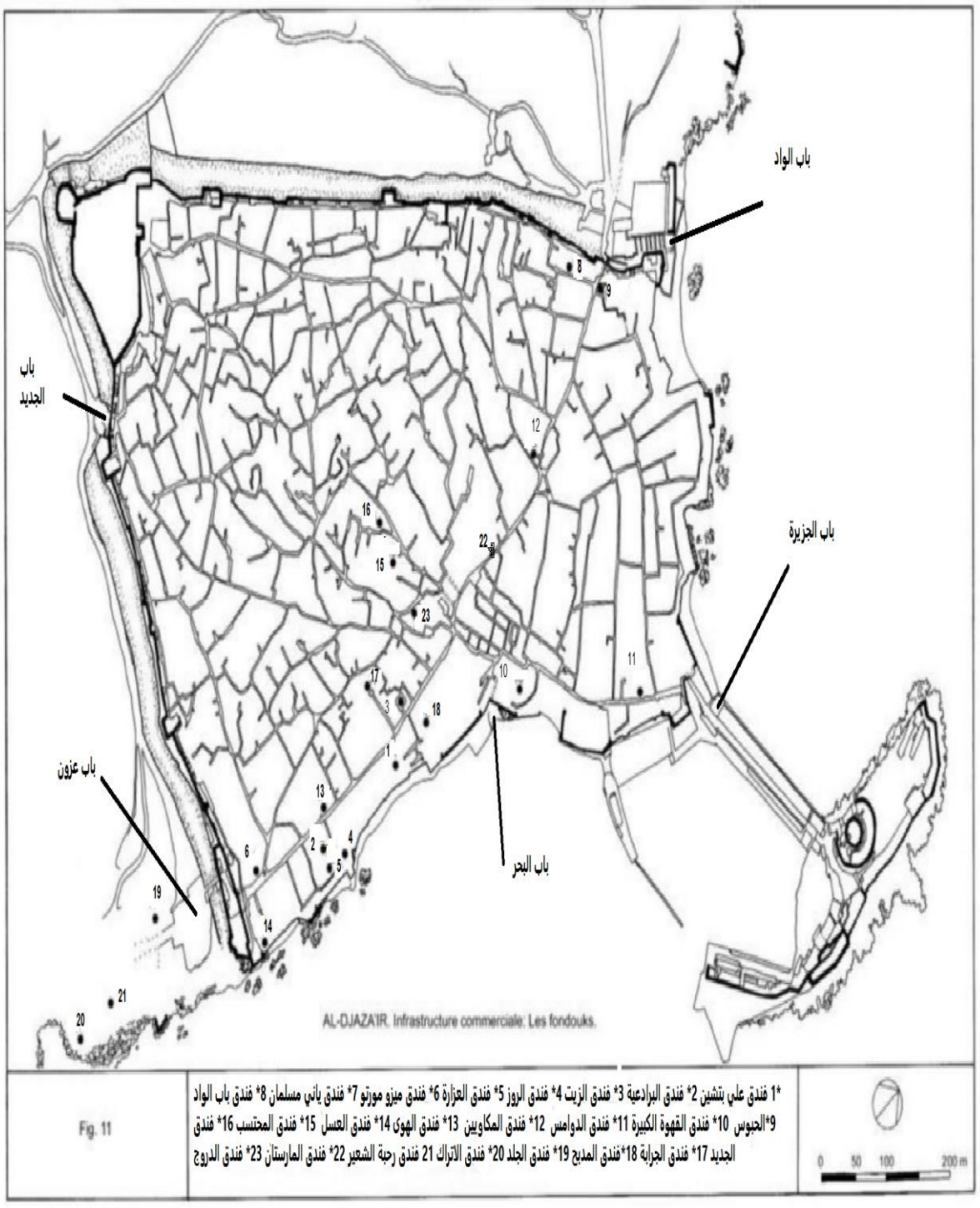

المصدر: بتصرف من الطالب سليم تريكي، وافية نفطي، الفنادق في مدينة الجزائر...، ص211.

الملحق رقم(09): جدول يمثل بيان مصروف الجامع الجديد سنة 1146هـ الموافق لـ/1733- 1774م

القيمة / ريال	المصارف
- 3	- أول قطن ومصالح
- 14	- قفل لباب السطح الجديد
- 6	- دربوز لباب
- 1	- أقفال أربع مفاتيح
- 3	- خرج معلم الحمام حق اللوح
- 3	- جير وفرش للحمام بالجملة
- 4	- زيت سبع أرباع
- 25	- معلم والصانع والخدامين
- 3	- حق لماء ثلاثة قلل زيت سعر زوج ريالات
- 81	- زيد خدم العلم يومان بالساقية حومة السد
- 13	- حق البغال للكنسة كذا الصابون وغسيل البيت
- 4	- تبييض الجامع
- 14	- جير
- 19	- معلم القفال
- 11	- أول خدم الترساني بالحجر
- 14	- عبد الله الحجار
- 12	- زيد خدم كذا
- 34	- زيد خدم بني مزاب
- 12	- خدم عبد الله في تقطيع الحجر في جنان بوشارب

المصدر: الأرشيف الوطني الجزائري، س ب ب،ع 29 سجل242 .

الملحق رقم10 : خريطة تمثل التدخلات العمرانية لصالح باي في مدينة قسنطينة باللون الأسود الغامق



المصدر: فاطمة الزهراء قشي قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ... ص 79.

الملحق رقم(11): وثيقة تضم أعباء ومستحقات عمّال ومعلمي البناء لشركة الأندلس

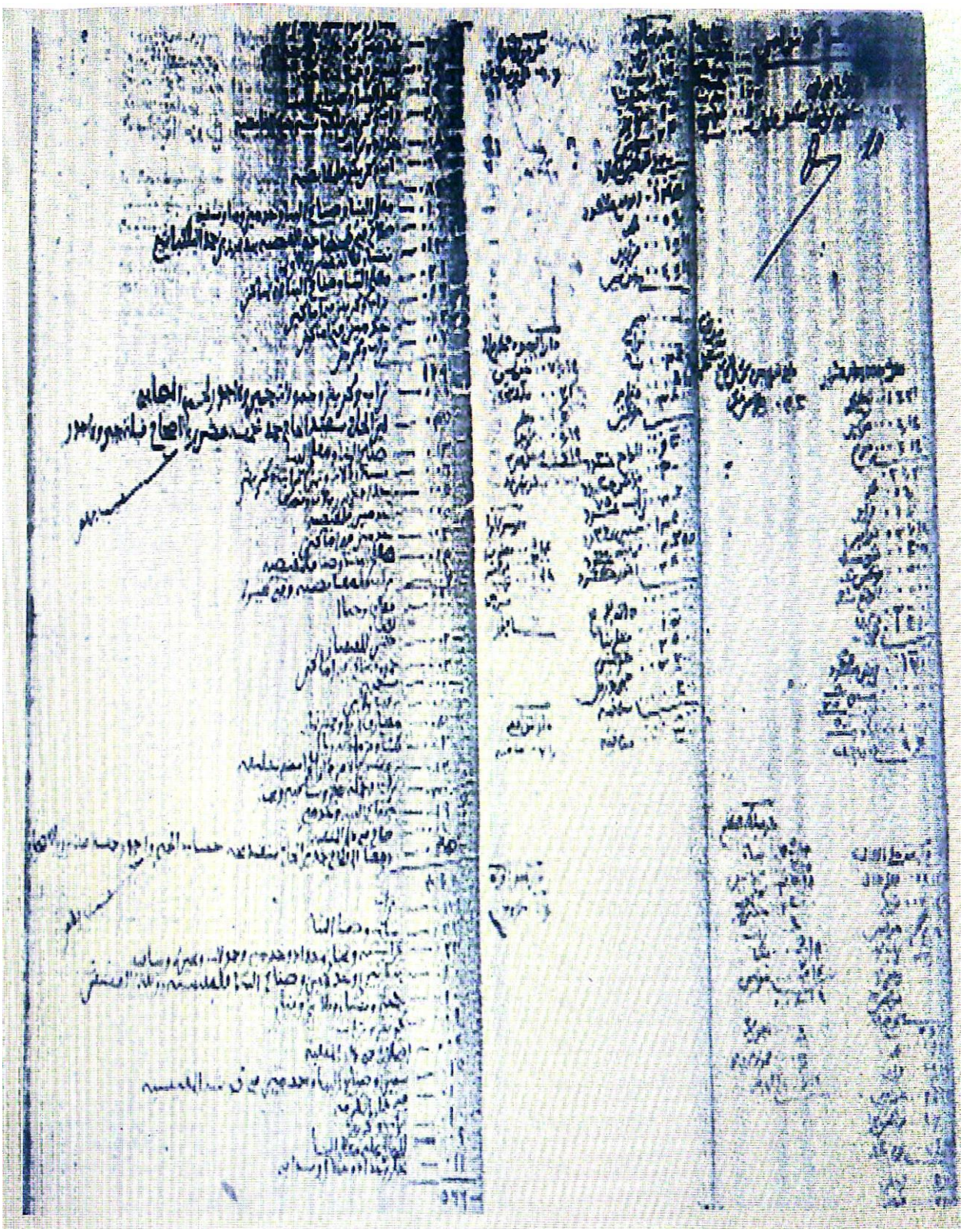

المصدر: صليحة جدي، حرفة البناء...، ص 772.

الملحق رقم12: يمثل القرميد الأخضر فوق أسطح المنازل وطريقة الرصف لتجنب سيلان المياه على الجدران



المصدر: سعيد مهيبل، المواد الطينية المستعملة في بناء منشآت قلعة الداي بالجزائر، ص61.

الملحق رقم13: بلاطات خزفية من قصر حسن باشا في مدينة الجزائر تجمع بين زخارف متنوع.

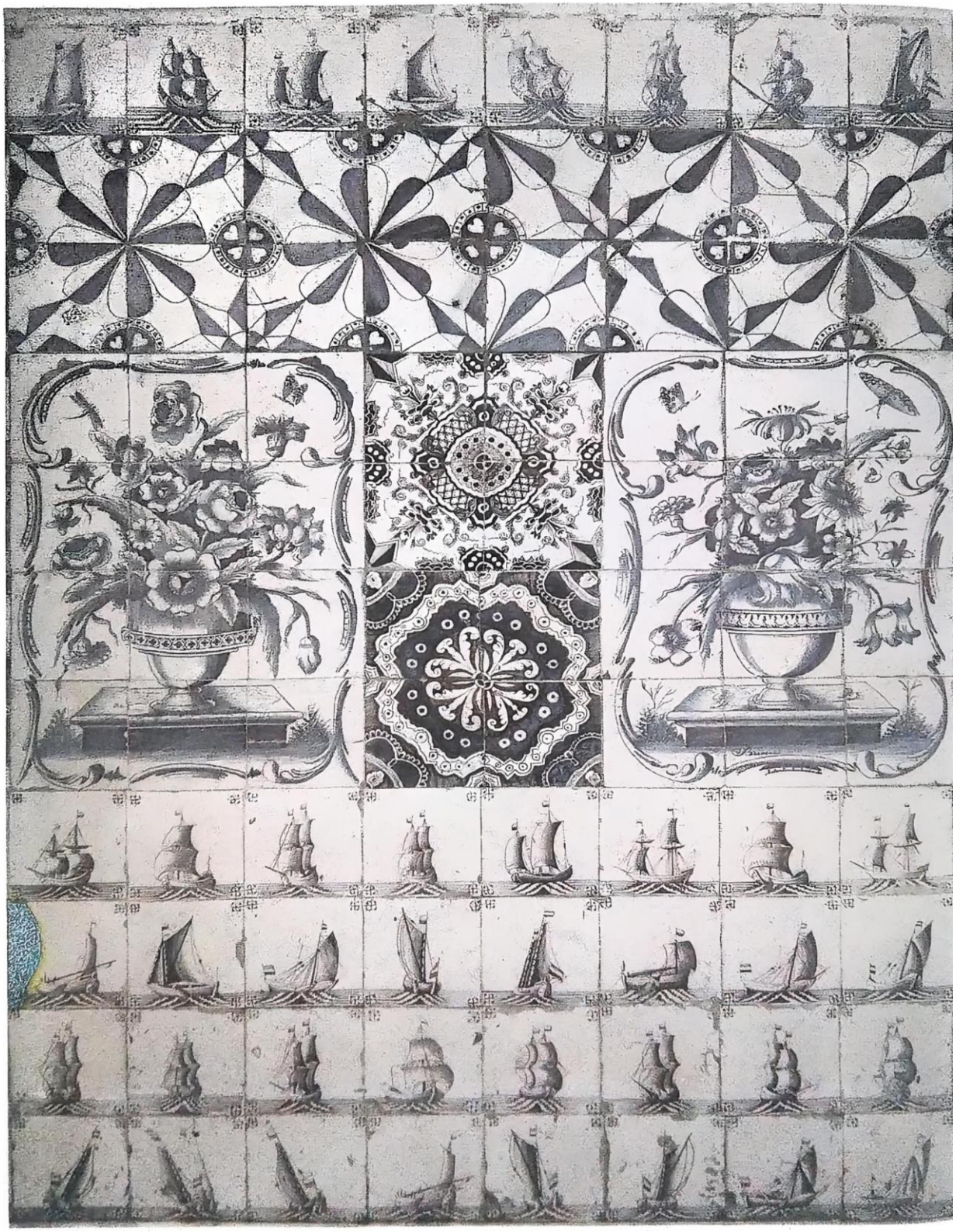

المصدر: Lucien Golvin, , Palais et demeures d’Alger à la période ottomane, p90

الملحق رقم14: صورة توضح الزّخرفة على الجص في أقواس الأروقة الداخلية لقصر حسن باشا بمدينة الجزائر

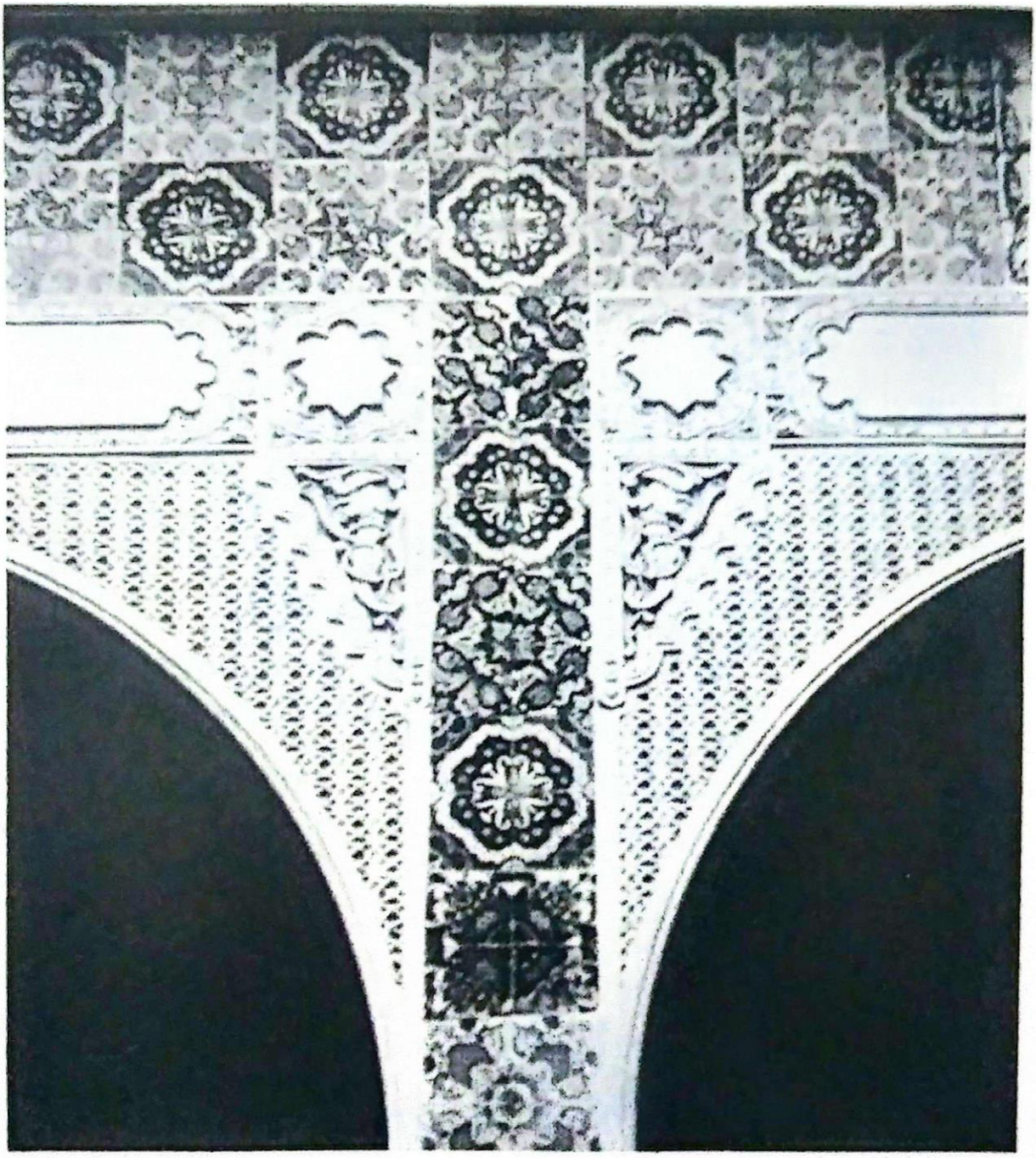

المصدر: Lucien Golvin, , Palais et demeures d’Alger à la période ottomane p 66

أولا: فهرس الأعلام

الأب دان 52، 111، 126، 165.
ابن أبي الزرع 29
ابن الرامي 33، 38، 201
ابن المفتي 46
ابن حوقل 120، 156
ابن كثير 32
ابن منظور 30، 31، 93، 138، 154، 169
أحمد الأول 23
أحمد الشريف الزهار 47، 71
أحمد باي 62، 73، 75، 78، 221، 224.
أحمد عراب 123، 126.
أدريان باربا روجر 66، 69
الإدريسي 121، 138، 156
أسطى موسى الأندلسي 127، 190، 200
أندري ريمون 24، 97، 117، 139، 147، 156، 159
بابا حسن 84، 85، 182.
باسيلو بابون مالدونادو 170، 177.
بايزيد الأول 17.
بايزيد الثاني 21
البكري 121
ألبير ديفولكس 44، 45، 53، 63، 66، 69، 96، 118، 129، 140، 144، 145، 182،197، 201، 219.
تال شوفال 52
التمقروطي 140
توماس شاو 99، 207، 212، 213، 217.
توماس شو 50
تيمور لنك 17
جيمس ليند كاثكارت 48، 113، 117، 129، 130، 131، 157، 169.
حسن باشا 67، 82، 84، 90، 124، 126، 172.

الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) 48، 131، 157.
الحسين بن محمد الورتلاني 49، 96.
حسين داي 47، 70
حسين داي 91، 124.
حمدان خوجة 145،
خداوج العمياء 81، 82، 90.
خديجة تورخان 23
خير الدين باشا 22
ديغو دي هايدو 52، 65، 66، 94، 104، 106، 117، 123، 129، 130، 133، 157، 173، 203، 211، 222.
راوول بوسكي 42
رمضان باشا 86، 124
روزي 158، 162
سليم الثاني 22
سليمان القانوني 21، 22.
سنان الدين يوسف 18، 19، 20.
شارل فيرو 75، 76.
صالح باي 101، 128.
صالح باي 43، 44، 194، 196
الطبري 31
عائشة غطاس 184، 185، 188.
عبد الحميد 24
عبد الرحمن ابن خلدون 29، 31، 140
عبد الله بن محمد الشويهد 45، 114، 128، 141، 146، 151، 152، 175، 187، 188، 189، 214
عبد المجيد الثاني 24
عثمان الثالث 23
علي بن يوسف ابن تاشفين 27
علي بوصبع 47
علي خوجة 62، 64، 71، 91، 182
فاغنر 165، 166، 207.

فندلين شلوصر 74، 75، 116، 221.
فونتور دي بارادي 94، 163، 207، 212، 213، 217.
فيتريوس 59
فيلهيم شيمر 174، 175.
فيليبو بانانتي 98، 99، 106، 111.
قابريال إسكاز 42
قابريال كولان 70، 84
كوسم 23
لوجي دوتاسي 113، 128.
اللورد إكسموث 182
لوسيان كولفن 55، 84، 105.
مارتن هايديغر 59
محمد الأول 17
محمد الفاتح 18، 19، 20.
محمد الكبير باي 78، 79.
محمود الأول 23
مراد الأول 17، 18، 185
مراد الثاني 18، 22
مراد الرابع 23
مرامول كربخال 157
مصطفى الثالث 18
مصطفى باشا 70، 85، 87، 90، 95، 125، 221.
مصطفى بن حموش 54، 122، 200
مصطفى بومزراق باي 79، 80.
المقريزي 54
ناصر الدين سعيدوني 45، 46، 188، 189، 191، 193، 195، 214
نصوح المطرقجي 22
نيكولاي دي نيكولاي 65، 83
هنري كلاين54، 81، 91، 92، 222.
وليام شالر48، 95، 101، 102،104، 105، 107، 109، 117، 118، 123، 166.

يوسف ابن تاشفين 26، 27
خير الدين بربروس 173

ثانيا: فهرس الأماكن والمدن والبلدان

الأبيار 205
أدرنة 18،20
أدنبرة 51
إزنيك 16
إسبانيا 131، 132.
إستانبول 15، 18، 20، 21، 22، 23، 61، 136، 198، 199.
إشبيلية 201،26.
الأندلس 60، 172، 201، 203.
أنقرة 17
إيطاليا 76، 87
إيكوزوم 54
باريس 52
بجاية 140،120،26، 195،149.
بسكرة 149، 179
بلنسية 201
البليدة 94، 105، 174، 195، 211، 213.
بورصة 17، 18، 20.
بوزريعة 120
تامنفوست 207
تلمسان 26، 27، 96، 110، 120، 122، 133، 211،148،140، 221.
تندوف 27
تونس 25، 158، 187
تيبازة 179
تيمقاد 122
الجزائر 39، 42، 43، 51، 53، 54، 55، 56، 61، 62، 87، 91، 93، 95، 108، 120، 136، 14، 146، 161، 166، 170، 175، 177، 185، 191، 194، 203، 208، 212، 213، 215، 21، 224.

جيجل 149
الحامة 45
الحجاز 49
حلب 23
حلق الوادي 185
الخروب 149
خنشلة 179
دلس 179
دلفت 91
دمشق 23
الدنمارك 218
سامراء 15
ستوكهولم 170
سجلماسة 31
سراقوصة 26
سطيف 122
سكيكدة 122
السويد 218
الشام 99 ، 123
شرشال 122، 179، 213 .
العثمانية 149
عنابة 79، 133، 195.
غابات الأوراس 218
فاس 26
فرنسا 166
قالمة 122
القاهرة 24، 158،201.
القبة 205
قرطبة 15، 26، 201.
القسطنطينية 18،41،43، 44، 61، 62، 73، 77، 82، 94، 96، 175.

قسنطينة14 18، 41، 43، 44، 61، 62، 73، 77، 82، 99، 96، 102، 105، 107، 108، 110، 111، 112، 114، 118، 120، 129، 133، 140، 143، 149، 153ن 169، 170، 174، 179، 175، 187، 192، 195، 197، 198، 201، 211، 212، 217، 218، 221، 223.
القيروان 27
لاهاي 51
لندن 51
مازونة 96، 174
المدية 62، 71، 80، 95، 96، 174، 177.
مدينة الجزائر11، 25 ، 27، 46، 48، 55، 60، 62، 63، 64، 65، 65، 66، 69، 77، 82، 83، 91، 95، 99، 105، 106، 110، 115، 116، 117، 118، 121، 122، 123، 125، 128، 130، 132، 133، 140، 141، 142، 147، 148، 152، 156، 159، 160، 162، 163، 166، 167، 171، 172، 184، 187، 195، 200، 204، 205، 210، 215، 216.
مستغانم 62، 95، 96، 174، 177.
مصر16، 23، 92،163.
معسكر 62، 96، 126، 174، 195، 221
المغرب 148
مليانة 62، 106، 177، 195.
منطقة القبائل 218
ندرومة 27
هولندا 218
واد كنيس 204
وادي الحراش 212
وطن الحشنة 39
وطن السبت 39
وهران 43، 78، 94، 105، 109، 120، 178، 211، 221.
اليمن 166

ثالثا: فهرس المباني

المسجد النبوي 15
الجمع الكبير قرطبة 15، 26
التِكِيّة السُليمية 25
الجامع الأخضر 77
الجامع الجديد مدينة الجزائر 25
جامع السُليمانية 21
جامع السَليميَّة 22
جامع الفاتح 18
جامع الفتحيَّة 18
جامع المرادية 18
جامع سيدي محرز مدينة تونس 25
جامع كتشاوة 46، 63، 84، 167.
جامع نور عثمانية 23
جسر أُوزون كوبري 21
جسر أُوزيك 22
جسر موستار 22
حانة رفّاجي 169
حصن القصبة مدينة الجزائر 64، 69، 70.
حي رياس البحر(حصن 23) مدينة الجزائر 23، 86.
دار الإمارة(قصر الجنينة) مدينة الجزائر 62، 63، 64، 65، 66، 69، 70، 84، 94، 123، 129، 17.
دار الحمراء مدينة الجزائر 62، 91، 92.
دار الدّايخة بنت الباي مدينة قسنطينة 199
دار الشباني 98
دار اللحم، دار الصابون، دار سركاجي، ص 94
دار عبد اللّطيف 62
دار عزيزة مدينة الجزائر 83.
زاوية محمد الشريف 197
سرايا طوب كابي 19

سرايا طولمة باغجة 24
القباب 16، 17، 18، 67، 83، 88، 109، 110.
قصر أحمد باي مدينة قسنطينة 73، 75، 76، 205، 221.
قصر الباي محمد الكبير مدينة وهران 78، 79، 107.
قصر الحمراء 15، 17
قصر الداي بالقصبة العليا 62.
قصر حسن باشا مدينة الجزائر 63، 85، 86، 219.
قصر خداوج العمياء مدينة الجزائر 62، 81، 83.
قصر مصطفى باشا مدينة الجزائر 62، 86، 87، 88، 89، 90.
قهوة العريش 167
كنيسة آيا صوفيا 19، 20
المسجد الأقصى القدس 15
مسجد السلطان أحمد 15
مسجد الشهادة 17
مسجد أوجة شرفلي 18
مسجد قبة الصخرة 15
يكي جامع 22

رابعا: فهرس الألفاظ المعمارية

1-العناصر المعمارية الإنشائية

الأساسات 203، 204،208
الأعمدة الحلزونية والأسطوانية 205
الأعمدة والدّعامات 105، 204
الأقواس والعقود 19
الجَمالونات 27
الخَراب: 101، 102
الدُّروج 28
الدّهليز 99
السَّابَاط 35، 112
السّطوح 111

السّقوف 222
الطَّابية 28
العقود البارزة 102، 223
الفَرْناق 176
القِباب 16، 17، 18، 67، 83، 88، 109، 110
المُقرنصات 19، 217

2-العناصر الزخرفية والفنية

أعمدة المرمر اللّولبي المُقنَّى 105
البلاطات الخزفيّة 23، 209
بلاطات الزّليج 68، 208
التَّكسية بالمربعات 223
التَّماثيل الرّخامية 207
التّيجان الكورنيثية 206
الثُّريات 110، 111
الدَّرابزين 105، 216
زخارف الأرابيسك 220
زخارف الطّراز التُّوسكاني 221
زخارف الطّراز الرومي 220
زخارف الطّراز اليوناني 222
زخرفة أزهار الزَّنابق 222
زخرفة التَّوريقات 219
زخرفة الشَّهمانات 22
زخرفة الهلال وكف اليد 223
الشّمسيات 106، 222
اللَّوحات التأسيسية 217، 218، 219، 220
المِطرقيّات 103

3-الفضاءات الداخلية والخارجية

أعمدة المرمر الإيطالي 208
الحدائق 112، 27، 68، 71، 94، 75، 95، 224
الحوش 108

الخيَّامة 108
الدّويرة 89، 100، 101
الرَّوشَن 98
السَّقيفة 89، 97، 103، 104، 108
السَّلملك والحَرمْلك 107
الصّحن 102، 105، 224
الصّحن المكشوف 13
العَلْوي 94، 100، 101، 111
الغُريْفَة 101
الفناء الداخلي 27، 97، 104، 108
الفناء النصف دائري: 23

4-مواد البناء

الآجر 208
الجبْس، الجِصْ: 214، 215
الجير 213، 214، 215
القرميد 208، 209، 210
المَلاط 210، 212

5-المرافق

الأزقة، الحومات، الدُّروب: 116، 117، 118
الأسْبلة 123، 125، 198
الإسطبل 115
الأوواين البارزة 118
التُّربة 115
جاليرا 129
السّجن 129، 130
الصّهاريج 113، 119
الصيدلية 130
قناة، ميزراب 126، 127، 128
المارستان 129، 130
المخزن، المِسراق، الشّقلابية، الجَقْلابية: 115

المرحاض، المِسراح، الكَنيف: 114، 129
مرمى الزَّبل 115
النّوافير 126

6-الفضاءات

الأسواق 138، 139، 140، 142، 143، 163، 186
البادستان 144، 145
الحمّامات 153، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 177، 182، 192، 196
الحوانيت والدّكاكين 144، 145، 149، 150، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 16، 163، 164
خان، أوكالة، بازار: 155، 158
الخمّارات، الحانات، التَّبرنة، الزَّندانة 168، 169
الرَّحبة 142، 144
الرَّحى، الطاحونات 153
السّويقة 144، 145
الفندق 144، 154، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 192
القيساريّة 144، 145
الكَوشْ والأفران 150، 151، 152، 183، 192
اللُّوطى 141
مدرسة، المسيد، الكتاتيب: 130، 131، 132
المقاهي 164، 165، 166، 167، 192

الملخص: يهدف هذا العمل إلى دراسة موضوع **تطور العمارة المدنية بالجزائر خلال العهد العثماني**، على مدى أكثر من ثلاثة قرون، مع التّركيز على دورها في تشكيل الطّابع العمراني المميز للمدن الجزائرية. ولقد اعتمدت الدراسة منهجًا تاريخيًا تحليليًا، يستعرض نماذج متنوعة من المنشآت المدنية، مثل: القصور والدّور والحمّامات والمدارس والأسواق والفنادق والمقاهي، والتي أدّت وظائف اجتماعية واقتصادية وثقافية متعددة في الحياة اليومية آنذاك. تسلط الدراسة الضوء على مساهمة البنّائين المحليين والحرفيين المهرة، لا سيما من ذوي الأصول الأندلسية، في تطوير هذا الطّراز المعماري من خلال اعتماد تقنيات جمعت بين الأصالة والابتكار. كما تُبرز الدَّور المحوري للمؤسسات الوقفية في تمويل وإنشاء العديد من المباني العامة، مما يعكس العلاقة الوثيقة بين العمارة والوظيفة الدينية والاجتماعية في المجتمع الجزائري آنذاك.

ويتناول الموضوع كذلك المواد المستخدمة في البناء كالخشب والحجر والجص، إلى جانب الزّخارف المتنوعة والتي نُفذت على مواد عالية الجودة، مما يعكس الذوق الفني السائد ويؤكد على استمرارية التقاليد الحرفية. ومن خلال تفاعل العوامل البشرية والمؤسساتية والمادية، تبلورت العمارة المدنية في الجزائر العثمانية كنتاج ثقافي مركّب، يجمع بين التأثيرات المحلية والعثمانية والأندلسية، ويشكّل إرثًا غنيًا ومتعدد الأبعاد يستحق الدراسة والتوثيق.

الكلمات المفتاحية: العمارة المدنية، الجزائر، العهد العثماني، التراث، الزخرفة، البناء، التراث.

Abstract:

This study aims to analyze the evolution of civil architecture in Algeria during the Ottoman period, spanning more than three centuries. It focuses on the role this architectural tradition played in shaping the distinctive urban character of Algerian cities. Employing a historical-analytical approach, the research examines a diverse range of civil structures—including palaces, residences, hammams, schools, markets, inns, and cafés—that served multifaceted social, economic, and cultural functions in daily life. The study highlights the contributions of local builders and skilled craftsmen, particularly those of Andalusia descent, who played a pivotal role in refining this architectural style by employing techniques that merged authenticity with innovation. It also underscores the central role of waqf (endowment) institutions in financing and constructing numerous public buildings, reflecting the close interconnection between architecture and the religious-social fabric of Algerian society at the time.

Furthermore, the research explores the use of locally sourced materials such as wood, stone, and plaster, along with a variety of decorative motifs executed with high craftsmanship, which collectively express the prevailing artistic sensibilities and the continuity of artisanal traditions. Through the interplay of human, institutional, and material factors, civil architecture in Ottoman Algeria emerged as a complex cultural product, blending local, Ottoman, and Andalusia influences into a rich and multidimensional legacy worthy of scholarly attention.

Keywords: Civil Architecture, Algeria, Ottoman Era, Heritage, Ornamentation, Construction, Cultural Heritage.